المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة الدعوة

٢١٨٦
ح د د

الدعوة إلى الله في سورة النمل

بحث أعده

عبد الرب نواب الدين غريب الدين آل نواب

لنيل درجة العالمية العالية "الدكتوراه"

عام ١٤٠٨هـ

إشراف فضيلة الدكتور

علي عبد اللطيف حضور

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله الذى امتن على عباده برسالة خاتم أنبيائه محمد ابن عبدالله عليه صلوات الله فأخرج به الناس من الظلمات الى النور . وأنال لهـــم المحجة وأنار لهم الشرعة وأقام عليهم الحجة ، وبعـــد :

فان علوم الكتاب والسنة من أشرف العلوم وأزكاها باطلاق .. وأجـــل موضوع تناولته الأقلام بالتسطير والأفهام بالتفكير هو موضوع الدعوه الاسلاميـــة اذ تتنامى حاجات الناس على اختلاف الأمصار والأعصار الى معرفه الديـــن الحنيف الذى ارتضاه الله لعباده والى فقه عقائد هذا الدين وقواعـــده وأحكامه وغاياتـه ..

والقرآن العظيم هو المصدر الأول للدعوة ، فكما أنه حافل بأحكام العبادات والمعاملات في سوره المدنية ، احتوى مناهج الدعوة وطرائقها ومقوماتها ، وعرض أحوال المدعويـن على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وتعدد اتجاهاتهم ومداركهـــم ورسم أسس الأخلاق وعمد الفضائل في سوره المكية ..

** أهمية الموضوع وسبب اختياره :

ان نظرة سريعة الى واقع الأمة الاسلامية اليوم على امتدادها الجغرافي ، وعلى ضخامتهـا البشرية تكشف عن البون الشاسع والفرق البعيد بين ماضيهـا المجيد وحاضرها الأليم :

أ - فعلى الصعيد الداخلي :

١ - ابتليت الأمة بالانقسامات الجغرافية والعرقية والثقافية ، وقد سرى هذا الداء الى جسد الأمة منذ تاريخ مبكر ، وهو اليوم أشد وأنكى .

٢ - وتربى الكثير من شباب العالم الاسلامي على موائد أعداء الاسلام الذين صدّروا فلسفاتهم ونظرياتهم الى ديار الاسلام ثم زرعوها في عقول الشباب وقلوبهم ابان الاستعمار لديارهم ..

٣ - ورسخت هذه الثقافات في كثير من شبابنا وفشوا بها ، وجهـــل

اغذاذ العلماء ، ورزقني الله حب كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واستلهمه شكر هذه النعمة والثبات عليها . .

لهذه الاسباب رأيت أن يكون موضوع الرسالة التي أتقدم بها لنيل درجة الاجازة العالمية العالية (الدكتوراه) بشعبة الدعوة بقسم الدراسات العليا في هذه الجامعة المباركة عن الدعوة ومناهجها وغاياتها فكان الموضوع (الدعوة الى الله في سورة النمل) .

وأحسب أن هذه الرسالة المتواضعة محاولة لابراز الدعوة الاسلامية من خلال موضوعات سورة النمل ، والرسالة بعد ذلك رد - باذن الله - على أولئك الذين راموا النيل من القرآن العظيم والطعن في صلاحيته لكل عصر .

** خطة البحث ومنهجه :

احتوى هذا البحث على أربعة أبواب :

تحدثت في الباب الأول عن (القرآن الكريم والدعوة الى الله) واشتمل أربعة فصول :

الفصل الاول : القرآن العظيم ،نزوله وخصائصه .

الفصل الثاني : موقف البشرية منه .

الفصل الثالث : تضمنه الفصل بين بني اسرائيل .

الفصل الرابع : الدعوة في القرآن الكريم .

وتحدثت في الباب الثاني عن (دعوات الانبياء في السوره) واشتمل على خمسة فصول :

الفصل الاول : دعوات أنبياء بني اسرائيل (موسى وداود وسليمان) عليهم الصلاة والسلام.

الفصل الثاني : دعوة صالح عليه السلام.

الفصل الثالث : دعوة لوط عليه السلام.

الفصل الرابع : وحدة رسالات الله .

الفصل الخامس : الدروس المستفادة من قصص الانبياء في السورة في الدعوة ، والدعاة . والمدعوين .

وكان الحديث في الباب الثالث عن (الدعوة بلفت الانظار الى آثار قدرة الله والنعم المحيطة بالانسان) واشتمل على ثمانية فصول :

الفصل الاول : مظاهر الكون في القرآن .

الفصل الثاني : خلق السموات والأرض وآثار قدرة الله فيها .

الفصل الثالث : خلق الارض ومظاهر القدرة فيها .

الفصل الرابع : دفع الضر وجلب النفع والتمكن في الارض .

الفصل الخامس : نعم الله في البر والبحر .

الفصل السادس : بدء الخلق واعادته .

الفصل السابع : الاستدلال بمظاهر الكون على الالوهية .

الفصل الثامن : الاستدلال بهذه المظاهر على البعث .

أما الباب الرابع فتحدثت فيه عن (منهج تربية واعداد الدعاة في السورة) واشتمل على فصلين :

الفصل الاول : أسس التربية الروحية .

الفصل الثاني : سمات التربية الاسلامية .

ولخصت في الخاتمة نتائج البحث وتقدمت ببعض اقتراحات استوحيتها من موضوعات السورة الشريفة .

ولقد سلكت منهج البحث المعتمد على التبويب والتقسيم . فكتبت أضع العناوين الجانبية كلما تهيأ سبيل ، كما قمت بتخريج الآيات القرآنية وأضع أرقامها وسورها في الهوامش على ما هو متبع ، أما آيات سورة النمل فأضع أرقامها في المتن تمييزا لها عن غيرها ، وخرجت الاحاديث النبوية وشرحت الاصطلاحات والكلمات التي تحتاج الى شرح .

ومع اعتمادي الأساسي على أمهات المراجع والمصادر حاولت الاستفادة من احدث الدراسات الانسانية التي تخدم الموضوع ، كعلم النفس وعلم الاجتماع ، والعلوم الكونية المتعددة . .

تقرير عنوان الرسالة - (الدعوة الي الله في سورة النمل)

الدعوة الي الله :

تتضمن الدعوة في اللغة معنى (النداء والصيحة والحث)(١)
ومفهوم الدعوة الاسلامية في الاصطلاح موضوعا ومنهجا من أوسع المفاهيم التي تناولتها أقلام الباحثين ، فهي تستمد شموليتها من شمولية الرسالة الخاتمة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

والدعوة الى الله عز وجل هي الدعوة الى دينه ويشمل الايمان والاسلام والاحسان ، كما في الحديث الذى عرض لهذه الدرجات الثلاث ثم سماها دينا (هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم) (٢)

وينضوى تحت مفهوم الدعوة مناهجها وطرائقها ولذا قال تعالى تارة (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**)(٣) وقال تارة(**قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**) (٤)

فالدعوة الى الله هي الدعوة الى دينه الذى ارتضاه لعباده ، والدعوةالى سبيله هي انتهاج تلك الطرائق التي رسمها الكتاب والسنة وعمادها الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .

وتأسيسا على هذا الفهم تدخل في الدعوة قضايا الثقافة والتراث دخول مجال ودخول موضوع ودخول وظيفة وغاية ، ذلك أن ينابيع الثقافة والفكر والتراث هي الدعوة والشريعة .

---

(١) لسان العرب ٢٥٨/١٤ ط بيروت والمعجم الوسيط ٢٨٦/١ ط طهران
(٢) متفق عليه : وهوجزء من حديث اخرجه البخاريفي كتاب الايمان ٢٧/١ عن ابي هريرة رضي الله عنه باب سؤال جبريل النبي .. ومسلم في كتاب الايمان ٣٩/١ باب بيان الايمان والاسلام والاحسان .
(٣) النحل : ١٢٥
(٤) يوسف : ١٠٨

وعماد الدعوة الاول هو : العلم ، (فالدعوة علم ، علم بالمناهج والخطط وعلم بالقضايا والموضوعات ، وعلم بالأساليب والطرائق ، وعلم بحقائق الدين ، وعلم بوقائع العصر ، وعلم بأحوال المدعويين ، وعلم بواجب الدعوة وهو واجب لا يؤدى الا بعلم) (١)

ولقد سلك العلماء مناهج متعددة ونظرات متفاوتة في ايجاد تعريف ضابط للدعوة ، فمنهم من قيدها بضوابط المنطق فقالوا في تعريفها :

- (هي : قيام العلماء والمستنيرين في الدين بتعليم الجمهور من العامةما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة) (٢)
- (وهي : حث الناس على الخير والهدى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل) (٣)
- (وهي : حركة احياء للنظام الالهي الذى انزله اللهعز وجل على نبيه الخاتم) (٤)

ومنهم من أطلقها من قيد المنطق وضوابطه فقال هي (نقل أمة من محيط الى محيط) وعقب : ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه . (٥)

وهذا هو المتسق مع شمولية الدعوة الاسلامية موضوعا ومنهجا وغاية ، الا أن يراد تحديد المعنى الدعوى واستخلاصه من معنى الدين أو الشريعة فيقال هي (الندبة الى داعي الله والى الايمان بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم)

سورة النمل :

السورة سميت بها على اختلاف معانيها اللغوية للابانة عن انها (منزّلة مقطوعة عن الاخرى ،وجمعها : سور -بفتح الواو- أو سورات وسورات باسكان الواو وفتحها (٦)

---

(١) د. عبدالله التركي : المسلمون ١/٣/٨/١٤٠٠هـ تحت عنوان (الجهادالعلمي)
(٢) الدعوة الى الاسلام - ابو بكر زكرى ص ٨ ط مصر
(٣) هداية المرشدين - علي محفوظ ص ١٧ ط ١٣٩٩هـ مصر
(٤) الدعوة الاسلامية في عهدها المكي د. رؤوف شلبي ص ٣٢ ط ١٣٩٤هـ مصر
(٥) تذكرة الدعاة - البهي الخولي ص ٣٥ ط ١٣٩٩هـ الكويت
(٦) لسان العرب ٤/٣٨٦ مادة(سور)

فكل سورة بيّن الله تبارك وتعالى فاتحتها وخاتمتها وميزّها عن التي تليها ، قال في الاتقان (الحكمة في تسمية القرآن سورا تحصيله كونه سورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله ، والاشارة الى انه كل سورة نمط مستقل ..) (١)

وسورة النمل سميت بها لورود قصة النمل فيها ودرج عامة المفسرين على هذا الاسم (٢) ويذكر بعضهم الاسم من غير اضافة فيقول السورة التي يذكر فيها النمل ..

وتسمى سورة سليمان (٣) و طس سليمان ، و طسّ على قول من يرى أن فواتح السور أسماء لها .

وليست في القرآن العظيم سورة مفتتحة بـ (طسّ) غيرها .

ويقال لها سورة الهدهد (٤) وسيجيء الحديث مفصلا عن مكيتها وموضوعاتها وسماتها العامة ان شاء الله .

فقولنا : الدعوة الى الله في سورة النمل نقصد به :

الدعوة من حيث الموضوع .

ومن حيث المناهج التي بها يوصّل دين الله الى الناس .

ومن حيث خصائص ومقومات الدعاة ، وعمادها العلم والحكمة .

ضمن الاطار العام لسورة النمل المكية .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ١/٦٦

(٢) كابن كثير والفخر الرازي وابن الجوزي والنسفي وابي السعود وغيرهم .

(٣) الدر المنثور للسيوطي ٥/١٠٥ ط بيروت .

(٤) احكام القرآن لابن العربي ٣/١٤٤٨ ط بيروت .

البَابُ الأوَّل

(القرآن الكريم والدّعوة إلى الله)

ويشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول : القرآن الكريم : نزوله وخصائصه .

الفصل الثّاني : موقف البشرية منه .

الفصل الثالث : تضمنه الفصل بين إختلاف بني إسرائيل .

الفصل الرّابع : الدعوة في القرآن العظيم .

الباب الأول
(القرآن الكريم والدعوة الى الله)

قال تعالى :

(طسّ ، تلك آياتُ القرآنِ وكتابٍ مبين . هُدى وبُشْرى للمؤمنين . الذين يُقيمونَ الصلاةَ ويُؤتونَ الزكاةَ وهُمْ بالآخرة هم يُوقنون . إن الذين لا يُؤمِنُونَ بالآخرةِ زيّنّا لهُم أعمالهم فهم يَعْمَهُون . أولئك الذين لهم سُوءُ العذابِ وهُم في الآخرةِ هم الأخسرون . وانك لَتُلَقَّى القرآنَ من لّدُن حكيمٍ عليم) سورة النمل - الآيات : ١ - ٦

لا يخفى أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للدعوة الاسلامية ، وهو الركن الركين الذى يستمد منه الدعاة الى الله مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها وأهدافها في كل العصور ، بل ان الدعوة الاسلامية تستمد خلودها وبقاءها ونقاءها من خلود القرآن العظيم وحفظ الله له اذ يقول : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (١)

وفي فصول هذا الباب بعض تفصيل لنزول كتاب الله على قلب رسوله عليه الصلاة والسلام ، وذكر لخصائصه وموقف الناس منه ، وعرض لمناهج الدعوة فيه ، ضمن الاطار العام للسور المكية عموما وسورة النمل على وجه الخصوص .

---

(١) الحجر : ٩

الفصل الأول : القرآن الكريم ،نزوله وخصائصه

ويشتمل على :

المبحث الأول : تعريف القرآن العظيم واعجازه .

المبحث الثاني : نزوله ، وانواع الوحي .

المبحث الثالث : المكي والمدني ومميزاتهما .

المبحث الرابع : خصائص القرآن الكريم العامة .

*** ***

المبحث الأول : تعريف القرآن الكريم واعجازه

المطلب الاول : تعريف القرآن الكريم :

ذكر الله عزوجل القرآن العظيم في سورة النمل في أربعة مواضع

١ - تنويها بمقامه الكريم ومنزلته العظمى ،فقال (طسّ تلك آيات القرآن وكتاب مبين) الآية : ١

٢ - وبيانا لكونه من عند الله (وانك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم) الاية : ٦

٣ - وتقريرا لما تضمنه من الهدى والرشاد (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) الاية : ٧٦

٤ - وارشادا الى الاستمساك به (.. وأن أتلو القرآن) الآية : ٩٢

وانه لحرى أن يعرّف هذا القرآن لمن يجهله ، وأن تبرز أهم خصائصه لمن يبغيها ، وأن تجلى بعض الجوانب من هذا الباب اذ ربما تخفى على الناس .

القرآن في اللغة :

تختلف آراء اللغويين حول أصل كلمة (القرآن) وتنحصر تحت اتجاهين رئيسين :

الاتجاه الأول :

أن القرآن اسم لكتاب الله ، وأنه غير مشتق ، فهو لم يؤخذ من مادة (قرأ) ولا من غيرها ، بل هو اسم لكتاب الله مثل التوراة والانجيل وعليه فلا يهمز ، وهذا معزو الى الامام الشافعي (١) وغيره

الاتجاه الثاني :

على أن لفظ (القرآن) مشتق واختلفوا في مصدره على اربعة وجوه :

١ ـ اما من قرأ بمعنى تلا ، فهو مصدر كالرجحان والغفران ثم نقل هذا المصدر وجعل اسما لكلام الله المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويؤيد هذا الوجه قوله تعالى (ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) (٢) اى فاتبع قراءته (٣) ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (خفف على داود عليه السلام القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه) (٤) وعلى هذا الرأى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (٥) ، (٦)

٢ ـ أو أنه وصف مشتق من القرء بمعنى : الجمع ، وسمي بذلك لأنه يجمع السور أو يجمع القصص والأمر والنهي .. وعلى هذين الوجهين

---

(١) هو محمد بن ادريس الهاشمي القرشي (١٥٠ - ٢٠٤هـ) أحد الأئمة الاربعة واليه نسبة الشافعيةولد بفلسطين وتوفي بمصر : وفيات الاعيان ١٦٣/٤

(٢) القيامة : ١٧ - ١٨

(٣) تفسير الطبرى ١١٨/٢٩ ط ط بولاق ١٣٢٩هـ

(٤) رواه البخارى ١٢٥٦/٣ عن ابي هريرة رضي الله عنه ـ كتاب الانبياء باب ٢٨ قول الله تعالى وآتينا داود زبورا ـ ط ١٤٠٧هـ دمشق

(٥) هو احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الدمشقي : الامام شيخ الاسلام (٦٦١ - ٧٢٨هـ) مولده في حران ووفاته بدمشق كان آية في التفسير والاصول فوات الوفيات ٧٤/١ والبداية والنهاية ١٤١/١٤

(٦) مجموع الفتاوى ٨/١٣ ط ١٣٩٨هـ الاولى .

يكون لفظ القرآن مهموزا ونونه زائدة (١)

٣ ـ وذهب قوم الى أنه مشتق من (قرنت الشيء بالشيء) بمعنى الضم .

٤ ـ أو أنه من (القرائن) وسمي به لأنه يجمع الآيات التي هي قرائن اذ يشبه بعضها بعضا ، ويصدق بعضها بعضا .

وعلى هذين الوجهين هو بلا همز ، ونونه أصلية (٢)

ولا يمتنع في اللغة أن تكون جميع هذه الوجوه الأربعة ملاحظة في اشتقاق كلمة (القرآن) ، وان كان بعضها أقوى من بعض ، على أن الوجه الذى ذهب اليه الشافعي يبدو أنه الأصوب وذلك لأمرين :

ـ للخروج من الخلاف الناتج عن القول بالاشتقاق .

ـ واستناد الى ما اعتمد عليه من الرواية المتصلة الى النبي صلى الله عليه وسلم (٣)

والذى ينبغي أن يلاحظ أن مادة (القرآن) باعتبار مصادرها المختلفة تزخر بمعطيات لغوية أخرى منها : الدراسة ، والتفقه ، والتبليغ والتحمل ، والالقاء ، وهذه الأوصاف مجتمعة من أجلى خصائص القرآن ، يقال : قارأه كذا اى دارسه ، وتقرأ أى تفقه ، وقرأ عليه السلام يقرؤه عليه وأقرأه اياه : أى أبلغه (٤) ...

وبعض القرآن يسمى قرآنا لقول الحق تباركت اسماؤه (وما تتلو منه من قرآن) (٥) أى وما تتلو من التنزيل من قرآن ، لأن كل جزء منه قرآن (٦)

---

(١) لسان العرب ١/١٢٨ ـ ١٣٠ ط بيروت والقاموس المحيط ٢٤/١

(٢) الاتقان للسيوطي ١/٥٠ ـ ٥١ ط بيروت ١٣٧٠هـ

(٣) سلسلة الرواية في لسان العرب ١/١٢٨ ولم اهتد بعد الى تخريجها

(٤) المحكم والمحيط الاعظم في اللغة لعلي ابن سيده (٤٥٨هـ) تحقيق د . مراد ط ٩٢هـ مصر ـ ٦/٢٨٩ ـ ٢٩٠ مادة : قرأ

(٥) يونس : ٦١

(٦) تفسير النيسابوري غرائب القرآن ١١/٩٦ على حاشية تفسير الطبري

القرآن في الاصطلاح :

ما من ريب أن القرآن الكريم كلام الله نزل به جبريل عليه السلام على خاتم المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ويتميز هذا القرآن بأربعة خصائص - على الأقل - ترد في تعريفه فيقال :

هو كلام الله تبارك وتعالى ، المسجل بين دفتي المصحف ، وهو المعجزة التي أيد الله بها نبيه محمداً عليه السلام وتحدى مكذبيه بها وهو منقول بالتواتر ، ومتعبد بتلاوته ومعصوم الى آخر الدهر من اى تحريف ..

ولقد ضرب جل العلماء أطنابهم من القدماء والمحدثين في تعريف القرآن العظيم محاولين وضع تعريف شامل فجاءت تعاريفهم مستحوذة على كل أو جل العناصر السالفة .. فمن التعاريف التي ذكرت :

انه اسم لكلام الله (١) ، واسم لما بين الدفتين من كلام الله (٢) أى ما بين دفتي المصحف قال البخاري(٣) في صحيحه باب : لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم الا ما بين الدفتين .. (٤) وقال آخر : هو اسم للمتلو المحفوظ المرسوم في المصاحف (٥) وقال آخر : هو اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من أول الفاتحة الى آخر سورة الناس(٦)

---

(١) فتح القدير للشوكاني ١/ ١٨٢ ط بيروت
(٢) مفاتح الغيب للفخر الرازى ٥/ ٩٢ ط ١٤٠١ - ١٩٨١ دار الفكر
(٣) هو محمد بن ابراهيم بن المغيرة (١٩٤ - ٢٥٦هـ امام المحدثين : سير اعلام النبلاء ١٢/ ٣٩١ ط بيروت ١٤٠٣
(٤) الصحيح ٤/ ١٩١٧ فضائل القرآن باب ١٦
(٥) اعجاز القرآن للباقلاني ١/ ٢٠ على حاشية الاتقان للسيوطي ط عالم الكتب .
(٦) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ١٨ ط البابي الحلبي - مصر

وهـذه التعاريف على تفاوتها في الايجاز والاسهاب لا تجافي الصواب ولا تنأى عن اصابة الغرض وافادة المطلوب .

ولا ضير أن يشتمل التعريف على بعض العناصر التي يتسم بهـا القرآن الكريم دون البعض ، لأن ذكر عنصرما يستجلب ذكر العناصر الأخرى على ما استقر في عرف المسلمين منذ نزل القرآن ، ويرى البعض (١) أن لا سبيل الى تحديد القرآن بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص . لاشتماله على خاصية الهيمنة على الكتب السماوية السابقة كما أخبر عن ذلك الحق تبارك وتعالى بقوله (وأنزلنا اليـك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) (٢)

ولست تجد تعريفا أصدق وأتم وأحكم من تعريف رب العزة تقدست أسماؤه اذ يقول عن كتابه المجيد : (وانه لتنزيل رب العالمين ،نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) (٣)

فأنت ترى أن هذا التعريف مع اعجازه في التركيب وحلاوة جرسه البلاغي تنضوى تحته سبع خصائص في أربع آيات : فهوموصوف في الآية الاولى بكونه (تنزيل رب العالمين) (٤) ومن معطياتها :

١ ـ انه من عند الله لفظا ومعنى وهذا ما يفرق بينه وبين الحديث القدسي .

٢ ـ انه بهذا الاعتبار معجز لفصاحته ولاخباره عن الغيب .. ولا يكون ذلك الا بوحي من الله (٥)

٣ ـ وهـو كذلك كتاب دعوة للعالمين ، فرسالته عالمية كما قال سبحانه (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (٦)

---

(١) د . محمد عبدالله دراز ـ النبأ العظيم ص ١٤ ط ١٣٩٠ الكويت
(٢) المائدة : ٤٨
(٣) الشعراء : ١٩٢ - ١٩٦
(٤) أكثر المفسرين على أن الضمير في (وانه) راجع الى القرآن الكريم انظر تفسير الطبرى ١٩ / ٦٨
(٥) مفاتح الغيب ٢٤ / ١٦٥
(٦) الأنبياء : ١٠٧

وتفيد الآية الثانية :

٤ - أن جبريل عليه السلام هو الواسطة بين الله وبين رسوله ، وهذا مؤدى القراءتين (نزل) بالتخفيف و(نزّل) بالتشديد (١)

كما تشير الآية الثالثة الى :

٥ - أنه نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا يعطي معنى الثبوت في قلبه فلا ينساه (٢) ومثل هذه الآية قوله تعالى : سنقرئك فلا تنسى) (٣)

٦ - وتقوم به الحجة على الناس .

٧ - وتقرر الاية الرابعة انه بلسان عربي مبين ، ولعل من ابرز أهداف اختيار العرب لتنزيل القرآن العظيم بلغتهم هو تشريفهم بالذكر الحسن والسمت المحمود ليكونوا في ذلك منار الأسوة لغيرهم من الأمم ولهذا قال تعالى (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) (٤)

وهذه كبرى ملامح القرآن الكريم السامق في مبناه ومعناه ، الخالد في دعوته وهداه . .

وكتاب هذا قدره وهذا جلاله وهو كلام رب العالمين لحرى أن تفنى فيه الاعمار ، وان توقف على استنباط علومه وحكمه المهج والافكار ، وان الداعية ليجد في كتاب ربه مناهج دعوته ويقف على أساليبها ووسائلها ويعي فيه أحوال المدعويين وما يصدهم ، ومنه يستمد هداه وبه يسترشد في طريقه المباركة (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد) (٥)

---

(١) تفسير الطبرى ١٩/٦٨ وابن كثير ٣/٣٤٧ ط ١٩٧٣ القاهرة

(٢) مفاتح الغيب ٢٤/١٦٥ وزاد المسير ٦/١٤٤ ط١٤٠٤ بيروت

(٣) الاعلى : ٦

(٤) الزخرف : ٤٤

(٥) ابراهيم : ١

المطلب الثاني : اعجاز القرآن الكريم

يرى أهل اللغة أن الاعجاز هو : الايقاع في العجز، والعجز هو الضعف وهو - ايضا - نقيض الحزم ، ومن معاني الاعجاز: الفوت والسبق (١) ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم : ما أعجز به الخصم عند التحدى (٢)

والمعجزة في الاصطلاح (أمر خارق للعادة داع الى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة ، قصد به اظهار صدق من ادعى انه رسول الله) (٣) وهي : (أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى، سالم عن المعارضة وهي اما حسية واما عقلية) (٤)

واعجاز القرآن الكريم من الموضوعات التي عرضتها السور المكية عموما باسهاب وسلكت منهج التحدى المقرون بالاخبار مسبقا عن العجز والفشل عن الاتيان بمثل هذا القرآن ، وقرنت معهما الوعيد لمن استبان له الحق فاستحب العمى على الهدى .. ومجيء التحدى على هذا الوجه هو في حد ذاته أبين دليل على أن القرآن العظيم من عند الله سبحانه وتعالى ،

ويلاحظ في أمر التحدى أنه يقوم على ثلاثة أسس تفضي الى نتيجة مقررة .

---

(١) لسان العرب ٥/٣٦٩ مادة : عجز
(٢) القاموس المحيط ٢/١٨١ باب الزاى للفيروز آبادى ط بيروت
(٣) تعريفات الجرجاني ص ٢٨٢ باب الميم ط ١٤٠٥ بيروت
(٤) الاتقان للسيوطي جلال الدين ٢/١١٦ النوع الرابع والستون ط ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م القاهرة

الأساس الأول : تعميم التحدى وتوجيهه الى الثقلين معا في آن واحد .

الأساس الثاني : التدرج بطلب الاتيان بمثل هذا القرآن ، أو بعشر سور منه ، أوبسورة واحدة ، أو بجزء يسير . .

الأساس الثالث : شمول التحدى لكل العصورمن لدن نزل القرآن الى أن يرث اللهالأرض ومن عليها .

أما النتيجة فهي : اما تسليم وايمان ، أو كفر ونكران ، ولكل منهماجزاء ومصير .

ولننظر الى الآيات البينات التي كشفت النقاب عن حقيقة المنكرين ،وأسباب انكارهم كما كشفت الغطاء عن الحق المستبين :

* (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (١)

ثم ورد التحدى بطلب الاتيان بمثل عشر سور منه :

* (ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ، فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل انتم مسلمون) (٢)

ثم تنزّل السياق القرآني الجليل الى مستوى المعاندين فطلب الاتيان بسورة :

* (ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون اللهان كنتم صادقين ، بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) (٣)

* (وان كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار) (٤)

وأخيرا جاء التحدى القرآني بأن يأتوا بحديث مثله . . هكذا على الاطلاق والتنكير :

* (أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) (٥)

---

(١) الاسراء : ٨٨

(٢) هود : ١٣ - ١٤

(٣) يونس : ٣٨ - ٣٩

(٤) البقرة : ٢٣ - ٢٤

(٥) الطور : ٣٣ - ٣٤ .

ولقد كان أعداء الاسلام قد بلغوا مبلغا كبيرا في عدائهم للاسلام ورسولهوكتابه وضحوا بالنفس والنفيس في هذا العداء المستحكم ، ولكنهم انقلبوا خاسرين ،وما استطاعوا أن يأتوا بمثل ماجاء به محمد صلى الله عليهوسلم وكان أمرا يسيرا لو كان في مكنتهم في مقابل تضحيتهم بالآباء والأبناء مجالدة وعداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. وما يزال أمر المنكرين المعاندين على وتيرة اسلافهم كما لهيزل القرآن العظيم معلنا تحديه المعجز فهو خالد بتخليد الله له وحفظه اياه، قال الزركشي (١) : أجمعت الأمة على بقاء معجزة الرسول العظمى ولا معجزة له باقية سوى القرآن الكريم وخلوه من الاعجاز يبطل كونه معجزة (٢)

وليس يخفى ما لا عجاز القرآن ـ المتعدد الوجوه ـ من أهمية دعوية بالغة فهو الكتاب الفريد على ظهر الأرض بخصائصه وأهدافه ومنهجه السماوى الذى سبيل اسعاد الناس في الدارين .. ولا وجه لتقرير ذلك الا بتقرير اعجازه !

اتجاهات العلماء حول وجوه اعجاز القرآن الكريم :

باستقراء آراء العلماء حول وجوه الاعجاز يتبين أنها تنضوى ـ بوجه عام ـ تحت اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول :

على أن جوانب الاعجاز متعددة كالاخبار بالمغيبات الآتية ، وكالحديث عن الأحداث الماضيةوالأمم الغابرة، وكالبلاغة الفائقة والأسلوب البياني الفريد والنظم البديع، وغيرذلك مايقف عليه الناظر في كتاب الله المتدبر لآياته، وقد حدد ابوبكرالباقلاني(٣)ثلاثة وجوه للاعجاز: أولها الاخبار عن المغيبات، ثانيها : أمية رسول الله صلى الله عليهوسلم وعدم اطلاعه على كتب المتقدمينثم اتيانهبهذا القرآن المبين وما اشتمل عليه منعظيماتالأمور ومهمات السيروجليل التشريع. ثالثها : كونه بديع النظم عجيب التأليف متناهي البلاغة(٤)

---

(١) هوبدرالدين محمد بن عبداللهبن بهادر أحد العلماء الأثبات الذين نجموا بمصر ولد بالقاهرة وبها توفي (٧٤٥ - ٧٩٤هـ)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢/١٣٤

(٢) البرهان ٢/٩٤ ط ١٤٠٠هـ دار الفكر

(٣) هو محمد بن الطيب بن محمد ، قاض من كبار علماء الكلام انتهت اليهالرياسةفي مذهب الاشاعرةولد في البصرة وتوفي في بغداد (٣٣٨ - ٤٠٣هـ) :
وفيات الأعيان ٤/٢٦٩

(٤) اعجاز القرآن ١/٤٧ باختصار وهو على حاشية الاتقان للسيوطي

وعند القاضي عياض (١) أربعة وجوه : (حسن تأليفه ، وغرابة أسلوبه المخالف لأساليب كلام العرب ، واخباره بالمغيبات، وانبائه بأخبار القرون السالفة (٢)

الاتجاه الثاني :

على أن جوانب الاعجاز القرآني لا يتأتى حصرها ولا يمكن ضبطها ، وان العلماء على مر الاجيال وكر العصور يستخرجون وجوها لم يهتد اليها السابقون ، وانه مهما بلغ الانسان من قوة الفكر ونبوغ الادراك فهو غير مستقص وجوه الاعجاز، وهذا هو الأصوب الذى شهد به تاريخ الانسانية منذ أن نزل القرآن ، وفي هذا قال الرافعي(٣) (ما أشبه القرآن الكريم في تركيب اعجازه واعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذى اكتنفه العلماء من كل جهة وتعاوروه من كل ناحية، واخلقوا جوانبه بحثا وتفتيشا ثم هو بعد لا يزال عندهم على ذلك خلقا جديدا ومراما بعيدا ، وصعبا شديدا) (٤)

الاتجاه الثالث :

على أن اعجاز القرآن انما هو بالصرفة، بمعنى : أن العرب كان في استطاعتهم الاتيان بمثل هذا القرآن ، لكن الله صرفهم عن ذلك ، وقد نحى ابن حزم الفقيه الظاهرى (٥) نحو هذا الرأى ، واشتط اذ قال (لم يقل أحد من أهل الاسلام أن كلام غير الله تعالى معجز ، لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاما له أصاره معجزا ، ومنع من مماثلته . وهذا برهان كاف لا يحتاج الى غيره) (٦) .

ومما يرد به على أصحاب هذا الرأى الباطل :

- ان القرآن العظيم دل على أن تقرير الاعجاز أمر سبيله بذل المجهود وعدم ادخار الوسع ، قال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٧)

---

(١) هو عياض بن موسى السبتي (٤٧٦ - ٥٤٤هـ) عالم المغرب
وفيات الاعيان ٣/٤٨٣

(٢) الشفا ١/٢٥٨ ط دار الكتب العلمية - بيروت

(٣) هو : مصطفى صادق بن عبدالرزاق (١٢٩٨ - ١٣٥٦هـ) اديب وكاتب مصرى توفي بمصر - اعلام الزركلي ٧/٢٣٥ ط ١٩٨٠ بيروت .

(٤) اعجاز القرآن ص ١٤٠ ط الثامنة - لبنان

(٥) هو : علي بن احمد بن سعيد عالم الاندلس في عصره من فقهاء الظاهرية (٣٨٤ - ٤٥٦هـ) : البداية والنهاية ١٢/٩٨

(٦) الفصل ٣/١٩ ط ١٣٢١هـ مصر .

(٧) الاسراء : ٨٨

- ويلاحظ أن هذا المذهب الباطل منقول من البراهمية (نحلة الهنود) القائلين بأن أسفارهم (الفيدا) معجزة ! وان اعجازها بالصرفة، ذكره غير واحد من قدماء الباحثين (١)

ولم يظهر هذا الرأى الذى لا يستند الى دليل الا في العصر العباسي ابان ظهور علم الكلام وفشو الاقتباس من فلسفات الفرس والروم ، وأول من جاهر بهذا الرأى ودعا اليه ولاحى عنه هو ابراهيم بن سيار الشهير بالنظّام (٢)

- ولا يتأتّى تطبيق تلك الفلسفة المقتبسة من الهنادكة على كتاب الله عز وجل ، وقد أحسن عبدالقاهرالجرجاني (٣) الظن بالقائلين بالصرفة حين قال: (.. الذى ابتدأ القول بالصرفة ابتدأه على توهم أن التحدى كان الى أن يعبر عن أنفس معاني القرآن بمثل لفظه ونظمه دون أن يكون قد أطلق لهم وخيروا في المعاني كلها ، ذاك لأن في القول بها على غير هذا الوجه أمورا شنيعة يبعد أن يرتكبها العاقل ويدخل فيها) (٤)

هذا وتفنيد القول بالصرفة استقصاه العلماء على وجوهه فليراجع في مظانه (٥)

وقبل الحديث عن وجوه الاعجاز القرآني نقرر اعتبارين لهما كبير الاثر في تقرير أوجه الاعجاز في هذا العصر:

الاعتبار الاول : أن العرب اليوم مسلمهم وكافرهم فقدوا فطرة العربي الذى عاش في الجاهليةوالذى كان يعي أساليب العربية وضروب البيان على سجيته، كما فقدوا خصائص اللغة التي وجدت في العصور التي تلت العصر النبوى والتي كانت امتدادا لهفي

---

(١) كالبيروني المتوفى سنة ٤٠٤هـ في كتابه تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص ٩٨ ط ١٣٧٧هـ الهند

(٢) توفي سنة ٢٣١هـ وهو من أئمة المعتزلة تبحر في علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين والهيين، قال بعضهم : كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث ويخفي ذلك ! انظر : سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤١

(٣) هوابن عبدالرحمن بن محمد توفي سنة ٤٧١هـ من أئمة اللغة وواضع أصول البلاغة : فوات الوفيات ٢/٣٧٠

(٤) دلائل الاعجاز - ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز ص ١٤٦

(٥) انظر بتوسع المعجزة الكبرى لابي زهرة ص ٧٥ ونكت الانتصارللباقلاني ص ٢٨٦ ط مصر ١٩٧١

نواح لغوية كثيرة ومن هنا لا يكاد الناس اليوم يعون الاعجاز اللغوى على أتم وجوهه.

الاعتبار الثاني : عانى المسلمون من بداية القرن الميلادى العشرين مأســـــاة التبعية الفكرية والثقافية لقوى الشر الباغية وترك ذلك اثرا بعيدا في عقل الشباب الذى يقاسي العنت في ادراك اعجاز القرآني ادراكا يرضاه ويطمئن اليه(١)

وجـوه الاعجاز القرآنـــي :

أ ـ الاعجاز اللغوىولم ينازع فيه احد ، ويخاطب به العرب قبل غيرهم، قال الخطابي(٢) (الاعجاز البياني أبين وجوه الاعجاز دلالة وأيسرها مؤونة وهو مقنع لمن تنازعه نفســه مطالعةكيفية وجهالاعجاز فيه)(٣)

ولئن كان الرماني(٤) لخص الاعجاز البلاغيفي(الايجاز والتشبيهوالاستعارةوالتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمينوالمبالغة والبيان)(٥)الا أن عامةالبلاغيينوأرباب الأدب وفحول البيانغير متفقيـن على حصر ضروب البلاغةوأوجه الفصاحة التي حصل بهاالاعجاز، لاختلافهم في حقيقةالبلاغة وسر الفصاحةأهو في اللفظ أم بما تضمنه مـن معنى أم بما ائتلفتعليه الجمل واتسقت ، أم بشيء يبدو مظهره ولا يدرك سره..! وان كان لا يعدو الاركان الاربعة للسان العربي على ماذكره ابن خلدون(٦) وهـــي (اللغـة والنحو والبيان والأدب)(٧)

---

(١) الاستاذ محمود شاكر في تقديمه لكتاب الظاهرة القرآنية ص١٩ ط ١٩٨١ دمشق

(٢) هو حمد بن محمد بن ابراهيم (٣١٩ - ٣٨٨ هـ) من أئمة اللغة ، عده الذهبي من الطبقة الثانية والعشرين : سيراعلام النبلاء ٢٣/١٧

(٣) بيان اعجاز القرآن ـ ثلاث رسائل في الاعجاز : ص ٢٢

(٤) هو علي بن عيسى بن علي الرماني (٢٩٦ -٣٨٤هـ) باحث معتزلي من كبـــار النحاةمولده ووفاته ببغداد : وفيات الاعيان ٢٩٩/٣

(٥) النكت في اعجاز القرآن ـ ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز ـ ص ٧٥- ١١٣

(٦) هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد (٧٣٢ - ٨٠٨هـ) ولد بتونس وتوفي بمصر يعتبر واضع اسس علم الاجتماع : البدرالطالع١/٣٣٧

(٧) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ ط ١٩٧٨ دار القلم ـ بيروت

ويجدر هنا ايراد تحليل بارع يكشف جوانب معطاءة من النظم القرآني الجليل ذكره الباقلاني ،قال (تأمل السورة التي فيها ذكر النمل ، وانظر في كلمة كلمة وفصل فصل ، بدأ بذكر السورة الى أن بين أن القرآن من عنده فقال (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) الاية: ٦ ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام وأنه رآى نارا فقال لأهله (اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون) الاية: ٧ وذكر القصة في سور أخرى على غروب ليعلم عجزهم عن جميع طرق ذلك ،ثم قال (فلماجاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) الاية : ٨ فانظر الى ما أجرى له الكلام من علو أمر هذا النداء وعظم شأن هذا الشاء وكيف انتظم مع الكلام الأول ، وكيف اتصل بتلك المقدمة وكيف وصل بها ما بعدها من الاخبار عن الربوبية. . . ثم انظر في آية آية وكلمة كلمة ، هل تجد حاكما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف، فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية ،فكيف اذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها ، تجرى في الحسن مجراها وتأخذ في معناها ، ثم من قصة الى قصة ومن باب الى باب من غير يقع في نظم الفصل الى الفصل ، وحتى يتصور لك الفصل وصلا بديع التأليف وبليغ التنزيل) (١)

لقد كان العرب ابان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغوا من البيان واللسن قمته وكانت البلاغة تجرى في عروقهم وتتبوأ في قلوبهم المكانة الأسنى حتى أثر عنهم الاستخفاف بأوثانهم ولم يسمع قط استخفافهم بالبيان ، ومع هذا جاء القرآن المعجز فأخشع جباه البلغاء وأخرس السن الفصحاء واعترف ائمة البيان وكبراء المعاندين باعجاز القرآن ،ورجع عتبة بن ربيعة الى قومه بعد أن سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وقد جاء يرغبه في ترك دعوة الحق رجع الى قومه قائلا (اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا بالكهانة) (٢) ومثله قال الوليد بن المغيرة (٣)

---

(١) اعجاز القرآن ٢/٥٨ بتصرف طفيف

(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٩٤ تحقيق مصطفى السقا وآخرون

(٣) المرجع السابق ١/٢٧٠

ب - الاعجاز بذكر الغيب : وهو على ثلاثة أصناف :

١- مما وقع وأخبر به القرآن الكريم كعامة قصص الغابرين وأحوال السالفين، فلقد قال الله بعد أن قص خبر نوح ودعوته (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ..)(١) وقال بعد قصة يوسف (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون)(٢) وقال عقب قصة مريم وكفالة زكريا اياها (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون)(٣) ومن هذا الباب قصة موسى وداود وسليمان وصالح ولوط - عليهم الصلاة والسلام - مما قص الله علينا أخبارهم في سورة النمل وغيرها .

ومن ضروب الغيب من هذا النوع اخبار القرآن عن تحريف اليهود والنصارى لكتب الله مما سيجيء عرضه ان شاء الله وفي هذا المعنى خاطبهم رب العزة بقوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيرا مما تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير)(٤) وقوله في سورة النمل (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) الاية : ٧٦

٢ - ما أخبر به القرآن مما سيقع الى يوم الدين، وتحقق بعض ذلك كاخباره عن انهزام المشركين يوم بدر بقوله (سيهزم الجمع ويولّون الدبر)(٥) ووعده المؤمنين في هذه الغزوة (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم)(٦) فوفّى ماوعد ،وكإخباره عن غلبة الروم وانه يوافق انتصار المسلمين قال تعالى (الم . غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين، لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)(٧) وتحقق ذلك وكان سببا في اسلام كثير منهم ومن غيرهم وتحقق معه انتصار المؤمنين على المشركين في بدر(٨) ومن هذا الباب الإخبار بأشراط الساعة كأمر الدابة اذ يقول عنها رب العزة والجلال في هذه السورة الشريفة (واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)الاية: ٨٢

---

(١) هود : ٤٩ (٢) يوسف : ١٠٢
(٣) آل عمران : ٤٤ (٤) المائدة : ١٥
(٥) القمر : ٤٥ (٦) الانفال : ٧
(٧) الروم : ١ - ٥
(٨) وهو أصح القولين، ولا يتضح قول من قال ان المؤمنين يفرحون بغلبة الروم انظر في ذلك تفسير الفخر الرازى ٢٥/٩٧ ط ١٤٠١هـ دار الفكر

٣ - الغيب مما سيقع بعد الموتويوم القيامةمن وعدووعيد ونعيم وجحيم، فلئن تحقق الغيب في الدنياوفق ما أخبر به القرآن فلا جرم أنه سيتحقق في الآخرة، وفي سورة النمل المكيةذكر لأهوال الساعةوالحشر والنفخ في الصور ثم جزاء من جاء بالحسنة ومن جاء بالسيئة، وهو منهاج لدعوة المتشككين والمترددينفي امكانية البعث والنشور.

والاعجاز القرآني بذكر الغيب واسع الأبواب عميق التأثيرفي نفوس المؤمنين، وقد مال البعض (١) الى نفي أن يكون اعجاز القرآنفي ذكره الغيبوعلل ذلكبقوله: (لأنه ليس بالأمر العام الوجودفي كل سورة من سور القرآنكما قال تعالى(فأتوا بسورة من مثله) (٢) .. وفات هؤلاء أن القرآن الكريم برمّته كان غيبا من غيب الله الا ترى ان الله يقول(وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان..)! (٣)

جـ - الاعجاز التشريعي :

استنبط العلماء كثيرا من الاحكام من القصص القرآني كاستئجار موسى في قصة العبدالصالح في سورة القصص في الاية السادسة والعشرين، وكقصة يوسف في السورة المعروفة باسمه .. وغيره كثير .

وليس اعجاز القرآن العظيم التشريعي منحصرا في آيات الاحكامفقد احصيت بحوالي مئتي آيةوهي بنسبة ١ : ٣٠ منجملة آيات القرآن المجيد (٤) بل اعجازه في التشريع يستحوذ على علومه الثلاثة الرئيسة : التوحيد، والتذكير ،والأحكام(٥) فالتوحيد من حيث الغاية وله خصائص الرقابة الذاتيةوالاخلاص.. والتذكير ترغيبا وترهيبابشتى ضروبهما الانشائية والخبرية، والأحكام المفصلة المختلفة ..

وقد لخص البعض أوجه الاعجاز التشريعي في ثلاثة أمور:

١- الصياغة التي فيهاالانسياب والسلاسة واليسر، وينفرد بها كتاب الله .

٢- الجمع بين التوجيه والتشريع في وقت واحدفهو يفرض ويلزم ويوجه لمن يريداستباق الخيرات والمسارعة الى مغفرة الله ورضوانه ..

٣- بث التشريع بانواعه الخمسة: الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام على صفحات القرآن كله باساليب متنوعة وضروب مختلفة..(٦)

---

(١) بيان اعجاز القرآن للرماني ص ٢٣ ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز

(٢) البقرة : ٢٣ (٣) الشورى : ٥٢

(٤) القرآن فوق الدستور - د. علي جريشة ص ١١

(٥) وهو تقسيم القاضي ابن العربي ت٥٤٣هـ أنظر : البرهان للزركشي ١٦/١

(٦) انظر بتوسع القرآن فوق الدستور - د. علي جريشة ص ١١ ط ١٤٠٦ مصر

و لا بـد من التنويه هنا بضرورة ابراز الاعجاز التشريعي للقرآن الكريم لاسيما وقد عطلت احكامه في كثير من بلاد الاسلام وهرع الناس يتلقفون التشريعات الوضعيةمن هناوهناك ، وابراز هذا الاعجاز هو سند متين لدعاة تحكيمالشريعة الاسلامية . .

د ـ الاعجاز العلمي :

ولعله من أوسع وجوه الاعجاز في عصرنا الذى فشت فيهالعلوم المتنوعة، وقد حوى القرآن العظيم آلاف الاشارات العلمية والحقائق الكو نيةالتي ظهر بعضها ولا زال اكثرها خبئ البحث العلمي في مختلف جوانب الكونوالنفس . . مما سمحت به الاقدار ووصلت اليه الافكار، وسيجيء في هذهالرسالة باب كامل يبحث في الكونيات وظواهرها والنفس وخفاياهاكمنهج من مناهج الدعوة

هـ ـ الاعجاز بالتأثير النفسي والسلوكي :

للقرآن العظيم سلطان على العقل والقلب والوجدانوهي ظاهرة محسوسةيجهل سرهاولا يدرك كنهها ، ويستوى في/أماثل المؤمنين الذينيقول عنهم الحق تبارك وتعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) (١) وعظماء الكافرين من حيث التأثير وان تفاوتت الدرجات، قال الخطابي (وفي اعجاز القرآن وجه ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه الا الشاذ من آحادهم وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فانـكلا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا اذاقرع السمع خلص الى القلب له من اللـذة والحلاوةفي حال ، ومن الروعـةوالمهابةفي أخر ى ما يخلص منه اليه) (٢)

ومن امثلـة تأثيره في نفوس المؤمنينما حدث اثر وفاة رسول الله صـلى الله عليـه وسلمللناس منذهول حتى تلا ابو بكر رضي الله عنه قوله تعالى (وما محمدالا رسـول قد خلت من قبله الرسلأفإين مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم. .) (٣)قال الراوى : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الاية نزلت حتى تلاها أبو بكريومئذ (٤)

ومن امثلة تأثيره في نفوس المعاندينما ذكروا بأنه مكسو بالهيبة والوقاروقد كان كبار مشركي مكةابوجهل وأبو سفيان (٥) والاخنس (٦) يستمعون الى القرآن يتلوه رسولالله

---

(١) الزمر: ٢٣ (٢) بيان اعجازالقرآنللخطابي ص.٧

(٣) آل عمران : ١٤٤ (٤) سيرة ابن هشام ٢/٦٥٦

(٥) هو صخر بن حرب بن أميةالقرشيالاموىوالد معاوية اسلم عام الفتح ، تزوج النبي عليه السلام من ابنته أم حبيبةقبل ان يسلم، مات رضي الله عنهفي خلافـة عثمان رضي الله عنهم جميعا : الاصابة ٢/١٧٢ ط دارالكتابالعربي- بيروت

(٦) الاخنس بن شريق بن عمرالثقفي اسلم بعدالفتحومات اولخلافةعمرالاصابة: ١/٣٩

صلى الله عليه وسلممستخفين بالليل غير مرة يجذبهم(١)، وارسل عمر رضي الله عنه الى صاحب له بصحيفة فيها آية فأسلم على الفور !(٢) ، وسمع جبير بن مطعم(٣) وهو على الشرك النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فبلغ هذه الايـــة (.. أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنـون، أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون)(٤) فقال: كاد قلبي أن يطير(٥)

و - الاعجاز والقراءات :

قال صلى الله عليه وسلم(ان هذاالقرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ماتيسـر منه)(٦) وايا كان تفسيرالاحرف السبعة .. الأن الاعجاز القرآني يتجلىفي المعاني الجديدة الناشئة من كل قراءة وسنرىفي سورة النمل كيف تحمل الاية الواحدةمعانـي مختلفة واساليب متنوعة في الدعوةوغيرها، وهذه المعاني المتغايرةلا تضاد فيهاالا فـي الامر والنهي من الناسخ والمنسوخ.. كما قرره اهل العلم.

وقد أحصى ابن قتيبة(٧) سبعة أوجه في ذلك وهي

١ - الاختلاف في اعراب الكلمة أو في حركة بنائهابما لايزيلها عن صورتهافي الكتاب ولايغير معناهامثل (هن اطهرلكم)(٨) بفتح الراء وضمها.

٢ - الاختلاف في اعراب الكلمة وحركة بنائهابما يغيرمعناها ولايزيلهاعن صورتها فـي الكتاب مثل (ربنا باعد بيننا وبين اسفارنا)(٩) (وربناباعد بيننا وبيناسفارنا) والفرق كبير بين الخبر والانشاء. (١٠)

---

(١) سيرة ابن هشام ٣١٥/١ وسيرة ابن كثير ٥٠٥/١ ط ١٣٩٨هـ بيروت

(٢) سيرة ابن هشام ٤٧٦/١

(٣) هو جبير بن مطعمبن عدى القرشي قدم على النبي عليه السلام في اسارى بدر فسمعه يقرأ بالطور.. مات في خلافة معاوية بالمدينةسنة ٥٩هـ وقد أجار ابوه النبـي الكريم ابان مقدمه من الطائف من دعوة ثقيف : الاصابة٢٢٧/١ والاستيعاب على حاشية الاصابةللمالكي ٢٣٣/١

(٤) الطور : ٣٥ - ٣٧

(٥) رواه البخارى ١٨٣٩/٤ كتاب التفسير - باب تفسير سورة الطور.

(٦) رواه البخارى ١٩٠٩/٤ فضائل القرآن باب ٥ انزل القرآن على سبعة احرف

(٧) عبدالله بن مسلم بن قتيبةمن ائمة الادب(ت ٢٧٦هـ) ببغداد : البدايـة والنهـايـة ٦١/١١

(٨) هـــود : ٧٨ (٩) سبأ : ١٩

(١٠) انظر القراء تين في هذا الموضع : الغاية في القراءات العشر ص ٢٤٢

٣ - الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها مثل قوله قوله(وانظر الى العظام كيف ننشزها)(١) (وننشرها)

٤ - الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها مثل كالعهن المنفوش)(٢) والصوف. . وليس هذا الوجه دقيقا كما ترى لعدم ثبوت قراءة (الصوف)

٥ - الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها مثل قوله(وطلح منضود)(٣) وطلع

٦ - الاختلاف بالتقديم والتأخير مثل (وجاءت سكرة الموت بالحق)(٤) وجاءت سكرة الحق بالموت .

٧ - الاختلاف بالزيادة والنقصان مثل قوله (وما عملته ايديهم)(٥) وما عملت ايديهم.(٦)

على أن هذه القراءات توقيفية وليست ناشئة - كما يزعم المستشرقون - من اختلاف قراءات الناس النابع من خلو المصاحف من النقط والشكل وبهذا ينفرد القرآن عن سائر الكلام. .

ز - اعجاز القرآن بتوازنه الموضوعي :

لقد نزل القرآن منجما في ثلاثة وعشرين عاما ، ولم يخرج عن منهج واحد ولم يتناقض معطياتـــــه ، رغم أنه تحدث عن انواع مختلفة من الموضوعات وفق الاحداث. . بينما تنعكس نفسية الانسان المتقلبة على كتاباته ولا سيما اذا كتبت في فترات متقطعة وتجد موضوعات القرآن العظيم الدعوية وغيرها في توازن دقيق واحكام عجيب وربط مدهش ووحدة متسقة يصدق أوله آخره ويعزز مكيه مدنيه . .

ح - اعجازه باستظهار الافالناس له:

لقد احصى العلماء كلمات القرآن الكريم فوجدوها سبعة وسبعين ألف كلمة وتسعمئة وأربعـا وثلاثين كلمة تنخرط في زهاء ستة آلاف آية ومئتا آية وأربع آيات (٧) وهو عدد ضخم لا يتيسر لكل أحد حفظه، والانسان محدود الطاقة والعمر، وأنت واجد آلاف الاطفال والشباب والكهول رجالا ونساء عربا وعجما يستظهرون القرآن العظيم كله في كل بقاع المعمورة، فهل وقف الذكاء وقوة العارضة وحدة الحافظة خلف هذا الحفظ على هذه الصورة العجيبة وفي كل العصور؟! وسبحان من قال(فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون)(٨)

---

(١) البقرة : ٢٥٩
(٢) القارعة : ٥
(٣) الواقعة : ٢٩
(٤) ق : ١٩
(٥) يس : ٣٥
(٦) تاويل مشكل القرآن ص ٣٦
(٧) الاتقان للسيوطي ١/٦٧- ٧٠ النوع ١٩
(٨) الدخان : ٥٨

اعجاز القرآن الكريم والدعوة الى الله :

لاجرم أن القرآن العظيم مصدر الدعوة ومنهلها ، منه يستمد الدعاة زادهم، وعلى هداه يرسمون مناهجهم ويضعون أساليبهم، وفي ضوئه يرومون هداية الناس بما يلائم طبائعهم ونفسياتهم. . وكل ذلك يزخر به كتاب الله.

ولئن كان الاعجاز القرآني دليلا هاديا للناس أجمعين على مر العصور هداهم الى أن هذا الكتاب المبين كلام الله لا مرية فيه، وانه حق وصدق وعدل لا شائبة فيه، فهو - كذلك - باب عظيم من أوسع أبواب الدعوة، ومنهج متفرد عماده (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) الاية ٦٤ من سورة النمل .

ومن ابرز وجوه الدعوة بالاعجاز القرآني :

١ - انه مبعث التفاني في سبيل الدعوة، لان حامل الدعوة الاسلامية يتفانى في واجبه لقوة حجته وان الناس لا يقدرون على مثلها . . وأى أمة تفانت في سبيل عقيدتها استمساكا ودعوة كأمة الاسلام ؟ !

٢ - اقامة الدعوة بمناهجها وأهدافها وموضوعاتها على أساس متين لا يتطرق اليه شك ولا يدنو منه باطل . . فهي دعوة برهان وحجة تتجاوب معها نواميس الكون

٣ - تجدد معطيات القرآن المختلفة وملاءمتها لكل عصر ومصر يمد المستمسكين به استمساكا قرونا متطاولة واحقابا متعاقبة، ويستميل المعاندين ويقدم لهم الدليل المادى الذى يرومونه على انه حق وصدق وعدل . والا فكيف يصلح به حال الناس زمانا طويلا .

٤ - احتواء القرآن على الغيبيات وهو وجه من وجوه اعجازه من ابواب الدعوة ولا سيما دعوة اهل الكتاب (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون) الاية : ٧٦ والنفس الانسانية نزّاعة الى الايمان بالحق الذى يؤازره رافد كالغيب والانسان مولع بما تخبئه الاقدار واشتمل القرآن العظيم عليه .

٥ - الاعجاز العلمي في القرآن هو المادة الخصبة اليوم وتمثل جانبا هاما وكبيرا من المنهج العلمي في الدعوة فهو اليوم آكد المناهج انتاجا وأوفاها ثمارا وأعمقها تأثيرا وفي القرآن العظيم الكثير من اطوار خلق الإنسان والحيوان واسرار النبات وخواص كثير من ظواهر الطبيعة وتفسير علمي لمظاهر الكون وسلوك الحيوانات. . وسنرى بعون الله طرفا منه في الباب الثالث ان شاء الله .

المبحث الثاني : الوحي ونزول القرآن :

لقد تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة - تقدست اسماؤه - قال تعالى في سورة النمل (وانك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم) الاية : ٦ وقد أبان اهل التفسير معنى التلقّي هنافقالوامعنى قوله (وانك لتلقى القرآن . .)تحفّظ القرآن وتعلّمه(١) وتؤتاه وتلقّنه (٢) وتأخذه(٣) وتؤتاه وتلقّاه(٤)وهذه المعاني من التحفيظ والتعليم والايتاء والتلقين والاخذ والالقاء وغيرها ترجع عطيا الى الوحيالمشار اليه في قوله جل ذكره(وكذلك أوحينا اليكقرآنا عربيا)(٥)وقوله(انا أوحينا اليك)(٦) وقوله (والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق)(٧) الى غير ذلك من الايات . .

وقد عبر السياق القرآني الجليل عن هذهالحادثة الربانية وهي اتصال السماء بالارض والانعام على الناس بنعمة القرآنبتعبيرين :

* الانزال على نحو قوله تعالى (انا أنزلناه قرآنا عربيا)(٨)

* والتنزيل على نحو قوله تعالى (انا نحننزّلنا عليك القرآن تنزيلا)(٩)

والفرق بينالانزال والتنزيلهو(أن الانزال يستعمل في الدفعة، والتنزيليستعملفي التدريج)(١٠)وقد وضح العلماء ذلك فقالوا أن للقرآن ثلاثة تنزلات، يرجع اثنان منه الى انزاله، ويوضح ثالثها تنزيله :

١ - فالتنزل الاولالى اللوح المحفوظ كما في قوله سبحانه(انه لقرآن كريم فيلوح محفوظ)(١١)

٢ - التنزل الثاني من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واستدلوا عليه بقولهتعالى (انا أنزلناه في ليلة مباركة)(١٢) وقوله(انا أنزلناه في ليلة القدر)(١٣)

---

(١) الطبرى ٨٢/١٩
(٢) الكشاف ١٣٧/٣ ط بيروت
(٣) ابنكثير ٣٥٦/٣ ط ٣٧هـ القاهرة
(٤) مفاتح الغيب ١٨٠/١٢
(٥) الشورى : ٧
(٦) النساء : ١٦٣
(٧) فاطر : ٣١
(٨) يوسف : ٢
(٩) الانسان : ٢٣
(١٠) التعريفات للجرجاني ص ٩٣
(١١) البروج : ٢١ - ٢٢
(١٢) الدخان : ٣
(١٣) القدر : ١

٣ - التنزل الثالث : نزول جبريل عليه السلام بالقرآن العظيم مفرقا على حسب الحاجة والاحوال ووفق الأحداث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذا يقول تعالى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) (١) (٢)

ونذكر بعد هذا الوحي ماهو، وصوره، وكيفيات نزول القرآن ، ومدته وختامه اذ ذاك مما يندرج تحت موضوعات السور المكية عامة ويحسن ايراد طرف منه في هذا الباب :

أ - تعريف الوحي وانواعه :

أصل الوحي في اللغة : الاعلام في خفاء (٣) ومن معانيه: الاشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والالهام والكلام الخفي والصوت يكون في الناس وغيرهم، وكل ما ألقيته الى غيرك (٤)

ولئن كان الوحي في جوهره هو الاعلام، فالوحي في الاصطلاح هو (الاعلام بالشرع) وهو في المعنى المبتغى هنا (كلام الله المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم) (٥) ولقد سمى الله كتابه وحيا فقال مخاطبا رسوله الامين (قل انما انذركم بالوحي) (٦)

والأسس المطردة على وجه العموم في الوحي أيا كان مفهومه أربعة :

١- المصدر الموحي وهو كلام الله ٢- والواسطة الموحى بها وهو جبريل عليه السلام.

٣ - والموضوع الموحى به وهو القرآن. ٤ - والموحى اليه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتنحصر صور الوحي الذى يوحيه الله الى عباده في وجهين: اما أن يكون بغير واسطة كتكليم الله موسى وفي سورة النمل (ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم) الاية: ٩ أو يكون بواسطة.. وذلك استنباطا من قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء، انه علي حكيم) (٧) فالاية الشريفة رسمت ثلاث صور للوحي :

١ - اما (وحيا) بالالقاء في القلب أو الالهام (٨) ومنه ايحاء الله الى أم موسى ، ويرى البعض انه مختص بالمنام فقط (٩) وهذه الصورة لاواسطة فيها.

---

(١) الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥

(٢) الاتقان ٣٩/١ ومناهل العرفان للزرقاني ٤٣/١

(٣) لسان العرب ٣٧٩/١٥ مادة وحي

(٤) القاموس المحيط ٣٩٩/٤ باب الالف

(٥) فتح الباري وفيه التعريفان ٩/١ ط المطبعة السلفية - مصر

(٦) الانبياء : ٤٥ | (٧) الشورى : ٥١

(٨) تفسير الطبري ٢٨/٢٥ | (٩) ابن الجوزي- زاد المسير ٢٩٧/٧ ط

١٤٠٤هـ - بيروت

٢- (أو من وراء حجاب) بحيث يسمع كلامه ولا يراه كما كلم موسى.
ولا واسطة في هذه الصورة أيضا.

٣ - (أو يرسل رسولا) من الملائكة الى الأنبياء والمرسلين من بني آدم وهذا هو الطريق الذى نزل به القرآن الكريم..

ب - كيفيات الوحي التي نزل بهاالقرآن العظيم :

سأل الحارث بن هشام (١) رسول الله صلى الله عليه وسلمقائلا : كيف يأتيكالوحى فقال النبي صلى الله عليه وسلم(أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعيمايقول) قالت عائشة رضي الله عنها: (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا) (٢)

وهذا الحديث الشريف بيّن أن الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلمانما يكونعلى صورتين أساسيتين :

الصورة الاولى :

أن ينخلع رسول الله صلى الله عليهوسلم منحالته العادية الى حالة أخرى يحصلالوحي بها، وقد أوضح البعض هذابقوله(.. وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانيتها وروحانيتهاالى الملائكة من الافق الاعلى ليصير في لمحة منالمحات ملاكا بالفعل ويحصل له شهود الملأ الاعلى في أفقهوسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللمحة، وهؤلاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم) (٣) ويسمع الرسول في هذهالحال مثل صلصلة الجرسوهي في الأصل وقوع الحديد بعضه على بعض.. وأيا كان تفسيرهافقد (فسرت بصوت الملك بالوحي أو بصوت أجنحة الملك) (٤)ويسمع هذه الصلصلة من حضر الوحيمن الناس لحديث يعلى بن مرة (٥) الذى طلب الى عمر أن يريه النبي صلى الله عليهوسلم في حالة نزول الوحي، وأراه عمر وعلى رسولالله

---

(١) بن مغيرة القرشي المخزومي أخو ابى جهل، اسلم يوم الفتحثم حسن اسلامه واكرمه الله فاستشهد يوم اليرموك : الاصابة ٢٩٣/١

(٢) متفق عليه : رواه البخارى ٤/١ كتاب الوحي باب كيف كان بدءالوحي،وسلم ١٨١٦/٤ كتاب الفضائل باب عرق النبي في البرد ط بيروت تحقيقعبدالباقي

(٣) ابن خلدون في المقدمة ص ٩٨

(٤) الفتح ٢٠/١

(٥) الثقفي شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم الحديبية وخيبر والفتح وحنينا والطائف يعد في الكوفيين وقيل البصريين : الاستيعاب ٦٢٧/٣

صلى الله عليه وسلم ثوب قد أظل به فأدخل رأسه فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمّر الوجه وهو يغط ثم سرى عنه) (١) قال ابن حجر (٢) والغطيط: صوت النفس المتردد من النائم أو المغمى عليه ، وسبب ذلك شدة ثقل الوحي (٣) ،وهذه الصورة أشد وطأة على رسول الله عليه الصلاة والسلام اذ كان يأخذه من البرحاء (اى الشدة) حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان (٤) من العرق في يوم شاتكما تصف عائشة رضي الله عنها (٥)

وكان يثقل جسده الشريف ولقد أوحي اليه ذات مرة وان فخذه على فخذ زيد بن ثابت (٦) قال: فثقلت عليّ حتى خفت أن ترضّ فخذى (٧)

الصورة الثانية :

أن يتحول جبريل من الملكية الى البشرية فيتشكل في صورة رجل ويحادث رسول اللهصلى الله عليه وسلم، وكان أول ما نزل بهجبريل من القرآن على رسول الله وهو يتحنث في غار حراءعلى هذه الصورة، وكان الناس يرونه وقد أتاه مرة على هذه الصورة وهو عند أم سلمة (٨) فجعل يتحدث فقال النبي صلى الله عليهوسلملأم سلمةمن هذا؟ قالت : هذا دحية (٩) فلما قامقالت : والله ما حسبتهالا اياه حتى سمعت خطبة النبي صلى الله عليهوسلم يخبر خبر جبريل. (١٠) ولم ينزل شيء من القرآن في غير هاتين الصورتين.

---

(١) متفق عليه رواه البخارى في كتاب الحجباب غسل الخلوق ٢/٥٥٧ وللحديث بقية ، ومسلم ٢/٨٣٦ كتاب الحج باب ماييباحللمحرم.

(٢) هو احمد بن علي بنمحمد الكناني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) من ائمة الحديث مولده ووفاته بالقاهرة : البدر الطالع : ١/٨٧ ط ١٣٤٨هـ - مصر

(٣) الفتح ٣/٣٩٤

(٤) حبة تعمل من الفضة على هيئة اللؤ لؤ واللفظ فارسي معرب: اللسان ١٣/٩٢

(٥) جزء من حديث متفق عليه رواه البخارى ٢/٩٤٥ كتاب الشهادات باب تعديل النساء ومسلم ٤/٢١٣٥ كتاب التوبة باب في حديث الافك ،وانظرابن هشام٢/٣٠٢

(٦) هو الانصارى الخزرجي ، هو الذى جمع القرآن على عهد ابي بكر ، مات سنة اثنتين وأربعين .. : الاصابة ١/٥٤٤

(٧) رواه البخارى عن زيد بنثابت ٤/١٦٧٧ كتاب التفسير باب لايستوى القاعدون

(٨) اسمهاهندبنت ابي اميةالقرشية المخزوميةامالمؤمنين اسلمت قديما ومات عنهازوجها فتزوجهاعليه السلامماتت سنة ٦٢هـ :الاصابة ٤/٤٣٩

(٩) دحية بن خليفة الكلبييضرب به المثل في حسن الصورة مات في زمن معاوية الاصابة ١/٤٦٤

(١٠) متفق عليه رواه البخارى في فضائل القرآنباب كيف نزول الوحي ٤/١٩٠٥ ومسلم فضائل الصحابة باب فضائل امسلمة ٤/١٩٠٦

د - مدة نزول الوحي :

نزل القرآن العظيم منجّما كما قال تعالى (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلا) (١) والمعنى على قراءة تشديد الراء (فرّقناه) المنسوبة الى ابن عباس رضي الله عنهما (٢) : نزلناه شيئا بعد شئ ، آية بعد آية ، وقصة بعد قصة (٣) وفي موضع آخر (وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) (٤) فلقد قال الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اذا كنت رسولا من عند الله فهلا أتيتنا بالقرآن دفعة واحدة كما كان الحال في التوراة والزبور والانجيل ؟ وقوله (كذلك) يقرر أنه نزل منجما ، والتقدير: كذلك أنزلناه مفرقا (٥) وهذا باجماع المسلمين .

وللعلماء خلاف في المدة بين أول القرآن نزولا وآخره ، مجمله:

أ - الاكثرون على أن القرآن الكريم نزل في ثلاث وعشرين سنة وهو الصحيح المعول عليه وذلك :

* لحديث أنس رضي الله عنه (٦) قال : (انزل القرآن عليه - يعني النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين) (٧)

* وحديث عائشة رضي الله تعالى عنها (أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين) (٨)

---

(١) الاسراء : ١٠٦

(٢) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث وقيل بخمس والاول اثبت ، واتفقوا على أنه مات بالطائف سنة ٦٨هـ وله احدى وسبعون سنة الاصابة ٢/٣٢٢

(٣) تفسير الطبرى : ١٥/١١٨

(٤) الفرقان : ٣٢ | (٥) مفاتح الغيب ٢٤/٧٩

(٦) انس بن مالك بن النضر الانصارى الخزرجي خادم النبي قدم النبي المدينة وله عشر سنين مات بالبصرة قيل سنة تسعين : الاصابة ١/٨٤ وصفة الصفوة ١/٧١٠

(٧) متفق عليه وهو جزء من حديث رواه البخارى في كتاب المناقب ٣/١٣٠٣ باب صفة النبي واللفظ له ، ومسلم ٤/١٨٢٤ كتاب الفضائل باب صفة النبي . .

(٨) متفق عليه ، رواه البخارى في كتاب المناقب ٣/١٣٠٠ باب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واللفظ له ، ومسلم ٤/١٨٢٥ الفضائل باب كم سن النبي صلى الله عليه وسلم .

* وحـديث ابن عباس رضي الله عنهما الذى جمع مضمون الحديثين المتقدمين ،قـال : (انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلموهو ابن أربـعين فمكث ثلاث عشرة سـنة ثم أمر بالهجرةفهاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين ، ثم توفي صلى الله عليهوسلم)

قال ابن كثير(٢) : وقد كانت مدة اقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة ثـلاث عشرة سنة في أصح الاقوال.(٣)

ب - ويرى فريق أن مدة نزول القرآن عشرون سنة، بناء على حديث ابن عباس وعائشـة وأنس (أن النبي صلى الله عليهوسلم لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرا)(٤)

والخلاف مرده - كما ترى - من خلافهمفي مدة اقامته بمكة بعد النبوة،قال الزركشي ولم يختلف في مدة اقامتـه بالمدينة انها عشـر(٥)وقد أجاب العلماء عن استدلال الفريق الثاني الذاهب الى أن المدة عشرون عاما بعدة وجوه أوضحها :

أ - أن كل من روى من الصحابة خلاف المشهور (وهو ثلاث وستون) جاء عنه المشهوروهم انس وعائشة وابن عباس كما مر، والعرب قد تحذف الكسورالزائدة على العشرةاختصارا(٦) وان ثبتهذا فالأخذ بالمشهوروعليه الجمهور أولى.

ب - من عد مكثه عليهالسلام بمكة ثلاث عشرة سنة عد من أول ماجاءه الملكبالنبوة، ومن قال أن مكثهعشرا، أخذ ما بعد فترة الوحي ومجيء الملكبيا أيها المدثر(٧)

---

(١) متفق عليه، رواهالبخارى في كتاب فضائل الصحابة ١٣٩٨/٣ باب مبعث النبي صلى الله عليهوسلموااللفظ له، ومسلم ١٨٢٦/٤الفضائل باب كم سن النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) هو اسماعيل بن عمر بن كثير(٧٠١ - ٧٧٤هـ) الدمشقي ابو الفداءولد في قرية من اعمال بصرى وتتلمذ على شيخ الاسلام ابن تيميةرحمه اللهوتوفي في دمشق البدر الطالع ١٥٣/١

(٣) السيرة النبوية ٢٩٠/٢

(٤) متفق عليه: رواه البخارى في كتاب المناقب ١٣٠٢/٣ باب صفة النبي صلى الله عليهوسلم واللفظ له ، ومسلم١٨٢٤/٤ الفضائلباب في صفة النبيصلى اللهعليه

(٥) البرهان ٢٣٢/١

(٦) فضائل القرآن لابن كثير ص ٧ ط ١٤٠٦هـ بيروت .

(٧) فتح البارى ١٥١/٨

هـ - انقطاع الوحي :

قامت الحجة بالرسالة الخاتمة على أتم وجوهها وأوفى مقاصدها اذ نزل على سيد المرسلين (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (١)

ولقد ختمت الرسالات السماوية بمحمد بن عبدالله عليه صلوات الله، قال جل ذكره (ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (٢)

والمعنى بفتح التاء في (خاتم النبيين) آخر النبيين، أو بكسرها والمعنى : انه ختم النبيين (٣) وبموته عليه السلام كملت الشريعة وتمت النعمة.

الوحي والدعوة :

لاجرم أن موضوع الدعوة هو الاسلام عملا وسلوكا، والايمان عقيدة ومنهاجا، والاحسان كمالا ووفاء، وكل ذلك لا سبيل الى معرفته جملة وتفصيلا بغير وحي الله عزوجل يوحيه الى صفوة خلقه عليه الصلاة والسلام، يقول ابن القيم(٤) (كثير من أحوال الطب انما أخذت عن عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم، وأما الشريعة فبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية، مبناها على الوحي المحض .. فليس الناس قط الى شيء احوج منهم الى معرفة ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به والدعـــوة اليه ، والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع اليه..) (٥)، والدعوة بهذا الفهم الشامل للاسلام وقضاياه التي تولى الله بيانها ولا سبيل اليه سوى الوحـــي .. تعطي الدعاة قوة معنوية لايعبر عنها بكلمات، فهم حماة دينه وحراس وحيه وحملة أمانته ونواب رسله، وكفى بذلك اتعاظا واعتبارا.

---

(١) المائـــدة : ٣

(٢) الاحزاب : ٤٠

(٣) تفسير الطبري ١٣/٢٢

(٤) هو محمد بن ابي بكر بن أيوب الدمشقي مولده ووفاته بدمشق (٦٩١ - ٧٥١هـ) تتلمذ على ابن تيمية وهو من الاعلام الائمة
البدر الطالع ١٤٣/٢ ، والبداية والنهاية ٢٤٦/١٤

(٥) مفتاح دار السعادة ٢/٢ ط دار الكتب العلمية - بيروت .

المبحث الثالث - المكي والمدني وخصائصهما :

وضع العلماء ضوابط كل من المكي والمدني على اعتبارات ثلاثة هي ثمرات اجتهاد ونتائج نظرالأصل فيها نظر الصحابة رضوان الله عليهم وحفظ التابعين عنهم ، قال الباقلاني (لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك (أى المكي والمدني نص وتوقيف) (١) ، وترسم هذه الضوابط خصائص التنزيل المكي والمدني في أجلى صورة :

١- (اعتبار مكان النزول):

قالوا : المكي ما نزل بمكة ويدخل فيها توابعهاكمنى وعرفات والحديبية ،والمدني ما نزل بالمدينة ويلحق بها ضواحيها كبدر وأحد .. (٢)

ولوحظ على هذا التعريف عدم حصره لكثير من ضوابط المكي والمدني ، وهو مبني على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستقر في غير مكة والمدينة استقرارا دائما .

٢ -(اعتبار زمن النزول) :

وذلك على أن المكي ما نزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعدها ، وقام هذا الاعتبار على الحدث العظيم الذى كان فتحا للدعوة ونهضت على اثره دولة الاسلام .. انها الهجرة النبوية من مكة المكرمة الى المدينة النبوية ، وهذا التعريف بهذا الضابط هو المشتهر وهو المعتمد عند الأكثرين ، ويرى البعض أن هذا الاعتبارحاصر مطرد (٣) ويرى البعض الاخر أن ما نزل في غير مكة والمدينة وضواحيهما يكون قسما مستقلا لا يطلق عليه مكي ولا مدني (٤)

٣ - (اعتبار المخاطبين) :

وذلك على أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة ، وذلك أن الذى كان غالبا على أهل مكة الكفر قبل الهجرة ، فخوطبوا بـ (يا أيها الناس) وان كان غيرهم داخلا فيهم ، وكان الغالب على أهل المدينة

---

(١) نكت الانتصار ص ٩٠

(٢) الاتقان للسيوطي ٩/١

(٣) مناهل العرفان للزرقاني ١٩٤/١

(٤) تاريخ القرآن د. محمد محيسن ص ٥٥ سلسلة دعوة الحق سنة ١٤٠٢هـ ط رابطة العالم الاسلامي .

الايمان فخوطبوا بـ (يا أيها الذين آمنوا) وغيرهم داخل فيهم..

وليست هذه قاعدة مطردة في كل آيات الذكر الحكيم، ومما ليس مضطردا كذلك افتتاح السور المكية بالحروف المتقطعة كـ(طس ، وطسم...)

سمات المكي ودلالاتها الدعوية :

١- من حيث الاسلوب والمظهر العام :

للسور المكية سمات خاصة بينها وبين مناهج الدعوة وشائج ودلالات ، منها :

** تضافر الخطاب العام الموجه للناس كافة (يابني آدم) و (يا أيها الناس).. ويشمل هذان النداءان جميع السلالات البشرية وكل الأجناس ، عرب الناس وعجمهم، أبيضهم وأسودهم أحمرهم وأصفرهم، وفي هذا دلالة على عالمية رسالة الاسلام المقررة منذ أن بزغ فجره .

** ورود (كلا) الذى خوطب به مشركو مكة، وهو لفظ يكشف عن طبيعة أحوال المعاندين ولجاجتهم .

** قصر الفواصل والآيات ، وهو ما يتسق مع المنهج الفطرى في الدعوة المعتمد على ايقاظ الناس من سهوتهم وانهاضهم من غفلتهم بأوجز لفظ وأيسر عبارة.

** ورود القسم بكثرة ولا سيما بمظاهر الكون من السموات والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والضحى والنفس .. ومن أهدافه اثارة الوجدان وكوامن النفس والدعوة الى اعمال الفكر في آلاء الله وآياته وسننه في الافاق والنفس، ومن ثم الاستدلال من خلال ذلك على وحدانيته تعالى وعظيم قدرته وجلال سلطانه.

** ورود (السجدة) في السور المكيةوهو أسلوب عملي لتصحيح مفهوم الألوهية، وابطال عبادة غير الله والسجود لها ، وفي سورة النمل سجدة في قوله تعالى (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دونالله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون، الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والأرض ، ويعلم ما تخفون وما تعلنون، الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) الاية : ٢٤ - ٢٦ وحكى المفسرون الاجماع عليها هنا(١)

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازى ١٤/١٩٣

٢ - من الناحية الموضوعية :

تتجلى في السور المكية مناهج الدعوة الى أصول الدين وقواعد الأخلاق، ومبادئ التشريع ، وسبل ترسيخها في النفس وتربية الناس عليها ، كما يتجلى تفنيد عقائد المشركين وابطال ماكانوا عليه من ذميم الصفات ورذيل العادات..

فمن موضوعات الدعوة في التنزيل المكي الجليل :

** تقرير أصول الدين :

من الايمان بالله تبارك وتعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

وذلك اما ابتداء عن طريق التقرير والتوجيه والاستدلال

أو بتصحيح المفاهيم الخاطئة لهذه الأصول .

أو نقض وتفنيد العقائد الباطلة المتوارثة عن الأسلاف أو المختلقة مما لا سند له ولا برهان، ويسلك السياق المكي أساليب مختلفة في ذلك تخاطب العقول والأفهام والفطر وتحرك كوامن النفس ، في اثبات وترسيخ هذه الأصول ، ومن أجلى الأساليب قصص الأنبياء وغيرهم وهي زاخرة بالأساليب المتنوعة حافلة بطرائق الدعوة ، وسيجيء في الباب الثاني - بعون الله - بسط ذلك .

** اثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بوجوه شتى أبرزها تقرير معجزة القرآن العظيم وبيان أنه من لدن عليم حكيم، وأن مهمته صلى الله عليه وسلم انما تنحصر في التبليغ تبشيرا وانذارا ، وأن بشريته عليه السلام ليست مانعةلرسالته كما يزعم المشركونبل هي من لوازمها كيما يفهموا عنه ويألفوه ويألفهم.. ويرد بعد ذلك التنويه بعظم رسالته صلى الله عليه وسلم وجلال النعمة التي تمت ببعثته عليه السلام

** ارساء قواعد الأخلاق :

ببث أصول الفضائل وأمهات المكارم كالعفة والصبر والصدق والوفاء والبر والتراحم والتوادد ، وجعلة الخصال الحميدة والسلوك الكريم ، وذلك اما بالتوجيه المباشر أمرا وترغيبا وترهيبا ونهيا ... ، أو باظهار هذه الأخلاق في سير السالفين من الصالحين.

وثمة آيات كثيرة تبني الدعاة بناء ايمانيا على التحلي بهذا السلوك الاسلامي الجميل افرادا وجماعات .. كما في سورة الانعام والاسراء.

** تقرير عالمية الاسلام :

وبيان أن الرسالة الخاتمة انما هي رحمة للعالمين، ومن هذا المنطلق تقرر الآيات

الواردة في هذا المضمار وحدة الانسانية في أصل النشأة وفي التكاليف ، وفي الجزاء ثوابا وعقابا ، ومن جملة ذلك تقرير أن اختلاف الناس في الأجناس والأعراق انما هو للتعارف والتعاضد .. وأن اكرم الناس عند الله أتقاهم ..

** ذكر مثالب المشركين وماكانوا عليه من العادات المرذولة كوأد البنات وسفك الدماء وقطع الارحام وهضم حقوق الايتام وعضل النساء .. هذا الى جانب تصوير انحرافهم في فهم العقيدة وتقليد الاباء ، ويرد ذلك اما سوقا لمقالاتهم على ألسنتهم أو اتباعا للمنهج الوصفي التحليلي المعتمد على التفنيد والرد المؤسس على البرهان.

** وفي السور المكية مبادئ التشريع اجمالا لا تفصيلا ، كالصلاة والزكاة ، وتعظيم البيت .. وهي أمهات العبادات التي نزلت في العهد المدني.

** كما يلاحظ في مناهج الدعوة المكية التدرج في العرض اذ كانت الدعوة في بادئ شأنها تتخذ الافراد وهم قلة عماد النشر بالاسلوب السرى ، ثم جهر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بدعوة ربه اثر نزول قوله تعالى (.. فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . انا كفيناك المستهزئين)(١)

وهذه الموضوعات وغيرها وهي نحو ثلثي القرآن الكريم تجيء ضمن المرحلتين الأوليين من مراحل الدعوة وهما :

- مرحلة العرض والتبيين .
- ومرحلة التربية والتكوين .

وتبقى المرحلة الثالثة للعهد المدني وهي مرحلة المواجهة والتمكين(٢)

والمراحل الثلاث تمثل مناهج الدعوة الفطرى والعاطفي والعلمي ومنهج القوة ، ولم يُستخدم الاخير الا بعد الهجرة حين تكون المجتمع وتوافر الأنصار والحماة والمؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة..

---

(١) الحجر : ٩٤ - ٩٥

(٢) مناهج الدعوة د . علي جريشة ص ٢٢ ط مصر ١٤٠٧ هـ

سمات التنزيل المدني ومقاصد الدعوة فيها :

١ - يلا حظ فيها من حيث المظهر طولها في الايات والسور واعتمادها في ذلك على التفصيل الجزئي الذى ينفذ الى د قائق الأحكام وفروع المسائل ، وهذا من أساليب الدعوة التي تلائم التشريع ..

٢ - اما المحتوى والموضوع :

** فهناك تشريع مفصل في العبادات والمعاملات والحقوق العامة والخاصة، بل وتنظيم لما ينبغي أن يكون عليه البيت المسلم في شؤنه الداخلية الخاصة كما في سورة النور والاحزاب .والمجادلة والتحريم ..

** والسور المدنية حافلة بالمناهج المفصلة لدعوة المنافقين الذين ظهروا في ظل سلطان دولة الاسلام وكيفية معاملتهم وأنماط سلوكهم وصنوفهم وطبائعهم كما هو مبسوط في مفتتح البقرة وفي التوبة والمنافقون .. ومناهج مفصلة - كذلك - في دعوةومجادلة أهل الكتاب وطرائق استمالتهم الى الاسلام كما في المائدة وآل عمران ، وفيها جانب كبير لبسط عقائدهم الباطلة ومناقشتها على ضوء الدليل العلمي والتاريخي وحيلهم في التلاعب بكتب الله .

** وهناك سن لفريضة الجهاد المقدسة الذى يأتي بعد المرحلة المكية وقد بنيت النفوس على أعلى درجات الايمان والصلة به سبحانه وتعالى، وذلك ببيان مبرراته كما في الحج ومبادئه وآدابه وأحكامه من خلال غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروضة سردا وتوجيها في سورة آل عمران والانفال والتوبة والاحزاب والحشر ..

وبالجملة فالاشبه في السور المدنية أنها تمثل الجانب التطبيقي العملي في ظل دولة الاسلام وبعد أن ترسخ العقيدة في القلوب فتترجم الى سلوك ..

المبحث الرابع : الخصائص الكبرى للقرآن الكريم

تفرد القرآن العظيم عن الكتب السماوية السابقة بخصائص ومزايا لا تتوافر فيها ، كما تفرد بخصائص عامة امتاز بها عن سائر كلام البشر ، وأولى خصائصه نزوله منجما وآخرها خلوده ما دامت الدنيا ، واني موجز الحديث عن ذلك على ما يستوجبه موضوع الرسالة ، فأقول وبالله استعين :

١ - نزوله منجما :

نزلت الكتب السماوية السابقة دفعة واحدة على المرسلين ، أما القرآن العظيم فانفرد من بينها بنزوله مفرقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب الأحداث .

ومن أظهر الايات القرآنية التي قررت ذلك قوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) (١) ولقد نزلت هذه الاية ردا على تعنت الكافرين الذين راموا النيل من القرآن ورسوله متذرعين بأن القرآن خالف الكتب السماوية السابقة في نزوله مفرقا وقد نزلت جملة واحدة كالتوراة والانجيل وغيرها من كتب الله فرد الله عليهم بقوله (كذلك لنثبت به فؤادك) قال صاحب الكشاف : (قوله (كذلك) جواب لهم ، أى : كذلك انزل مفرقا لأن قولهم (لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة) معناه لم أنزل مفرقا) (٢)

ومن الحكم الدعوية في نزوله منجما : تيسير حفظه ، استظهارا واتباعا ، وكذلك نزوله مفرقا حسب متطلبات الدعوة وحاجاتها ومراحلها وأولوياتها . .

٢ - حفظه من التحريف والضياع :

يقول جل ذكره في مطلع سورة النمل (طس . تلك آيات القرآن وكتاب مبين) الآية ، وفي موضع آخر (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) (٣) ولهذين التسميتين الكريمتين مغزى بعيد الغاية (فلقد روعي في تسميته قرآنا كونه متلوا بالألسن ، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام . . وفي تسميته بهذين الاسمين اشارة الى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد ، أعني انه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا ، أن تضل

---

(١) الفرقان : ٣٢
(٢) الكشاف : ٣/٩١
(٣) الحجر : ١

احداهما فتذكر احداهما الأخرى..)(١)

وحفظ الله للقرآن على هذا النهج الدقيق وبتلك الطريقتين الموغلتين في تاريخ القرآن الواصلتين الأجيال المتعاقبة بعهد النبي صلى الله عليه وسلم أمر لم يتفق لكتاب سماوي قبل القرآن العظيم وفي هذا قال البارى - تقدست أسماؤه -(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)(٢) وهو تكفل بحفظه تدوينا وكتابة(لا يمسه الا المطهرون)(٣) على تفسير من يرجع الضمير الى القرآن الكريم ولا يكون المس الا للمكتوب فيه، كما أن التكفل بحفظه في الصدور(بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون)(٤) أى في صدور العلماء وحفاظه وهما من خصائص القرآن كونه في الصدور بخلاف سائر الكتب .. فانها كانت تقرأ الا في المصاحف(٥)

ولقد شملت عناية الله وحفظه للقرآن حتى قبل أن ينزل وهو في اللوح المحفوظ، وهو معنى قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)(٦) بقراءة (محفوظ) مرفوعا

وحفظ أثناء نزوله(وبالحق أنزلناه وبالحق نزل)(٧) قال ابن كثير: (أى نزل اليك يامحمد محفوظا محروسا لم يشب بغيره ولا زيد فيه ولا نقص منه، بل وصل اليك بالحق فانه نزل به شديد القوى الأمين المكين المطاع في الملأ الأعلى(٨)

ومن مقتضيات هذا الحفظ الرباني للقرآن العظيم في كل مراحل تنزله وعلى مر الأجيال التي تلقته التمسك به لانه مصون، والدعوة اليه لانه حق لا شبهة فيه (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(٩)
تقوم به الحجة وتتضح المحجة وتستقيم به الحياة ويهنأ به العيش في الدارين.

٣ - عروبته واعجازه :

نزل القرآن المجيد بلسان عربي مبين قال تعالى (انا جعلناه قرآنا عربيا)(١٠) وقال (قرآنا عربيا غير ذى عوج)(١١) وقال (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا)(١٢)

---

(١) النبأ العظيم د. دراز ص ١٢
(٢) الحجر : ٩
(٣) الواقعة : ٧٩
(٤) العنكبوت : ٤٩
(٥) تفسير النسفي ٣/٢٦٠
(٦) البروج : ٢١ - ٢٢
(٧) الاسراء : ١٠٥
(٨) تفسير ابن كثير ٣/٦٨
(٩) فصلت : ٤١ - ٤٢
(١٠) الزخرف : ٣
(١١) الزمر : ٢٨
(١٢) الشورى : ٧

ويقوم الاعجاز القرآني بصفة أولية على عربيته وبيانه الذى يتسق فيه المبنى بالمعنى وتترابط فيه الالفاظ ترابطا محكما يطبع في النفس أثرا عميقاليس في المقدور استكناهه أو استجلاء حقيقته، وبهذا المعنى ينفرد القرآن الكريم عن الكتب السماوية السابقة، وقد ذهب ابو السعود (١) الى أن الكتب الثلاثة المتقدمة لم يكن شاهد صحتهاودليل كونهامن عند الله اعجازها (٢) وفي هذا الاطلاق نظر ! لانها كانت معجزة بذكر الغيب ومنه تضمنها خبر (الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) (٣)

وعليه فعروبة القرآن ثماعجازه بها من خصائصه التي انفرد بها، وهو من الوجهة الدعويةمدعاة الى وحدة الأمة عقيدة وشريعة واستخلافا وأهدافا.. وبكل ذلككله ويشده ويعين عليه أن يتعلم المسلمون لغة كتابهم حتى أنه لا يجوز أداء بعض العبادات بغير العربية ومنها قراءة القرآنالعظيم(٤) في الصلوة .

٤ - هيمنته على الكتب السابقة :

قال البارى - تقدست أسماؤه - في سورة النمل (ان هذا القرآن يقص على بنياسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون) الآية : ٧٦ ولئن كانت بنو اسرائيل قد اختلفت في التوراة والانجيل وهي كتب سماويةفان القرآن العظيم يلتقي معها في هذه الربانية، لكنه يختلف عنها في اختصاصه فيه، واختص القرآن فوق ذلك بأنه يمتاز بخاصيتي التصديق لها والهيمنة عليها، قال تعالى بعد أن ذكر التوراةومافيها من هدى ونور والانجيل وما تضمنهمن تصديق للتوراة، قال (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتابومهيمنا عليه) (٥) قال ابن الجوزى (٦) وأصل كلمة مهيمن : مؤيمن، وترد على أربعةأنحاء

١- مؤتمنا على ما قبله من الكتب ٢- وشاهدا عليها ٣- والمصدّق على ما أخبرعنها.

٤- والرقيب والحافظ عليها (٧)

---

(١) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادى (٨٩٨ - ٩٨٢هـ) مفسر من علماءالترك المستعربين ولد بقرب القسطنطينية ودفن بجوار مرقد أبي أيوب الانصارى : الاعلام للزركلي ٥٩/٧

(٢) ارشاد العقل السليم ٢١٥/٦ ط احياء التراث العربي - بيروت| (٣)الاعراف: ١٥٧

(٤) وينسب الى ابي حنيفة جواز ذلك وليست النسبة اليه مستقرةوقد أثبت ذلك محمد ابو زهرة في كتابه المعجزة الكبرى ص ٥٨٤ ط دارالفكر العربي

(٥)المائدة : ٤٨

(٦) هوعبدالرحمن بن علي بن محمدالجوزى البغدادى علامة عصره(٥٠٨ - ٥٩٧هـ) مولده ووفاته ببغدادونسبته الى مشرعة الجوز : البداية والنهاية ٣١/١٣

(٧) زاد المسير٣٧١/٢

وهيمنة القرآن الشاملة على هذا الوجه تناسب مع كونه خاتم الكتب قال في الظلال (.. فهو الصورة الأخيرة لدين الله.. وهو المرجع الأخير في منهج الحياة وشرائع الناس ونظام حياتهم لا تعديل بعد ذلك ولا تبديل) (١)

والحديث عن هيمنة القرآن على الكتب السابقة في كل جوانب العقيدة والشريعة والأخلاق وغيرها واسع سعة القرآن المجيد. قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (قرر القرآن مافي الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بياناوتفصيلا وبيّن الأدلة والبراهين على ذلك، وقرر نبوة الأنبياء كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبين عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبين ما حرف منها وبدل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضا ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم باقرار ما أقره الله ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأمريات) (٢)

٥ - كونه خاتم الكتب :

تترابط خصائص القرآن العظيم في الأهداف والمقاصد، فهي وشائج كالنسيج الواحد لايكاد المرء يقف على خاصيةالا وتجيء الاخرى تنسجم معها، فلئن كان القرآن العبين محفوظا معجزا مهيمنا متميزافي نزوله وتلقيهفلا جرم أنه خاتم الكتب، فليس بعد رسول الله رسول ولا بعد القرآن كتاب ومن الوجوه التي ذكرها أهل التفسير لقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (٣) أي اكملت لكم ما أنزلت في كتابي على لسان رسولي والأدلة التي نصبتها لكم على جميع ما بكم الحاجة اليه من أمر دينكم فأتممت لكم جميع ذلك فلا زيادة فيه بعد اليوم (٤)

وعلى الدعاة انطلاقا من هذا واستشعارا بأنه لا كتاب بعد القرآن يستدرك أو ينسخ الاستمساك به فليس من سبيل الى الفوز بسعادة الدارين بغيره البتة.

---

(١) في ظلال القرآن ٢/٩٠٢
(٢) مجموع الفتاوى ١٧/٤٤
(٣) المائدة : ٣
(٤) تفسير الطبري ٦/٥١ ملخصا

٦ - عـموم دعـوتـه :

دعـوة القرآن الكريم عالمية وليست مخصوصة بأمة معينة كما هو الحال بالنسبـة للكتب السابقة ، فلا فرق في منهج القرآن بين أبيض وأسود ولا بين عربي وعجمي ولا بين القاصي والداني كلهم في شريعة القرآن سواء . .

وانك لتجد في القرآن الكريم آيات تقرر عموم رسالة النبي كقوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (١) وقوله (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) (٢)

كما تجد آيات أخر تقرر عالمية رسالة القرآن مثل قوله تعالى (وماهو الا ذكـــر للعالمين) (٣) وقوله (هذا بلاغ للناس) (٤) ، وحفل القرآن بعد ذلك بالآيات التي تقرن بين الرسول والقرآن في تقرير عالمية الدعوة من مثل قوله تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) (٥) وقوله (وأوحي اليّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) (٦) أى : ومن بلغه القرآن الى قيام الساعة (٧)

والمسلمون مجمعون على أن رسالة القرآن عامة للجن والانس لدخولهما في مفهوم كلمة العالمين في مثل قوله تعالى (ان هو الا ذكر للعالمين) (٨)

وتعبر الايات القرآنية المقررة لعالمية الدعوة المحمدية بمرادفات الدعوة وأساليبها فـي تقرير ذلك تارة بالانذار (ليكون للعالمين نذيرا) (٩) ومرة بالتبشير (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) (١٠) وحينا بالبلاغ كقوله (وأوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) (١١) وقوله (هذا بلاغ للناس) (١٢) كما تصف عموم الدعوة القرآنية بأنـه ذكر كقوله تعالى (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) (١٣) وقوله (ان هو الا ذكـــر للعالمين) (١٤) وأنه بصائر (هذا بصائر للناس) (١٥) وأنه رحمة (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (١٦)

٧ - شموليتـه :

اقتضت مشيئة الله أن تكون خاتمة الرسالات من حيث الشمولية بمكان فريد ، وهذا متسق مع عموميتها ، فما من حاجة دينية أو دنيوية فردية أو جماعية تقتضيها حياة الناس في المعاش

---

(١) الانبياء : ١٠٧
(٢) الاعراف : ١٥٨
(٣) القلم : ٥٢
(٤) ابراهيم : ٥٢
(٥) الفرقان : ١
(٦) الانعام : ١٩
(٧) تفسير النسفي ٤/٢
(٨) يوسف : ١٠٤
(٩) الفرقان : ١
(١٠) سبأ : ٢٨
(١١) الانعام : ١٩
(١٢) ابراهيم : ٥٢
(١٣) ق : ٤٥
(١٤) الانعام : ٩٠
(١٥) الجاثية : ٢٠
(١٦) الانبياء : ١٠٧

أو المعاد الا وفي القرآن الكريم لها من الذكر والبيان أوفى نصيب قال تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء)(١) والمعنى على تفسيرالكتاب بانه القرآن : ماتركنا من شيء الا وقد بيناه لكم اما نصا واما مجملا واما دلالة(٢) وقال سبحانهعن كتابه (ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)(٣) وقال(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)(٤) وقال(ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل)(٥) قال صاحب الظلال واصفا شمولية القرآن(ان هذا القرآن لم يأت لمواجهة موقف تاريخي انما جاء منهجامطلقا خارجا عن قيودالزمان والمكان، منهجا تتخذه الجماعة المسلمة حيثما كانت)(٦)

وحسب الداعية أن يقتبس فقه الدعوة من القرآن العظيم من أبواب ثلاثة وافيةجمعها قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين)(٧) :

١ - فقوله(آيات مبينات) يطوى الايات التي هي مصادر التشريع الاسلامي، كمايجمع الايات الاعتقاديةالدالة على وحدانية الله تعالى ومايستتبعها منأصول العقيدة.

٢ - وقوله(مثلا من الذين خلوا من قبلكم) أصل أصيل في الدعوة بالاتعاظ بما حل بالغابرينولقد خلت من قبلنا المثلات . .

٣ - وقوله(وموعظة للمتقين) تنضوى تحته أبواب الترغيب والترهيب بكل الوسائلالمنثورة على صفحات الكتاب المعجزوبمختلف الأساليب التي حفل بهاوالمناهج التيأرساها

٨ - أثره في بناء الأمة :

لم تنهض حضارة الا على مبادىء ولم تؤسس أمة ذات كيان وميزان الا على مثابرة واخلاص ، ولقد كانت البشرية ابان بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم في لججالظلام وغياهب الجاهلية، قال ابورجاء العطاردى (٨) يصف العرب ولم يكن غيرهمأحسن حالا منم

---

(١) الانعام : ٣٨ | (٢) زادالمسير ٣/٣٥
(٣) يوسف : ١١١ | (٤) النحل : ٨٩
(٥) الاسراء : ٨٩ | (٦) في ظلال القرآن ٢/١٠٥٩
(٧) النور : ٣٤ |

(٨) اسمه عمران بن ملحان ولد قبل الهجرة باحدى عشرة سنة، وتوفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز يعده البعض من كبار التابعين مات سنة ١٠٥هـ :
الاصابة ٤/٧٤ والاستيعاب ٣/٢٢

(كنا نعبد الحجر، فاذا وجدنا حجرا هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فاذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنابه)(١)

ولقد أقام الرسول بمنهج القرآن أمة وأية أمة ! هي قمة في تاريخ البشرية ايمانا واخاء وعدلا ووفاء... وصير من رعاة الابل والشاة رجالا أفذاذا في السياسة والحرب والانسانية والاخلاق لم تنبت الارض قبلهم ولابعدهم مثلهم.. وقد كانت قبلئذ قلة تكاد تذوب في الأمم لا يعرفون نظاما ولايعترفون بسلطان.. فلما جاءهم بالقرآن انقادوا لسلطانه ليس غلبة ولا خوفا ولا طمعا بل: ايمانا وايثارا، وبذلوا في سبيله النفس والمال والولد، وسجل لهم القرآن ذلك في آيات تتلىالى يومالدين.

لقد أخرج هذا القرآن العظيم - باذن الله - امة الاسلام من الظلمات الى النور وأنهضها من أسفل سافلين الى مصاف الملائكة المكرمين.. فلم يكن حدثا عاديافي بنائه خير أمة أخرجت للناس.. وما أحوج المسلمين اليوم الى أن يعيدوا البصر كرتين الى كتابهم ويدركوا أنه هو كما أنزله رب العالمين (أو لم يكفهم أنا أنزلناعليك الكتاب يتلى عليهم)(٢) (ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين)(٣)و (ان اللهلا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم)(٤)

٩ - خلوده :

مقتضى حفظ الله لكتابه من التحريف أن يكون خالدا تقوم به الحجةوتستبين به الشرعة، فهو باق الى يوم الحساب كهيئته يوم أنزل، وبقاؤه الى يوم البعث من كبرى خصائصه التي امتاز بها، ولقد كانتآيات الانبياء تفنى بموتهولا يبقى لها أثر سوى الذكر والخبر الا المعجزة الكبرى لرسولنا صلى الله عليه وسلم، قال أهل التفسير في قوله تعالى (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجدلك به علينا وكيلا، الا رحمة من ربكان فضله كان عليك كبيرا)(٥): قوله تعالى(الارحمة من ربك) امتنان من اللهتعالى ببقاءالقرآن محفوظابعد المنة العظيمةفيتنزيله(٦)

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب المغازى ١٥٩١/٤ باب وفد بني حنيفة.
(٢) العنكبوت : ٥١
(٣) الانبياء : ١٠٦
(٤) الرعد : ١١
(٥) الاسراء : ٨٦ - ٨٧
(٦) تفسير النسفي ٣٢٦/١

وكم رام أعداء الاسلام النيل منه ولم يتركوا طريقا الا سلكوها ، ولقد أتى على المسلمين حين من الدهر كانت جميع الوسائل مهيئة فيه لاعدائهم للطعن في القرآن وتقويض صرحه وكبت أهله ونالوا بعض مأربهم بزعزعة الأمة عن دينها . . أما النيل من الكتاب فلقد هموا بما لم ينالوا . . وسجل التاريخ مرة أخرى بعد تسجيله ابان نزول القرآن ، أنه محفوظ بحفظ الله خالد بتخليده وان في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (١)

****

(١) لعله من المستحسن هنا أن أشير الى ما يسمى بمعهد القرآن الكريم في جامعة ميونيخ بالمانيا التي اسست قبل الحرب العظمى الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) كبعض مظاهر الاتجاهات الاستشراقية ، انكب العاملون في هذا المعهد على جمع النصوص المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن من كافة أنحاء العالم ، كما جمعوا آلاف النسخ من القرآن الكريم مطبوعا أو مخطوطا أو مصورا . . ثم قارنوا بين نصوص القرآن الكريم في مختلف نسخها المخطوطة والمطبوعة فلم يجدوا سوى الفوارق بنوعية الخطوط بين بلد وآخر وناسخ وآخر . . أما النص فهو هو في أقدم نسخه وفي أحدثها ! !
: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص ٢٤

الفصل الثاني :

موقف البشرية من القرآن الكريم

ويشتمل على مبحثين :

** المبحث الأول : موقف المؤمنين .

** المبحث الثاني : موقف المعاندين .

*** ***

قال تعالى :

(طس ، تلك آيات القرآن وكتاب مبين . هدى وبشرى للمؤمنين . الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون . ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون . أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون .) الايات : ١ - ٥

(ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون . وانه لهدى ورحمة للمؤمنين . ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم)

الآية : ٧٦ - ٧٨

تقديم :

من تأمل القرآن العظيم وتدبره وتفكر في آياته يجد أن في مفتتحه تقسيم تاريخي للبشرية ازاء الحق عامة وتجاه القرآن الكريم خاصة .. ففي سورة الفاتحة المكية ابتهال يرفعه المؤمنون الى الله في اليوم والليلة سبع عشرة مرة في صلواتهم المفروضة دون النوافل ، فهم يرددون (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) (١)

فهاتان الايتان تضمنتا الأصناف الثلاثة : المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين . وبصرف النظر عن تحديد المعنيين من مسلمين ويهود ونصارى ، يلاحظ أن هذه الاصناف الثلاثة مطردة على مر التاريخ الانساني في موقفها من الحق .

---

(١) الفاتحة : ٦ - ٧

قال الامام ابن القيم مشيرا الى الآيتين السالفتين (انقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به الى هذه الأقسام الثلاثة ، لأن العبد اما أن يكون عالما بالحق أو جاهلا به ، والعالم بالحق اما أن يكون عاملا بموجبه أو مخالفا له ، فهذه أقسام المكلفين لا يخرجون عنها البتة) (١)

ولئن كان الناس بين : ١- عالم عامل ٢- وعالم لم يعمل ٣- وغب جاهل. والصنفان الأخيران في غي ، فان الآيات القرآنية في سورة النمل تحدد هذين الموقفين : موقف الايمان وموقف النكران ، وبين الموقفين بون شاسع وفرق كبير ، (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) (٢) (مثل الفريقين كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) (٣)

والحديث عن الفريقين بكل مقوماتهما ومقتضياتها وآثارها بعيد المدى وفّاه القرآن المجيد على صفحاته المباركة .. على نحو فريد كما في صدر سورة البقرة.

واقتصر الحديث هنا عن موقف البشرية من القرآن العظيم ابان نزوله ، وموضع عقائدهم واتجاهاتهم فيه ، على ضوء ماذكره الله - تباركت أسماؤه - في سورة النمل ، ولهذا موقعه من الدعوة اذ يبحث في أصناف المدعوين وطبائعهم وأسباب ايمانهم أواعراضهم وهذا جزء غير يسير مما ينبغي أن يعيه الدعاة قبل غيرهم قبل القيام بواجب الدعوة.

---

(١) مدارج السالكين ١/١١ ط ١٤٠٢هـ مصر
(٢) القلم : ٣٥
(٣) هود : ٢٤

المبحث الأول - موقف المؤمنين :

المطلب الاول : الأثرالنفسي والخلقي :

تتفاوت طبائع الناس وتختلف درجات ايمانهموقوة يقينهم ومقدار تنافسهم في الخير وصالح العمل . ولقد وصف الله تبارك وتعالى هذا القرآن المعجز بأنهلأهل الايمان هدى ، وبشرى ،ورحمة ، وبصائر، وبينة ، وتبيان ، وموعظة ، وشفاء ، وتثبيت، ونور، وفضل كبير .. وهذه المعاني الايمانية الجليلة وصف بها المؤمنون والمسلمون والمحسنون- وبعد ذلك ومعه - المتقون ، والموقنون ، والمتوكلون ، والصابرون ، والمجاهدون ، والمنيبون ،والصالحون ، والمخبتون ، والمعتصمون بالله ، والذين أوتوا العلم، والذين يخشون الله ..

- قال تعالى (ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم هدى ورحمة لقومٍيؤمنون) (١)
- وقال (ياأيها الناس قدجاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) (٢)
- وقال (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) (٣)
- وقال (جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) (٤)
- وقال (ويهدى اليه من أناب) (٥) (ويهدىاليه من ينيب) (٦)
- وقال عز من قائل (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) (٧)

على أن سورة النمل وصفت القرآن بأنه هدى وبشرى ورحمة للمؤمنين ، قال تعالى (طس . تلك آيات القرآن وكتاب مبين . هدى وبشرى للمؤمنين)الاية: ١- ٢ وقال تعالى (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين)الاية : ٧٧ وهذه المعاني الثلاثة(الهدى، والبشرى ، والرحمة) جمعتها آية النحل مع معنى جديد ،قال تعالى(ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (٨)

---

(١) الاعراف : ٥٢ | (٢) يونس : ٥٧
(٣) الجاثية : ٢٠ | (٤) الشورى : ٥٢
(٥) الرعد : ٢٣ | (٦) الشورى : ١٣
(٧) النحل : ١٠٢ | (٨)النحل ٨٩

وانتثرت بقية المعاني القرآنية السالف ذكرها على صفحات القرآن المجيد مكيه ومدنيه على نحو بديع ، من اجتهد في استخراج حكم تلك المعاني بطريقة السبر والتقسيم وقف على منهج فذ يستقى منه في رسم معالم الدعوة بمختلف مراحلها وأنماط أساليبها ودرجات الدعاة والمصلحين وهممهم وعزائمهم.. ثم النتائج المرسومة وفق السنن الربانية.

ولوصف القرآن العظيم بأنه هدى وبشرى ورحمة للمؤ منين ،معطيات دعوية زاخرة فيما يلي محاولة لاستجلاء ابرزها .

أولا - كونه هـدى للمؤ منين :

للفظ الهدى مدلول كبير ليس من الحكمة تحديده بكلمات أو سطور.. ذلك أن الهدى هدى الله ،تنخرط في سلكه دنيا المؤمن وآخرته، ويتكيف به سلوك المهتدين قولا وفعلا واعتقادا.

والهداية بنوعيها البياني والتوفيقي قسمها ابن القيم رحمه الله قسمين، قال :

(هي تعريف ما لم نعلمه من الحق تفصيلا واجمالا ، والهامنا له ، وجعلنا مريدين لاتباعه ظاهرا وباطنا ، ثم خلق القدرة لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل والعزم، ثم ادامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه الى الوفاة)، قال :(وللهداية مرتبة أخرى وهي الهداية يوم القيامة الى طريق الجنة)(١) فهو جمع بين: تعريف الحق ،والهام التصديق به، والتوفيق ، والتثبيت ، والمداومة .

** قال تعالى عن مسالك الهدى وأسبابه (.. فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا)(٢)وقال عن رسوله عليه السلام (وان تطيعوه تهتدوا)(٣) وقال (ومن يؤ من بالله يهد قلبه)(٤)

** وقال عن القرآن العظيم (يهدى للتي هي أقوم)(٥) و (يهدى الى الحق)(٦) و (يهدى الى الرشد)(٧) و (يهدى الى صراط العزيز الحميد)(٨)
والقرآن العظيم في سورة النمل (هدى وبشرى للمؤ منين) الاية : ٢

** وقا ل عن ثمار هذا الهدى (وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا)(٩) وقال(.. فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)(١٠)

---

(١)مدارج السالكين ١/ ٩ (٢)آل عمران : ٢٠ (٣)النور: ٥٤
(٤) التغابن : ١١ (٥)الاسراء : ٩ (٦)الاحقاف. ٣
(٧)الجن : ٢ (٨)سبأ : ٦ (٩)ابراهيم١٢
(١٠) طه : ١٢٣

** والهدى هو الحق وهو واحد لايتجزأ قال تعالى (وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)(١) وقال معه (قل ان هدى الله هو الهدى)(٢)

** والهدى واضح لاتعقيد فيه ولاخفاء ، يتجاوب مع الفطر السليمة (وأنّا لما سمعنا الهدى آمنّا به)(٣)

** ويستلزم الدعوة اليه (وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم)(٤)

** ومن مظاهره النفسية أنه (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ،ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ، ومن يضلل الله فماله من هاد)(٥)

ثانيا : كونه بشرى :

كان الناس في ضلال فأتاهم الله بكتاب هدى به من اهتدى .. والهداية في حد ذاتها نعمة سابغة لا يعطاها الا المجتبون الأخيار.. بيد أن فضل الله عميم ونعمه لا تحصى ، فاذا القرآن الذى كان هدى للمؤمنين هو بشرى لهم كذلك .

والأوفق أن تفهم البشرى على سعة مدلولها الذى ينفذ الى أعماق حياة المؤمن في الدارين ، قال تعالى عن المتقين (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة)(٦) فليست الدنيا نهاية الانسان بل هي مرحلة من مراحل سيره الى دار القرار ،والقرآن العظيم هو (بشرى) للمؤمنين في رخائهم وحين تكتنفهم الاهوال وعظائم المصائب والهزاهز التي يرجف من ذكرها القلوب في القبر وعند القيام لرب العالمين وعلى ساحة الحشر .. انه يبشر المؤمنين دون سواهم من الناس :

** فيطمئنهم بأن الله يغفر السيئات لمن يخشاه (.. وخشي الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم)(٧)

** وأن عملهم لن يذهب سدى (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به)(٨)

** ويصلهم بالأحباب والأهلين ممن حال بينهم اختلاف الديار (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(٩)

---

(١) سبأ : ٢٤ (٢) البقرة : ١٢٠ (٣) الجن : ١٣
(٤) الحج : ٦٧ (٥) الزمر : ٢٣ (٦) يونس : ٦٤
(٧) يس : ١١ (٨) التوبة : ١١١ (٩) آل عمران : ١٧٠

** ويبشرهم بالموعود الصادق (يبشّرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) (١)

** ويأتي المزيد (وبشر المؤ منين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) (٢)

هذا حال الانسان في رحلته الطويلة الشاقة المحفوفة بالمخاطر، وتلك نفسه الشفافة التي آمنت بالله ثم ترقبت بشراه ، وهذه هي البشرى التي تتابع صورها فتنزل بردا وسلاما على قلب المؤ من وتزيده ايمانا وتقوى وتشد من أزره ليمضي واثقا مطمئنا . . في رحلته المتطاولة .

ولا يظنن ظان أن هذه البشرى بمدلولها الواسع متاحة لكل أحد ، ولئن كانت آية النمل خصتها بالمؤ منين ، فان للمؤ منين المبشرين أوصافا وخصائص يدعو كتاب الله الناس عامة والمؤ منين خاصة الى الالتزام بها والتحلي بنورها .

أ - فالبشرى لمن آمن وعمل صالحا (وبشر الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) (٣) (ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملواالصالحات) (٤)

ب - وهي لمن تحلى بالصبر على الطاعاتوعن المعاصي وفي كل مسارب الحياة،قال تعالى (وبشر الصابرين) (٥)

جـ - وهي - كذلك - لمن بلغ درجة الاحسان (وبشر المحسنين) (٦)

د - وهي - ايضا - لمن أخبت قلبه (وبشر المخبتين) (٧)

هـ - وهي للمنيبين (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد) (٨)

و - وكل أولئك يجمعها رحاب التقوى (. . لتبشر به المتقين) (٩)

ومن هذه المنطلقات جميعا كان النبي صلى الله عليه وسلم مبشرا ونذيرا (وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا) (١٠) يبشر المؤ منين وينذر الكافرين ، وكلاهما توجه لهما الدعوة .

---

(١) التوبة : ٢١
(٢) الاحزاب : ٤٧
(٣) الكهف : ٢
(٤) الشورى : ٢٣
(٥) البقرة : ١٥٥
(٦) الحج : ٣٧
(٧) الحج : ٣٤
(٨) الزمر : ١٧
(٩) مريم : ٩٧
(١٠) الفرقان : ٥٦

ثالثا - كونه رحمة :

امتاز الاسلام عن سائر الملل بأنه دين رحمة وهدى وبشرى، واذا كان هداه في صدق مبادئه وجملة عقيدته، وبشراه في خير وسعادة أتباعه والمؤمنين به والملتزمين بهديه، فالرحمة عنوان شريعته وأحكامه ! وسيما مجتمعه وأفراده (١)

ولست واجدا مجتمعا على مر التاريخ يترابط أفراده أسرا وجماعات وأمة برابط الايمان والمودة والرحمة والايثار غير مجتمع الاسلام، وهذه الظاهرة العجيبة سببها رباني فهي لا تقوم على مصلحة دنيئة أو غرض تافه، انها أرقى دلالة يقول جل ذكره بعد أن ذكر صفات المسلم الخيّر(ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، أولئك أصحاب الميمنة)(٢)وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم(ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(٣)وترابط المسلمين وتلاحمهم من موجبات الرحمة قال تعالى(انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)(٤)

وعلى هذا فالرحمة من جملة القواعد الأساسية التي ينهض عليها المجتمع المسلم وهي من كبرى أهداف الدعوة الاسلامية .

والداعية الأريب من آكد صفاته الرحمة ،وهذا رب العرش العظيم يصف امام الدعاة وقدوة المصلحين عليه السلام بقوله(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)(٥) ويقول عنه(يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم)(٦) ويقول : (فبما رحمة من الله لنت لهم)(٧) والرحمة من أسباب نجاح الدعوة .

أما رحمة الله الخاصة بالمؤمنين فلقد أرشد كتاب الله الى أنها تنال بطاعته وطاعة رسوله (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون)(٨) واقتفاء أثر الكتاب المحفوظ : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون)(٩)هذا من حيث المبدأ العام

---

(١) ولا نلتفت الى القائلين بقسوة الشريعة الاسلامية في جوانب القصاص .. فهم ممن يعرض عنهم ان عاندوا ، وليس أحد اعلم من الله بخلقه (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك : ١٤

(٢) البلد : ١٧

(٣) متفق عليه: رواه البخارى ٢٢٤٢/٥ كتاب الادب باب تعاون المؤمنين ،عن النعمان بن بشير، ومسلم ١٩٩٩/٤ كتاب البر والصلقباب تراحم المؤمنين

(٤) الحجرات : ١٠

(٥) الانبياء : ١٠٧

(٦) براءة : ٦١

(٧) آل عمران ١٥٩

(٨) آل عمران : ١٣٢

(٩) الانعام : ١٥٥

وترد بعد ذلك توجيهات القرآن تحث على اتباع كبرى الفضائل لنيل الرحمة كالصلاة والزكاة والاستغفار مثل قوله تعالى (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون)(١) وقوله في سورة النمل(.. لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) الاية : ٤٦ ، وقوله (ان الذين آمنوا والذين هاجرواوجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله، والله غفور رحيم)(٢) ويربط ذلك كله برابط التقوى والاعتصام والاحسان قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤ تكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)(٣)وقال (.. فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما)(٤)وقال (ان رحمة الله قريب من المحسنين)(٥) ورحمة الله أبعد مدى من أن يعيها مخلوق(أهم يقسمون رحمة ربك)(٦)قال جل ذكره في وصفه رحمته الخاصة بالمؤمنين(هو الذى يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النوروكان بالمؤ منين رحيما)(٧) قال صاحب الظلال(تعالى اللهوجلت نعمته وعظم فضله وتضاعفت منته وهو يذكر هؤ لاء العباد الضعاف المحاويج الفانين الذين لا حول لهم ولا طول ، ولابقاء لهمولا قرار، يذكرهم ويعنى بهم، ويصلى عليهم هو وملائكته ويذكرهم بالخير في الملأ الاعلى.. الا انها لعظيمة لا يكاد الادراك يتصورها وهو يعلم أن هذه الأرض ومن عليهاوما عليها ان هي الا ذرة صغيرة زهيدة بالقياس الى تلك الافلاك الهائلة..)(٨)

وحسب الدعاة أنهم دعاة رحمة ، وأن كتابهم كتاب رحمة كذلك (أولم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم، ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤ منون)(٩) جعلني الله واياك من الهداة المهديين ممن تسرّى عنهم هموم الدنيا بالبشرى تحت ظل رحمةالله اللطيف المنان ، انه عليم قدير.

---

(١) النور : ٥٦
(٢) البقرة : ٢٨١
(٣) الحديد : ٢٨
(٤) النساء : ١٧٥
(٥) الاعراف : ٥٦
(٦) الزخرف : ٣٢
(٧) الاحزاب : ٤٣
(٨) في ظلال القرآن ٥/٢٨٧١
(٩) العنكبوت : ٥١

المطلب الثاني : سمات المؤمنين :

يقوم الاسلام على قاعدتين راسختين وضحهما قول الله تعالى في هذه السورة الجليلة (هدى وبشرى للمؤمنين ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) الاية : ٢ - ٣ وهاتان القاعدتان هما :

- قاعدة الايمان ، وأساسه الايمان بالله واليوم الاخر .

- وقاعدة العمل الصالح ومن أشرف العمل الصالح العبادة بالنفس والمال ، فالصلاة مثال الأول وقمته ، والزكاة مثال الآخر وهو البرهان على صدق فاعله كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال (.. والصلاة نور والصدقة برهان) (١) ، وأركان الاسلام مبنية على قواعد منها هاتان القاعدتان : الايمان والعمل الصالح ، قال عليه الصلاة والسلام (بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) (٢)

ولئن كان (الهدى والبشرى والرحمة) مما اختص الله بها المؤمنين المهتدين بهدى القرآن المرحومين بشريعته المطهرة ، المبشرين بآلاء الله الرحمن الرحيم ، فلأولئك المؤمنين سمات عامة لا تنفك عنهم حيثما وجدوا وأينما ساروا .. وهذه السمات الخيّرة منثورة في ثنايا السور المكية على نحو مبين لا تخفى على ناظر في كتاب الله ، وفي سورة النمل تتابعت هذه السمات العامة في مطلعها على الترتيب التالي (هدى وبشرى للمؤمنين الذين :

يقيمون الصلاة

ويؤتون الزكاة

وهم بالآخرة هم يوقنون) الاية : ٢ - ٣

والسمتان الأوليان يمثلان العمل الصالح وهو أثر سلوكي يتجلى في حياة المسلم ، ويتحلّى به خلقه ، كما أن السمة الثالثة هي أثر عقدي ترتكز في أعماق المؤمن وتؤثر في عمله كله رغبة ورهبة ، ولكل من الأثر السلوكي والأثر العقدي ترابط بالأثر النفسي الذي الذي هو الهدى والرحمة والبشرى ، قال ابن كثير رحمه الله (انما تحصل الهداية والبشارة

---

(١) رواه مسلم عن ابي مالك الاشعري في كتاب الطهارة ١/٢٠٣ باب فضل الوضوء

(٢) متفق عليه : رواه البخاري عن ابن عمر في كتاب الايمان ١/١٢ باب الايمان وقول النبي بني الاسلام على خمس واللفظ له ، ومسلم في كتاب الايمان ١/٤٥ باب بيان أركان الاسلام.

من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقه وعمل بما فيه، وأقام الصلاة المكتوبةوآتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموتوالجزاء على الأعمال خيرها وشرها والجنة والنار) (١)

وأبرز ما يتحلى به المؤمنون من العمل : الصلاة والزكاة ، وهما ملاكالأمر وتنضوى تحت لوائهما كثير من الفضائل والمكارم التي تحيا بها الجماعات والافراد .

ولا تكاد تجد ذكرا للصلاة في الكتاب الا وقد قرنت بها الزكاةوله حكمه وأسراره سيجيء الحديث عن بعضها في باب تربية الدعاة ان شاء الله. وهذا التلازمالمطرد بين هاتينالشعيرتين يليه تلازم آخر مطرد كذلك بينهما وبين يوم الحساب ، وقد تنفرد كل شعيرة برباط وثيق بهذا اليوم الموعود ومافيه من ثواب وعقاب ، فعن الصلاة يقول جل ذكره(والذين يؤمنون بالاخرةيؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) (٢) ويسأل أهل النار(ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين) (٣) ونفى الله عمن لا يؤدى الزكاة الايمان بالآخرةفقال (وويلللمشركين الذين لا يؤتونالزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) (٤)

وأيا كان تفسير الصلاة المفروضة او النافلة، وكذلك الزكاة المفروضة ام سواها فالقائم بهما المواظب عليهما في اوقاتهما من الموصولين بربهم تبارك وتعالى .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٥٦/٣
(٢) الانعام : ٩٢
(٣) المدثر : ٤٢
(٤) فصلت : ٧

المطلب الثالث - الأثر العقدى (الايمان باليوم الاخر) :

تمتاز عقيدة المسلمين عن سائر الملل ذات الأصول ـــــ الاخلاقية أو الانسانية بأنها تقوم على أصول ايمانية تساوق الفطرة السليمة وتنسجم مع نواميس الكون ، وتؤلف مجتمعا قوى البنيان واسع الأفق بعيد النظرة ذا خصائص متكاملة تؤهله للقيام بواجب الاستخلاف في الأرض كما أراد رب العالمين .

وهذه الأصول جمعها قول الله تعالى (.. ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين) (١) مع قوله صلى الله عليه وسلم وقد سأله جبريل عليه السلام : ما الايمان ؟ قال (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) (٢)

ويتحدث كتاب الله عن هذه الأصول الستة حديثا مستفيضا فيقرنها بعظائم الاعمال ومكارم الاخلاق وجلائل المثل والصفات وفضائل السلوك أمرا ونهيا ترغيبا وترهيبا .

وكثيرا ما يرد الايمان بالله تعالى مقرونا بالايمان باليوم الآخر في السور المكية والمدنية ايذانا بأن الايمان بهذين الأصلين يستتبع الايمان بباقي الاصول من جهة ، وانا طة أعمال المكلفين وجزائها بهذين الأصلين من جهة أخرى ، وفي هذا من ديمومة الرقابة الذاتية لدى الفرد ما فيه ، وفيه من الاثر الفعال في استقامة الحياة في الدنيا والآخرة على النهج القويم مافيه كذلك .

ومن الآيات القرآنية الواردة على هذا النسق :

أ - في تقرير المبدأ (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) (٣)

ب - وفي الارشاد اليه (اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) (٤)

جـ - وفي الوعظ به بعد ان يستكن في الاعماق ، في المطلقات (ولا يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) (٥) ، وفي جلد الزناة (ولا تأخذكم

---

(١) البقرة : ١٧٧

(٢) متفق عليه رواه البخارى عن ابي هريرة في كتاب الايمان ١/٢٧ باب سؤال جبريل النبي .. ومسلم في كتاب الايمان ١/٣٧ باب بيان الايمان والاسلام واللفظ له .

(٣) البقرة : ١٧٧

(٤) العنكبوت : ٣٦

(٥) البقرة : ٢٢٨

بهما رأفـة في دين الله ان كنتم تؤ منون بالله واليوم الآخـر) (١) والايات كثيرة. .

د -وفي أن من اتصف بهذا الايمان هو أهل لكل خير(انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر) (٢)

وفي سورة النمل (هدى وبشـرى للمؤ منين الذين يقيمون الصلاة ويؤ تون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) الاية : ٣ - ٣

هـ - وفي مجال الدعاء لـه(وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليـوم الآخـر) (٣)

و - وفي اجزال المثوبة له (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم) (٤)

ز - وفي أمنه من العذاب (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلاخوف عليهم) (٥)

وللقرآن العظيم مسـالك عديدة في الدعوة الى الايمان بيوم الحساب ، ثم بتنمية هذا الايمان تنمية توصله الى درجة اليقين كما في هذه السورة الجليلة(وهم بالاخرة هم يوقنـون) الايـة : ٣ نبسط الحديث عنه في باب تربية الدعاة ان شاء الله.

---

(١) النور : ٢

(٢) التوبـة : ١٨

(٣) البقرة : ٢٦

(٤) البقرة : ٦٢

(٥) المائدة : ٦٩

المبحث الثاني - موقف المعاندين من القرآن الكريم

تقديم :

الحديث في هذا المبحث عن الفريق الآخر الذى استحب العمى على الهدى، وجحد بعد أن استيقن، وسلك هذا الصنف من المدعوين طرائق قددا في صده وعتوه :

فمنهممن شكك في القرآن العظيم وفي كونه من عند الله، ومنهم من انتقص شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريمة، ومنهم من جنح الىالتقليل من شأنشريعة الاسلام، ومنهم من رام زعزعة المؤ منين عن عقيدتهم . .

ولقد رسم القرآن المجيد لدعوة كل صنف منهم منهجا له سماته الخاصة وخصائصه العامةوانها لمن أقوم المناهج وأحكمها وأعدلها، كما حدد القرآن الكريم أوصاف كل طائفة منهم وأبرز الشبهات التي قد تعرض لهم . .

ونقتصر الحديث هنا - من بين المعاندين بأصنافهم المتعددة - على ما أوردته سورة النملوهو الحديث عن جحد القرآنالكريموأنه مبتوت الصلة بالله تعالى، ومن أبرز سمات هذا الصنف من المعاندين عدم ايمانهم بلقاء الله .

قال تعالى (ان الذين لا يؤ منون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون ،أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون، وانك لتلقى القرآن منلدن حكيم عليم) الاية : ٤ - ٦ فمن سماتهم على ضوء الايات البينات :

١ - انهم لا يؤ منون بيوم الحساب .

٢ - ولقد زين لهم سوء عملهم فهم عنه لا يحيدون .

٣ - ثم هم في ريبهم يترددون وفي شبههم يتلجلجون .

السمة الأولى - عدم ايمانهم بالآخرة :

وهي علة العلل ، فمن المشركين من يؤ من بالله في الربوبية لكنه ليس ينفعهم وقد كفروا بالالوهية ثم بيوم النشور، ومن كفر بيوم الحساب اتسم بخلال ذميمة:

* فهم يتبعون تقاليد ترسمهاالأهواء فلا يفيقون من الضلال (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤ منون بالآخرة) (١)

*ويميلون دائما الى الباطل ويرتضونه (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤ منون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون) (٢)

---

(١) الانعام : ١٥٠ (٢) الانعام : ١١٣

* وهم طلاب جاه ورياء قال تعالى (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) (١)
* ولقد زين لهم باطلهم الحياة الدنيافهي غايتهم القصوى (وويل للكافرين منعذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) (٢)
* وحتى الدنيا لا يعلمون حقيقتها لفرط جهلهم وكبير غفلتهم فهم(يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) (٣)
* ومن ثم فقد مالوا عن الصراط السوى وتنكبوا الطريق القويم قال جل ثناؤه (وان الذين لا يؤ منون بالآخرة عن الصراط لناكبون) (٤)
* فهم يستحقون أدنى الدركات (للذين لا يؤ منون بالآخرة مثل السوء) (٥) والله يقول عن أهل النار(كلا . بل لا يخافون الآخرة) (٦)

وفي هذا كله وغيره مما حفل به الكتاب المعجز أصدق وأدق وصف للاحوال والعلل التي تكتنف القوم ، وعلى الداعية التبصر بذلك وتقديم العلاج الناجع بأوضح سبيل .

السمة الثانية : لجاجتهم واتباعهم الأهواء :

منذ أن هبط آدم عليه من ربه السلام، كان الناس أحد رجلين، مؤ ثر طريق الحق فهوعلى بينة من ربه، وآخر يتبع الأهواء فهي تعلى عليه بكرة وأصيلا !

ولقد ورد تزيين الأعمال السيئة للفريق المعاند في القرآن العظيم على أنحاءثلاثة:

١ - منسوبا الى الله كما في سورة النمل (ان الذين لا يؤ منون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون) الاية ٤ ، وهذا المعنى يحمل على أصل خلق الطبائع كما في قوله جل ذكره (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) (٧)والداعيةالأريب يحتذى في هذه المسألة حذو القرآنحين عرض شبهة الكفار الذين نسبوا الى مشيئة الله وتزيينه كفرهم، ثم رد عليهم تخرصهم الغبي بأن هذه المشيئة في غيب الله المستور

---

(١) النساء : ٣٨
(٢) ابراهيم : ٣
(٣) الروم : ٧
(٤) المؤ منون : ٧٤
(٥) النحل : ٦٠
(٦) المدثر : ٥٣
(٧) الليل : ٧ - ٨

وليس لهم به اطلاع (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولاحرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون) (١) فلله عزوجل أصل الخلق والمشيئة ، وللخلق حرية الاختيار وفي متناولهم سبل السلام وسبل النكران ! ولا نغادر هذه الشبهة التي يثيرها ويتمسك بها الكافرون الا ونبين أنها حجة باطلة ، قال ابن كثير (لأنها لوكانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمر عليهم ، وأدال عليهم رسله الكرام ، وأذاق المشركين من أليم الانتقام) (٢) ومن الادلة على حرية اختيار المكلفين كذلك قوله تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) (٣)

٢ - كما ورد منسوبا الى أرباب المشركين على نحو قوله تعالى (وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) (٤) وهذا النوع من تزيين الباطل لأهله ينتج عن تراكم ظلمات الضلال على القلب ورينها بحيث يرى السوء حسنا والمنكر معروفا .

٣ - وورد منسوبا الى الشيطان - لعنه الله - وفي سورة النمل (.. وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) الاية : ٢٤

وهذان الوجهان الاخيران يحملان على الاغراء والاغواء ، وقد يرد مبنيا للمجهول كقوله تعالى (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) (٥) وينصرف للاوجه السالفة أو بعضها ولعلماء الكلام وراء هذا نوازع يخرج بيانها عن موضوع الرسالة .

على أن المعاندين لاتتحد مواقفهم تجاه القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان اتحدت على النيل من النبي الكريم عليه السلام وجملة الشريعة والعقيدة ، فلكل وجهة هو موليها .

والسياق القرآني الجليل يلفت النظر اذ يجعل السمتين متلازمتين ايذانا بأن عمه القوم وحيرتهم انما تصدر عن انكارهم الحساب والبعث والجزاء (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون) الاية : ٤ (يعمهون) : يركبون رؤوسهم فلا يبصرون (٦)

وهاتان السمتان الذميمتان من تظاهرتا عليه أورد موارد الهلكة والبوار ، أعاذنا الله منها .

---

(١) الانعام : ١٤٨
(٢) تفسير ابن كثير : ١٨٦/٢
(٣) النازعات : ٣٧ - ٤١
(٤) الانعام : ١٣٧
(٥) البقرة : ٢١٢
(٦) زاد المسير : ٣٢/١

ولفظ (العمه) الوارد في سورة النمل وسم به أربع طوائف من المدعوين في القرآن العظيم :

احداها : المنافقون في قوله تعالى (الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهـــون) (١)

ثانيها : المشركون في قوله تعالى (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) (٢)

ثالثها : الكفار بمفهوم الكفر الواسع ومدلوله الشامل كما في سورة النمل (ان الذين لا يؤ منون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون) الاية ٤

رابعها : قوم لوط الذين تنكبت فطرهم وارتكست عقولهم، وفيهم يقول الحق عزوجل (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) (٣)

ووسم هؤلاء بهذه السمة ينبئ عن أن نفوسهم لا تتجاوز الماديات والمحسوسات فلا هي تستشرف ما عند الله من كرامة وفضل ، ولاهي ترغب في الفكاك عن العادة ومغرياتها ، ولئن كان العمه في البصيرة كالعمى في البصر(٤) ان ذلك ليستدعي الدعاة الى تجليه الحقائق الكونية المحسوسة وتقريبها الى بصائر هؤلاء كي يعوها فيستدلوا بها على الايمان الحق لأن الفطرة وان طمست بالأهواء والشهوات أو اعتراها غبش وكدر الا أنها سرعان ما تنبعث على اختلاف الوسائل والأساليب ـ قوة وضعفا ـ في تحريكها من مرقدها ، والسور المكية حافلة بهذا المنهج الذى عماده دعوة العمه واخراجهم من حمأتهم الى مدارج الايمان والتقوى ..

---

(١) البقرة : ١٥

(٢) الانعام : ١١٠

(٣) الحجر : ٧٢

(٤) لسان العرب ١٣/٥١٩ مادة عمه وهو منقول عن ابن الاثير

السمة الثالثة - تكتنفهم الشبهات والأباطيل :

لا جرم أن منهج القرآن الكريم في حصر دعاوى المعاندين وكشف شبههم وتصنيفها، ثم رسم أساليب ووسائل تفنيدها منهج شمولي فريد لا تند عنه قضية أثارها الجدليون والجاحدون سواء في ذلك مشركوا مكة ومن عاصر الوحي فصدف عنه، أو من ورث الأحقاد والاحن في هذا العصر ممن عرفوا بالمبشرين والمستشرقين وأذنابهم وخطر هؤلاء جسيم وعميم، اذ كان لهم دوريعاب في توجيه كثير من المسلمين وجهات تخرج بهم عن لب الدين وغاياته .

والقرآن العظيم تصدى لهؤلاء جميعا على اختلاف نحلهم ومللهم ووجهاتهم بالرد والافحام ، وسلك منهجا فذا جمع في أطوائه :

١ - عرض الشبهات ، وتصوير الدعاوى الباطلة .

٢ - الرد من منطلقين :

أ - اثبات أن القرآن الكريم من عند الله تعالى بدلائل وحجج ساطعة.

ب - نفي أن يكون لمحمد صلى الله عليه وسلم دخل في النص القرآني، وذلك بأساليب متنوعة .

٣ - الكشف - بعد هذا - عن أسباب عتوهم ودوافع استكبارهم، فتنجلي حقيقتهم ويظهر مكنون صدورهم وخبايا نفوسهم ودوافع بهتانهم.

وهذا كله أصل راسخ من الأصول العامة للدعوة في مراحلها الأولى المتجهة الى التقعيد وترسيخ الأسس الايمانية، ولا تخلو سورة مكية منه الا ما ندر.

واني مورد هنا شبهات أعداء الاسلام على النهج القرآني السابق ان شاء الله، ضمن اطار الايات الثلاث في سورة النمل من غير تطويل ممل ولا تقصير مخل، بعون الله.

أولا - عرض شبهات المعاندين حول القرآن الكريم :

أجمع غابرهم وحاضرهم على أن القرآن الكريم بشرى المصدر، اذ قالوا (ان هذا الا قول البشر)(١) وقالوا (يعلّمه بشر) (٢) ، قالوا : ومن ثم اعترى القرآن ما يعترى أى كلام بشرى من نقص أو تحريف أو خلل . .

وسارت شبههم في اتجاهات ثلاثة تلتقي في هدف واحد

---

(١) المدثر : ٢٥

(٢) النحل : ١٠٣

الاتجاه الاول مايمس النص القرآني من حيث مصدره ومضمونه:

أ - أما من حيث مصدره :

١ - فمنهم من زعم أنه من عند محمد (عليه الصلاة والسلام) نابع من نفسه وتفكيره اخترعه وافتراه، وفي كتاب الله (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هوشاعر)(١)

٢ - أو أنه من عند غيرمن الناس ، ولذا وصفوه بأنه - عليه السلام - (معلّم مجنون)(٢) ، واضطربت افتراءاتهم فمن قائل ان معلمهعجمي اللسان اما سلمان الفارسي أو غيره(٣) وفي هذا يقول جل ذكره(ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر، لسان الذى يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)(٤) ، ومنهم من ألقى القول على عواهنه بلا تحديد ولا برهان(وقال الذ ين كفروا ان هذا الا افك افتراهوأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاؤوا ظلما وزورا ، وقالوا أساطير الأوليـــن اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)(٥)

٣ - ونبغت نوابغ المستشرقين اليوم !! ليقولوا أنه عليه الصلاة والسلاماستقاه :

* اما من التوراة والانجيل (وهما المبدلان المحرفان) وفي هذا قال قائلهم (تبشير النبي العربي(٦) ليس الا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية)(٧) وقال المفترى (لقد أفاد محمد (صلى الله عليه وسلم) من تاريخ العهد القديم)(٨)وقال آخر (التوازى ظاهر بين القرآن وأسفار موسى الخمسة أكثر من سواها من أسفار العهد القديم)(٩)وقال ثالث (لقد انبثق فكر محمد في الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية)(١٠) ، وبرر آخر- كذبا- السبب في ذلك بقوله(حاول محمد (صلى الله عليهوسلم) استرضاء يهود المدينة.. فدأب على الاستشهاد بكتبهم المقدسة !!)(١١)

---

(١) الانبياء : ٦ | (٢) الدخان : ١٤

(٣) ذكر ابن الجوزى تسعة أقوال في ذلك - زاد المسير ٤/٤٩٢

(٤) النحل : ١٠٣

(٥) الفرقان : ٤ - ٥

(٦) هكذا دأب المستشرقون على أن يصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه عربي ولاتجد له ذكر في كتبهم بغير هذا الوصف ، وقصدهم أنه نبي العرب خاصة!

(٧) العقيدة والشريعة في الاسلام لليهودى جولدتسيهر ص ٥ ط ١٩٤٦- القاهرة

(٨) المرجع السابق ص ٩

(٩) تاريخ العرب - فيليب حتي ١/١٧١ ط ١٩٦٥م

(١٠) تاريخ الشعوب الاسلامية - بروكلمان ص ٦٩

(١١) الدعوة الى الاسلام - توماس ارنولد ص ٤٧ ط ١٩٧٠ - القاهرة

* أو أنه عليه السلام استقاه من القصص المنتشرة في جزيرة العرب ! وفي هذا زعموا (أن الدعوة لكي تبلغ غايتها كانت ترجع الى قصص وأساطير معروفة في الجزيرة العربية)(١) وخرجوا من ذلك بنتيجة بدؤوا بها شبههم وهي (ان محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي لهوهو أمر لا يقبل الجدل ! وان كان من المرجح - مع ذلك - أن المعاونة التي حصل عليها من غيرهفي خطته هذه ! لم تكن معاونة يسيرة) (٢)

الـــرد : ونقول لهؤلاء ان كان ثمة تشابه بين القرآن والتوراة فلا يعني ذلك أنه مقتبس منها ، بل هو دليل على أنهما من معين واحد ، والقرآن فوق ذلك مهيمن على الكتب السماوية كلها ، ومن أهدافه تجلية ما طرأعليها من تحريف كلي أو جزئي كما قال تعالى في هذه السورة(ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيـــه يختلفون) الايـة : ٧٦

ب - من حيث مضمون النص القرآني :

وساروا في ذلك من جوانب عديدة، أبرزها :

١ - تعليل اختلاف القراءات وجحافل المستشرقين على أن القراءات الواردةفـي القرآن الكريم انما نشأت بعد مدة من نزول الوحي اى انها نتاج أهواء الناس، وفي هذا قال قائلهم(لقد أقر منذ زمن مبكر من المحتمل أن يكون في القرن الثامن (الميلادى) أن المصحف تمكن تلاوته على أوجه مختلفة تدعى القراءات !! وهذا التعدد في القراءات لم يشعر به أنه قصور أو نقصان في المصحف بل على العكس كانوا يميلون مبدئيا الى أن يروا في ذلك تسامحا محمودا) (٣) ولقد كان جهلهم فاضحا حين زعموا أن منشأ القراءات انما انبثق من (اختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات في المحصول الموحّـد القالب من الحروف الصامته (٤) كانا هما السبب الأول فـــي نشأة حركة اختلاف القراءات (٥) ونسج على منواله آخر فقال(نشأت القراءات السبع لخلو مصحف عثمان من النقط والشكل)(٦) وأفضت مزاعمهم من ثم الى نتيجة خطيرة

---

(١) القرآن - تدوينه وتاريخه - بلاشير ص ٥٥ ط ١٩٧٤ بيروت

(٢) الاستشراق د. زقزوق ص ٨٣ (كتاب الامة) ط رجب ١٤٠٥هـ نقلا عن جورج سايل في مقدمة ترجمته الانجليزية لمعاني القرآن المنشورةعام ١٧٣٦م

(٣) القرآن تدوينه وتاريخه ص ٧٣

(٤) يقصد الكلمات ذات الشكل الواحد اذا خلت من النقط مثل (فتبيّنوا - فتثبتوا)

(٥) مذاهب التفسير الاسلامي لليهودى جولد تسيهر ص ٨ - ٩ ط ١٩٥٥م القاهرة

(٦) تاريخ العرب - فيليب حتي ١/ ١٧٠

وهي أن -(قراءة القرآن تصح بوجوه مختلفة لكن الاساس هو أن يحترم المعنى !(١) وهذ هـ المزاعم بالغة الوهن طاعنة في الوهم ! وكان الأولى بهؤلاء الا يقحموا أنفسهم فيما يجهلونه أو يتجاهلونه وتحقق فيهم قول الله (يصدون عن سبيل الله)(٢)

ومجمل ما يرد به على هؤ لاء :

١ - أن القراءات المشهورة والمتواترة والصحيحة مدارها على التلقي التوقيفي وليس على خاصية الخط العربي كما رامه الملاحدة، فهي قطعية لا ظنية، ونقتصر على مثالين في هذا المقام للتدليل على ذلك ،أحدهما عن النقط والاخر عن الشكل، أما الأول فكقوله تعالى (وماكان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدهااياه)(٣) فربما يقرؤهالمستشرق (أباه) بدلا من (اياه) وحيث أن هذا الوجه محتمل من حيث هيكل الكلمةان خلت من النقط لكن لا تجوز القراءة به ولايتعبد بتلاوته على ذلك الوجه لعدم وجود سند له ، والمثال الثاني ككلمة(غشاوة) التي وردت في موضعين(وعلىأبصارهم غشاوة)(٤) و (وجعل على بصره غشاوة)(٥) وهذه الكلمة مرسومة في جميع المصاحف العثمانية بحذف الألف بين الشين والواو في الموضعين معا ومع ذلك اتفق القراء على قراءتهافي موضع البقرةبكسر الغين وفتح الشين واثبات الف بعدها، واختلفوا في قراءتها فيموضع الجاثية فقرأها بعضهم بكسر الغين وفتح الشين وألف بعدها، وقرأها بعضهم بفتحالغين وسكون السين، ولوقرئ في موضع البقرة كقراءة موضع الجاثية لكان ذلك صحيحا لغةومعنى ولكن لم يقرأ أحد بهذه القراءة في هذا الموضع لعدم ثبوتها فيه، وهذا يدلعلى أن القراءة انما تؤ خذ بالمشافهة والسماع ولا تؤ خذ منخط المصحف ورسمه(٦)كمافهم وزعم المستشرقون.

٢ - نقل الينا القرآن العظيم بطريقي الكتابة على السطور والحفظ في الصدور، فهو متواتر بهذين الطريقين، في لفظه وحروفه وتلاوته وقراءاته وفق قوله تعالى(ان علينا جمعه وقرآنه)(٧) وقوله (ورتلناه ترتيلا)(٨) وقوله صلى الله عليهوسلم(أقرأني

---

(١) المدخل لدراسة القرآن- محمدابوشهبة ص ٢٠٩ ط ١٩٧٣م القاهرة والكلام للمستشرق بلاشير وتلميذه النجيب ! د. مصطفى مندور .

(٢) التوبة : ٣٤ | (٣) التوبة : ١١٤

(٤) البقرة : ٧ | (٥) الجاثية : ٢٣

(٦) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين - عبدالفتاح القاضي رحمهالله ص ٥١و٥٤ ط مصر بدون تاريخ

(٧) القيامة : ١٧ | (٨) الفرقان : ٣٢

جبريل على حرف ،فلم أزل أستزيده حتى انتهى الى سبعة أحرف)(١)

٣ - لم تؤثر عملية التنقيط والتشكيل التي تمت في عهد عبدالملك بن مروان(٢) على ما أورده ابن كثير(٣) في القراءات للسبب الذى ذكره المستشرقون وهو (التسامح المحمود !) وانما حصل التنقيط والتشكيل لاسباب منها درء اللحن الذى كثر ابان انتشار الفتوحات ودخول الناس في دين الله من مختلف الألسنة والثقافات .

٢ - الشبهة الثانية وهي زعمهم على فرض أن القرآن من عند الله فهو انما نزل بالمعنى ! وتمسك من قال به من القدماء(٤) بقوله تعالى(نزل به الروح الأمين على قلبك)(٥) على أن الاية تفيد نزول المعنى، وهو صحيح بيد أنه يجب اعمال النصوص جميعها لا بعضها، فالقرآن من عند الله - تباركت أسماؤه - معنى ولفظا :

* أما المعنى فبالآية التي استدلوا بها ،وقوله تعالى(انما اتبع ما يوحي اليّ ربي)(٦) وقوله(ان أتبع الا ما يوحي اليّ)(٧)

* ومن الآيات التي أفادت أن اللفظ - كذلك - من عند الله قوله تعالى(انا أنزلناه قرآنا عربيا)(٨) وقوله(سنقرئك فلا تنسى)(٩) وقوله(اقرأ بسم ربك الذى خلق)(١٠) وقوله (ورتل القرآن ترتيلا)(١١) وقوله في سورة النمل(وأن أتلو القرآن)الاية: ٩٢

* ومن الآيات التي أوضحت أن المنزل هو المعنى واللفظ معا قوله تعالى (وننزل من القرآن ما هوشفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الاخسارا)(١٢) وقوله في سورة النمل (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) الاية : ٦ أى بلفظه ومحتواه

---

(١) متفق عليه : رواه البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ١١٧٢/٣ ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ٥٦١/١ باب أن القرآن على سبعة أحرف .

(٢) من دهاة الخلفاء الامويين توفي عام ٨٦هـ : الكامل لابن الاثير ١٠٢/٤

(٣) فضائل القرآن ص ٨١

(٤) انظر الاتقان للسيوطي ٤٣/١ والبرهان للزركشي ٢٢٩/١

(٥) الشعراء : ١٩٣ | (٦) الاعراف : ٢٠٣

(٧) يونس : ١٥ | (٨) يوسف : ٢

(٩) الاعلى : ٦ | (١٠) العلق : ١

(١١) المزمل : ٤ | (١٢) الاسراء : ٨٢

الاتجاه الثاني (مايمس شخصية رسول الله صلى الله عليهوسلم)

تقتضي الموضوعية الباحثة عن الحق السيمةوجهها شطره ، أنتكون مبنية على البرهان مؤسسة على الدليل قارعةالحجة بالحجة، وهو المنهج القرآنيللاستدلال العقليعلى مسائل الايمان كافة، وفي سورة النمل قاعدة راسخة له في قوله تعالى(قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) الاية : ٦٤

بيد أن الجاحدينوالحاقدين حادوا عن هذهالجادة ، وطفقوا يرمون رسول اللهصلى الله عليه وسلم بأقذع الالفاظ من غير دليل ولا برهان، وأخذ موقفهم الذميم هذا ألوانا ثلاثة عرضها كتاب الله :

١ - السخرية والاستهزاء :

وعن ذلك قال تعالى (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم، وهم بذكر الرحمن هم كافرون)(١) وقال(واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا)(٢) انهم يستبعدون أن يكون الرسول بشرا، ثم يرون أن الرسول حين يذكر آلهتهم بسوء انما يتطاول على مقامها !! وهذان الأمران وقفا حجر عثرة على طريق ايمان هؤلاء الذين يرونأن الوجاهة الدنيوية منوط بها شرف الرسالةولقد وقف الوليد بن المغيرة وأترابه(٣) في استعلاء(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)(٤) وانك لتلمس الأنفة والاستكبارحين قالوا(أأنزل عليه الذكر من بيننا)! (٥) وكشف الله سوء حالهم فقال(بل هم فيشك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب) ، والسخرية والاستهزاءلا يصدران الا عنجهل قدر نفسه وظن أن لن يقدر عليه !

٢ - صفات نقص ومهانة :

ورموه عليه السلام بها وهو المبرأ منها ومن كل عيبلقد اتهموه بالسحر والكذب والجنون (وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون)(٦)وجاء الرد (وماصاحبكمبمجنون(٧) وعن الاتهام الآخر(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحركذاب)(٨)

---

(١) الانبياء : ٣٦ | (٢) الفرقان : ٤١
(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٦١ وانظر شبهات منكرى النبوة في مفاتح الغيب للفخر الرازى ٢٠/٢٦ في سورة النحل
(٤) الزخرف : ٣١ | (٥) ص : ٨
(٦) الحجر : ٦ | (٧) التكوير : ٢٢
(٨) ص : ٤

(ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون) (١) وقالوا (لونشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اختلاق) (٢) وتولى البارى جل ذكره الرد على هؤلاء فقال (بل جاء بالحق وصدّق المرسلين) (٣) وقال (وماهو بقول شاعر قليلا ما تؤ منون ، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين) (٤) وقال (ومن أصدق من الله حديثا (٥) (ومن أصدق من الله قيلا) (٦)

ومن غرائب ما اخترعه المستشرقون في هذا العصر انه عليه السلام كان مصابا بالهوس! وأن الحالة التي كانت تعتريه ابان نزول الوحي عليه حالة نفسية مرضية- بفتح الراء- كشأن أى مرض نفسي منتشر في بيئات المستشرقين ! وفي هذا قالوا (.. واقتنع محمد آخر الأمر بعد قلق ونزاع نفسي طويل بأنه مكلف بحمل رسالة دينية..) (٧) ومنهم من أغرق في الخيال ففسر حالة الوحي بأنه نوم عميق ! تتمخض عنه رؤيا يراها الرسول الكريم ، قالوا (وان جبريل حين نزل بـ (اقرأ بسم ربك الذى خلق) في حراء وقرأ محمد ما قاله له الملاك وانتهت الرؤ يا هب من نومه فزعا) (٨)

ومن أيسر ما يرد به على هؤ لاء المتأخرين أن لوصح ما تخيلوه وتخبطوا فيه لما سكت عن ذلك كفار مكة الذين أذعنوا لفصاحة واعجاز ما جاء به وعنت له جباه بلغائهم وقد كانوا يتربصون به الدوائر ويتلمسون الهفوات . .

وليس يفوتنا أن نقرر أن تفسير الوحي السماوى والنبوة بالظواهر النفسية على ضوء علوم التجريب اسفاف مبين ، لأن الوحي ليس مشاعا لمن يرغب وليس بالامر الكسبي بل هو اصطفاء لمن أوتوا أهلية له وقابلية لتحمله وأعبائه .

ولئن كا ن هؤ لاء المستشرقون يسلمون بمبدأ الوحي من حيث امكان حدوثه فلا معنى لاتصاف موسى وعيسى بـه دون محمد عليه وعلى اخوانه أفضل الصلاة وأزكى التسليم . والعجب العاجب - بعد هذا - أن ترى المعاندين قديمهم وحديثهم ينعتونه عليه السلام بأنه الصادق الأمين ، فهو ما أقره كفار مكة (٩) وهو ما أكده المتأخرون اذ قالوا ان ذكاءه العظيم ونظره الصائب وسيادته نفسه وقوة ارادته واستعداده للعمل وحياته الواقعية كل ذلك يجعل الزيف في مبدأ رسالته مستحيل القبول (١٠)

---

(١) الزخرف : ٣٠ - ٣١ (٢) ص : ٧ (٣) الصافات : ٣٧
(٤) الحاقة : ٤١ - ٤٣ (٥) النساء : ٨٧ (٦) النساء : ٢٢
(٧) الدعوة الى الاسلام - توماس ص ٣٤
(٨) الفتوحات الكبرى - جون ص ٥٩ ط بغداد
(٩) سيرة ابن هشام ١٩٧/١
(١٠) نظرات استشراقية د . محمد غلاب ط القاهرة ص ٧٣ نقلا عن (حياة محمد - ديرمانجيم ص ١٩٣ .

٣ - صفات كمال ورفعة (الشعر والعبقرية) :

ومنهم من وقف داهشا من اعجاز ما يسمع من القرآن لكنه أخطأ الطريق فوصف الرسول بالعبقرية والشاعرية وغيرها من الأوصاف التي يعدها الناس مواهب ينفرد بها آحاد الناس ، والرسول المصطفى عليه صلوات الله لم يكن بشرا كغيره من سواد الناس بل كان كاملا في خلقه وخلقه بيد أن هذا الكمال البشرى لم يكن وراء ظاهرة القرآن الكريم التي جاء بها من عند الله العزيز الحكيم. .

لقد قالوا عن الرسول (أأنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) (١) وجاء الرد (وماعلّمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) (٢) ، وقالوا عنه كذلك (ان قوة عبقريته الانشائية واتساعها وذكاءه العظيم . . كل ذلك يجعل الزيف في مبدأ رسالته مستحيل القبول) (٣)

وبين الله تبارك وتعالى مصدر الاعجاز وأنه الوحي المنزل فقال (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى اليّ انما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا) (٤)

الاتجاه الثالث - ما يتعلق بتاريخ تدوين القرآن :

وساروا في اثارة الشبهات في هذا الصدد من جوانب عديدة ابرزها :

أ - من حيث التوثيق والتواتر في عهد النبوة : وذلك بقولهم ان القرآن العظيملم يحفظ بالتدوين في عهد الرسول صلى الله عليهوسلم بصورة منتظمة ، ولما دون في عهد الخليفتين أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما دوّن بصورة مشوهة تجرح تواتره !

وفي هذاقال قائلهم (ان فكرة تدوين مقاطع الوحي الهامة التي نزلت في مكة على مواد خشنة من الجلود واللخاف لم تنشأ الا بعد اقامة محمد في المدينة . . وربما كانت تنشأ عنتحس شخصي لبعض نصوص تشتمل على أحكام شرعية كانوا يرونها هامة، ولقد شجع النبيحماسة التدوين هذه، ولكنه لم يجعلها واجبة ، وعلى أى حال فإن هذا التدوين كان جزئيا ومثارا للاختلاف !) (٥)

---

(١) الصافات : ٣٦ | (٢) يـس : ٦٩

(٣) نظرات استشراقية ص ٢٣ نقلا عن حياة محمد ديرمانجيم ص ١٩٣

(٤) الكهف : ١١٠

(٥) القرآن تدوينه - بلاشير ص ٢٩

وهذا الكلام الذى يتكرر في كتب المستشرقين ،يقرر أمورا ثلاثة :

١ - أن القرآن المكي (وهو ثلثا القرآن) لم يدون الا بعدالهجرة ومن ثم كان مظنة ضياع أكثره . ٢- وأن هذا التدوين كان متروكالرغبات أشخاص وميولهم ان شاؤوا دونوا أو تركوا . ٣- وان التدوين الجزئي على هذا الوجه كان مبعث اختلاف الصحابة في القرآن ! وهو أمر يجافي التواتر الواجب لكتاب مقدس، هذامؤ دىكلامهم.

والكلام على هذا الوجه باطل يشوبه بعض الحق، فلقد دون القرآن في العهدالمكي حسب نزوله المنجّم، بيد أن التدوين لم يكن خاضعا للرغبات الشخصية انما كان تدويناشاملا تكلأه عناية الله ، قال السيوطي (١) (وقد كان القرآن كتب كله في عهدرسول الله صلى الله عليه وسلم ،لكن غير مجموع في موضع واحد ولامرتب السور) (٢) والسبب في عدم جمعه في مكان واحد هو تنزله المنجم حسب الأحداث والحاجة الآنية. ، ومن أقرب الأدلة على تدوين القرآن في العهدالنبوى مكيه ومدنيهقوله عليه السلام(لاتكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه) (٣) وفي قصة اسلام عمر (كانت في مكةسنة تسع من البعثة قبل الهجرة بأربع سنين) (٤) أنه أسلم بعد أن قرأ طه مكتوبة فيصحيفة عند أخته يقرئهاوزوجها خباب بن الأرت رضي الله عنهم أجمعين (٥) وقال عليرضي الله عنه(ماكتبنا عن النبي صلى الله عليهوسلم الا القرآن ومافي هذهالصحيفة) (٦)

وقد جمع البعض أسماء الصحابة الذين اشتهروا بكتابة القرآن بين يدى النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وهم :

١- ابوبكرالصديق رضي الله عنه ت ١٣هـ

٢ - عمر بن الخطاب رضي اللهعنه ت ٢٣ هـ

٣ - عثمانُ بن عفان رضي الله عنه ت ٣٥ هـ

٤ - علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ت ٤٠هـ

---

(١) هو عبدالرحمن بن أبي بكربن محمد (٨٤٩ - ٩١١هـ)له نحو ٦٠٠ كتاب البدر الطالع ٣٢٨/١

(٢) الاتقان ٥٧/١

(٣) جزء منحديث رواه مسلم عن أبي سعيد الخدرى في كتاب الزهد ٢٢٩٨/٤ باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٣٩/٢

(٥) سيرة ابن هشام ٣٤٢/١

(٦) جزء من حديث رواه البخارى في كتاب الجزية ١١٦٠/٣ باب من عاهد ثمغدر

٥ - زيد بن ثابت رضي الله عنه ت ٤٥ هـ

٦ - أبي بن كعب رضي الله عنه ت ٣٠ هـ

٧ - معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه ت ٦٠هـ

٨ - خالد بن الوليد رضي الله عنه ت ٢١هـ

٩ - ابان بن سعيد رضي الله عنه ت ١٣هـ

١٠ - ثابت بن قيس رضي اله عنه ت ١٢هـ (١)

على أن استظهار المسلمين للقرآن على مر الاجيال تضافر وتكامل مع التدوين في حفظ هذا الكتاب المعجزعلى نحو ما افتتحت به سورة النمل (تلك آيات القرآن وكتاب مبين) الاية : ١ وهو أمر لا يختلف فيه مسلموهو ماأقر به منصفوا المستشرقين كقولهم (ان تعاليم محمد انتجت جماعة من أعظم الرجال قدرا فكانوا الحفظة على نصوص القرآن المقدسة وهم وحدهم الذين وعوها عن ظهر قلب، وهم الحراس المتحمسون لحفظ كل ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من كلام ووصايا) (٢)

ب - في عهد الخليفتين أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما :

ادعى المبطلون أن القرآن دخله النقصان ابان تدوينه وجمعه في عهد هذين الخليفتين ، وارتكزوا في ذلك على كثيرمما تمذهب به طوائف من غلاة الشيعة، وموجز ما أثاروه من شبه في هذا الموضوع هو زعمهم أن الخليفتين أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما أدخلا في القرآن ماليس منه وحذفوا منه ما كان فيه! كاضافة أبي بكر الآية (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) (٣) التي تلاها إثر موت النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا : ادخلها في القرآن فأقره المسلمون على ذلك ! ! (٤) ولو أدخلها ابوبكر أو غيره لما سكت عن ذلك الصحابة وفيهم الحفظة والكتبة فسكوتهم حجة على سلامة القرآن من التحريف وليس العكس كما ادعوا ، على أن تدوين القرآن الذى تم على عهد الخليفتين ابي بكر وعثمان رضي الله عنهما كان على أسس علمية تعد من أوثق ما يمكن أن يتم به تدوين ، اذ كان زيد ومن معه لا يكتبون آية الا بشاهدين على انهما سمعاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) وأى صورة أوثق من هذه لاثبات التواتر ، وتدوين القرآن على هذا الوجه لم يمكن من حفظهم لاختلاف القراءات ولمظنة النسيان (٦) انما كان من عين المكتوب بين يدى الرسول صلى الله

---

(١) تاريخ القرآن د. محيسن ص ١٢٩

(٢) الدعوة الى الاسلام - توماس ارنولد ص ٦١

(٣) آل عمران : ١٤٤

(٤) مناهج المستشرقين ٤٣/١ ط ١٤٠٥هـ الرياض نقلا عن بول كازانوفا (محمد ونهاية العالم)

(٥) الرواية بطولها في البخارى ١٩٠٧/٤ فضائل القرآن - باب جمع القرآن .

(٦) المرشد الوجيز لابي شامة ص ٥٧ ط ١٣٩٥هـ بيروت

عليه وسلم،هذا وجه، ووجه آخروهو ان البينة لم تكن على أصل القرآن فقدكان معلوما لهم انما كانت على ما أحضروه من الرقاع المكتوبة على أنها كتبت بين يدى الرسول صلى الله عليهوسلم وباذنه على ما سمع من لفظه(١) وثمة فروق وأهداف من تدوين أبي بكر وعثمان يطول ذكرها فليراجع مظانها(٢)

ومما يلاحظ على مزاعم المعاندين في هذهالشبهات والاغاليط :

١ - التردد والحيرةوالاضطراب وهم كما وصفهم الله في سورة النمل(ان الذين لايؤ منون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون)الاية

٢ - الانطلاق من نتيجة مقررة سلفا على عكس ما يجب أن يكون عليه الباحثمن الحق ،فقد أعلنوها صريحة(وقال الذين كفروا لن نؤ من بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه)(٣)(وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكمتغلبون)(٤)

*** ***

ثانيا - الرد عليهم :

تخلل العرض السابق بعض ردود لشبهات جانبية تفرعت عن الزعمالاول وهو أن القرآن الكريم بشرى المصدر، وهنا رد على هذا الزعم انطلاقامن قوله تعالى في سورة النمل (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) الاية : ٦ على ضوء منهج القرآنفي الردعلى المعاندين ، وذلكبطريقين :

الطريق الاول : (اثبات أن القرآنالكريم من عند الله)وذلك بوجوه :

١- النص الصريح على ذلكوهو كثير في القرآنوبتعابير متنوعة وقد تقدم كثيرمنهاكقوله (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق)(٥) وفي سورة النمل(وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) الاية : ٦

٢ - تقرير اعجاز القرآن ،وقد تقدم ذكروجوهها المشتهرة(٦)وعجز الناس على مرالعصور عن الاتيان بمثلهأو بسورة منهدليل متجدد بتجددالتحدى العواكب لمراحل تاريخ القرآن ولكل مرحلة خصائصها العلمية والفكرية !

٣ - دلالة النص القرآني بدراستهـ على ضوء شتى المعارف اللغوية والنفسيةوالاجتماعية وكل فروع العلم التي توصل اليها البشروالتي يمكن أن يتوصلوا منخلالها الى معرفةقائل النص واستكناه أحوالهوفي القرآن العظيم(أفلا يتدبرون القرآن ،ولوكان من عند غير اللهلوجدوا

(١) المرجع السابق
(٢) المدخل لدراسة القرآنص ٢٧٣
(٣) سبأ : ٣١
(٤) فصلت : ٢٦
(٥) الجاثية : ٢٩
(٦) راجع ص ٢٤ من هذه الرسالة

فيه اختلافا كثيرا (اقال الدكتورمحمد دراز (للحقيقة قوة غلابة تنفذ من حجب الكتمان ، فتقرأ بين السطور، وتعرف في لحن القول) (٢) ومهما ابدع الباحثون في دراسةالنص القرآني فانهم غير واجدين شيئا ينسبونه الى غيرالله تقدست أسماؤه.

الطريق الثاني - (بيان أنلا دخل لمحمد صلىاللهعليهوسلمفي انشاءالنصالقرآني) فهو عليه الصلاة والسلام كغيره من الناس في هذا المضمار، ليست له أدنى ارادة في الاتيان بالنص القرآني من تلقاءنفسه أو الكف عنه،والحديث عن ذلك في القرآن من وجوه :

١ - توجيهه عليه السلام ومعاتبته: وهذا دليل على أن القرآن خارج عن الذات المحمديةكما في قوله تعالى (عفى الله عنك لم أذنت لهم..) (٣) وقوله(عبس وتولى..) (٤) وقوله(يا أيها النبي لمتحرم ما أحل الله لك..) (٥) بل هناك آيات تتحدث عن أخص خصائص الانسانممالا يود اظهارهللناس ،وبينه القرآنبيانا للحكم الشرعيكقوله(واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسكعليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسكما الله مبديه..) (٦)ولذا قالت عائشة رضي الله عنها(من حدثك أن محمدا صلى الله عليهوسلم كتم شيئامما انزل عليه فقد كذبوالله يقول(يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك) (٧) (٨)

٢ - انتفاء أن يكونلرسولالله مطمع في الرسالةقبل البعثة: فلم يكن يدرىأنه سيكون نبيا يوحى اليه(وماكنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك) (٩) (قل لوشاءاللهما تلوته عليكمولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبلهأفلاتعقلون) (١٠)

٣ -ولاحول لهولاطول في التصرف في القرآن بعد نزوله: فهوعليهالسلام لا يملك الامساك عن الوحيان نزل ! أو كتمانه بعد أنيؤمر بالتبليغ بل هو مأمور باتباعمايوحى اليهقالتعالى (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان اتبع الا مايوحى اليّ) (١١) وقال(واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين

---

(١) النساء : ٨٢
(٢) النبأ العظيم ص ٣٥
(٣) التوبة : ٤٣
(٤) عبس : ١
(٥) التحريم : ١
(٦) الاحزاب : ٣٧
(٧) المائدة : ٦٧
(٨) رواه البخارى - كتاب التفسير ٤/١٦٨٦ باب يا أيها الرسول بلغ
(٩) القصص : ٨٦
(١٠) يونس : ١٦
(١١) الانعام : ٥٠

لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله، قل مايكون لي أن أبدله من تلقاءنفسي ان اتبع الا ما يوحى اليّ اني أخاف ان عصيت ربي عذابيوم عظيم) (١) وقال (قل ماكنت بدعا من الرسل وما أدرى مايفعل بي ولابكم، ان اتبع الامايوحى اليّ وما أنا الا نذير مبين) (٢)

٤ - الاستحالة العقلية : يتفق العقلاء على أن ذا الخلق العظيم المترفع عن السفاسف والرذائل له سيرة حميدة بين الناس، ومحمد سيد الخلق وامام المتقين صلى الله عليه وسلم مجيؤه الى الناس كافة بهذا القرآن الذى هو قمة فيكل وجوه الاعجاز ثم اسناده الى الله لهو دليل باهر على صدقه ، وفي هذا يقول الدكتور محمد دراز(نعرف أن كثيرامن الادباء يسطون على آثار غيرهم فيسرقون منها ماخف حمله وغلت قيمته وأمنت تهمته، أما أن أحدا ينسب لغيره آثار عقله وأغلى ماتجود به قريحته ، فهذا مالم يلد الدهر بعد !) (٣)

ثالثا - بيان سبب انكارهم ودوافع تكذيبهم :

وهذه ثالثة الحلقات الكاشفة ضلال الجاحدين ،المبينة أصل العلة في انكارهم أن يكون القرآن المجيد من عند الله تباركت أسماؤه، وأسباب الجحود الرئيسة ثلاثة تتضح باستقراء الايات التي تحدثت عن موقفهم من القرآن :

السبب الاول (اتباع الهوى) :

وهو السبب المطرد لصدودهم العام عن قبول الخير والحق والفضيلة في رسالات الله كلها ، ولقد نص القرآن الكريم على أن اتباعهم أهواءهم كان وراء جحودهم وانكارهم قال تعالى مقررا اعجاز كتابه وكاشفا حالهم(قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين ، فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهمومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لايهدى القوم الظالمين) (٤)

السبب الثاني : (انكار ما جهل) :

وهو من أسباب جحودهم هذا القرآن ومن جهل شيئا عاداه قال تعالى مبينا هذه العلة(أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله، كذلك كذّب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) (٥) قال بعض السلف (٦) في القرآن من جهل

---

(١) يونس : ١٥ (٢) الاحقاف : ٩ (٣) النبأ العظيم ٢٢
(٤) القصص : ٤٩ - ٥٠ (٥) يونس ٣٨ - ٣٩ (٦) زاد المسير ٤/ ٣٣

شيئا عاداه في موضعين : الموضع السابق ، وفي قوله(واذ لم يهتدوا فسيقولون هذا افك قديم)(١) والقرآن ليس مستعص فهمه بل هو داخل في حيز الادراك وانما نشأ جهلهم به من تجاهلهمواعراضهم وذلك في حالين(أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر وتقليدا للآباء، ثم كذبوه بعدالتدبر تمردا وعنادا)(٢) (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل انا عاملون)(٣)

السبب الثالث - (استبعاد رسالة بشر)

وهو مطرد في كل رسالات الله، فقال مشركو مكة(هل هذا الابشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون)(٤) قال صاحب الكشافوالمعنى: انهم اعتقدوا أن الرسول لايكون الا ملكا، وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحرومعجزته سحر ! (٥) ورد الله عليهم بقوله(قل انماانا بشر مثلكم يوحى اليّ انماالهكم اله واحد)(٦) قال السيوطي(ومن خصائصهصلى الله عليهوسلم أن الله تعالى أقسم على رسالته فقال(يس. والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين)(٦) (٧)ومن حكمة الله أن يبعث للناس رجلا منهم يفهمون كلامه ويقتدون بفعاله وفي هذا قال تبارك وتعالى(قل لو كان في الارض ملائكةيمشون مطمئنين لنزّلنا عليهم من السماء ملكا رسولا)(٨)وثمة أسباب أخرى تصدهم عن الحق تنضوى تحت ما تقدم(٩)

هذه لمحة مقتضبة عن منهج الدعوة الى التصديق بكتاب الله تثبيتا للمؤمنين، وتبكيتا للجاحدين (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى، انمايتذكر أولو الألباب)(١٠)

---

(١) الاحقاف : ١
(٢) تفسير النسفي ٢/١٦٤
(٣) فصلت : ٥
(٤) الانبياء : ٣
(٥) الكشاف ٢/٥٦٢
(٦) يس : ١ - ٣
(٧) الخصائص الكبرى ٢/٣٢٧ ط ١٤٠٥هـ بيروت
(٨) الاسراء/ ٩٥
(٩) انظر بتوسع تفسير النسفي ١١/٨٢
(١٠) الرعد : ١٩

وما أصدق وأتم وأحكم قول الله تبارك وتعالى في سورة النمل (وانك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم) الاية : ٦ فلقد جمعت هذه الآية الشريفة عناصر خمسة في سبع كلمات :

١ - شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وذلك في قوله (وانك)وقوله (لتلقّى) بصيغة المخاطب .

٢ - شخصية جبريل عليه السلام المستوحاة من كلمة (لتلقّى) المبنية للمجهول ومن علل البناء للمجهول كون الفاعل معلوما .

٣ - الوحي المعبر عنه بالتلقّي ، وتقدم كيفيته في ثنايا هذا الباب .

٤ - المادة المتلقاة وهي القرآن العظيم وهو كلام الله جل وعلا ، وهو مقروء مكتوب (تلك آيات القرآن وكتاب مبين) الاية ١

٥ - الذات العلية، فالقرآن (من لدن) الله تبارك وتعالى الحكيم العليم.

الفصـــــل الثالث :

(اختلاف بني اسرائيل في ضوء القرآن الكريم)

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : اختلافهم في الألوهـيـة .

المبحث الثاني : موقفهم من النبوة والانبياء.

المبحث الثالث : تحريفهم التوراة والانجيل .

*** ***

قال تعالى : (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون. وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم)

سورة النمل : الاية : ٧٦ - ٧٨

تقديم :

تنصب عامة الموضوعات التي تناولتها السور المكية في بحث قضايا المشركين وعرض مناهج دعوتهم وكشف شبههم وتزييف ما هم عليه من باطل وضلال.. ولذا لا ترى في هذه السور(وهي نحو ثلثي القرآن) أخبارا مفصلة أو عرضا مسهبا لمناهج دعوة أهل الكتاب سوى قصص أنبيائهم وما لاقوه من مشاق وعناء ..

ولأهل الكتاب في القرآن العظيم سمات خاصة، ولدعوتهم سمات خاصة كذلك ، ميّزوا بذلك كاتباع كتب سماوية من حيث الأصل التاريخي وان اعتراها التحريف على أيديهم على مر الأيام.

وتشمل كلمة(بني اسرائيل) اليهود والنصارى، فالأولون أتباع موسى عليه السلام، ويرد ذكرهم في كتاب الله كاتباع شريعة سابقة وهي شريعة التوراة ويصفهم القرآن المجيد بقوم موسى ، أما النصارى فهم - في الأصل - أتباع المسيح عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام المنتسبون الى شريعة الانجيل الذى نزل مصدقا لما بين يديه من التوراة وليحل لبني اسرائيل بعض الذى حرم عليهم، ولذا يقدس النصارى الى اليوم الكتابين ولا يقدس اليهود سوى التوراة.

ولقد كان العرب في جاهليتهم ينظرون الى بني اسرائيل نظرة تبجيل واحترام لما اشتهر عنهمن توارث الكتب السماوية والتنبؤ بظهور خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم.. وكانوا يتوعدون جيرانهم من أهل المدينة بقولهم و انه قد تقاربزمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم)(١) (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا بـــه، فلعنة الله على الكافرين)(٢)

ولما كفرت سادات قريش بمحمد صلى الله عليهوسلم اذاعوا عنه جملة ما أذاعوه وافتروه آنه - عليه الصلاة والسلام - يستمد هذا القرآنويأخذه من أهل الكتاب فرد الله عليهم بقوله(ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر، لسان الذييلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)(٣) فالقرآن العظيم من أدلة كونه من عند الله العزيز الحكيم - فضلا عن اعجازه - كونه عربي اللسان، ثم هو : يقص على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيهيختلفون فهو مهيمن على الكتب السابقة يخبربما فيهاوما حرف منهاثم يزيد عليهاوفي هذا قال تعالى في سورة النمل(ان هذاالقرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) الاية : ٧٦ فلو كان مقتبسا من كتب بني اسرائيل كما زعموا لاتفق معها في المعطيات العلمية والتاريخية بكل دقائقها.. شأن الاصل والصورة المقتبسة منه ! لكنه يتفق معها في بعض ويخالفهافي بعض ويزيد عليهاالكثير - فما اتفق معها فيه فهو الحق الذى لم تمتد اليه يد التحريف المجرمة.

اذ جميع الكتب من عند الله، والايمان بها جميعا من أركان الايمان الستة.

- وما اختلف فيه، فالحق ما نطق به القرآن المجيد لسلامته من التحريف والتزييف وقد تعهد الله بذلك فخلده سالما من عبث العابثين وغول الغائلين.

ولقد ذكر أهل التفسير أن ما اختلفت فيه بنو اسرائيل يعم قضية الألوهية، وأخبار الانبياء وجملة من الشرائع اذ هي أهم ماحرفهأهل الكتاب من التوراة والانجيل(٤)

وعلى هذا نقسم هذا الفصل الى ثلاثة مباحث :

١ - ذكر ما اختلف فيه بنو اسرائيل في الألوهية.

٢ - وموقفهـم من الأنبياء على ضوء سورة النمل والذين وردت أخبارهم فيها، ثم ايراد طرف من التشريع الذى اختلفوا فيه

٣ - تحريفهـم التوراة والانجيل وأنواعه وأبرز الأدلة عليـه .

ونتبع في ذلك المنهج الوصفي التاريخي بقص أكثر الذى هم فيه يختلفون.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢١١/١ (٢) البقرة: ٨٩ (٣) النحل: ١٠٣

(٤) مفاتح الغيب ٢١٦/٢٤ والظلال ٢٦٦٤/٥ والالوسي ١٩/٢٠ ط دمشق والشوكاني ١٥٠/٤

المبحث الأول - اختلاف بني اسرائيل في الألوهية

اولا - الذات الالهية في عقيدة اليهود :

يجد المتأمل في كتب اليهود التي يقدسونها أن عقيدتهم مرت في تصور الذات الالهية بمراحل عديدة من التحريف والتزييف، فهم وان كانوا قد عرفوا التوحيد الذى لا زالت له نصوص كثيرة في توراتهم المتداولة اليوم الا أنهم جعلوا الههم خاصا بهم دون غيرهم انطلاقا من عقدة الاختيار، فهم على هذا في زعمهم أبناء الله وأحباؤه

ثم وصفوا الههم الخاص بهم بأوصاف عديدة يبدو أنهم أدخلوها بعد انقراض عصر الانبياء كداود وسليمان ——— وعيسى عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام اذ كانوا يحكمون بما في التوراة كما يفهم من قوله تعالى (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) (١)

أما اليوم فيلاحظ أن اله اليهود يتصف بأمور هي من صفات البشر وسائر المخلوقات مثل

١ - التجسيد ، فهو مرة يظهر في شكل عمود ففي التوراة المحرفة (وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، وليلا في عمود نار ليضئ لهم (٢) ومرة (يكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه !!) (٣) ، ومرة يمشي على الأرض ويكلم الناس كواحد منهم، ففي توراتهم (وظهر الرب له (اى ابراهيم) عند بلوطات ممرا (٤) وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد الى الأرض) (٥)

والنصوص الدالة على التجسيد كثيرة مستفيضة سقنا منها طرفا ..

٢ - التشبيه : فاله اليهود يشبهه الناس في الصورة ! وفي توراتهم المتداولة (سافك دم الانسان بالانسان يسفك دمه ، لأن الله على صورته عمل الانسان) (٦) وفيها أيضا (وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا) (٧) (٨)

---

(١) المائدة : ٤٤
(٢) سفر الخروج ١٣ : ١٢
(٣) سفر الخروج ٢٣ : ١١
(٤) يبدو أن هذا اسم مكان وموضع بالشام
(٥) سفر التكوين ١٨ : ١ - ٢
(٦) سفر التكوين ٩ : ٦
(٧) سفر التكوين : ١ :
(٨) وليس التشبيه هنا مفضيا الى غير التجسيد ، وليس هو كقوله عليه السلام (خلق الله آدم على صورته) في البخارى ٥ / ٢٢٩٩ كتاب الاستئذان في أوله . وانظره في الفتح ١١ / ٣ قال ابن حزم لأن قوله (كشبهنا) منع التأويلات وسد المخارج وأوجب شبه آدم لله عز وجل لا بد اذ الشبه والمثل معناهما واحد وحاشا لله أن يكون له مثيل أو شبيه - الفصل ١ / ١١٨

٣ - الجهل والندم والاسف والحزن !

ففي كتبهم(ورأى الرب أن شرالانسان قد كثر في الأرض ، وان كل تصور أفكارقلبه انماهي شرير كل يوم فحزن الرب أنه عمل الانسان في الارض، وتأسف في قلبه، فقال الرب امحو عن وجه الأرض الانسان الذىخلقته، الانسان مع بهائم ودبابات وطيورالسماء لاني حزنت اني عملتهم !!)(١)

٤ - التعب :

في كتبهم(في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر كل مافيها ، واستراح في اليوم السابع !)(٢)

ومن هذا يتضح الى أى مدى دخل التحريف في كتبهم وقد استحفظوها وكيف حفلت هذه الكتب بالوثنية التي نزلت كتب الله لانقاذ الناس منها .

ثانيا - تصحيح المفاهيم المنحرفة لدى اليهود في الالوهية على ضوء القرآن الكريم

تدور آيات الذكر الحكيم على محور توحيد الله - عزوجل - في الربوبية والألوهية، والاسماء والصفات .

* فهو سبحانه منزه عن الشبيه والمثيل قال تعالى(ليس كمثله شيء وهوالسميع البصير)(٣) وقال في مطلع سورة النمل في قصة موسى (فلماجاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها ، وسبحان الله رب العالمين)(القرآن/٨) قال ابن كثير(أى الذى يفعل مايشاء ولا يشبهه شيء من مخلوقاته ولا يحيط به شيء من مصنوعاته)(٤)

* ونفى عن نفسه الشريك والند والولد فقال(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ولله ملك السموات والأرض ومابينهما واليه المصير)(٥)

* وهو منزه عن أن يراه بشر في الدنيا ، ولما طلب موسى قائلا (رب أرني أنظر اليك قال لن تراني. ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلّى

---

(١) سفر التكوين ٦ : ٥ - ٧
(٢) سفر الخروج ٢٠ : ١٠ - ١١
(٣) الشورى : ١١
(٤) تفسير ابن كثير ٣/٣٥٧
(٥) المائدة : ١٨

ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) (١)

* وهو عزوجل منزه عن صفات النقص ولقد رد على اليهود في كتاب يتلى الى يوم القيامة اذ قال (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) (٢)

* ولا يلحقه تبارك وتعالى نصب ولا تعب قال تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) (٣)

* وهو تبارك أسماؤه عالم الغيب والشهادة فلا يلحقه ندم ولا حزن ولا أسف وفي سورة النمل (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) الاية: ٦٥

ثالثا - عقيدة النصارى في الذات الالهية :

تقوم عقائد النصارى في الالوهية حسبما يقرره القرآن المجيد ويفنده على :

١ - التثليث والايمان بثلاثة آلهة (ويسمونه : أقانيم) .

٢ - صلب المسيح فداء عن الخليقة.

وهم على الجملة مختلفون أشد الاختلاف في هاتين الركيزتين ..

أما الوهية المسيح عند النصارى :

فينقسمون فيه الى طوائف عديدة ، اندثر بعضها (٤) واستقر عامتها على اتجاهين :

١ - النصارى الكاثوليك catholic وهم النصارى الغربيون الخاضعون للفاتيكان وعقائدهم مبسوطة في المراجع العربية تحت اسم (اتباع الكنيسة الرومانية أو الملكانيين) (٥) ويرى هؤلاء ومعهم فريق البروتستانت (٦) أن التثليث ثلاث ذوات ، وعلى هذا فالمسيح

---

(١) الاعراف : ١٤٣ | (٢) المائدة : ٦٤

(٣) ق : ٣٨ | (٤) كفرقة المرقيون وابيون والاريسيون والشمشاطي

(٥) انظر الآثار الباقية للبيروني ص ٢٨٨ ط بغداد ، والفصل لابن حزم ١/٤٨ -٤٩ والملل للشهرستاني ١/٢٢٢ ط ١٤٠٢هـ بيروت وتفسير ابن كثير ١/٥٩١ والاسفار المقدسة د. علي وافي ص ١١٤ - ١١٦ ط مصر (بلا تاريخ) .

(٦) انشقت هذه الفرقة Protestant. عن الكاثوليك في أواخر القرن ١٥م واطلقوا على أنفسهم هذه التسمية ومعناها المحتجون احتجاجا على فساد الكنيسة الكاثوليكية وانحراف رجال الدين فيها واحدثوا الكثير من التغييرات في فهم الطقوس بيد أنهم ظلوا في صلب العقيدة على ما كانت عليه الطائفة الأم: محاضرات الكاتب في مادة الاديان الملقاة على طلاب كلية الدعوة واصول الدين .

وانظر محاضرات في النصرانية لمحمد ابي زهرة .

عندهم اله مستقل، وزعموا أن الاب اله والابن اله وروح القدس اله، والكل اله واحد ! (١) والى مذهبهم هذا يشيرقوله تعالى (لقد كفر الذينقالوا ان الله ثالث ثلاثة) (٢)

٢ - النصارى الارثوذكس Orthodox وهم الشرقيون ويعرفون قديما باليعاقبة(٣) ويرى هؤلاء أن (الاقانيم) الثلاثة صفات لذات واحدة، والى مذهبهم يشيرقوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم)(٤)

فالنصارى في اختلاف عميق في الهية المسيح ، واليهود يرونه كعامة الناس بل اتهموا أمه الصديقة بماهي منه براء وزعموا قتلهوسجل عليهم القرآن ذلك(وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول اللهوما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) (٥)

مسألة صلب المسيح

يجمع النصارى على صلبه على أيدى اليهود وقد أوردت أناجيلهم ذلك في مواضع(٦) وعللوا الصلب بانه من أجل تكفير خطايا البشر(٧) وهم في أشد الخلاف في الجانب المصلوب منه بعداعتقادهم الوهيته اهو الناسوت ام اللاهوت(٨) (٩)

ويعتقد اليهود أنهم قاموا بصلبه لخروجه على معتقداتهم، فثمة اتفاق على صلب المسيح بين اليهود والنصارى ، وهناك خلاف حول العلة من الصلب أو فلسفةالصلب وهوخلاف يمتد الى جذور معتقدات الفريقين، ولقد قال القرآن الحكيم كلمته الفصل في ذلك فبين حقيقة اختلافهم وكشف عن أصل خلافهم وفيمايلي اجماله:

رابعا - حقيقة المسيح في القرآن الكريم :

- قص كتاب الله النبأ الحق وبين حقيقة المسيحفصلبذلك بين المختلفين من بنياسرائيل فلقد قرر بأنه :

١ - بشر، حمل به وولد وسعي كسائر الناس وكان يأكل الطعام ويعاشر الناسفقال

---

(١) اقرأفي هذا (المسيحية - نشأتها وتطورها - شارلز جنبير) ط بيروت وهو من ترجمة د. عبدالحليم محمود شيخ الازهر الاسبق ، ومفاتح الغيب ٦٤/١٢
(٢) المائدة : ٧٣
(٣) اختلفوا في نسبة ذلك، ومعناهاعلى التسمية الحديثة اصحاب المذهب المستقيم
(٤) المائدة : ٧٢
(٥) النساء : ١٥٦ - ١٥٧
(٦) انجيل متى ٢٧ : ٤٥- ٥٠ ومرقص ١٥ : ١-٤٧ ولوقا ٢٣ ويوحنا ٣ : ١٦
(٧) انجيل مرقس ١٠ : ٤٤ ويوحنا ٣ : ١٦ | (٨) مفاتح الغيب ١٠٣/١١
(٩) يرى النصارى ان المسيح عليه السلام ذو طبيعتين الهية وانسية فأطلقوا على الاولى اللاهوت وعلى الثانية الناسوت .

(.. فحملته فانتبذت به مكانا قصيا..)(١) وقال(ماالمسيح ابن مريم الارسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام)(٢)

٢ - وقرر أنه ولد من غير أب ، فعن مريم عليها السلام(قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا)(٣)

٣ - وهو عبد لله كسائر خلقه(قال اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا)(٤)

٤ - وهو رسول دعا الى توحيد الله(ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هوربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)(٥)

٥ - وانه لم يصلب بل رفعه الله اليه، قال تعالى ردا على زعم اليهود (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما..)(٦)

---

(١) مريم : ٢٢
(٢) المائدة : ٧٥
(٣) مريم : ٢٠ - ٢١
(٤) مريم : ٣٠
(٥) الزخرف : ٦٣ - ٦٤
(٦) النساء : ١٥٧ - ١٥٨

المبحث الثاني - أنبياء سورة النمل في كتب بني اسرائيل :

تتحدث التوراة المتداولة عن الانبياء فتصفهم كثيرا بأقبح الصفات وأرذل النعوت من مثل اتهامهم نوحا عليه السلام بشرب الخمر(١) ورميهم لوطا عليه السلام بالزنا - والعياذ بالله - بابنتيه (٢) فليس للانبياء الذين يقول الله عنهم في كتابه (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (٣) ذاك المقام الذى اصطفاهم الله له، ولقد أغفلت كتبهم المحرفة قصص كثير من الانبياء - ولاسيما العرب منهم - معن قص الله في القرآن العظيم أخبارهم هذا عن التوراة.

أما الانجيل فحفل بأخبار الكثير من الانبياء معن لايعلم حقيقة حالهم الا الله عزوجل قال أحد المستشرقين (ولايذكر القرآن من أشخاص الانجيل ذكرا واضحا الا زكرياويوحنا المعمدان (اى يحي) ويسوع (اى عيسى) ومريم) (٤)

ونقتصر الحديث هنا على أخبار الأنبياء الواردة قصصهم في سورة النمل العكيقونبيّن :

١ - ماخالف فيه القرآن كتب بني اسرائيل .

٢ - وما زاد عليها ماليس فيها .

٣ - البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم.

وبغيتنا في ذلك أن نثبت بالدليل العلمي أن هذا القرآن من عند الله العزيز الحكيم وليس مقتبسا من كتب بني اسرائيل وان كانت على الحق المنزل من عند الله قبل أن تمتد اليها يد التحريف والتبديل .

أولا - ماخالف فيه القرآن العظيم كتب بني اسرائيل :

١ - موسى عليه السلام :

من معجزاته التي خالف فيها القرآن كتب اليهود ،معجزة اليد من حيث علة بياضها ، ففي القرآن في هذه السورة الجليلة (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضـــاء من غير سوء)الاية : ١٢ أما التوراة المتداولة ففيها (.. فادخل يده في عبه ثم أخرجها واذا يده برصاء مثل الثلج) (٥) والبرص مرض فهو فضلا عن كونه عيبا خلقيالاتتحقق

---

(١) سفر التكوين ٩ : ٢٠ - ٢٥

(٢) سفر التكوين ١٩ : ٣٠ - ٣٦

(٣) الانعام : ٩٠

(٤) تاريخ العرب - فيليب حتي ١٧٢/١

(٥) سفر الخروج ٤ : ٦ - ٧

به معجزة نبي لان الانبياء لهم مقام محمود في الكمال البشرى وهذا ما نص عليه القرآن العظيم حين قال (من غير سوء)

وكذلك لمعان وجه موسى وليس له ذكر في القرآن البتة ففي التوراة المحرفة: (ولما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل ان موسى لا يعلم ان جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه، فنظر هارون وجميع بني اسرائيل موسى واذا جلد وجهه يلمع فخافوا أن يقتربوا اليه) (١) ولعل هذا اللمعان كان لليد من غير سوء فنقله اليهود الى الوجه تحريفا، وكون موسى لا يعلم بلمعان وجهه ينفي كونها معجزة ! أما خوفهم أن يقتربوا اليه فينافي تبليغ الدعوة، قال شارح هذا النص (وماظهر من النور على وجهه بحيث لا يستطيع أحد أن ينظر اليه فاحتاج ان يستر وجهه ليكلمهم) !! (٢)

٢ - داود عليه السلام

ذكرت كتب اليهود ما ملخصه أن داود عليه السلام اغتصب امرأة جاره أوريا الذى كان في ميدان القتال واستولدها ثم قتل زوجها وضمها الى زوجاته!! (٣)

وهذا بعيد عقلا وشرعا عن مكانة الانبياء (٤) وكيف وقد قال عن عبده داود عليه السلام (نعم العبد انه أواب) (٥) وقال (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) (٦)

٣ - سليمان عليه السلام

* البهتان العظيم : في كتب اليهود الافك المبين الذى الصقوه بنبي الله داود عليه السلام فقالوا أن سليمان - عليه السلام - ولد نتيجة لاغتصاب والده زوجة اوريا كما تقدم .. (٧)

* عبادته الاوثان : ومع هذه السفسوفات قالوا ان سليمان وهو النبي الموحى اليه، انساق مع اهواء زوجاته فعبد آلهتهن الاوثان !! (٨) ونسج مؤرخوهم على هذه الاباطيل كثيرا من الخزعبلات ودندنوا حولها (٩)

---

(١) سفرالخروج ٣٤ : ٢٩ - ٣٠ | (٢) تنقيح الابحاث لابن كمونة اليهودى
(٣) سفرصموئيل ١١ : ٢ و٢٦ | ص ٢٤ ١٩٦٧م القاهرة
(٤) لابن حزم كلام نفيس في هذا انظره في الفصل ١٨/٤
(٥) ص : ٤٤ | (٦) ص : ٤٠
(٧) انظر الفصل ١٤٧/١ - ١٤٨ | (٨) سفرالملوك الاول ١١ : ٤ - ١٣
(٩) طالع قصة الحضارة ول ديورانت ٣٣٣/٢

٤ - صالح عليه السلام :

ليس له في كتبهم ذكر البتة وسيجيء سبب ذلك .

٥ - لوط عليه السلام :

مما خالف فيه القرآن العظيم كتب بني اسرائيل أن زوجة لوط التي قال اللهعن مهلكها مع قومها في سورة النمل (.. فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين) الاية : ٥٧ قالت التوراة المتداولةعنها أنها وهي سائرة للابتعاد عن المدينة التي نزل بها العذاب التفتت فصارت عمود ملح (١)ولم يجيء في القرآن ..

وذكر الاستاذ عبدالوهاب النجار أن التوراة لم تذكر ما بينّه القرآن الكريم من أنلوطا عليه السلام عرض بناته على القوم - وسيجيء بسطه في دعوة لوط ان شاء الله - (٢) والحق أن ذلك معروض فيها ولعله غاب عنه(٣)

ثانيا ماذكره القرآن العظيم ماليس في كتبهم :

١ - داود وسليمان عليهما السلام

قال تعالى(وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهّمناها سليمان ، وكلا آتينا حكما وعلما ، وسخرنا مع داودالجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين)(٤) لم ترد هذه القصة في كتبهم ، ذكره عبدالوهاب النجار(٥) وهو صحيح .

أما أخبار سليمان الواردة في سورة النمل فلم ترد في كتب بني اسرائيل ، قال قائلهم(نحن نجدأهل الكتاب يخالفون النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من قصص الأولين كقصة سليمانبن داود في تسخير الريح له والجن ، وفي علمه بمنطقالطير ومكالمته للهدهد وانفاذه له الى ملكة سبأواحضارها عرشها ، وفي موته وأكل دابة الأرض منسأته ، وفي أن الجن لم يكونوا علموا بموته حتى خر واقعا فعلم الناس أن الجن لا يعلمون الغيب والا لم يلبثوا في العذاب المهين .. فان هذا كله معاتواتر اليهود والنصارى بخلافه)(٦)

---

(١) انظر سفرالتكوين ١٩ : ٢٦ | (٢) انظر قصص الانبياء ص ١١٦
(٣) انظر سفرالتكوين ١٩ : ٦ | (٤) الانبياء : ٧٨ - ٧٩
(٥) قصص الانبياء ص وهو في التفسيرالحديث لدروزة ٣/١٦١ ط ١٣٨١هـ/مصر
(٦) تنقيح الابحاث لابن كمونة اليهودى ص ٩٠

و واضح أنهم حذفوا ذلك لكون أهل سبأ عربا ، وبين اليهود والعرب عداء مستحكم!

٢ - صالح عليه السلام :

لم يرد في كتب بني اسرائيل من أخبار صالح - عليه السلام - شيء البتةكما نص عليه لفيف من العلماء قديما وحديثا ممن وقفوا على كتب بني اسرائيل وترجماتهـا في العصور المختلفة بعد ظهور الاسلام، وشأن صالح في ذلك شأن بقية الأنبياءالعرب كهود ومحمد صلى الله عليه وسلم(١) وخلو التوراة من قصص الانبياء العرب يحتمل أحد أمرين :

١ - اما أن يكون محمد عليه الصلاة والسلام استقى القصة من الاوساط العربية، كما يزعمه المستشرقون وهذا باطل، لأن قصة موسى وغيره من انبياء بني اسرائيل كانت معروفة لدى العرب - كذلك - فلا معنى لكوننا نجعلأخبار بني اسرائيل الواردة في القرآن العظيممستقاة(كمايزعماعداءالاسلام) من العهد القديم، وغيرها من قصص الانبياء العرب مستقاة من العرب المعاصرين للوحي اذ لادليل عليه .

٢ - واما أن تكون قصة صالح عليه السلام موجودة في التوراة لكنها حرفت بالحذف بدافع الحقد اليهودى على العرب ، ثم نزلت من عند الحي القيوم على محمدصلى الله عليهوسلم، وهذا هو الذى وقع ، وبين أيدينا أدلة كثيرة تتضافرعلى تأكيد ذلك، وترفعه الى درجة اليقين، منها :

أ - قول موسى لقومه(ألم يأتكمنبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ..)(٢)فاستخدمهمعهم في دعوته اسلوب الترهيب بذكر مصير الغابرين، هذا على تفسير من جعل الواو في قوله(قوم نوح وعاد وثمود) للعطف ، وهو ما مال اليه الطبرى وابن كثيروغيرهما(٣)أما من مال الى الجملة استئنافيةوليست معطوفة على ما قبلها ونقل الرازى أن الاكثرين على هذا الوجه(٤) فما استندوا اليه واه ، وهو كون التوراة خالية من قصص عاد وثمود !! وفي هذايقول ابن كثير(والظاهرأنه خبر مستأنف من الله تعالى لهذه الامة فانه قيل ان قصة عاد وثمود ليست في التوراة، فلوكان هذا من كلامموسى لقومه وقصصه عليهم لاشك أن تكون

---

(١) تاريخ الطبرى ١١٨/١ والبداية والنهاية ١٣٢/١ وقصص الانبياءلابن كثير١١٧ والكامل ٥٣/١ وقصص الانبياءللنجارص والمنتخب في التفسير ص ٣١٦

(٢) ابراهيم : ٩

(٣) الطبرى١٣/١٢٥ وابن كثيرفي قصص الانبياء ص ١١٨

(٤) مفاتح الغيب ٨٩/١٩

هاتان القصتان في التوراة)(١)، وابن كثير في هذا كأكثر المتقدمين رحمهمالله بنوا هذا الوجه على فهمهم للتحريف الذى اعترى التوراة والانجيل وقالوا انما كان بتأويل المعنى لا بتغيير اللفظ والحق انه بالاثنين كما سيجيء بأدلته .

ب - الدليل الثاني قوله تعالى خطابا لمشركي مكة(وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه، أولم تأتهم بينة مافي الصحف الأولى)(٢) ووجوه التفسير الثلاثة الواردة في هذه الاية تدل على مانحن بصدده وهو أن البينةهنا ١- اما موافقة القرآنلكتبهم فيطالم يحرف ٢ - أو البشارة بمحمد صلى الله عليهوسلم ٣ - أو أخبار الأممالمهلكة(٣)

جـ - معرفة اليهود بالأمم العربية البائدة واشتهارها عندهم، فاليهود الذينكانوا قد نزلوا المدينة النبوية في انتظار مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أوصافه ومهاجره مما هو في التوراة كانوا يقولون للانصار(انه قدتقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتلعاد وارم)(٤) وعاد وارم من القبائل العربية العاربة البائدة.

د - عروبة صالح وقومه هي التي دفعتهم الى طرحأخبارهم من التوراة :

- اما عروبتهم فمشتهرة قال ابن اسحاق(وثمود وجديس ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح ... عرب كلهم)(٥) وقال مجموعة من المستشرقين في دائرة المعارف (ثمود قوم من العرب الاقدمين بادوا قبل ظهور النبي مثلهم في ذلك مثل عادوارمووبار..)(٦)

- وأما كون هذه العروبة هي السبب في خلوكتب بني اسرائيل منها فماظهر في عبارة المستشرق فيليب حتي اذ قال(لاأخبار القرآن التاريخية أمثلة تقابلها فيالتوراة خلا بعض الانباء التي هي عربية محضة كذكر عاد وثمود)(٧)

- ولقد تلجلج هؤلاء المستشرقون- اليهود والنصارى - في ارجاع قصة ثمود الى مصدرها الذى اخذها منه محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا(الحق ان هذه لها من الحقيقة نصيب ! من حيث أن ثمود خلفاء عاد في قول الاية ٧٢ من سورة الاعراف (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) كانوا قبيلة عربية قديمة عرفناها ايضا من مصادر اخرى .. ولكننا لا نستطيع أن نتحقق من المصدر الذى استقى منه محمد اسم صالح وقصة الناقة !!)(٨)

---

(١) تفسيرابن كثير ٢/٥٢٤ | (٢) طـه : ١٣٣
(٣) مفاتـح الغيب ٢٢/١٣٧ | (٤) سيرة ابن هشام ١/٢١١
(٥) سيرة ابن هشام ٢/٧ وتـاريخ الطـبرى ١/١١٥
(٦) دائرة المعارف الاسلامية مادة(ثمود) ٦/٢١٠ ومادة (الحجر) ٧/٣١٩
(٧) تاريخ العرب ١/١٧١ | (٨) دائرة المعارف الاسلامية ١٤/١٠٦

أما نحن المسلمين فنقول بحمد الله انه عليه الصلاة والسلام تلقى هذه القصة وغيرها من قصص الانبياء من عند العليم الخبير القائل (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون) النمل : ٧٦ وما أجود ماقاله ابن حزم رحمه الله (نقر بنبوة صالح وهود وشعيب واسماعيل ، وبأنهم رسل الله يقينا ولا نبالي بانكار اليهود لنبوتهم ولا بجهلهم بهم ، لان الصادق عليه الصلاة والسلام شهد برسالتهم .)(١)

ثالثا ـ البشارة بمحمد صلي الله عليهوسلم في كتب بنياسرائيل :

اشارة القرآن العظيم الى ذلك :

أخبر كتاب الله عزوجل أنه ورد لرسول الله عليه السلام ذكر وبشارة في التوراة والانجيل وذلك في مواضع من الكتاب قال عزوجل (ولما جاءهم كتاب من عندالله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين) (٢) وقال في مدح من آمن من أهل الكتاب (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون) (٣) ولقد جمعت هذه الاية صفته ومهمته والواجب على من سمع به ومثوبة من آمن به وكانت بنو اسرائيل على علم تام بذلك كله، قال ابوالسعود في قوله(يجدونه مكتوبا عندهم) زيد (عندهم) لزيادة التقريروأن شأنه عليه السلام حاضر عندهم. (٤) والايات في هذا كثيرة(٥) وقدأطنب المفسرون في بيان هذه البشارة الجليلة وتواترها في كتب القوم وآثارها في تحركاتهم قبل البعثة توخيا لها بما لا مزيد عليه ومن أراد الوقوف عليه فعليه بمظانه(٦)

---

(١) الفصل ٢٠٣/١ | (٢) البقرة : ٨٩
(٣) الاعراف : ١٥٧ | (٤) ارشاد العقلالسليم ٢٧٩/٣
(٥) اقرأ في سورة الصف الاية ٦ والفتح الاية ٢٩ والتوبة الاية١١١
(٦) انظر في آية البقرة مفاتيح الغيب ١٦٤/٣ وآيةالاعراف تفسيرالطبرى ٥٩/٦ والقرطبي ٢٩٩/٧ وابن كثير ٢٥٢/٢ وفي آية الصف : الطبرى ٥٧/١٢ وابن كثير ٣٥٩/٤ وانظر كذلك تفسير المنار ٨٥/٦ وتنوير المقباس لابنعباس على حاشية الدر المنثور ٣٢٥/١

نصوص كتب بني اسرائيل في ذلك :

لاتتضمن هذه الكتب البشارة الصريحة باسمه الشريف وصفاته العظيمة صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك كتاب الله، هذا في طبعات كتبهم باللغة العربية المتداولة.

ولكن الله عزوجل بقدرته وحكمته شاء أن يقيم الحجة عليهم من كتبهم هم، فلا يزال بها ما يدل على هذه البشارة المباركة، وقد أبرز علماؤ نا رحمهم الله تعالى هذه النصوص وكشفوا ما تدل عليه مما لا وجه يحتمل غيره، فمن ذلك :

١ - ما ورد في التوراة(يقيم الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب الهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود اسمع صوب الرب الهي ولا أرى هذه النار العظيمة ايضالئلا أموت، فقال لي الرب قدأحسنوا فيما تكلموا ،أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلكواجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به)(١) ٢-ولقد يذهب بعض أهل الكتاب الى أن هذا النبي المبشر به هو يحى عليه السلام وليس الامر كذلك ، ففيالانجيل على لسان يحى (فسألوه اذا ماذا ايليا أنت ؟ فأجاب لا .)(٢)

٣ - وعن المسيح عليهالسلام (وكان يكرز (يدعووييشر) قائلا يأتي بعدى من هو أقوى مني ، الذى لست أهلا أن انحني وأحل سيور حذائه)(٣)

ونستفيد من النصوص الآنفة :

١ - ان المبشر به نبي (يقيم لك الرب الهك نبيا)

٢ - وانه من بني اسماعيل (من اخوتك) لان اسحاق اخ اسماعيل ، قال ابن حزم :(واخوة بني اسرائيل هم بنو اسماعيل)(٤)

٣ - مثل موسى (مثلي) من اولي العزم.

٤ - ينسخ شريعة موسى (له تسمعون)

٥ - أمي لايقرأ ولايكتب (اجعل كلامي في فمه)

٦- أمين على الوحي الالهي (فيكلمهم بكل ما أوصيه به)

وهذافحوى آية الاعراف المتقدمة.. (٥)

---

(١) سفر التثنية ١٨ : ١٥ - ١٨ | (٢) انجيل يوحنا ١ : ٢١

(٣) انجيل مرقس ١ : ٧ | (٤)الفصل ١/١١١

(٥) اقتبسنا هذا الاستنتاج من كتاب(على التوراة) ص ١٣٤ - ١٣٧ تحقيق د.احمد السقا الذىنال الدكتوراه من الازهر الشريف عنرسالته القيمة(البشارةبمحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل).

٤ - اما النص الرابع فيحـدد مكان ظهوره عليه‌الصلاة والسلام ، ففي التوراة :
(.. جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير)(١) وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم، فأحب الشعب جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من اقوالك)(٢) قال ابن حزم وغيره: (سيناء هو موضع مبعث موسى عليه السلام بلاشك، وساعير هو موضع مبعث عيسى عليه‌السلام، وفاران بلا شك هي مكة موضع مبعث محمد صلى الله عليه‌وسلم)(٣) كما في هذه التوراة عن ابراهيم وزوجه هاجر وابنهما إسماعيل (وسكن في برية فاران واخذت له أمة زوجة من ارض مصر)(٤)

---

(١) في بعض الطبعات (سعير) | (٢) سفرالتثنية ٣٣ : ٢ - ٣
(٣) الفصل ١/١١١ - ١١٢ | (٤) سفرالتكوين ٢١ : ١٢

اختلاف بني اسرائيل والدعوة الى الله :

واذ قد تبين أن بني اسرائيل مختلفون

- في جميع أسس مللهم عقيدة وشريعة على نحو ماتقدم .
- وفي مصادر مللهم اذ حرفوا التوراة والانجيل فتضاربت نسخها وتناقضت معطياتها .
- وثبت ذلك كله بمختلف الطرق العلمية والتاريخية والنقدية بأقلامهم هم
- ولم تخف البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم الى اليوم. !

ومؤدى هذا كله :

١ - توهين لملتهم وان كان أصلها سماويا لانحرافهم عن منهج الله .

٢ - واقامة للحجة عليهم لتحريفهم كتب الله واجترائهم على ذلك .

٣ - وتقرير لهيمنة القرآن العظيم على ماتقدمه من كتب الله اذ هو يقص على الزاعمين انهم اتباعها اكثر ما اختلفوا فيه .

٤ - وتقرير لرسالة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم.

افليس في هذا حافز عظيم لدعاة الاسلام أن يثبتوا على الحق الذى اعتنقوه؟ وأن يتفانوا في تثبيت المؤمنين عليه ! وأن يجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن لدعوتهم الى الحق المبين والصراط المنير ؟

* وانها لدعوة مخلصة ودودة نوجهها الى الاساقفة والقسس والاحبار والرهبان ، دعوة مدعمة بالدليل معضدة بالبرهان ، ان كانوا طلاب حق.

* وهي دعوة بعد ذلك توجهها الى أولئك الذين أضلهم سادتهم وكبراؤهم حرصا على المصالح والمناصب ، أن يمعنوا النظر كرتين وثلاثا فيتفكروا في الحق الذى جاء به محمد بن عبدالله عليه صلوات الله ففيه الفوز بسعادة الآجل والعاجل ، وليست المصالح الدنيئة والرخيصة بالتي تقدم على النعيم المقيم .

والحمد لله الذى أبان لدعاة دينه براهين الحق وأقام الشرعة وكان الله قويا عزيزا .

المبحث الثالث - تحريفهم التوراة والانجيل

تنبثق الدعوة الاسلامية من تصور ايماني يقوم على التصديق بماجاءت بـــه كتب الـله عزوجل جميعـها وهذا ما قررتـه السور المكية من مثل قوله تعالى (ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسـن الا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذى أنـزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) (١) بيد أنه بما قررهكتـاب الله عزوجل وباستقراء الاحداث التاريخية للتوراة والانجيل وبدراسة محتوياتهما يتبينأن جانبا غير قليل قد تعرض للعبث الاسرائيلي .

ويلاحظ أن القرآن العظيم يقرر تحريف اهل الكتاب كتبهم وكان على أوجه خمسة:

١ - التحريف بالزيادة والاضافة وهذا ماذكره الله في قوله(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم ماكتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) (٢) وقوله (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (٣)

٢ - التحريف بالنقصانوالحذف والاسقاط،ومنه خلو التوراة المتداولة من ذكرالقيامة قال ابن حزم(وأما التوراة التي بأيدى اليهود فليس فيها ذكر لنعيم الاخرة أصلاولا لجزاء بعد الموت البتـة) (٤)وسيجيء الحديث عن تذكير موسى عليه السلام قومهبيوم البعث في دعـوته.

٣ - التحريف بتأويل المعنى وفقاهوائهم ونزعاتهم الشيطانيةكماقال تعالى(يحرفون الكلم عن مواضعه) وقال (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) (٥) وقد ذهب عامة أهل التفسير القدامى الى أن ما اعترى التوراة من تحريف انما كان بتحريف المعنى، أما اللفظ فباق دون تغيير، وفي هذا يقول ابن عباس (يحرفون) اى يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عزوجل ولكنهم يحرفونه : يتأولونه على غيرتأويله(٦) وهذا الرأى منقول عن الطبرى (٧) وابن كثير(٨)والفخرالرازى(٩)

---

(١) العنكبوت : ٣٦ | (٢) البقرة : ٧٩
(٣) آل عمران : ٧٨ | (٤) الفصل ٢/١٠٩
(٥) المائدة: ١٤ و ٤١ | (٦) صحيح البخارى ٦/٢٧٤٥كتاب التوحيد
(٧) تفسيره ١/٢٩٢ | (٨) تفسيره ١/١١٥ و ٢/٣٣ و٥٨
(٩) مفاتح الـغيب ١٠/١٢١ وانظر تنوير المقباس لابن عباس ١/٣٣٨ على حاشيةالدرالمنثور

وغيرهم كثير ولايخفى أن التحريف يشمل ماذكروه ويشمل تغيير اللفظ كذلك كما قررته الدراسات الغربية اليوم بعد تحررها من سلطان الكنيسة . (١)

٤ - التحريف بالتلبيس والتمويه على الناس كمافي قوله تعالى (ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) (٢) وقال مخاطبا بني اسرائيل (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) (٣)

٥ - الاخفاء والكتمان ، اخفاء الصحف المدون فيها احكام التوراة، وكتم معناها عن العوام جحودا واستكبارا ، فعن الاخفاء يقول تعالى (وماقدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) (٤) وعن الكتمان يقول سبحانه (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (٥)

ومن أبرز الأدلة العلمية والتاريخية على تحريف اليهود والنصارى كتبهم

أما التوراة ، فمن أهم الادلة على تحريفها :

١ - تعدد نسخها وتناقض محتوياتها واختلاف بني اسرائيل فيها :

** فهناك التوراة العبرية وهي المعتبرة عندااليهود وجمهور البروتستانت وهي ٣٩ سفرا .

** وهناك التوراة اليونانية وتعرف بتوراة السبعين وهي ٣٩ سفرا

** وهناك التوراة السامرية وهي خمسة أسفار ولايعتد بهاسوى فرقة السامريةاليهود

ويبطل أتباع كل توراة من هذهالثلاث النسخ الباقيةويطعنون فيها ويحكمون بتحريفها وتضليل المعترفين بها من بني دينهم(٦)

والتناقض الحاصل فيها يعم النسخ الثلاث ، والنسخة الواحدة بتضارب معطياتأسفارها .

---

(١) وابرز حججهم ١- ان لكتاب الله قداسةلا يجرؤ احد على تغييره كمايفهم من كلام ابن عباس في البخارى وقدسبق ٢ - وان التوراة منقولة بالتواتروهو أن ينقل الخبر على ألسنة قوملايتصور تواطؤ هم على الكذب ! ٣ - ولابد أن تقوم الحجة على بني اسرائيل وبالقول بتحريف لفظها لاتقوم الحجةعليهم، وفي الرديقال : اماقداسة كتب الله فقدأخبرالله أنهم انتهكوا حرمتها ، وليس ثمة كتاب سماوى محفوظ غيرالقران العظيم. واما التواترفغيرثابت باعترافاتهم وقدنقلها رحمةاللهالهندى في اظهارالحق . واما اقامة الحجة عليهمفلايمنعأن تقوم قبل حصول التحريف ، وقدكان في اللفظ والمعنى كماقرره موريس بوكاى في كتابه دراسةالكتب المقدسة

(٢) آل عمران : ٧١ (٣) البقرة: ٤٢ (٤) الانعام : ٩١

(٥) البقرة : ١٤٦ (٦) انظر الفصل ١١٧/١ والاثار الباقيةللبيروني ص ٢٠ و ٢١ و ٢٧٩ ط بغداد وعلى التوراة ص ١٠ ودائرة المعارفالاسلاميةمادة (توراة)

٢ - فقدان التوراة من أيدى اليهود مرات عديدة اظهرها ماحدث في زمن حلقيا الكاهن وشافان الكاتب (١) ثم ما حدث في عهد عزرا بعد الأسرالبابلي (٢)

٣ - محتويات هذه الاسفار ومعطياتها في تصويرالاله ووصفه بسمات البشر، واغفاء نعوت الرذيلة على أشخاص الانبياء.. كماتقدم

وكل هذا يدل على تحريف هذه الكتب ، لأن الشرائع السماوية اتفقت على أصول العقيدة وان اختلفت في الشرعة والمنهاج.

أما الانجيل :

فلسنا في حاجة الى اثبات تحريفه ، وذلك لان النصارى مجمعون على أن الاناجيل الاربعة المعتبرة اليوم عندهم(متى ومرقس ولوقا ويوحنا) وكذاجميع أسفار مايسمى بالعهد الجديد . The New Testament كتبت ودونت بعد المسيح عليه السلام بأمد طويل ، وثم نزاع عميق - بعد هذا - بين علماء النصارى حول هذه الاناجيل وتاريخ تدوينها وكتابها ولغاتها الاصلية، برز ذلك كله ابان انهيار سلطان الكنيسة في الغرب فكشف علماؤه زيفها ومافيها من باطل وتناقضات غريبة (٣)

ولانغادرالحديث عن كتب بني اسرائيل حتى نوردطرفا من اختلافهمفي مسائل التشريع ، على غرار قوله تعالى(**وعلى الذين هادواحرمنا كل ذى ظفر، ومنالبقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أوما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون**) (٤) ، وثمة جوانب كثيرة قصها الكتاب عن شريعة التوراة كآية القصاص في النفس والجراحات(٥) وتحريم الله عليهم الربا (٦)

ولقد وصف الله خاتم المرسلين بانه(**يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهمالخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم**) (٧)

---

(١) تفصيله في سفرالملوكالثاني ٢٢ : ٨ وسفراخبارالايامالثاني ٣٤ : ١٤

(٢) انظر في ذلك سفر عزرا ٧ : ٦ و كان حلقيا وشافان وعزرا من اخبار اليهود .

(٣) انظرموريس بوكاى في دراسة الكتب المقدسة ط ١٩٧٧ لبنان ودائرةالمعارفالبريطانية مادة الاناجيل الاربعة

(٤) الانعام : ١٤٦ (٥) اقرأفي المائدة: ٤٥

(٦) اقرأ في النساء : ١٦٠ - ١٦١

(٧) الاعراف : ١٥٧

الفصل الرابع

(الدعوة في القرآن الكريم)

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الاول : احتفاء القرآن بالدعـــاة

المبحث الثاني : مناهج الدعوة في القرآن الكريم (لمحات عامة)

المبحث الثالث : القصة القرآنية ودورها في الدعوة

المبحث الرابع : اتجاهات السورة على ضوء ماسبق

المبحث الأول :

(احتفاء القرآن الكريم بالدعاة)

لاجرم أن القرآن العظيم كلام الله، أنزله على عبده ورسوله لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين .

والقرآن المبين وهو يرمي الى هذا الهدف الرباني - الاوهو اخراج الناس من الظلمات الى النور - حوى من مناهج الدعوة وموضوعاتها وقضاياها وكل ما تتطرق اليه وله بها وشيجة، حوى من ذلك كله مايجعله المنهل الأول للدعوة والدعاة، فهو من الشمولية موضوعا ومنهجا، والسمو هدفا ومرمى ، مايتسق ويتلاءم مع الفطر السليمة والعقول المدركة الواعية .

وان الناظر في كتاب الله عزوجل ، المستشعر لمقام الدعوة التي يحملها رسل الله ومن بعدهم المجتبون الأخيار من أممهم، يحس أنه أمام حدث رباني فريد .

ثم يحبه الله - تقدست أسماؤه - بجلاله وعظمته وكبريائه يذكر الدعاة، ويشرع لهم سبل الدعوة وطرائقها ويهديهم للتي هي أقوم، ثم يواسيهم ويسرى عنهم، ويشنع على المعرضين والصادين ، وفي ذلك كله - ولاريب - رفع لمكانة الدعوة واعلاء لشأنها، وحث للسائرين في طريقها على الالتزام والدأب ، فهم دعاة الى (الله) تبارك وتعالى خالق كل شيء ومعيده ، وحسبهم ذلك عزا وسؤددا وحسن مآب .

ان آية واحدة من مثل قوله تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) (١) تحوى من معاني التمجيد والاحتفاء مايعجزعن احاطته الفاقهون، فكيف بذلك الحشد الكبيرمن الايات القرآنية التي حفل بها كتاب الله، والتي ترفع من شأن الدعاة وتقرر وجاهتهم عند الله وتنوه بجليل العمل الذى يقومون به ؟!

وأحاول - بعون الله - فيما يلي من سطور تجلية أبرز الجوانب التي نوه عنها القرآن العظيم في شأن الدعوة وحملتها .

---

(١) فصلت : ٣٣

أ - كون القرآن الكريم مصدر الدعوة ومرجعها :

فالدعوة الى توحيد الله في الربوبية والالوهية هي الهدف الأكبر الذى من أجله أنزل كتاب الله، وهذا ماذكره الله تبارك وتعالى اذ قال (كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤ منين) (١) وقال (وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم بهومن بلغ) (٢) وقال (وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا) (٣) وقال في مطلع سورة النمل (طس ، تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤ منين) الاية : ١ - ٢ولايهتدى بالقرآن مهتد الا بعد الاستجابة لدعوته واتباع فروضهوسننه ، فهوالهادى الى الخير والفوز والوداد في الدنيا ويوم الحساب .

وفي كتاب الله عزوجل جانب غير قليل يفصّل قضايا الدعوة ويبيّن أحكامها ، وواجباتهاوحاجة البشر اليها ، ومواطن العلل في النفس الانسانية، وسبل علاجها ومن قبل ذلك طرق وقايتها ووسائل صيانتها ، وثمة آيات مستفيضة تناولت أسس ومناهج اعداد الدعاة وتربيتهم في مختلف المجالات : الروحية والجسدية والفكرية والعاطفية.

والقرآن العظيم المحفوظ في الصدور المدون على السطور منذ أن بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يوم النشور، في عرضه مسائل الدعوة على هذا النمط الرباني الفريدبعد أضخم وأصدق وأوثق مصدر للدعوة الاسلامية عرفته الأرض، حتى لكأنك تحس يد الله ترعى دعوته في كل العصور وترى حملة هذه الدعوة يصنعونعلى عينهوفي كل أولئك - ولاريب - احتفاء بالدعوة واعتناء برجالها الأخيار .

ب - موضوع الدعوة وسمو أهدافه :

الاسلام موضوع الدعوة، والاسلام بمفهومه الشامل يحيط المسلم بسياج من الخير في حياته الدنيا والأخرى ، ولقد عبر القرآن الكريم عن موضوع الدعوة بمعان حميدة يرنو اليها كل منيب ،كقوله عزوجل (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) (٤) فالدعوة احياء لموات القلوب التي ترزح في حمأةالشهوات والانسان بغير استجابته لدعوة الله في هلاك وبوار لانجاة له الابها كماقال ربناتبارك وتعالى على لسان مؤ من آل فرعون (وياقوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الىالنار،

---

(١) الاعراف : ٢ | (٢) الانعام : ١٩
(٣) الاحقاف : ١٢ | (٤) الانفال : ٢٤

تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيزالغفار) (١) وشتان بين الدعوتين ، ان دعوة الله تفضي الى كل خير وبر وتنجي من كل شر واثم (والله يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) (٢)

وموضوع الدعوة بهذا الفضل الكبير ،وبهذه الثمرة الحميدة الموعودة في الدارين لهو حرى أن ينهض به ورثة الأنبياء وأن تفنى في سبيله الأعمار . . فالفضل عميم وانها الدعوة الى الله البارئ المصور، وحسبها ذاك سموا وجلالا .

وفي سورة النمل جانب عظيم من موضوع الدعوة وأهدافها العليا ، يتمثل في قوله عز شأنه على لسان رسوله صلى الله عليهوسلم(انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلوا القرآن ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) الاية : ٩١- ٩٢ فلقد أمر رسول الله صلى الله عليهوسلم في هاتين الايتين الشريفتين بأمور ثلاثة :

١ - الأمر بعبادة الله الذى له الهيمنة المطلقة على كل شيء وهذا هدف عام للدعوة .

٢ - والأمر بالاسلام له سبحانه ، وفيه التزام الشرعة والمنهاج المحمدى عقيدة وشريعة .

٣ - والأمر بتلاوة القرآن الكريم، ترتيلاواتباعا ، اذهو المرجع الخالد للدعاة والمدعويين توجيها وتقويما .

وهذه الأمور الثلاثة تمثل مجتمعة الدعوة الاسلامية بمفهومها الكلي . . وبيانها على هذا الوجه المفصّل احتفاء بالدعوة، ورفع لشأنها وشأن حملتها الابرار.اذتولاه العزيز الغفار .

جـ - الدعوة مهمة رسل الله :

وهم صفوة خلق الله - عليهم الصلاة والسلام - ولقد اضطلع كل منهم بأعباء الدعوة وتحملوا تبعاتها الجسام دون ملل أو كلل ، فنوح قال لقومه(أبلغكمرسالات ربي وأنصح لكم) (٣) وهود قال (أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) (٤) وصالح فيما حكى الله عنه في سورة النمل (ولقد أرسلناالى ثمود أخاهمصالحا أن أعبدوا الله ، فاذا هم فريقان يختصمون) الاية : ٤٥ وعلى هذا النحو تتابعت

---

(١) غافر : ٤١ - ٤٢ | (٢) يونس : ٢٥

(٣) الاعراف : ٦٢ | (٤) الاعراف : ٦٨

رسل الله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وغيرهم ممن قص الله علينا قصصهم وممن لم يقصص علينا أخبارهم. . دعوا الى عبادة الله، وأنذروا أممهم(**وان من أمة الا خلا فيها نذير**-) (١) (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**)(٢)

وحينما قص الله علينا معشر أمة محمد صلى اللهعليهوسلم أخبار هؤ لاء الصفوةمن عباده. فيه تشريف لهم وتخليد لذكراهم وفيه - كذلك - احتفاء بهم لتحملهم دعوة الله وقيامهم بها على أتم وجوهها .

وفي سورة النمل لون بديع من تشريف المرسلين في قوله تعالى(**قل الحمدلله وسلام على عباده الذين اصطفى، آلله خير أما يشركون**) الاية : ٥٩ (ففي اقتران ذكرالله بالحمد والثناء عليه بذكرالمرسلين والدعاء بالسلام عليهم في هذا تكريم لرسل الله ، واعتراف بفضلهم على الناس اذ كانوا مصابيح هدى ودعاة أمن وسلام للعباد ، وهذا من شأنه أن يجعلهم موضع اعزاز وحب واكرام من أقوامهم خاصة ومن الانسانية كلها عامة)(٣)

وهناك آيات مستفيضة في كتاب الله تبارك وتعالى تجد الحديث فيها مفصلاعن الرسل الكرام وما قوبلوا به من العنت والصدود والجحود والنكران وكيف قابلوا ذلك بالحلم وازجاء النصح والحرصعلى الهداية والرحمة. وانقصصهم لعبرة لكل دارس يبغي اتعاظا أو يستنبط منهجا . .

د - خاتم رسل الله امام الدعاة :

من دلائل علو شأن الدعوة ان وصف الله رسوله محمدا صلى الله عليهوسلم بأنه نذير للعالمين في معرض تشريفه بالعبودية وبانزال القرآن الكريم عليهفي قوله تعالى: (**تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**)(٤) وقوله(**ياأيهاالرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته**)(٥) فلقد كانت مهمتهعليه السلام تبليغ دين الله، وكانت أشرف مهمة حملها أشرف الخلق ، والله عزوجل يأمره بذلك (**فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم**)(٦) (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**)(٧) ويصفه بهذا اللقب الكريم ، لقب (الداعي) :

---

(١) فاطر: ٢٤ (٢)النحل : ٣٦ (٣)التفسيرالقرآني ٤/ ٢٦١
(٤) الفرقان : ١ (٥) المائدة : ٦٧ (٦) الشورى : ١٥
(٧)النحل : ١٢٥

(ياأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا) (١) ويشهد له بقيامه بمهمة الدعوة الفضلى خيرقيام(وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) (٢)وتجد فيضا زاخرا من التسلية لرسول الله والتسرية عنه صلى الله عليهوسلم كقوله(فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤ منوا بهذا الحديث أسفا) (٣) أى لعلك مجهد/أو مضعفها أو مهلكها . . ! (٤)وقوله(لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤ منين) (٥) وفي ذلك كله اعلاء لمكانة الدعوة وحملتها الذين يتأسون بامام الدعاة وخاتم المرسلين صلى الله عليهوسلم .

هـ ـ وجوب القيام بالدعوة :

تضافرت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة على وجوب اضطلاع هذه الامة المحمدية بمهام الدعوة وتشريفها بهاكما في قوله عزوجل (كنتم خيرأمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤ منون بالله) (٦) ولقد انعقد اجماع الأمة على هذا الوجوب منذ عصر الصحابة ومن تلوهم، وهو ماض الى قيام الساعة .

وكان من مزيد عناية الله وفضله أن أوجب تخصيص (أمة) تعد اعدادا علميا وروحيا وجسديا وفكريا تباشر الدعوة وتتفرغ لها من بين سائر أفراد الأمة الذين يطالبون بواجب الدعوة كلما سنحت فرصة أو تهيأ سبيل . قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكروأولئك هم المفلحون) (٧) فهو واجب عيني على كل أفراد الامة المسلمةعلى رأى من يجعل (من) في قولهولتكن منكم أمة) بيانية، وهو واجب كفائي في حق سائرالمسلمين ، وعيني في حق (الأمة) التي تتفرغ لهذا الواجب على رأى من يجعل (من) تبعيضية وهوما يترجح لدىّ بدليل قوله تعالى (وماكان المؤ منون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) (٨)

ولئن كانت الامة الاسلامية اليوم تشهد غربة مضنية ! وأضحت فتنة للذين كفروا وغابت من حياة عامة المسلمين الكثير من كريم خصالهم وحميد سماتهم، فالدعوة ـ والحال هذه ـ أوجب وألزمفي حق العلماء وولاة الأمور الذين ائتمنوا على أمة خاتم المرسلين

---

(١) الاحزاب : ٤٥ ـ ٤٦ (٢)المؤ منون : ٧٣ (٣)الكهف: ٦
(٤)فتح القدير ٣/ ٢٧٠ (٥) الشعراء: ٣ (٦)آل عمران: ١١٠
(٧) آل عمران: ١٠٤ (٨) التوبة : ١٢٢

صلى الله عليه وسلم، فهي واجبة وجوب فرض الكفاية كوجوب الجهاد ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليست واجبة وجوب فرض الأعيان كالصلوات الخمس وهو ما اختاره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (١)

وورود الأمر بالدعوة على هذا الوجه المفصّل هو في حد ذاته احتفاء بالدعوة واهتمام بأحكامها ومهامها.

و - مكانة الدعاة عند الله :

من عظيم امتنان الله على هذه الامة أن شرّفها مع خاتم المرسلين في تبليغ الدعوة كما في قوله تعالى (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (٢) فكانت من كبرى خصائص الأمة الخالدة وكان من فضل الله على الدعاة من لدن مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والى قيام الساعة أن جعلهم ورثة رسالات الله كلها، قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) (٣) والمصطفون هنا هم أمة محمد عليه الصلاة والسلام على الأظهر، والكتاب هو كل كتاب قبل الفرقان على مارجحه أماثل أهل التفسير (٤)

ومن هذا المنطلق وهو مديد رحيب يستشعر الناظر في كتاب الله عزوجل مدى النعمة العظيمة التي اسبغها الله على الدعاة ، قال تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) (٥)

وثمة آيات كثيرة منثورة على صفحات كتاب الله تنوه بمكانة الدعاة وتحدد سماتهم وترسم لهم المناهج والسبل وترشدهم الى التي هي أقوم، مما يطول ذكره ..

وكل ذلك - ولاريب - احتفاء بالدعوة وتنويه بحملتها، وتمجيد لأولي العزم منهم، حشرنا الله في زمرتهم وسلك بنا سبيلهم.

ز - التشنيع على المعرضين عن الدعاة :

وهو على انماط مختلفة في كتاب الله ، فتارة ترد مقالاتهم الكاشفة عن عللهم مثل قولهم (قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر) (٦) وقولهم (أتنهانا أن نعبد

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/١٦٧ و ٢٠/٨ | (٢) يوسف : ١٠٨
(٣) فاطر : ٣٢ | (٤) انظر تفسير الطبري ٢٢/٩٠ وزاد المسير ٦/٤٨٧
(٥) فصلت : ٣٣ | (٦) فصلت : ٥

مايعبد آباؤ نا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب)(١) وطورا يجئ الاخبار عن موقفهم من الدعاة كما في قوله تعالى (كبر على المشركين ما تدعوهم اليه)(٢) و أحيانا يكون الأسلوب على هيئة الاستفهام الانكاري كقوله تعالى (أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس)(٣) وترى - كذلك - الاستفهام الذي قصد به شناعة الجرم وجسامة الخطيئة حين الاعراض عن الاسلام وهداه كما في قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وهو يدعى الى الاسلام) (٤) ولا تخلو الأساليب وهي كثيرة عن ذكر حسرة القوم وندمهم يوم لا يغني الندم يوم يجأرون : (ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) (٥)

ولئن كانت هذه الأساليب على اختلاف أهدافها وتنوع مقاصدها المادة القيمة لاستكناه علل المدعوين واستجلاء أدوائهم، فهي كذلك ظلال يستوحى منها كرامة الدعاة على الله، وشرف مكانتهم ووجاهة مايقومون به، اذ بهم تنصلح حال الأمة وتقوم الحجة على العالمين وتنقطع المعاذير يوم التناد على الجاحدين .

ومما تقدم من ضروب الاحتفاء بالدعوة، ومما لم نشر اليه ولم نبسطه خشية الاطالة استقى العلماء مناهج الدعوة وخطط التبليغ ووسائل الاعلام .. التي من خصائصها المرونة وصلاح التطبيق في مختلف الأزمنة وشتى الأمكنة، وهذا ما أحاول بعون من الله رسم أبرز ملامحه في المبحث التالي .

---

(١) هود : ٦٢
(٢) الشورى : ١٣
(٣) يونس : ٢
(٤) الصف : ٧
(٥) ابراهيم : ٤٤

المبحث الثاني

مناهج الدعوة في القرآن الكريم

تعريف المنهج :

قال اهل اللغة : النهج والمنهج والمنهاج : الطريق الواضح المستقيم (١)

وهذا اصل الاستعمال اللغوى ، وتستعمل كلمة المنهج أو المنهاج حديثا في (الخطة المرسومة ، ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ، وتجمع على مناهج)(٢)

ويلاحظ في مفهوم (المنهج) مما تقدم معنى : الوضوح والاستقامة ، والطريق المسلوكة ، والخطة المرسومة المحددة المعالم المعروفة الاهداف .

---

(١) مختار الصحاح ص ٦٨١ ولسان العرب ٣٨٣/٢
والقاموس المحيط ٢١٠/١

(٢) المعجم الوسيط ٩٦٦/١

اما الاصطلاح : فاصطلح الدعاة في العصور المتأخرةعلى أن يطلقوا (مناهج الدعوة) على الخطط التي يضعونها ويحددون معالمهاوأسسها على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حتى غدا ذلك علما قائما بذاته يتخصص فيه علماء له أصوله وسماته وقواعده . .

وعليه ، فمناهج الدعوة : هي خططها ، وطرائقها ، وتنضوى تحت مفهوم (المناهج) أساليب الدعوة ووسائلها وأهدافها ، على خلاف شكلي عند البعض بين الوسيلة والأسلوب (١)

ونعني (بمناهج الدعوة في القرآن الكريم) تلك الطرائق والأساليب والوسائل والأسس والغايات التي تنخرط في سلك الدعوة وموضوعها مما فصله كتاب الله عز وجل أتم تفصيل وبينه أكمل بيان ، بطريق التوجيه الرباني المباشر، أوحكاية أخبار الرسل ومواقفهم مع أممهم . .

ومناهج الدعوة على الاجمال أربعة : المنهج الفطرى ، والعاطفي ، والعلمي ، ومنهج القوة .

وهذه المناهج استنبطها المتأخرون من دعاة الاسلام من القرآن الكريم ومنه استمدوهاوعلى ضوئه وضعوا قواعدها ورسموا ملامحها وغاياتها ، وحددوا مراحل الدعوة التي تتطلبها تلك المناهج ، واسترشدوا في ذلك بما تناثر هنا وهناك مما تركه الأسلاف ، اذ مناهج الدعوة تجمع من كل علم بطرف فتأخذ بذلك شمولية من شمولية الاسلام وسعة موضوعاته .

وفيما يلي أبرز ملامح تلك المناهج أذكرها باقتضاب :

أ ـ المنهج الفطرى :

من خصائص الانسان وقد ميزه الله تبارك وتعالى عن سائر المخلوقات بالعقل والادراك أن جعل الله له فطرة تبعثه على الرجوع الى الحق ، وتوقظ فيه ذاك الحس الكامن في نفسه كلما لهى عن ذكر ربه أو شذ عن صراط بارئه .

وهذه الفطرة وان كنا نحس بآثارها الا أنا لا ندرك كنهها ، وقدذهب البعض

---

(١) تنحصر الوسائل ـ عموما ـ في الأدوات المستخدمة لتوصيل الدعوةالى الناس، كالوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية، أما الأساليب فتقتصر على أفانين الكلام وضروب البيان كأسلوب الترغيب والترهيب ، وثمة تداخل بين الوسائل والأساليب ليس في الامكنة الفصل بينهما فصلا كليا . .

في تحديد ماهيتها مذاهب شتى ، كان الأولى أن يوجّه مسار النظر في تفسيرها الى البحث عن كيفية ايقاظها وازالة الرين عنها لدى الناس على مختلف ألوانهم وتعدد اتجاهاتهم.. ويكفي أنها محسوسة الآثار ملموسة المظاهر.

ولعل من أقرب ماقيل في تفسيرها هو(صفاء في النفس ونقاء في الطبع، واستقامة في السريرة، تميل بالنفس الى الحق ، وتميل بها عن الباطل والاثم والعدوان)(١)

وعند علماء النفس (قدرة أو سلوك أو دافع ، أو ما ينتقل عن طريق الوراثة فلا يحتاج الفرد الى تعلمه واكتسابه ، بل ما يكون تلقائيا)(٢)

فالفطرة على هذا (ليست عقلا صرفا ولا عاطفة محضا ، وانما هي مزيج من العقل والعاطفة ، اذا التقيا فلم يطغ أحدهما على الآخر كانت الفطرة سليمة تنشد الله وتعرف سبيلها اليه من أقرب السبل)(٣)

وأيا ماكان تعريفها ، فالفطرة في مفهومها تمثل (الوازع) المحرك للانسان اما ابتداء من غير اثارة خارجية ، أو استجابة لمؤثر انساني أو هزة نفسية أو واقعة عاطفية ، او حدثا عارضا !

والمنهج الفطرى في الدعوة الى الله من أنجع المناهج وأنجحها ، ذاك أنه لا يخلو انسان من فطرة سليمة كانت أوران عليها غبش كثيف أو رقيق من الهوى والشهوات والفلسفات ..

ويرى البعض(٤) أن هذا المنهج منحصر في القوم البدائيين الذين لم يتأثروا بدرن الفلسفات ودنس الخرافات ، ولايمنع أن ينجح هذا المنهج الفطرى لدى غيرهم على ما يبدو وان كان البدائيون أكثر المدعويين استجابة لهذا المنهج لسلامة فطرهم ونقاء أفكارهم وبقاء مداركهم على الجبلة التي خلقوا عليها أول مرة. ولهذا المعنى خصّ الله - عزوجل - العرب دون غيرهم بحمل الرسالة الخاتمة وتبليغها فكانوا خير أمة أخرجت للناس .

---

(١) محاضرات الدكتورمحمد عبدالعليم العدوى الملقاة على طلاب الدراسات العليا بالمعهد العالي للدعوة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٣هـ ، انظر مناهج الدعوة د. علي جريشة ص ٢٩

(٢) أصول علم النفس ص ٨٥ د. احمدعزت راجح ط دارالقلم - الكويت

(٣) الشيخ احمد الباقورى في تقديمه لكتاب العلم يدعوللايمان ص ٢٦

(٤) الدكتور محمد العدوى في محاضراته السابق ذكرها .

ولئن كان الهدف الدعوى الأول هو افراد الله عزوجل بالعبادة ، فان المنهج الفطرى من أمثل المناهج لتحقيق ذلك، ولهذا فسر الصحابة رضوان الله عليهم الفطرة باخلاص العمل للهحين سأل عمر معاذا فقال : ماقوام هذه الأمة ؟ قال معاذ : ثلاث ، وهن المنجيات : الاخلاص وهو الفطرة ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، والصلاة وهي الملة، والطاعة وهي العصمة قال عمر : صدقت (١) وقد فسرت الفطرة بالاسلام (٢) في قول اللهجلت آلاؤه (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٣) وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم (مامن مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يمجّسانهكما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هلتحسون فيها من جدعاء) (٤) (٥) قال شيخ الاسلام ابن تيمة في هذا الحديث (انها فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي فطرة الاسلام وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال (ألست بربكم قالوا بلى) (٦) وهي : السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة) (٧)

وفي القرآن العظيمولاسيما في السور المكية أساليب متنوعةتخاطب فطر الناس وتبعثها من مرقدها وتثيرها من هجعتها وتزيل عنها غبش الأهواء والفلسفات بتوجيه النظر والفكر الى تجدد الخلق وظهور الحياة والموت في الانسان والحيوان والنبات .. وكيف أن هذه الكائناتقد هديت سبلهافي استمرار البقاء والنماء ومن هذه الأساليب مايحرك كوامن النفس ويلفتها الى عظيم صنع الله وبديع خلقه ودقة تناسب هذا الخلق بقوانين الحياة وانتظامها واستقامتها على نحو معجز ينتزع من الفطرة السليمة هتافا بأن لهذا الكون خالقا مدبرا ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

---

(١) تفسير الطبرى ٢١/٢٦ (٢) زاد المسير ٦/٣٠٠

(٣) الروم : ٣٠

(٤) متفق عليه : رواه البخارى في كتاب الجنائز ١/٤٥٦ باب اذا أسلم الصبيفمات عن ابي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له . ومسلم في كتاب القدر ٤/٢٠٤٨ باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .

(٥) البهيمة الجمعاء والجدعاء : قال النووى ما ملخصه : الجمعاء هي المجتمعة الاعضاء التي لا نقص فيها ، والجدعاء هي مقطوعة الاذن اوغيرها من الاعضاء : شرح مسلم ١٦/٢٠٩

(٦) الاعراف : ١٧٢

(٧) مجموع الفتاوى ٤/٢٤٥

ب - المنهج العاطفي :

المنهج العاطفي عميق الصلة بالمنهج الفطرى، لأن مشاعر الانسان وأحاسيسه وكوامن نفسه ونوازع الخير والشر فيه ودوافع العمل عنده .. كل أولئك يكاد أن يكون مع الفطرة التي جبل عليها أمشاج تترابط لتكون أنفس خصائص هذا المخلوق المكرم .

وهذا المنهج الفعّال يستوجب الالمام الواسع بأحوال المخلوق الانساني وطبائعه وأنماط سلوكه واتجاهات بيئته والمقاييس التي يزن بها المعروف والمنكر والحسن والقبيح والصالح والطالح ، وهذا ما يعبر عنه في فن الاعلام بالرأى العام تكوينا وتوجيها ، كما يستوجب الاطلاع الواسع على معطيات علم النفس وعلم الاجتماع .

وفي ظني أن هذا المنهج من أنجع المناهج وأنجحها في أوساط الشبيبة المسلمة ولا سيما في هذا العصر(١)

والعاطفة نوعان سلبية وايجابية ، والجانب السلبي كالغضب المذموم والحسد والفرح الملهي مما يكافحه الداعية بوسائل شتى ، اما الجانب الايجابي كالحب لله والتوادد والصلة والبر والحماس في الخير فمما يعمل الدعاة على ايجاده وابقائه.

(فمجال استخدام المنهج العاطفي انما يكون في جنس العبادات والمعاملات وسائر الطاعات المأمورات والمنهيات)

ومن أظهر وسائل هذا المنهج : الترغيب والترهيب بمختلف صنوفهما وصورهما من ضرب المثل وايراد القصة وسوق العبرة والعظة، ويضبط ذلك كله أمران :

١ - عامل الزمن وانتقاء الاساليب المناسبة، فلكل مقام مقال ولكل حديث أوان من غير تطويل ممل ولا تقصير مخل ، ولا يعزب ذلك عن الداعية الأريب .

٢ - وعامل استكشاف نفسية المدعو، أنفسه أمّارة أم لوّامة أو مطمئنة ، فلكل نوع من هذه الأنفس ما يلائم طبعها ويناسب مبتغاها ويشاكل طبيعتها ، هذا جانب، وجانب آخر وهو استكناه عاطفة المدعو تجاه دينه ومدى تفاعله مع قضاياه ومسائله، فمن الناس من هو سريع التأثر بادى الدمع مرهف الحس اذا ذكّر بالله وأيامه أناب

---

(١) لاتكاد ترى مجتمعا اسلاميا اليوم خاليا من تناقضات أفراده في السلوك والاتجاه وهو ناتج عن عوامل كثيرة أظهرها غياب المثل الاسلامي الحق وحضور البديل الملوث بتيارات علمانية أو الحادية أوغيرها .. وهذا الواقع أوجد ضياعا يعيشه كثير من الشباب تتأجج عواطفهم للاسلام ولكنهم لا يجدون من يحسن توجيه وتصريف هذه العواطف النبيلة تجاه الخير والحق، بل وجدوا من يصرفها في تسعير الشهوات ويوجهها نحو الشر والهدم على نحو تتسع به الفجوة بين شباب الاسلام وبين دينهم!

وخشـع وآب ! ، ومنهم البليد الحس الجلمد لاتهزه الا زلزلة أو رجـة . . ولكل اطار معين وجرعة محـددة !

ومظاهر العاطفة أربعة : الكلام والسمع والبصر واليد (١) يحكمها ويوجهها القلب الذى يقـر فيه الخير وحـبه والاستمساك به والذود عنه ، أو الشر وحبه .

وفي القرآن العظيم الكثير من دقائق هذا المنهج ، تأمل قول الله تباركت أسماؤه (**ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**) (٢) فورود الآيةبصيغة الاستفهامومجيء كلمة الحب في (ألا تحبون) ، وكون هذا الغفران من الله جل جلالـه ، ثم التعقيب بذكر أنه سبحانه غفوررحيم على صيغة المبالغة(فعول وفعيل) في جانب المغفرة والرحمة، كل هذا يجعل النفس تستشرف الى مغفرة الله ورحمته ورضوانه، ومنلا يحب أن يغفر الله له !؟ ومن ثم تسارع النفس الى امتثال أمرالله لتحوز هذا الاكرام العظيم، وأمر الله في صدر هذه الآيـة بالانفاق والعفو والصفح وقد بدئت بها الايـة(. . **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم**)

وانظر الى قوله تعالى (**مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان اللـه شاكرا عليما**) (٣) فهذه الاية على ما اشتملت عليه من أساليب اثارة العاطفة، (حوت النفي على أبلغ وجهوآكدهأى : أىّ شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم ؟ أيتشفى به من الغيظ ؟ أم يدرك بهالثأر ؟ أم يستجلب به نفعا ؟ أم يستدفع بـه ضرا ؟ وانما هو أمر يقتضيه كفركم ، فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفـى العذاب لا محالـة)(٤)

ان المنهج العاطفي في القرآن العظيم على تنوع أساليبه واختلاف ضروبـه يجعل الانسان موصـول القلب بالخالق البارىء مستحضرا عظمته وجلالـه، يجعله خائفا وجلا بين الخوف والرجاء، ،(**نبّىء عبادى أنـي أنا الغفور الرحيم، وأن عذابي هو العذاب الأليم**) (٥) ومع ذلك يرى مكانته عند ربه الكريم مكانة جليلـة محببـة(**ان ربي رحيم ودود**) (٦) انه تكريم الانسان ،وفوق ذلك كـرامة المـؤمن عند ربـه الغفور الودود .

---

(١) محاضرات د . العدوى (٢)النور: ٢٢ (٣) النساء: ١٤٧
(٤) ارشادالعقل السليم١/٢٤٧ (٥)الحجر: ٤٩ (٦)هود : ٩٠

جـ - المنهج العلمي :

عماد هذا المنهج العقل ، وتكليف الانسان منوط بالعقل والادراك، ولكل من العقل والعلم والفكر مفاهيم رحبة الدلالة واسعة سعة المعارف الانسانية منذ أن علّم الله آدم الأسماء كلها .

ولتداخل المفاهيم العامة لكل من (العقل والعلم والفكر) جعل بعض الباحثين المنهج العقلي والمنهج العلمي والمنهج الفكرى مترادفات لمسمىواحد (١)

وهذا التداخل بين الاصطلاحات الثلاثة على اختلاف مدلولاتها لاتستوجب أن تكون شيئا واحدا .. فثمة فرق بين كل من هذه المناهج : العلمي والعقلي والفكرى، فالمنهج العقلي يناسب كل عاقل مدرك وان اضمحلت ثقافته أوعدمت مقدرته الفكرية ، أما المنهج العلمي فيلائم العلماء بمختلف فروعالمعرفة شرعية كانت أو مدنية، وكذلك المنهج الفكرى يتوافق مع أرباب المقدرات الابداعية أو الذين يجعلون الفكر والجدل آلة يزنون بها مايسمعون أو يعلمون . وثمة فرق بين العلم والمعرفة والعقل والادراك ليس هنا مجال بسطه (٢)

ولقد رفع القرآن العظيم شأن العلم والعلماء ، تشهد بذلك كثرة الآيات القرآنية الواردة في ذلك ، وأول مانزل من القرآن كان أمرا بالقراءة (اقرأباسم ربك الذى خلق)(٣) ، (٤) وعدم استخدام نعمة العقل في معرفة الفاطر البارئ سبحانه وتعالى من أسباب البواريوم القيامةاذ يقول أهل النار(لوكنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) (٥)

ويصح أن يقال أن القرآن العظيم بما حوى من تشريع واشارات علمية حولالانسان والكون ، فضلا عن مبادئ العقيدة الاسلامية واتجاهات العقائدالباطلة، وقصص وحكم وأمثال .. ان القرآن في ذلك قائم على المنهج العلمي الناهض على البرهان الساطع والحجة الملزمة، اذ أن الهدف الذى يرمي اليه هو الاقناعالناتج

---

(١) مناهج الدعوة ص ٤١
(٢) يراجع مناهج الدعوة ص ٤١ ومابعدها وتعريفات الجرجاني
(٣) العلق : ١
(٤) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مادة : علم ، عرف ، أدرك، عقل ، بصر، سمع ، فكر ، أولو الألباب .
(٥) الملك : ١٠

عن اقامة الدليل .

ولهذا سمى الله كتابه بالبرهان في قوله (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا) (١) (والبرهان صادته الوحيدة هي اليقينيات ، واليقين هو العلم الذى لاشك معه) (٢)

وليس من ريب أن قيام الاسلام بعقيدته وشريعته على أساس البرهان واليقين المفضي الى اقامة الحجة واتضاح المحجة من كبرى خصائصه وأسباب انتشاره وعوامل بقائه وخلوده .

وهل ينتظر غير ذلك من دين جعل طلب العلم فريضة وعبادة ؟ أليس اتصاف الاسلام بأنه دين العلم مما يساوق التطور الفكرى والحضارى الذى تتدرج فيه البشرية، وهو من سننها ، فكان خاتم الرسالات وأتم النعم وأوفق السبل والحمد لله رب العالمين (٣)

د - منهج القوة :

هو منهج الجهاد في سبيل الله في مفهومه الخاص، وقتال أعداء الاسلام لرفع راية التوحيد واعلاء كلمة الله، وتحقيق العزة للمؤمنين الذين يستمدون عزتهم من ايمانهم بالله ورسوله .. (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) (٤) وعزة هذه الامة منوط بجهادها .

والمناهج السالفة تسبق هذا المنهج ، لأن منهج القوة لا يلجأ اليه الا لازالة العوائق التي تقف أمام نشر دين الله وتبليغ شرعه واعلاء كلمته .. ولهذا المنهج شروط وأحكام فصّلها الفقهاء في كتبهم، من وجود امام واكتمال العدد والعدد حسيا ومعنويا ..

ولئن عد منهج القوة من مناهج الدعوة فذاك لأنه لخير الانسانية وصلاحها اذ ليس من منهج القوة في الاسلام القهر أو الافساد أو البغي والعدوان كما هو الحال عند غير المسلمين وهو ماذكره الله في هذه السورة الجليلة على لسان ملكة سبأ ، (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) الاية : ٣٤ ويرى بعض المفسرين أن عجز الاية تصديق اللهلها

---

(١) النساء : ١٧٤ (٢) تعريفات الجرجاني ص ٦٤و٣٣٢

(٣) سيجيء الحديث مفصلا عن هذا المنهج وخصائصه ووجوه الاستدلال فيه في الباب الثالث ان شاء الله وحسبنا هذا القدر هنا .

(٤) المنافقون : ٨

وهذا المنهج وسيلة وليس هدفا كما يصور ذلك أعداء الاسلام ، وآية ذلك أن المسلمين لم يجبروا أحدا على الدخول في الاسلام في البلاد التي فتحوها ودانت لهم في تاريخ الاسلام كله ، انطلاقا من قوله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (١) هذا في جانب المدعويين .

أما الدعاة فلقد جعل القرآن الكريم الجهاد محك امتحان وتمحيص لاينهض به الاالصادقون المخلصون ، وهو كذلك ميدان تربية للنفس والجسد ، وشحذ للعزيمة والارادة (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (٢)

ومن خصائص الاسلام الكبرى أنه دين قوة وعزة لا استكانة فيه ولا ذلة معه ، قال عز من قائل (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز) (٣)

فهذه الاية الشريفة قررت :

١ - أن دين الله بيّن لا غموض فيه .

٢ - وأن الله انزل (الكتاب) ليكون مرجعا حين الاختلاف.

٣ - كما أنزل (الميزان) ليكون القسطاس المحقق للعدل الذى قد تعوزه القوة

٤ - وانزل (الحديد) الذى فيه بأس شديد وهو لمنافع الناس الحسية والمعنوية

٥ - وان الانسان مستخلف في الارض وعليه استغلال ما اتيح له من وارد

٦ - وان الله قوى عزيز وعباده المؤمنون يجب أن يرفعوا هذا الشعار الرباني الخالد ، فلا ذلة ولا استكانة لغيرالله الحي القيوم .

هـ - المنهج الخلقي :

الاخلاق الحميدة أساس وطيد يبني عليه الداعية دعوته ، وذوالخلق الكريم المحمود السلوك الجميل السجايا يفعل بأخلاقه هذه ما يعجز عن فعله جيش جرار ، والتاريخ الاسلامي المشرق يعلن أن المسلمين فتحوا البلاد بكريم

---

(١) البقرة : ٢٥٦

(٢) آل عمران : ١٤٦

(٣) الحديد : ٢٥

خصالهم وعظيم أخلاقهم قبل أن يفتحوها بالحسام والسنان ، وكم من بلاد دانت للاسلام دون أن تراق قطرة دم . .

ولقد كانت شهادة القرآن لامام الدعاة وخاتم المرسلين (وانك لعلى خلق عظيم[١]) أعظم حافز لرجال الدعوة وحملة رسالتها أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى (كان خلقه القرآن) (٢) ويقول عنه أنس خادمه رضي الله عنه (ان كان النبي صلى الله عليهوسلمليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير) (٣) (٤)

واعتناء الاسلام بالجانب الاخلاقي واكب العهد المكي فهو صنو العقيدة ومن مقتضياتها ، بل الخلق الحسن معيار التفاضل بين المسلمين كما قال عليه الصلاة والسلام(ان من خياركم أحسنكم أخلاقا) (٥)

ويظهر أنالمنهج الخلقي مع أهميته وفعاليته وقيمته في مجال الدعوة، هو أقرب الى صفات الداعية وعدته من أن يكون منهجا يعتمد على مخاطبة المدعوين واستجلاء طبائعهم وميولهم لايصال دين الله الى قلوبهمكما هوالحال بالنسبة لمناهج الدعوة السالفة . . والله اعلم.

---

(١) القلم : ٤

(٢) حديث عائشة رضي الله عنها - ما أوردناه جزء من حديث طويل رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ١/٥١٣ باب جامعصلاةالليل

(٣) متفق عليه رواه البخارى في كتاب الادب ٥/٢٢٧٠ باب الانبساط الىالناس ومسلم في كتاب الادب ٣/١٦٩٢ باب استحباب تحنيك الولد .

(٤) قال النووى في شرحه لصحيح مسلم ١٤/١٢٨ ما ملخصه : النغيربضمالنون تصغير النغربضمها وفتح الغين المعجمة، وهو طائر صغير، جمعه نغران ،وكان لأنس اخ صغير يقال له ابو عمير،فكان اذا جاءرسول الله صلى الله عليه وسلمفرآه قال اباعمير مافعل النغير، وفيه ملاطفة الصبيان وتأنيسهموبيان ماكانعليهالنبيصلى الله عليه وسلم من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع .

(٥) متفق عليه،وهو جزء من حد يث رواه البخارى عن عبدالله بن عمر في كتاب المناقب ٣/١٣٠٦ باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسلم في كتاب الفضائل ٤/١٨١٠ باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم .

خصائص مناهج الدعوة الاسلامية

تنفرد مناهج الدعوة الاسلامية بجملة من الخصائص والمميزات لاتوجد في غيرها من المناهج على اختلاف وجهاتهاوأهدافها البتة .. ومجمل هذه الخصائص

١ - أنها ربانيـــة :

فالله عزوجل خالق الكون أنزل كتابه المبين الخالد الذى استقى منه الدعاة طرائق الدعوة ومناهجهاوأساليبها ، فكانت أمثل المناهج وأعدل السبل لأنهـــا تخاطب كوامن النفس الانسانية وتنفذ الى مساربها ودخائلها (الا يعلم مـــن خلق وهو اللطيف الخبير) (١) وتحقق لها سعادة الدنيا وفوزالآخرة ، فتربـــط بين الدارين ومصالحهما في سياج متين .. وهذاما لم ولن يوجد في مناهج التغيير أو الاصلاح التي افرزتهاالدراسات النفسية والاجتماعية البعيدة الصلة بالاسلام ، وما أصدق وأتم قول الحق تبارك وتعالى (قد جاءكم من اللـه نـور وكتاب مبين ، يهدى بـه الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) (٢)

٢ - عموميتها وشموليتها :

وتستمد هذا من روح الاسلام الذى بعث به خاتم المرسلين للناس كافة والذى يحكم ويضبط تصرفات المسلم كلها .. فمناهج الدعوة تخاطب العقل والعاطفة والفطرة ، كما تهذب الرغبات والميول وتوجـه الطاقات لخيرالانسانية ونمائها (والقرآن يبني الانسان من جميع جوانبها النفسية والعقلية والخلقية ، فهو يخاطبه بكل مـــا يؤ سس فيه عوامل الخير ، يخاطبه نفسيا ووجدانيا وعقليا وذهنيا وعاطفيا) (٣) ويحتوى هذا جميع أصناف الناس وثقافاتهم ووجهاتهم ..

٣ - التداخـــل :

فليس ثمة حاجز يفصل بين كل منهج عن الآخـر ، فقد تخاطب آية قرآنيةواحـــدة جميع أحاسيس الانسان العقلية والفطرية والعاطفية ، وهذا التداخل في المناهج يمثل تكاملا يفضي الى الاقناع الوجداني والعقلي بأن الله خالق الكون وأنهالمستحـق

---

(١) الملك : ١٤

(٢) المائدة : ١٥ - ١٦

(٣) الدعوة الاسلامية في عهدها المكي د . رؤوف شلبي ص ٤٧

للعبادة وحـده .. على نحو لا ريب معه ولا مرية فيه ، كما يمثل ذلك مرونة تتيح للداعية التنقل بين هذه المناهـج وانتقاء الأصلح لحال المدعـو والأوفق لصلاحه وهدايته ، وقد لايكفي منهج واحد للدعوة بل لا يتأتى ذلك في مواقف كثيرة ولا سيما في المنهج العلمي المجرد ، قال في مناهج الدعوة: (لابد أن يكمل المنهج الفطرى المنهج العلمي لنرد الناس الى الفطرة الصحيحـة ولنصل بهم باذن الله الى الايمان الحق ، والذين عرفوا الايمان أو الاسلام عن طريق العلم وحده بقوا على السلم دون أن يصعدوا الى مدارج الايمان ، ولم يصلوا الى نهج العقيدة القويم) (١)

٤ - الواقعـية والتوازن :

وهو ضرورى لتأخذ الدعوة مسارها الصحيح ، وليست مناهج الدعوة الاسلامية بالتي تعتمد على الأخيلة والظنون ، كما أنها لاتلتصق بالمادة وحدها ، اذهـي تفي بحاجات الانسانية : الجسدية والروحية في توازن ينسجم تمام الانسجام مـع نواميس الكو ن وسنن الطبيعـة التي يعيش فيها هذا الانسان ، وليس تنوع المناهج من فطرى الى عاطفي الى علمي الى قـوة .. الا نوع من التوازن الذى يتيح المجال للجانب النظرى من حياة الناس كما يتيحـه للجانب التجريبي التطبيقي وفي تحققهما على أتم الوجوه ازدهار ونماء ، وهو من أهداف مناهج الدعـوة التي تسعـى الى تحقيق مصالح الناس في الحياة الدنيا وفي الآخـرة .

٥ - التجـديد :

وهو منصبّ على جانب الوسائل والاساليب دون الاصل ، لأن الأصول - كماهو معلوم - لاتتغير ولا تتبدل وليست في حاجة الى تغيير أو تجـديد وقد أكمل الله دينه وأتم نعمته .. ومن ثم ليس في مناهج الدعوةما يمنـع الاقتباس من الحضارات والعلوم والفنون بما يحقق صلاح الانسان واصلاحه ضمن القواعد الشرعية المقررة .. وهذا من معاني خلود الاسلام وخلود كتابه ، وهو كذلك من مقومات الدعوة ومتطلباتها في كل عصر ومصر (٢)

---

(١) مناهج الدعوة د . علي جريشة ص٤٦

(٢) أما الملل الاخرى فقدوقف (الدين) فيهاحاجزا دون التقدم العلمي والحضارى كما هوالحا ل في النصرانية مثلا ، اذ حاربت الكنيسة رجال العلم وأحرقتهم ابـان الثورة الصناعية والنهضة العلمية كما يقولون ، وكان ذلك سببا لظهورتيار العلمانية الرافض للدين ومظاهره في الحياة العلميـة ، والحمدلله على نعمة الاسلام .

انظر دراسات فكرية معاصرة ص ٥٥ وما بعدها د. علي جريشة

والأخـذ بكل ابتكار علمي أو الاستفادة من كل دراسة تبحث في أمور الكـــون وأحوال الكائنات فرض علـى مجموع الأمـة الاسلامية تأثم اذا خلت من أمثال هذا النوع من العلماء . . وهذا قدر تشترك فيه سائر الأمم والحضارات من حيث الواقـع .

وتمتاز الأمـة الاسلاميـة فوق ذلك بأنها تطوع العلوم والمعارف لخيرالانسانية لا لدمارها ، وتجعل هدف العلوم عبادة الله سبحانه وتعالى لا الصد عنه.

المبحث الثالث

(دور القصص القرآني في الدعوة)

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم القصة في القرآن وعناصرها .

المطلب الثاني : القصة القرآنية ومناهج الدعوة .

المطلب الثالث : خصائص القصص القرآني .

*** ***

توطئة :

يمثل القصص جزءا غير يسير من صفحات الذكر الحكيم ، وهو مبثوث بصورة متسقة بديعة في السور المدنية والمكية على السواء وان كان في المكية اكثر وأظهر ، وفي سورة النمل قصص خمسة من الأنبياء تمثل ثلثي السورة تقريبا ..

ومجيء القصص القرآني على هذا الوجه من الشمولية له من الدلالة الموحية مايحفز الناظرين في كتاب الله الى دراسته دراسة واعية مستوعبة ..

ولقد حوى القصص القرآني في اطوائه جوانب عديدة في : العقيدة ، والشريعة ، والتاريخ ، والسنن الربانية ، ومختلف العلوم وشتى المعارف ، مما تتطلبه الحياة الانسانية المثلى ، وتنهض عليه الحضارات وتقيم عليه دعائمها وعناصر ازدهارها ونمائها .

والانسان اجتماعي الطبع ، توحشه الوحدة ويستأنس بالجماعة ، ولقد اعطي الذاكرة الحافظة التي تعي الأحداث ومجرياتها ، وتحتفظ بالكثير المفيد من صور الحياة ومشاهد الطبيعة ، ثم منح العقل المميز الذى يستلهم العبر ويستخرج العلل ويقيس الأمور ، ويصل - بهداية الرسالات السماوية - الى تجنب سبل الشر والا

ولئن كان الانسان على هذا النمط الفريد في مواهبه وقدراته وسجاياه ، لم يكن غريبا أن يشتمل الكتاب العزيز على القصص التي تستجيب لحاجات هذا المخلوق المكرّم الفطرية والعاطفية والعقلية وتستثير فيه كوامن الحس ليصل الى معرفة سر الحياة والهدف من الوجود في هذه الأرض ، والى أين المصير بعد الموت ..

والذى يتأمل القصص القرآني بوعي وتدبر يقف خاشعا أمام كلام الله العليم الخبير ، وهو يقص اخبار الدعاة من المرسلين وأتباعهم ، ويبسط الأساليب التي استخدموها والوسائل التي انتقوها لمختلف حالات المدعوين ، ويعرض في اسلوب معجز كيف وصلوا الى تحقيق اهداف الدعوة من اقرب الطرق وبأيسر السبل ، كل ذلك عبر الأحقاب المتطاولة لتاريخ البشرية ، وأنت اذا أجلت بصيرتك في القصص القرآني - وماتقدم بعض معالمه - وقفت على جلال الموضوع وكمال العرض واتساق التركيب على

وهذا ولا ريب جانب تطبيقي عملي ، يوضح الجانب النظرى ، وكلاهما موضوع القصة في القرآن العظيم .

ومن أهم دلائل اهتمام القرآن باسلوب القصة في تبليغ الدعوة :

أ - ورودها منسوبة الى رب العزة والجلال في قوله : (نحن نقص عليك احسن القصص) (١) ، وقوله : (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) (٢) ، وقوله : (ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) (٣)

ب - وأمر الله رسوله أن يقص على الناس ما أوحي اليه كما في قوله عزوجل - بعد أن ذكر طرفا من أخبار بني اسرائيل -: (.. فاقصص

---

(١) يوسف : ٣ (٢) طه : ٩٩ (٣) الانعام : ٥٧

القصص لعلهم يتفكرون) (١) ،اى : قصص الذين كفروا وكذبوا أنبياء هم (٢) ، ومن هنا جعل بعض العلماء القصص من مرادفات كلمة (الدعوة) وشملوا الوعظ والارشاد والتبليغ والبيان .. اذ أمر بها امام المرسلين وقدوة الداعين صلى الله عليه وسلم (٣)

جـ - والقصة معلم بارز من معالم القرآن الكريم لتوضيح الحقائق وتبيين السبل كما في سورة النمل : (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) الآية : ٧٦

د - والقصّ - بالمفهوم العام - كان من مهمات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولذا قال تعالى : (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا) (٤) ، وقال : (يا بني آدم اما يأتينّكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٥)

هـ - وحياة الأنبياء - والقصص تصوير لها - في موضع القدوة والأسوة ، ولقد أمر الله خاتم المرسلين بالاقتداء بهم بعد أن سرد طرفا من أخبارهم فقال : (.. أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (٦)

---

(١) الاعراف : ١٧٦
(٢) زاد المسير : ٣/٢٩١
(٣) ولقد أدى القصّاص مهمة الوعظ في أجلى صورة ابان العصور الاسلامية المزدهرة ، وكان لهم دور محمود في المساجد والاندية وغيرهافي جزيرة العرب والشام ومصر وشمال افريقيا وبقية ارجاء العالم الاسلامي ، وان كثر سوادهم وانحرفت سبيلهم في عصور لاحقة الا من رحم ربك .
(٤) الانعام : ١٣٠ (٥) الاعراف : ٣٥ (٦) الانعام : ٩٠

(وأحداث القصص القرآني تدور في محيط الدعوة الى الله ، والى تحرير العقيدة وتصفيتها من العبودية لغير الله ، وتوجيهها الى عبادة الاله الواحد الخالق رب العالمين ، ولذلك كانت دعوات الأنبياء هي الشخصية الغالبة في قصص القرآن) (١)

---

(١) القصص القرآني لعبد الكريم الخطيب ص ٤٣ بتصرف طفيف .

المطلب الأول :

(مفهوم القصة القرآنية وعناصرها)

القصة في اللغة : تتبع الأثر ،يقال : قصصت الشيء اذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء (١) ، وترد بمعنى : البيان ، والخبر (٢) ، ولذا يقال : القصص : الأخبار المتتابعة (٣) ، كما ترد بمعنى الحديث ،والأمر ، والشأن ..

على أن لكل من : القصة ،والنبأ ،والخبر ،والمثل ،مفهومات مختلفة في السياق القرآني ، ربما تداخلت مدلولاتها وأهم ما يميز بينها عنصرى : الزمن بين المضيّ والاستقبال ، ثم الواقعية والتحقق ... (٤) ، وكثيرا ما يرد النبأ بمعنى القصص كما في قوله تعالى : (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك) (٥) ، وقوله : (نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق) (٦)

وللقصة مفهوم عصرى مؤداه أنها (حكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال او الواقع أو منهما ، وتبني على قواعد معينة من الفن الكتابي) (٧)

---

(١) لسان العرب : ٧/ ٧٤
(٢) المرجع نفسه .
(٣) مفردات الراغب ص ٦١٠ كتاب القاف .
(٤) انظر مادة : الخبر ،والنبأ ، والمثل ، في مفردات الراغب .
(٥) هود : ١٢٠
(٦) القصص : ٣
(٧) المعجم الوسيط : ٢/ ٩٠٣

اما القصة في المفهوم القرآني فلها من الخصائص والسمات العامة ما تتميز به عن القصص التي هي من وضع البشر .

ولقد درس الباحثون القصة القرآنية من جوانبها المختلفة ، الجانب اللغوى البلاغي ، والجانب الفني التصويرى ، والجانب النفسي (السيكولوجي) ، والجانب التاريخي ...

وهذه الجوانب وغيرها تنضوى جميعا تحت المفهوم الدعوى الأشمل للقصة في كتاب الله ، وتمثل وجها من وجوه الاعجاز القرآني .

وعلّ الناظر يستنطق سمات القصص القرآني وخصائصه تعريفا يطمئن اليه ويرضى به ، اذ ليس من الممكن - فيما أرى - وضع تعريف محدد للقصة القرآنية بما احتوته من شمولية في الموضوع وعلو في الهدف وتنوع في المقصد والغرض ، ووضوح في الاعجاز.

وعناصر القصة - بوجه عام - خمسة : حوار ، وأشخاص ، وزمان ومكان ، وحدث (أو عقدة) (١) ، فما موضع هذه العناصر في قصص القرآن العظيم ؟

تنشعب الدراسات التي ظهرت في هذا المجال الى اتجاهين :

١ - اتجاه يتخذ من الخصائص الفنية للقصة مقياسا ينظر من خلاله الى قصص القرآن المجيد ، ويقدم - من ثم - بجرأة وطيش على اصدار احكام عليه ، وهذا الاتجاه سقيم المنهج عديم الجدوى ، لأن القصة القرآنية ليست خاضعة للأقيسة والضوابط الفنية التي تتذبذب حسب الاعراف والثقافات ، فالقصص القرآني قائم بكيانه متميز بسيماه وهو نسيج وحده ، له خصائصه وأساليبه ومناهجه ومراميه ، لا يقاس على غيره ولا يقاس غيره عليه ، وهل يقاس كلام الرحمن على كلام الانسان ؟ ؟

وكل من نهج هذا المنهج قال شططا ورام ضلالا ..

---

(١) سيكولوجية القصة في القرآن ص ٨٦ ط ١٩٧٤ تونس

٢ - واتجاه آخر ، يدرس القصص القرآني دون سابق تصور من غير القرآن ، وهذا المنهج العلمي سليم البنيان لأنه يتيح للدارس افقا واسعا ومدى بعيدا بكل معطياته الخيّرة ، ولم ينزلق أصحاب هذا المنهج انزلاق غيرهم حين قالوا أن للرمز والتمثيل والخيال نصيبا في قصص القرآن كحديث النملة والهدهد ، وقصة الذى مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها .. ، وانها لانزلقات خطيرة تفضي الى ما لا يحمد عقباه ..

وأوفق ما يقال في الاجابة عن التساؤل المطروح آنفا : ان القصص القرآني - ان اريد تحليله فنيا - يشتمل على العناصر الخمسة السالفة بالقدر الذى يخدم اغراض القصة وطبق ما يتطلبه هدفها .

على أن عنصر (الموضوع) او ما يسمى بالحدث او العقدة (١) يستحوذ على أوفر نصيب من قصص القرآن ، يليه الحوار فالأشخاص اما الزمان والمكان فلا يعنى بهما قصص القرآن الا في حدود ضئيلة جدا ، هذا اجمال اليك بيانه في اطار القصص التي اشتملت عليه السور المكية عموما وسورة النمل على وجه الخصوص :

• ١ - ٢ : الزمان والمكان :

ليس القرآن المجيد - كما هو معلوم - كتاب تاريخ بالمفهوم الذى يعرف به هذا الفن ، ومن ثم فلا تجد عنصر الزمان بارز القسمات محدد الأجزاء في قصص القرآن ، الا بقدر ما يتطلبه الهدف القرآني وهو :

أ) اما بتحديد جزء من يوم : كالليل والنهار والصباح والبيات والقيلولة والضحى ،

ب) او تحديد جزء يسير من غير تسمية كقوله عن الهدهد في هذه السورة (.. فمكث غير بعيد) الآية : ٢٢

---

(١) هذا اصطلاح فني يذكره ارباب الفن القصصي وليس شيئ في شريعة الله مايوصف بالعقدة ومفهومها مقتصر على قصص البشر لغرض فني ..

جـ) او بذكر القبلية والبعدية ،ككون ثمود (بعد) عاد ، دون تحديد البون الزمني بينهما .

على أن ورود القصص في السورة الواحدة لا يدل ـ أيضا ـ على الترتيب الزمني ، ففي سورة الشعراء وهي السابقة لسورة النمل نزولا وترتيبا في المصحف الشريف[1] ، وردت قصص كل من : موسى وابراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، بهذا الترتيب ، وهو غير الترتيب الزمني لظهور هؤلاء الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام .

وفي سورة النمل وهي مكية ـ كسابقتها ـ يلاحظ نفس الأمر ،فلقد اشتملت على قصص كل من : موسى وداود وسليمان وصالح ولوط ، على هذا الترتيب وليس هو الترتيب الزمني لظهورهم .

وفي ذلك دليل على أن عنصر الزمن غير اساسي في قصص القرآن الا ضمن حدود ضئيلة وفق الحاجة الدعوية .

وعنصر المكان لا يزيد أهمية عن عنصر الزمان ، فليس في قصص القرآن قسمات واضحة لأمكنة بعينها الا لتحقيق افراض ثلاثة :

الأول : ما يتعلق بأداء شعيرة كالحج الى بيت الله الحرام في قصة بناء ابراهيم واسماعيل البيت .

الثاني : استلهام العظة والعبرة من (بقايا) ديار قوم عصوا وبغوا فبادوا .. كما في قصة ثمود التي تختم في سورة النمل بقوله تعالى : (.. فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) الآية : ٥٢ وحول ديار قوم لوط : (وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون) (٢) فهي بيوت يعرفها الناس اذ يغدون عليها ويروحون ..

الثالث : اظهار وتجلية التضحيات التي قدمها المرسلون في سبيل الدعوة بترك الديار كهجرات ابراهيم ولوط واسماعيل ويعقوب وابنائه وتنقلات موسى .. وذلك اما بذكر الأمكنة كقوله في موسى

---

(١) البرهان للزركشي ١/١٩٣

(٢) الصافات : ١٣٧

(ولما توجه تلقاء مدين ..) (١) او بذكر ما هو اولى من المكان كقوله على لسان لوط : (اني مهاجر الى ربي) (٢)

٣ - الحوار :

وعنصر الحوار واضح العبارة بادى القسمات ، وورودة شائع مطرد في أكثر القصص القرآني ، ويغلب مجيؤه متصدرا بكلمة (قال) أومشتقاتها من الجمع او التثنية او التذكير او التأنيث ، وهذا من شأنه أن يجعل الحوار حاضرا يشد الانتباه ويرهف الحس ويدعو الى متابعة الأحداث .. وتأمل هذا المقطع من قصة سليمان في هذه السورة الشريفة :

أ - الحوار الأول بين سليمان والهدهد بالتناوب:

سليمان : (وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد ..)

الهدهد : (.. فقال احطت بما لم تحط به ..)

سليمان : (قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين .)

ب - الحوار الثاني : بين ملكة سبأ وأعوانها :

(قالت يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم)

(= = = افتوني في امري ..)

(قالوا نحن اولو قوة واولو بأس شديد ..)

(قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها ..)

جـ - الحوار الثالث :

بعد ان تبعث بالهدية الى سليمان :

(فلما جاء سليمان قال اتمدوننني بمال .. ؟)

د - الحوار الرابع بين سليمان وجنوده :

(قال يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها ..) الآيات : ٢٠-٣٨

---

(١) القصص : ٢٢ (٢) العنكبوت : ٢٦

(قال عفريت من الجن ..)

(قال الذى عنده علم من الكتاب ..) - وبعد حضور العرش :

(قال هذا من فضل ربي ..)

(قال نكروا لها عرشها ..) - وبعد ان تحضرالملكة :

(قيل أهكذا عرشك ؟ ..)

(قالت كأنه هو ..)

(قيل لها ادخلي الصرح ..)

(قال انه صرح ممرد من قوارير ..)

(قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين .

الآيات : ٢٠ - ٤٤

ويتخلل الحوار كما مر توجيه او تعليق او تلخيص .. فالحوار من ركائز قصص القرآن ، وهو مسخر - كما رأيت - لخدمة موضوعه وتجليته بصورة مؤثرة أخاذة .. تسوق التالي والسامع سوقا الى المتابعة والتدبر والخشوع .

والحوار مرتبط بالاشخاص الذين صدر منهم ،فما دورهم في القصة القرآنية ؟

٤ - الأشخاص :

ما يقال في الحوار من مقاصد السياق الجليل يقال في الأشخاص كذلك ، ولهم بعد هذا دور آخر يتحدد من أعيانهم ، ولقد قسّم الباحثون أشخاص القصة القرآنية الى :

١- أناس : رجالا ونساء ،مرسلين ومرسل اليهم ، صالحين وطالحين حكاما ومحكومين ،اغنياء وفقراء ،آباء وأبناء وأزواج وأرحام .. معلومين ومسكوت عنهم .

٢- شخصيات غيبية : من الملائكة والجان .

٣- طيور وحشرات : كالنمل والهدهد ،والبقرة والعجل والنحل والحمار والكلب ، على تفاوت بينها في أهمية الدور (١)

---

(١) منهج القصة في القرآن ص ٧٧ مع اضافات .

٤ - جماد : كالاجرام الكونية ، وهذا جلي في قصةخلق السموات والارض ، اذقال تعالى "(.. ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لهاوللأرض ائتيا طوعا أو كرها ،قالتا : أتينا طائعين) (١)

وعلى هذا فليس في قصص القرآن العظيم رمز ولا تمثيل ، وكل ما نطق به الهدهد أو النمل حق وصدق والله على كل شيء قدير ، وما يقال غير هذا بلا برهان فهو اقل من ان يلتفت اليه اذ لا تقاس مسائل الايمان على مجريات الحياة .. هذا في جانب المخلوقين .

ولله جل جلاله وتقدست اسماؤه - وليس كمثله شيء - ذكر في قصة خلق آدم واسجاد الملائكة له ، وكذلك في تكليم موسى عليه السلام في سورة النمل وفي غيرها . وهذا من خصائص القصة القرآنية ولهذا - ولا ريب - من القدسية والجلال مالا يخفى .

وفيما يلي بعض تفصيل لهذه الشخصيات الوارد ذكرها في قصص سورة النمل من الرجال والنساء والطير والحشرات والجان ..

أ - الرجال :

شخصياتهم واضحة - باسمائهم - في قصص موسى وداود وسليمان وصالح ولوط ، من هذه الشخصيات ما هو بارز بروزا جليا وهو أمر يهدف الى التأسي والاقتداء كشخصية سليمان القوية العالمة المتمكنة العادلة ،وشخصية كهذه تؤثر - ولا شك - انه لا يفتأ يذكر نعم الله عليه فيهب لشكرها ورعايتها وبيان آلاء الله عليه ومننه وفضله من كل كيانه ، كلما صادفته فرصة او حفزته همة .

وترى الصبر والحلم والأناة والحرص والرأفة في شخصية موسى وصالح ولوط .. مما سيرد تفصيله في مناهج دعواتهم ان شاء الله .

ب - النساء :

وهناك شخصية ملكة سبأ وامرأة لوط ، والمرأة في قصص القرآن كالرجل سواء ، ليست بمختلفة عنه الا بقدر تركيبكيانها عضويا وما يقتضيه

---

(١) فصلت : ١١

من حشمة وعفة ووقار . ، اما في أصل الانسانية وأصل التكليف والجزاء الأخروى فهي مثله (١)

ولذكر المرأة في قصص القرآن تأثير .. حتى قال البعض (ان الحادثة القرآنية مع اشتمالها على كل أو جل العناصر لم تدخل تحت اسم القصة الا بعنصرين : الحوار المنتج والمرأة بكل أنوثتها) (٢)

ومن رام استكناه خفايا وأسرار هذا المخلوق الكريم (المرأة) ، فعليه بتتبع الآيات المشتملة على ذكرها ، وهو واجد من أحوال المرأة الخلقية والخلقية والعاطفية والعقلية والنفسية والسلوكية في حالتي الخير والشر .. ما هو أوثق خبرا وأصدق علما مما لم تصل الى معرفته أحدث الدراسات النفسية و(الفسيولوجية)(٣) وأعمقها .

على أن المرأة في القرآن العظيم تابعة للرجل بمقتضى قوامته عليها ، وليس في ذلك ما يوهن من شأنها او ينقص من قدرها ، ولذا لست تجد في كتاب الله عزوجل علما لامرأة حاشا مريم ابنة عمران ، والدة المسيح عليه وعلى نبينا السلام ، وكل ذكر للمرأة انما هو على أنها (امرأة فلان) كامرأة نوح وامرأة لوط وامرأة عمران وامرأة العزيز وامرأة فرعون ، وحتى ملكة سبأ في سورة النمل عبر عنها السياق القرآني الجليل بأنها (امرأة تملكهم ..)

وتأمل تعبير نبي الله موسى عن امرأته في هذه السورة وغيرها اذ قال لأهله امكثوا) وكم من ظل قرآني يستشف من كلمة (الأهل) الوقورة وكلمة (امكثوا) بصيغة الجمع .. وهل للمرأة في غير الاسلام مكانة ومنزلة ؟؟

---

(١) فصلنا الحديث بحمد الله عن ذلك في كتاب (عمل المرأة وموقف الاسلام منه) بحث الماجستير ط ١٤٠٦ هـ - القاهرة .

(٢) القصص القرآني - للخطيب ص ٧٧

(٣) الفسيولوجيا Physiology علم وظائف الاعضاء

جـ - النملة والهدهد :

لكل منهما دور رئيسي في قصة سليمان ، وهي قصص واقعية حقيقية سطرها كتاب الله فخلّدها ، ويلاحظ من ورود ذكر مثل هذه المخلوقات :

١ - أنها ذات منطق تتفاهم به ، وتتعامل بمقتضاه ، وليس أمرها ـــ فوضى بغير نظام او انتظام كما قد يظن البعض وذلك من دقائق صنع الله وجلائله الدالة على وحدانيته وهيمنته وعظيم قدرته وسلطانه .

٢ - أنها تتجاوب مع الكون في توحيد الخالق جل وعلا وتقديسه وتمجيده ، فالهدهد يعرف ربه بفطرته ويعرف أن السجود للشمس من دون الله سفه وضلال ، وينادى بصوت الحق والهدى (ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) الآية : ٢٥ وللحديث تفصيل في الباب الثالث ان شاء الله .

د - الجان :

وهم من خلق الله ، يشملهم التكليف والحساب ، يقعون في المعاصي والشرك ومنهم منكروا البعث ، ويرون الناس من حيث لا يراهم الناس ، ويتمتعون بقوة خفية ليس في مكنتنا ادراك سرها ، وسبحان الخلاق العليم .

٥ - الموضوع :

هو محور القصص القرآني وهدفه ومبتغاه ، تتضافر العناصر السالفة في ابرازه واضحا جليا .. وموضوع القصص القرآني هو موضوع القرآن الكريم ، وهو - كذلك - موضوع رسالات الله كلها ، انه يتلخص في :

١ - توحيد الله الخالق الرازق المحيي المميت المبدئ المعيد .

٢ - وتصحيح المفاهيم الخاطئة حول الألهية والربوبية ، والنبوة ومتعلقاتها .

٣ - وتقرير البعث والنشور والحساب والجزاء .

٤ - ثم انطلاقا من هذه العقيدة اقامة شرع الله بين خلق الله ، وتحقيق استخلاف الانسان في الأرض وفق سنن الله ومراده ..

٥ - وتقويم سلوك الناس فيما بينهم افرادا وجماعات على هدى من الله .

وسنرى في الأبواب الآتية - بعون من الله وفضل - كيف هدفت قصص الأنبياء الى تحقيق هذا الموضوع القرآني الجليل الذى تنصلح به الحياة الدنيا ، وتقوم على تحقيقه حياة الآخرة في سعادة وخلود .. (١)

---

(١) لعلك أحسست بما في هذه السطور من استطراد يبحث في خصائص القصة ومضامينها وتساءلت عن موضع ذلك من الدعوة والحق أن اعداء الاسلام والجاهلين من الحاقدين راموا النيل من قصص القرآن اذ وضعوه مع قصص البشر في ميزان واحد كما فعل محمد احمد خلف الله في اطروحته الدكتوراه (الفن القصصي في القرآن) التي تقدم بها الى الجامعة المصرية ونال بها الدرجة سنة ١٣٦٦هـ انظر تعقيب الاستاذ احمد محمد جمال على الكاتب المذكور في جريدة المسلمون عدد ٦-١٢/٤/١٤٠٨ ص ٥ وما يليها من اعداد الجريدة ، فوجب بيان الحق الذى يتناسب جلال القرآن ومكانته في قلوب المسلمين ، وهذا من صميم الدعوة .

المطلب الثـــاني :
(القصـة القرآنيـة ومناهج الدعـوة)

تخاطب مناهج الدعـوة الانسان بكيانه كله ، عواطفه وأحاسيسه ومشاعـره وعقلـه ومداركه وفطـرتـه .. على نحـو ما تقدم .

وموقع القصـة القرآنيـة من هذه المناهج موقـع هام ذو أثر كبيـر ذلك أن القصـة تخاطب كيان الانسان مخاطبـة المناهج اياه .

ولئـن كانت القصـة أُلصـق بالمنهج العـاطفي حتى عدت من روافـده وأساليبـه ، فذاك لأنـها تعتمد على أسلوب الحكاية التي تتضمـــن أشخاصا وحوارا ومشكلة ثمَ حلا ، فليس ثم ماهـو على وتيرة واحدة ، بل تجـد الأسلوب الخبرى ينقلب فجأة الى انشائي والعكس ، ويـرد نهي واستفهام ، ثم تمن وترج فتعجـب .. وكل أولئـك يجعـل النفس تستشرف فتتهيأ لمعـرفـة النتائج ومترتبات الأمور ، ومن ثـم تعي فتستبصـر . هذا من جانب الأسلوب وتلونـه وتنوع العـــرض واختلاف المؤثرات .

والقصـة بعد هذا تصوير لمجتمع ما بكل خصائصـه ومكنوناته وخلجاته وتصوراتـه .. وهي بعد ذلك مخاطبـة لمجتمع آخر يحمل نفس الملامح والسمات والطبائع ويتجه نفس الاتجاهات (فالمماثلة) و (التطابق) نقطـة التقاء بين المجتمعين وان فصل بينهما بون تاريخـي ولذا قال تعالى : (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا مـــن قبلكم وموعـظة للمتقـين) (١) ومثلا أى : شبها من حالهم بحالكم ايها المكذبـون (٢) ، وفي آية أخرى : (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثـل) (٣) أى من كل مثل من الأمثال التي يكون بها الاعتبار (٤)

---

(١) النور : ٣٤
(٢) زاد المسير : ٦/ ٣٩
(٣) الاسراء : ٨٩
(٤) زاد المسير : ٥/ ٨٥

وفيما يلي أبرز معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم :

أولا - أسس الدعوة :

يصنفها صاحب (معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم) الى :

١- الايمان بالله . ٢- الايمان بالرسل . ٣- الايمان بالبعث والجزاء (١) ، وتنضوى بقية أسس العقيدة تحت هذه الأسس الكبرى ، اذ أنها تستلزمها كما تستلزم فعل الطاعات واجتناب المنهيات وهو (العمل الصالح) قرين (الايمان) في كتاب الله .

ولقد استحوذت هذه الأسس على أكبر جزء من قصص القرآن . . عرضا واستدلالا :-

١- ففي جانب الايمان بالله تتضافر الأدلة الحسية والشواهد الكونية وندا ءات الفطرة على وجود الخالق المعبود المتفرد بالملك والتصرف ، له الأسماء الحسنى والصفات العلا ...

٢ - وفي جانب تقرير الرسالات نرى المجادلة العنيدة من المكذبين حول بشرية الرسل ، وكونهم من عامة الناس لا يتبعهم الا الأرذلون وان بهم ضروب السحر والكهانة والجنون والسفه والضلال لأنهم يدعون الى نبذ الآلهة وتقويض مجدها !

٣ - والبعث الذى يصوره هؤلاء الجاحدون بأنه من المستحيلات اتخذ مسالك عديدة في عرض شبههم على ألسنتهم ، ثم تفنيد هذه الشبه بأدلة منوعة محسوسة وفيبية وعقلية و(تجريبية) حفل بها قصص القرآن العظيم .

٤ - والعمل الصالح ـــــ مقتضى هذه الأسس ، وله أهميته القصوى في استقامة الحياة على منهج الله وفق سنن الاستخلاف .

ومن استقرأ قصص الأنبياء في القرآن العظيم يجد أنهم بذلوا جهودا مضنية لاصلاح اعوجاج أممهم في مسلك الحياة ، واهتموا بذلك اهتمامهم بتصحيح مفاهيم العقيدة ..

---

(١) معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم : ١/٥٩

فنوح عالج مادية قومه وركونهم الى ظاهر الحياة واتخاذهم الأنداد والشركاء ، وهود دأب على توجيه قومه ونصحهم وقد زادهم الله في الخلق بسطة فقابلوا الانعام بالكفران ، وصالح حرص على نصح قومه وقد نحتوا من الجبال بيوتا فارهين وسكنوها آمنين ، وموسى دأب على اشعار قومه بانسانيتهم وقد مورس عليهم الذل والاستعباد والقهر ، وشعيب أرشد قومه الى مضار التطفيف في المكيال والميزان ،وأوضح أسس الاقتصاد ، ويوسف واجه كيد النسوة وقسوة الإخوة فكان تصرفه غاية في الحكمة والاتزان ، ولوط جابه فطرا مسوخة وقلوبا منكوسة ورسم منهاجا لمكافحة أعتى الأمراض الاجتماعية والنفسية ، وفي تناول قصص القرآن لهذه الانحرافات على ألسنة أصحابها بتفاصيلها ودقائقها ،ثم ابداء طرائق حلها بمنهاج النبوة ،في ذلك - ولا شك - مادة دعوية زخارة ذات عطاء ..

ثانيا - أساليب الدعوة ووسائلها :

تتميز هذه الأساليب والوسائل بأنها واقع مشهود حدث على ملأ من الناس .. فهي على هذا (تطبيقية) من شأنها أن تكون أدعى الى التفاعل مع أحداث القصة بالنسبة للداعي المستلهم ، والمدعو المستنير المستهدى .

ومجمل أساليب الدعوة في قصص القرآن ينحصر في الآتي :

١- أسلوب الحجة والبرهان ،وذلك :

أ - بلفت النظر الى الآيات الكونية بالوصف الدقيق المصور .

ب- وبيان صفات الكمال الثابتة لله عزوجل ، وأن مايعبد من دونه على النقيض من ذلك .

جـ- ايراد الحجة العقلية (مجادلة ومحاجة وتقريرا) .

د - ضرب الأمثلة من واقع الحياة ومشاهد الكون ومحسوس الأدلة العقلية .

٢- دحض شبهات المنكرين حول :

أ - الرسل ب - القرآن جـ - البعث

٣ - التأييد بالمعجزات في قصص الأنبياء ، والخوارق في قصص غيرهم .

٤ - أسلوب الترغيب والترهيب ، ومن أظهر أساليبه التذكير بالنعم والتخويف من النقم ، بالمعاني المعبرة عن المشاعر والانفعالات والأحوال النفسية .

٥ - الأسوة الحسنة او (التطبيق العملي أفرادا وجماعات ، ومنه الاعتناء بالشخصية في القصة وابراز جوانب القدوة فيها كابراهيم وسليمان ومحمد عليهم السلام .

٦ - تحليل طباع وسجايا فرد أو أمة (كبني اسرائيل) ، أو الناس عامة ، وكشف مواطن الضعف والزلل فيه ، ثم ابداء الحلول .. وطرق استخدامها . (١)

ثالثا : أما وسائل الدعوة :

فهي اجمالا :

١ - المكاتبة : وهي بارزة في دعوة سليمان عليه السلام في سورة النمل ، وهي كذلك أظهر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

٢ - ايفاد الرسل والمبعوثين ، واستخدام وسيلة (الاهداء) ابتداء أو بالقبول أو الرد .. وهي وسيلة مجدية في كثير من الأحيان ، فليس كل موضوع يراد ابلاغه للمدعوين بمختلف منازلهم يناسبه اسلوب الخطابة او فنون الكتابة .

٣ - التأثير الحضاري : اذ من شانه حين تبلغ الحضارة شأوا بعيدا ان يبهر المدعوين فيتأثرون به (٢) وهو جلي في دعوة سليمان .

---

(١) هذا التقسيم الموضوعي للاساليب ملخص من المراجع الآتية :
١- معالم الدعوة في قصص القرآن : ١/٢٤٥ - ٦٢٣
٢- سيكولوجية القصة في القرآن ص ٣٥٠ - ٤٢٠
٣- محاضرات د . محمد العدوى لعام ١٤٠٣هـ

(٢) كما هو الحال اليوم في وضعه المقلوب حين انبهر جل المسلمين بعلوم وحضارة وثقافة الغرب المادية فركنوا اليها وأخذوا منها ما يحمد ومايعاب ، ودیننا الحنيف لا ينافي العلم والحضارة بل يشيد صروحهما ويهدف اليهما ..

فلقد اد كروا على روائع ما لديه مما آتاه الله ، وطلب اليه الله تخصيصه بتوصيته
لجرّ فكان صرحا ممردا من قوارير فاسلمت واذعنت .

٤ - الجهاد والقتال وابراز قوة عباد الرحمن ، ولئن كانت هذه الوسيلة لم تستخدم في العهد المكي الا أن السور المكية تضمنت ما يمهد له ، اذ قدمت تصورا عاما له من حيث الأسس العامة والأهداف المرتجاة .

والجهاد وسيلة في الإسلام لإبلاغه وليس هدفا .. وهي وسيلة ان أُحسن وأجيد استخدامها اعدادا وتوقيتا اثمرت ثمرا يانعا ..

..

رابعا- أهداف القصص القرآني :

ترمي القصة القرآنية - بالاضافة الى تحقيق أسس الدعوة الآنف ذكرها - ترمي الى أهداف خاصة ، تعنى بالدعاة والمدعوين ثم الانسانية جمعاء .

لقد جمعت آيتان في كتاب الله أهداف القصص في القرآن الكريم نوهت الأولى عن أهداف وخصائص قصص المرسلين ، وأوضحت الأخرى أهداف القصص بوجه عام ، قال تعالى : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) (١) ، وقال بعد قصة يوسف والمجتمع المصرى آنذاك : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٢) ، والآيتان مكيتان تتحدد منهما اهداف القصة

---

(١) هود : ١٢٠

(٢) يوسف : ١١١

وهـــي :

١- الدلالـة على صـدق رسول اللـه صلى الله عليه وسلم وأن مـــا جـاء به كلام الله ، وكان هـذا من اكبر أهداف القصص ولا سيمـــا الغيبيـة منها كما قال تعالى : (وماكنت بجانب الغربي اذ قضينـا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ، ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلواعليهم آياتنا ولكنا كنـا مرسلين وما كنت بجانب الطـور اذ نادينـا ولكن رحمة من ربـــك لتنـذر قومـا ما أتاهـم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) (١)

٢- التثبيـت : وما أحوج الدعاة اليه وما أجداه وقد تولاه رب العزة والجلال ،قال في البحر في قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسـل ما نثبت بـه فؤادك) (٢) : أى نقوى ونثبت الفـؤاد ، هـو بما جرى للأنبياء عليهم السلام ولأتباعهم المؤمنين وما لقوا مـن مكذبيهم من الأذى ، ففي هذا كله أسوة بهم اذ المشاركة في الأمور الصعـبة تهوّن ما يلقى الإنسان من الأذى ، ثم الإعلام بما جرى علـى مكذبيهم من العقوبات المستأصـلة بأنواع من العذاب .. فـيـه طمأنينـة للنفس وتأنيس بأن يصيب الله من كذب الرسول صلى الله عليه وسـلم بالعذاب كما جرى لمكذبي الرسل (٣) ، والتثبيت هنا شامـل للدعاة كلهم وهو مبثوث في قصص الرسل كلهم ، يوحي بذلك لفـــظ (كلا) على اعتبار انه مفعول به او بدل او خبر او نكرة (٤) فعلى أى وجـه حمل ادى من الشمولية ما ذكرنا .

وكان تكرار القصـة الواحدة في سور مختلفـة بصور متنوعـة تسليـة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللدعاة من بعده .

---

(١) القصص : ٤٤ - ٤٦
(٢) هود : ١٢٠
(٣) البحر المحيط لابي حيان : ٥ / ٢٧٤
(٤) المرجع نفسه

٣- العبرة : وهي الدلالة التي يعبر عنها بالعلم (١) وهي المقصد الأسنى لقصص القرآن ، وليس ينتفع به الا أولو الألباب.

والعبرة لكي تتحقق على أتم وجوهها تستلزم :

١ - الحذر من الوقوع فيما وقع فيه المكذبون .

٢- الانتفاع من دراسة الأحداث بوعي ، وتلافي السلبيات والحرص على الايجابيات .

٣ - استنباط الحكم والأساليب الواردة في القصة والتفريع عليها وفق متطلبات العصر ، وكل هذا يحتويه قصص القرآن (ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر) (٢)

٤ - اقامة المجتمع المسلم : وهو كذلك من أهداف القرآن العظيم ، وعوامل البناء مفصلة في القرآن المجيد نظريا وفي قصصه تطبيقيا ، قال تعالى (.. وتفصيل كل شيء) وانها لأرقى العوامل التي عرفها الانسان وأصدقها وأبقاها لقوله عزوجل (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقوله (وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين)

ولقد كانت قصص القرآن من روافد تصحيح المفاهيم في الألوهية والنبوة والبعث وتكوين فكرة صحيحة وتصور مستقيم عن الحياة الدنيا والأخرى .

وثمة أهداف أخرى سوى ما تقدم كتعليم أدب الحوار وأدب الدعوة وعرض وتحليل أمراض اولي الأهواء والنزعات المنحرفة وطرق معالجتها واساليبتربية الأمم والأفراد والدعاة وسنعرض جوانب منه ان شاء الله(٣)

وعلى الجملة فالقصة في القرآن جاءت (لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين وانه ليحكي من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصادق

---

(١) البحرالمحيط ٥/٣٥٦

(٢) القمر : ٤

(٣) في باب دعوة الرسل في السورة وباب اعداد الدعاة .

والكاذب ، ومن عاداتهم النافع والضار ، لأجل الموعظة والإعتبار ، فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة ولا تتجاوز موطن الهداية ، ولا بد أن يأتي في العبارة أو السياق وأسلوب النظم مايدل على استحسان الحسن واستهجان القبيح (١)

***

(١) تفسير المنار ١/٣٩٩

المطلب الثالث
خصائص القصص القرآني

ليس النظم القرآني - والقصة جزء منه - بمدرك في وجوه اعجازه وضروب بيانه وكنوزه واسراره كل الإدراك .. ولئن حصل شيء من ذلك لكلام البشر فهو غير مستطاع في كلام رب العرش العظيم .

ومن قلّب نظره الكليل في قصص القرآن العظيم مستجليا خصائصه العامة يقف على أبرزها بما يفتح الله به عليه ، وهي :

١- التكرار الهادف :

الآراء الإسلامية التي قيلت في هذا التكرار ودواعيه وفوائده ومراميه ومكنونه زاخرة العطاء ، نذكر منها :

أ - الإعجاز البياني : وذلك بعرض الحادثة الواحدة في ضروب كثيرة من الوان البلاغة وصور البيان ، وفي كل عرض جديد اضافات جديدة ، وتصوير للحادثة من جوانبها المختلفة ، وكل قصة مكررة تجيء منسجمة مع سورتها والموضوع العام الذى تعالجه .

ومن نماذج ذلك عصا موسى - معجزته الكبرى - وصفها الكتاب المعجز مرة بأنها (حية تسعى) (١) وفي موضع هي (ثعبان مبين) (٢) وفي سورة النمل (تهتز كأنها جان) الاية : ١٠، فهي حية باعتبار ضخامتها وثعبان من حيث الخفة والنشاط وسرعة الحركة ، وهي كأنها جان لكونها مرعبة (٣) وكم من سر بلاغي وحكمة ومغزى ودلالة تكمن وراء ظاهرة التكرار الذى يحسبه الغارفون فراغا وماهو به .

ب - المعالجة الحكيمة للنفوس :

لقد توارث الناس خرافات الآباء وتمسكوا بها دهورا متطاولة حتى رسخت فيهم فلم يكن اخراج تلك التصورات المنحرفة ليتم بين

---

(١) طه : ٢٠ (٢) الاعراف : ١٠٧
(٣) القصص القرآني للخطيب ص ٧١ ملخصا .

عشية وضحاها .. والعلاج المتكرر المتنوع الجرعة أنجع سبيل للتخلية قبل التحلية ، ولقد كانت التخلية أمرا عسيرا حتى قالوا (أجعل الآلهة الها واحدا إن هذا لشيء عجاب) (١) (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) (٢) ، وقالوا منكرين البعث (أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) (٣)

جـ - ترسيخ العقيدة ومفاهيمها :

وهو أمر يتطلب العرض المتكرر ويستدعي الضرب على وتر واحد ، لأن تمكن السنن في النفس وتثبتها في القلب على نحو فعّال منتج موجه محرك .. يحتاج الى مرحلة بناء عميقة الأسس راسخة الأركان .

ولقد قرر علم النفس الحديث ان الشيء المكرر (ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب افعال الإنسان ودوافعها (٤)) والتكرار كذلك (من أهم عوامل تكوين العواطف ولا سيما الدينية منها) (٥)

وكم في القصص القرآني - بالاضافة الى مسائل العقيدة - من أخلاق وفضائل ومثل وآداب ، كررت بصور مختلفة وبأساليب متنوعة ..

اليس هذا منهجا فريدا في تربية وإعداد خير أمة اخرجت للناس ؟

د - التنويع المقصود :

ففي تكرر القصة وتنوع اساليبها وتلون صورها مادة واسعة يستقي منها ما يلائم طبقات الناس والمناسبات والأوقات والظروف ، وكل أولئك يدعم سبل الدعوة .

٢ - الشمولية المطلقة :

أ - في حصر النفوس المخاطبة وطباعها وخلالها ووجهاتها ومكامن شعورها ، ثم عرض معاني الاسلام عرضا شاملا اذ هو دين كل الرسل

---

(١) ص : ٥ (٢) ص : ٤ (٣) ق : ٣

(٤) سيكولوجية القصة في القرآن ص ١١٦

(٥) أصول علم النفس ص ٢٨٠ - د . احمد راجح .

الذين قوبلوا بمواقف واحدة ، فكانت المصائر واحدة كذلك .

ب - وفي تنويع الأساليب والوسائل الملائمة لكل جنس وطبقة ولون .

جـ - ومن حيث الزمن ،فالقصة القرآنية تتحدث عن الماضي والمستقبل في اطار الأحداث الدعوية (١)

وهذه الشمولية على هذا الوجه إعجاز، لست واجده في غير كلام الله عزوجل .

٣ - الحق والصدق والعدل :

ولا غرابة في هذا ذلك أنه من عند الله العليم الخبير (ومن أصدق من الله حديثا) (٢) ، وعنصر الحق الركين والصدق المطلق والعدل التام من خصائص القصة القرآنية بشقيها :

أ - التاريخي الواقعي ، مما ورد من الأحوال السالفة والآتية مما وقع وسيقع .

ب - والتمثيلي الموضوعي الذى ورد على هيئة الأمثال المضروبة (على رأى من لا يفرّق بين القصة والمثل) ..

وفي هذا ولا ريب رد مفحم لأولئك الذين توهّموا أن في قصص القرآن رمزا أو خيالا ..

ولقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بألوان من التعبير ، كصيغة المتكلم في قوله عزمن قائل : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) (٣) ، وكصيغة حشد جملة من المؤكدات كما في قوله عزوجل : (ان هذا لهو القصص الحق)(٤)

---

(١) يرى الأستاذ عبد الكريم الخطيب أنها تتطرق للماضي فقط اذ هو وعاء القصة : (القصص القرآني ص ٦٠) وهذا صحيح في القصص التاريخية ،أما القصة القرآنية فيستوى في غيب الله الماضي والحال والاستقبال ، وهذه الأحوال الثلاثة هي (غيب) بالنسبة للبشر، ولقد قسم بعض الباحثين القصة القرآنية الى : تاريخية وواقعية وغيبية وقصيرة وطويلة وقصة المشاهد والحوار: (منهج القصة في القرآن - ص ٣٥ - ٤٧) .

(٢) النساء : ٨٧ (٣) الكهف : ١٣ (٤) آل عمران : ٦٢

وفي سورة النمل : (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) الآية : ٧٦ ، وكصيغة تعريف الحق في قوله عزوجل : (ان الحكم الا لله يقص الحق) (١)

وقص هذه خصائصها لهي أعمق تأثيرا وأدعى للاستجابة والاذعان وأوثق خبرا وأعدل قيلا ، وهي بذلك أحسن القصص (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) (٢)

*** ***

(١) الأنعام : ٥٧
(٢) يوسف : ٣

المبحث الرابع

(اتجاهات السورة على ضوء ما سبق)

١ - مكيتها :

نقل أهل التفسير الاجماع على أنها نزلت بمكة (١) وقال في روح المعاني انها مكية وذهب بعض الى مدنية بعض آياتها كما سيأتي ان شاء الله(٢) ثم لم يذكر منه شيء ! فلعله توهم ،.ولم أقف على من قال بمثله، والله اعلم.

والسورة متشابهة (اى يشبه بعضها بعضا) في المطلع والنهاية وفصولها مترابطة مما يسوغ القول أنها نزلت متلاحقة حتى تمت (٣) قال في البرهان (٤) نزلت سورة النمل بمكة بعد الشعراء ، وبعدها (أى بعد سورة النمل) القصص .اهـ

فالسور الثلاث مرتبات في المصحف ترتيبها في النزول وتشترك في كثير من الخصائص والسمات العامة . (وتحمل السورة رقم ٤٨ في ترتيب النزول من مجموع السور المكية وهي ٨٦ سورة) (٥)

ولا نستطيع الجزم بالسنة التي نزلت فيها هذه السورة الجليلة ، ويبدو أنها نزلت بعد أن بث اعداء الاسلام فكرة أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقتبس هذا القرآن العظيم من كتب اليهود والنصارى لورود قوله تعالى (**ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون**) الآية : ٧٦

٢ - موضوعاتها العامة :

هي كباقي السور التي نزلت في العهد المكي ، ترسم منها جا لتربية النفوس على الايمان والتقوى ، واعداد الدعاة على أسس العلم والتزكية ومن قبله الايمان وتصور ابعاد وحجم المعركة التي يخوضها المؤمنون لايصال دين الله الى عباد الله

---

(١) زاد المسير ١٥٣/٦ والقرطبي في تفسيره ١٥٤/١٣ والبحرالمحيط ٥٢/٧
(٢) هذا لفظ الألوسي رحمه الله في روح المعاني ١٥٤/١٩
(٣) التفسير الحديث - محمد دروزة ١٥١/٣ سورة النمل ط ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م
(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٩٣/١ وانظرمعه الاتقان للسيوطي ٩/١-١٢
(٥) التفسير الحديث ص ١٤/١

فتقـــــرر :

١ - أصـول الديـن من : الايمان بالله عزوجل ، وملائكته ، وكتبه ، ورسـله واليوم الآخـر ، والقدر خيره وشره .

٢ - أسـس الأخلاق كالصـدق والتواضـع واللين والنزاهـة . وهي مؤ سسة على اصول الاعتقاد ، فليست الا ربانيـة الهدف والموضـوع .

٣ - ركائز الحضـارة : كالعلم ، والقـوة بنوعيها الحسية والمعنوية ، والشكر لله عز وجـل بالاستقامة على طريقـه وبه تصان الحضارة من الانهيار .

٤ - عمـد الدولـة الاسلامية : الايمان ، والعلم ، والشورى ، والتناصح ، والطاعـة لله ولرسوله وللولاة المسلمين ، والتثبت من الأنبـاء قبل قبولها .

وفي السـورة الشريفة مناهج لدعـوة الناس الى هذه الروافـد الخيرة التي تحقـق للانسانيـة سعادة الدارين ، بمختلف المناهج : العلمي والفطرى والعاطفي ومنهج القـوة ، وهـي مبسـوطة خـلال :

١ - البيان والتوجـيه الالهي المباشر ، وهو جلي في مفتتح السورة الذى ينوه بجلال القرآن العظيم وأثره في الحياة الدنيا والآخرة وخصائصـه، واستغرق خمسـة أسطر في ست آيات .

٢ - قـصص الأنبياء :

موسـى : ولم تتناول الا مبـدأ الوحـي وعاقبة المكذبين بـه .

داود وسليمان : وفيها ابراز عنصر العلم وتنويه بأثره الحميد في قوة الـدولـة ونشـر الدعـوة .

صالح : وفيها عرض لتكذيـب الكافرين وسـوء عاقبتهم .

لوط : وتبرز لونا من الانحراف الاجتماعي الذى يصيب الامم المتنكبة عن هدى ربها ، وسـوء مصيرهم.

والمغزى العام من ايراد هذه القصص لهؤ لاء الانبياء عليهم الصلاة والسـلام هو اقامـة الموازنـة بين موقف مشركي مكة والمنكرين والجاحدين عامـة في الأمم الغابرة بذكر سبيل الفلاح والترغيب فيه ، وبيان سبل الضلال والترهيب منها .

وجاءت هذه القصص النبوية الكريمة في زهاء احدى وخمسين آية تنخرط في ثلاثة وستين سطرا .

٣ - عرض مظاهر الكون وعناصر الطبيعة من خلق السموات والأرض وانزال الغيث واجابة دعاء المكروب والهداية في ظلمات البر والبحر، وارساء الجبال والحجز بين البحرين ومد الانهار وتسخير الليل والنهار وبث الارزاق . . ، وابراز مواطن الدلالة والاعتبار فيها وهو في خمس آيات تنخرط في زهاء ثلاث عشرة آية .

٤ - ايراد شبه المنكرين للبعث والرد عليهم بمختلف الأساليب وتنوع ضروب الاستدلال ، وجاء في قرابة تسع آيات فيما مثلها من السطور .

٥ - عرض أشراط الساعة ومشاهد القيامة وهو وارد في باقي السورة .

٣ - مقاصدها الكلية :

من الاهداف العامة لسورة النمل تقرير الوحي وأن القرآن العظيم من عند حكيم عليم سبحانه وتعالى ، وورد تقرير ذلك ضمن بيان ما حواه هذا الكتاب الخالد من هدى ونور وما اشتمل عليه من علم وحكمة تهدى وتبصّر وتوجه وتسدد قال في نظم الدرر (سورة النمل مقصودها وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين ، بالفصل بين الصراط المستقيم وطريق الحائرين والجمع لأصول الدين لاحاطة علم منزله بالخفي والمبين ، وبشارة المؤمنين ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين ، وكل ذلك يرجع الى العلم المستلزم للحكمة ، فالمقصود الأعظم منها اظهار العلم والحكمة ، كما كان مقصود التي قبلها (اى الشعراء) اظهار البطش والنقمة . .) (١)

وقال في تفسير الجواهر (في السورة قواعد خزانتين :

١ - العلم . ٢ - السياسة ، وبهما تنهض الأمة اليوم !) (٢)

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين البقاعي (٨٨٥هـ)
١٢٢/١٤ ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م الهند .

(٢) تفسير الجواهر - طنطاوى جوهرى ١٢٨/١٣ ط ١٣٥٠هـ مصر

الباب الثّانى

(دعوات الأنبياء فى السّورة)

ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : (دعوات أنبياء بنى إسرائيل .)

- موسى عليه السلام .
- داود عليه السلام .
- سليمان عليه السلام .

الفصل الثانى : (دعوة صالح عليه السلام)

الفصل الثالث : (دعوة لوط عليه السلام)

الفصل الرّابع : وحدة الأصول والأهداف فى رسالات الله .

الفصل الخامس : الدروس المستفادة من دعوات الأنبياء فى السورة .

الباب الثاني

(دعـــوات الأنبيـــاء في السـورة)

توطـــئة :

مامن ريب أن دعوات الرسل هي أقوم الدعوات منهاجا ، وأرشدها سبيلا ، وأسناها غاية .. ذلك أن الرسل من قبل الله - جلت آلاؤه - يبعثون ، ومن وحيه المباشر يستمدون تحوطهم رعاية الله ، وتكلؤهم عنايته ، ويتنزّل الوحي بين الحين والحين لتوجيههم للتي هي أهدى وأبقى .

وعلى هذا فهم لاصابة الحق أوفق ، ولمعرفة طبائع الناس وأهوائهم ونزعاتهم أقرب وأعدل ، ولانتقاء الأساليب والوسائل ومراعاة الظروف والأحوال أعلم وأرشد .. وأي دعوة ترتقي في سمو غاياتها وعدل مناهجها الى دعوات الأنبياء عليهم السلام ؟ ؟

لقد خلّد كتاب الله هذه الدعوات ، ورسم مناهجها وسماتها وخصائصها على نحو معجز مبين ، لايكاد الدعاة يتلمسون هداها الا ويجدون فيها زادهم هداية وتسرية .. حتى ليقول - جلت آلاؤه - لخاتم المرسلين : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (١)

ومهما قرأت مما سطره الأقدمون واللاحقون حول هذه الدعوات المباركة فأنت واجد - بعون الله وفضله - الجديد المفيد مما يفتح الله به عليك من مناهج الدعوة تأصيلا أو تطويرا ..

ولقد تضمنت سورة النمل قصص خمس من هؤلاء المجتبين الأخيار : موسى وداود وسليمان وصالح ولوط عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام .

---

(١) الانعام : ٩٠

والسمة المشتركة بين دعوات هؤلاء الخمسة ، أنها وردت في هذه السورة ضمن اطارها العام ، فالسورة تتناول جوانب منها مما يخدم فكرتها الأساسية ، ووردت جوانبها الأخرى في سور أخرى مكية ومدنية .

وددأبي في هذا الباب هو محاولة ابراز معالم الدعوة ، باستقصاء منهج كل نبي وأساليبه والأمور التي انفرد بها عن غيره من بقية الخمسة على ضوء معطيات السورة ، ثم ايضاح وحدة رسالات الله مصدرا ومنهجا وأهدافا ..

والرد على أعداء الاسلام من المستشرقين وغيرهم الذين راموا النيل من قصص القرآن الكريم بالتشكيك فيها .. وعمدتي في الرد قوله تبارك وتعالى في هذه السورة : (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) الآية : ٧٦

الفصل الأول

دعوات أنبياء بني اسرائيل

المبحث الأول

دعوة موسى عليه السلام

اهتمام القرآن الكريم بدعوة موسى :

لقصة موسى - عليه السلام - شأن عظيم في القرآن الكريم ، فلقد ذكر موسى باسمه الصريح (١٣٦) مرة (١) ، وورود دعوة موسى بهذا التكرار الذى لا شبيه له في دعوات الرسل قبل محمد عليه الصلاة والسلام مفصلة أو موجزة أو بالاشارة اليها .. يوحي بأهميتها وتنوع وجوهها الدعوية وتعدد جوانبها التربوية .. (ولهذا أطال فيها كتاب الله اطالة لا تجدها في غيرها من السير ولا عجب فهي قصة الاستبداد المقنّع والظلم الصارخ والطغيان البالغ منتهاه هي قصة الخروج على دساتير (٢) العدل وقوانين الفطرة وحرمة الانسانية) (٣) ، هي قصة تحوى مواجهة كل هذا الانحراف الضخم بتحليل أسبابه ودواعي تغلغله في بني اسرائيل ، ومناهج اصلاحهم وطرائق تربيتهم .

واحتفال القرآن المجيد بدعوة موسى على هذا الوجه كان لسببين هامين :

١- ان بني اسرائيل أمة عويصة الانقياد ، رسخت فيها أكثر الأمراض التي يعالجها رسل الله والأخيار من أتباعهم .. حتى ان السياق القرآني كثيرا ما يخاطبهم مباشرة ببابني اسرائيل ويا أهل الكتاب .. في غيرما آية ، ولذلك آثاره وفاياته ..

---

(١) هذا غير ما وردت الاشارة المكررة اليه مما له صلة بدعوته كالتوراة والطور ، وسيناء ، وأهل الكتاب ، وبني اسرائيل ، وفرعون .. وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن المجيد لمحمد عبد الباقي .

(٢) قال في المعجم الوسيط ١ / ٢٨٢ : الدستور : النسخة المعمولة للجماعات التي منها تحريرها ، وفي الاصطلاح المعاصر : مجموعة القواعد الأساسية التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها ومدى سلطتها ازاء الافراد .

(٣) دعوة الرسل - محمد العدوى ص (ص) مقدمة

٢ - وجود وجه مشابهة بين بني اسرائيل وبين المقصرين من هذه الأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لوسلكوا جحر ضب لسلكتموه ،قلنا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟) (١)

مراحل دعوة موسى وموقعها في السورة :

ويمكن تقسيم قصة موسى - عليه السلام - ودعوته في القرآن العظيم الى مراحل ثلاث :

المرحلة الاولى :

بدءاً من مولده ونشأته الى تنقله في عهد الشباب من مصر الى مدين وتزوجه باحدى ابنتي الرجل الصالح ، ويتجلى في هذه المرحلة اعداد موسى وتربيته جسميا وفكريا ونفسيا للمهمة الشاقة والفضلى ، عبر عن ذلك قول الحق - تباركت آلاؤه - : (.. ولتصنع على عيني) (٢) وقوله : (واصطنعتك لنفسي) (٣) ، وكم في هذه المرحلة من مناهج اعداد الدعاة وتربيتهم ،وكم فيها من سنن الله في حفظ دينه ورعاية دعاته ..

المرحلة الثانية :

من ايناسه من جانب الطور نارا وتكليم الله له ثم مواجهته فرعون وجنوده .. الى الخروج بالمستضعفين من مصر الى سيناء ،وفرق فرعون ، وهذه المرحلة حافلة بمناهج دعوته وأساليبها ، وقد تناولت سورة النمل هذه المرحلة فقط وباجمال .

ودأبي الالمام بمعطيات الدعوة في هذه المرحلة ضمن اطار السورة

---

(١) متفق عليه : رواه البخارى عن ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه ٣/١٢٧٤ كتاب الأنبياء باب(٥١) ماذكرعن بني اسرائيل ، واللفظ له ، ومسلم ٤/٢٠٥٤ في كتاب العلم باب(٣) اتباع سنن اليهود والنصارى .

(٢) طه : ٣٩ (٣) طه : ٤١

المرحلة الثالثة :

وأبرز ملامحها اعداد بني اسرائيل لحياة جديدة غير ما الفوا ، ونزول التوراة توجه وتقوم وتشرع ، ثم التيه وموت هارون فموسى ، وأحداث هذه المرحلة زاخرة بمناهج تربية الأمم على حميد الأخلاق وكريم السلوك وفيها تفصيل لأسس وسبل تحقيق الاستخلاف في الأرض وانهاض الحضارة وتلي هذه المرحلة دعوة داود وسليمان عليهما السلام .

ولست اجنح الى المنهج التاريخي في تناول دعوة موسى أوغيره ، كما لا أميل الى المنهج التفسيرى في عرضها وان لم يكن لي عنهما غناء ، ودأبي استقصاء معالم الدعوة وفق ما تضمنتهسورة النمل وفي حدود ما يخدم موضوعها العام .. وما وراء ذلك فهو مفصل في مظانه (١)

على أن دعوة موسى في سورة النمل (لا يراد بها العرض القصصي وانما غايتها الالفات والتذكير .. فهي ليست من القصص وان كانت تضم في كيانها احداث القصة كلها) (٢)

**** ****

---

(١) يراجع للسرد التاريخي والتفسيرالموضوعي : تاريخ الأمم للطبرى ١ / ١٩٨ ومابعدها ، وقصص الأنبياء للنجار ص ١٥٥ وما يليها، ودعوة الرسل لمحمد العدوى ص ١٧٥ ومابعدها ، وكتب التفسير في سورةالبقرة ، والمائدة ، والأعراف ، ويونس ، وابراهيم ، وطه ، والمؤمنون ، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، وغافر ، والدخان ، والنازعات ، وفي التفسيرالواضح ١٩ / ٤١-٤٢ جدول موضوعي لدقائق حياة موسى - عليه السلام - بذكر مواضع بسطها في الكتاب العزيز يراجع فهو مفيد .

(٢) القصص القرآني للخطيب ص ٢٧٣ .

معالم الدعوة في قصة موسى :

قال تعالى : (إذْ قالَ موسى لأهلِهِ انيءانَسْتُ ناراً سءاتيكم منهـا بخَبَرٍ أوءاتيكم بِشِهَابٍ قبس لعلكم تَصْطلون . فلما جَاءَهَا نُودِيَ أن بُورك من في النارِ ومن حولَهـا وسبحانَ اللهِ ربِّ العالمينَ ياموسى إنَّه أنا اللهُ العزيزُ الحكيمُ ، والقِ عصاكَ فلما رءاهـا تهتز كأنهـا جانٌّ ولّى مدبراً ولم يعقِّب ياموسى لا تخفْ إني لا يخافُ لدىّ المرسلونَ . الا من ظَلَمَ ثم بدَّلَ حُسْناً بعَدسُوءٍ فاني غفورٌ رحيم . وأدخل يَدَك في جيبِك تَخْرُجْ بيضاءَ من غير سوءٍ في تسعِ ءاياتٍ الى فرعونَ وقومِهِ إنهم كانوا قوماً فاسقين فلما جاءتْهم ءاياتُنا مبصرةً قالوا هذا سحرٌ مبين . وجَحَدُوا بها واسْتَيْقَنَتْهَا انفسُهُم ظلما وعلوّاً ،فانظُر كيف كان عاقبةُ المفسِدِينَ) سورة النمل : ٧ - ١٤

تناولت الآيات الشريفة دعوة موسى من جانبين :

١- التلقي المباشر عن الله سبحانه وتعالى وتفصيل أحداث ذلك التلقي المبارك وتفصيل ما حصل من كلام الله لعبده موسى .

٢- مجابهة موسى الطغيان ،وقد اجملت السورة ذلك في آيتين بعناصره الثلاثة : العرض ، وموقف القوم منه ، وعاقبة ذلك وهذا ايضاح للجانبين من الوجهة الدعوية :

الجانب الأول : (التلقي) :

لقد كان اتصال السماء بالأرض من عجائب الأمور وغرائب الأحداث في أذهان المنكرين والجاحدين .. اذ أوحت اليهم أخيلتهم المريضة أن ذلك من الممتنعات المستحيلات لطول ما ألفوا المحسوسات القريبة في مكرور الحياة ولفرط ما التصقوا بالمادة وركنوا اليها .

وبهذا الفهم السقيم استنكروا مستبعدين أن يتنزل وحي السماء على رجل منهم يتسم بسماتهم البشرية ويحيا حياتهم المألوفة ،

ثم هو ينذرهم وينصح لهم وينبئهم نبأ السماء

واستبعاد بشرية الرسل من القضايا المطردة التي واجهها رسل الله جميعهم كما في قوله تعالى : (يا حسرتا على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) (١) ، وهو من كبرى موضوعات السور المكية عرضا ونقضا .

ولقد سلكت سورة النمل من خلال قصة موسى منهجا فذا جمع في اطوائه كليات العقيدة وأسس التشريع وركائز التصور الصحيح ، الذى يجعل بشرية الرسول جزءاً من العقيدة لا تصح بدون الايمان بها .

ويبدو ذلك جليا مما يلي :

١ ـ المناداة بجبل الطور بعد أن آنس موسى نارا فذهب ينشد خبرا وهدى أو شهابا قبسا .. ووردت المناداة بصيغ مختلفة ترفع الغبش الذى قد يعترى قلب المدعو في فهم وتصور الالهية والنبوة فتارة يرد الفعل مبنيا للمعلوم مقرونا بلفظ الربوبية (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) (٢) ، وتارة على صيغة المتكلم : (وناديناه من جانب الطور الأيمن) (٣) ، وتارة يرد مبنيا للمجهول ـ وهو معلوم ـ (فلما أتاها نودى أن ياموسى ..) (٤) وفي سورة النمل : (فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم) الآيتان : ٨ ـ ٩ قال المفسرون : الهاء في (انه) كناية عن المنادى كأن موسى قال : من هذا الذى يناديني ؟ فقيل : (انه انا الله) (٥)

ويعضد موسى بالمعجزات قبل مواجهة الطغيان على ماسيجيء .

---

(١) يس : ٣٠ (٢) النازعات : ١٦
(٣) مريم : ٥٢ (٤) طه : ١١
(٥) زاد المسير ٦/١٥٦

٢ - تقرير توحيد الالهية والربوبية كما في قوله تعالى : (يا موسى اني أنا الله رب العالمين (١) وقوله : (اني انا ربك ..) (٢) وقوله في سورة النمل (ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم) الآية : ٩

وليس يخفى أن الجمع بين الألهية والربوبية في معرض تكليم موسى في هذه السورة المكية يهدف الى بيان الأساس الأول للدعوة الاسلامية ،اذ هناك من يسلم باحداهما دون الأخرى كمشركي العرب أو ينكرهما معا كالشيوعيين في هذا العصر وهم أرومة يهودية عتت عن أمر ربها ورسله من أمد بعيد .

٣ - بيان مقتضى هذا التوحيد : وهو العبادة المبنية على التصور السليم ،وأهمها الصلاة ومن آثارها ذكر الله في السر والعلن وكل ذلك مبني على الايمان بيوم الحساب وهذا كله مترابط الوشائج في قوله تعالى لموسى (اني انا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) (٣) وقوله (اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكرى) (٤) وفي سورة النمل (ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم) الاية :٩ ، فهو سبحانه عزيز في الهيته وربوبيته حكيم في تشريعه وأحكامه وهذا التفسير ليس بالممتنع و لم أقف على من قال به .

وهذه القواعد الثلاث : ١- الألهية وما يرتبط بها من الايمان بالبعث ٢- والرسالة بكل مقوماتها ٣- ومضمون دعوة الرسل ،هي أسس رسالات الله في كل زمان ومكان .

---

(١) القصص : ٣٠
(٢) طه : ١٢
(٣) طه : ١٤ - ١٥
(٤) طه : ٤٢

ومغـــزى القصـــة في الســـورة :

أن هـذه الركائز الايمانيـة لئن تجلت في كل الرسالات ورسالـة موسـى مثل منها فليس عجيبا أن يوحى الى رجل من العرب يبلـــغ رسالة ربـه وتكون معجزتـه أظهـر المعجزات ، وفوق ذلك هي خالدة .. ولئـن كذب فرعـون موسـى فأبيـد هو ومن معـه فليست تلـك العاقبـة الوخيمة من هـؤلاء ببعيد .

وهذا هو الهدف الأول الذى من أجلـه سيقت قصـة موسى عليه السلام في السورة ،قال تعالى (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليـم . اذ قال موســى لأهلـه ....) النمل : ٦-٧

قال ابن كثير - رحمه الله - : (وفحوى الخطاب يقول : احذروا أيها المكذبـون لمحمد ، الجاحدون لما جاء به من ربـه أن يصيبكم ما أصابهـم بطريق الأولى والأحرى ، فان محمدا صلى الله عليـه وسلم أشرف وأعظم من موسى ، وبرهانـه أولى وأقوى من برهان موسى بما آتاه الله من الدلائل المقترنـة بوجوده في نفسـه وشمائلـه ومـا سبقـه من البشارات من الأنبياء به وأخذ المواثيق له عليه من ربـــه أفضل الصلاة والسلام) (١)

وعلق الألوسي على لفظ (المفسدين) في قوله تعالى (.. فانظر كيف كان عاقبـة المفسدين) بقوله : وفي اقامـة الظاهـر مقام الضمير ذم لهـم وتحذير لأمثالهم (٢)

الجانب الثاني : المواجهـة :

وفي هذا الجانب يصدع موسى بما أمر به ويتوجـه الى فرعون ويدعوه الى الحـق والهدى بعـد أن يتلقى ارشاد ربـه ويعطى المعجـزات الدالة على صدقـه ،فيجحد القوم بعـد الاستيقان فيحق عليهم العذاب.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٥٧

(٢) روح المعاني ١٩/١٦٩

ومناهج الدعـوة التي سلكها موسى عليه السلام في دعـوته فرعـون تتلخـص في الآتـي :

١- المعجزات :

فصلت سورة النمل الحديث عن العصا واليد ،وأشارت الى غيرها بأنها تسع آيات ، وهاتان المعجزتان تتداخل ملامحهما عرضا واحتجاجا في المقامين : مقام التوجيه الالهي في جبل الطور ومقام مواجهةالطغيان فلنستشف ما يعن للبحث دون الفصل بين المقامين :

أ ـ العصا : ورد ذكرها في ثنايا السياق القرآني بضـروب مختلفة (وأن الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولـم يعقب ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) (١) وفي موضع(قالـ القها ياموسى فألقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخـف سنعيدها سيرتها الأولى) (٢) ، وفي سورة النمل :(وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولّى مدبرا ولم يعقب ياموسى لا تخـف اني لا يخاف لدى المرسلون) الآية : ١٠

والمعطيات الدعوية لهذه الآيات تقرر :

١ ـ أن استحالة العصا الى حية لم يكن كسائر الحيّات المشاهدة بل هي ـ فوق كونها أمرا خارقا للعادة ـ في منتهى الوضوح والدلالة على الهدف المبتغى منها فقد (صارت حية في ضخامتها وجانـا في سرعتها وخفتهـا) (٣)

٢ ـ ضعف الطبيعة البشرية اذ يعتريها الخوف والاضطراب ، حتى ليقول موسى و هو من أولي العزم من الرسل (رب اشرح لـي صدري ويسرلي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ..) (٤)

---

(١) القصص : ٣١ (٢) طـه : ٢٠
(٣) التفسيرالقرآني ١٩/٢١٦ (٤) طـه : ٢٥-٢٨
وقصص الانبياء لابن كثير ص ٣١٤

وقد ذكر المفسرون أن سبب خوف موسى كان اما لقتله القبطي ،أو لعقدة في لسانه ،أو خوفا من سحرة فرعون ، أو انه خوف نفسي وأيا ما كان فالذى يدرأ هذا الضعف هو استشعار معية الله والثقة به وبنصره ومن مظاهر ذلك واسبابه الاستغفار والاستقامة كما أشارت آية النمل (ياموسى لا تخف اني لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم) الاية : ١٠-١١ على أن خوف موسى - عليه السلام - ليس كخوف عامة الناس من غيرالأنبياء فهو وان كان ذا طبيعة انفعالية الا انه النبي الموحى اليه المكلم من قبل رب العرش العظيم (١)

٣ - قوة رب العزة وقدرته التي لا تحدها حدود ولا تعوقها قيود قال ابن كثير (.. ثم أمره أن يلقي عصاه من يده ليظهر له دليلا واضحا على أنه الفاعل المختار القادر على كل شئ) (٢) وهذا مع كونه من ركائز الايمان وأهداف الدعوة هو - كذلك - منهج لتربية الدعاة واعدادهم ،الست ترى أثر هذه التربية يتجلى في مناداة موسى ربه بالربوبية (قال رب اشرح لي صدرى) (٣) (قال رب اني أخاف أن يكذبون) (٤) ، لقد علم قدرة الله اذ قال له (خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى) (٥) ، (ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) (٦) وفي سورة النمل (ياموسى لا تخف اني لا يخاف لدى المرسلون)

ب - اليد : وهي المعجزة الثانية ، وقد تناولها السياق الجليل بصيغ مختلفة (واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) (٧) ، (اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير

---

(١) كمايقول صاحب الظلال ٥ / ٢٦٢٩
(٢) تفسيرابن كثير ٣ / ٣٥٧
(٣) طه : ٢٥
(٤) الشعراء : ١٢
(٥) طه : ٢١
(٦) القصص : ٣١
(٧) طه : ٢٢

سوء ، واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين) (١) وفي سورة النمل (وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) الآية : ١٢

ويبدو أن هاهنا آيتين : الأولى اليد البيضاء من غير سوء وهي آية لفرعون وملئه تشهد بصدق موسى -عليه السلام- ، و الثانية ضم اليد الى الصدر ليذهب الروع ، وهي بهذا الاعتبار خاصة بموسى ، قال ابن كثير في قوله عزوجل : (واضمم اليك جناحك من الرهب) قيل معناه : اذا خفت فضع يدك على فؤادك يسكن جأشك) قال (وهذا وان كان خاصا به الا أن بركة الايمان به حق بأن ينفع من استعمل ذلك على وجه الاقتداء بالأنبياء) (٢) وفي هذا ولا شك تصوير لاستكبار فرعون وتكبره في الارض وصلفه واسرافه لعنه الله .

جـ- الآيات التسع : وهي اما بقية الآيات التي مجموعها احدى عشرة آية ،أو أنها في مجموعها تسع آيات ، ولم تذكر معجزات موسى -عليه السلام- في القرآن العظيم بأنها تسع الا في موضعين : في سورة النمل (.. في تسع آيات الى فرعون وقومه) وفي سورة - الاسراء (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) (٣)

وللمفسرين الأجلة أقوال عديدة مختلفة في تحديد التسع الآيات على الاعتبارين المتقدمين ، فباعتبار أنها تسع -وعليه الأكثرون - يرى البعض أنها ترجع في أصولها الى تسع (٤) قال الفخرالرازي : (وتخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد ..) ثم مال الى أن التسع الآيات هي الكلمات الواردة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال (هن : الا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ، ولا تقذفوا المحصنة ،ولا تولوا الفرار

---

(١) القصص : ٣٢ (٢) قصص الأنبياء : ص ٣١٤
(٣) الاسراء : ١٠١ (٤) تفسيرالنيسابوري ١٥ / ٩٨

يوم الزحف ، وعليكم خاصة اليهود أن تعدلوا في السبت) (١)
قلت : والحق أن هذه الكلمات التي سأل عنها اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل موضوع الدعوة لا معجزاتها وان صح تسميتها بالآيات ، على أن سبب خلاف العلماء في تحديد التسع الآيات يرجع الى خلطهم بين المعجزات الموجهة الى فرعون وملئه بصفة خاصة والمعجزات المقصود بها بنو اسرائيل بعد خروجهم من مصر ، والحد الفاصل بينهما موت فرعون غرقا ، والا فالآيات كثيرة جدا أوضحها : تكليم الله موسى ، والعصا واليد ، والأخذ بالسنين ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وفلق البحر ، وانبجاس الماء من الحجر ، ورفع الطور كأنه ظلة ، والبعث بعد الموت في هذه الدنيا لنفر منهم ، واحياء القتيل بضربه بجزء من البقرة المذبوحة وتظليل الغمام ، والمن ، والسلوى ونزول التوراة مكتوبة في الألواح .. وهذا كله مفصل في سور : البقرة / ٥٠ و٥٦ و٥٧ و٦٠ و٦٣ والأعراف / ١٣٠ - ١٣٣ و١٧١ ، والاسراء ١٠١ ، وطه / ٧٧ ، والنمل ٩ و١٢-١٣ ، والدخان ١٣ ، والنازعات ٢٠

وبناء على ماتقدم فالآيات التسع هي المذكورة في قوله تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) (٢) وقوله (فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ..) (٣) ، فهاتان الآيتان نصتا على :

١- ان هذه الآيات موجهة الى (آل فرعون) .

٢- وأنها آيات مفصلات وفي الاسراء (آيات بينات) وفسر كونها بينات بانها متتابعة كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما (٤) ، فعنصر التتابع يجلي معنى كونها (مبصرة) كما في سورة النمل ، اذ تتابعها ابلغ في دلالتها واقامة الحجة ..

(١) مفاتيح الغيب ٢١ / ٦٥ والحديث في سنن الترمذي ٣ / ٣٩٩ باب ماجاء في قبلة اليد والرجل من حديث صفوان بن عسال .
(٢) الاعراف : ١٣٠ (٣) الاعراف : ١٣٣
(٤) تفسير الطبري ١٥ / ١١٥

٣ - وأنها سبع آيات : ١- السنين (وهو الجدب) ٢- ونقص الثمرات (وهو كثرة العاهات) ٣- والطوفان ٤- والجراد ٥- والقمل ٦- والضفادع ٧- والدم ، وتمام التسعة اليد والعطا (١)

وحقيقة هذه الآيات وماهيتها وكنهها وكيفية تحققها في ذلك أقوال بسطها أهل التفسير فيرجع اليها في مظانها (٢)

وهذه المعجزات على تنوعها وتتابعها وكثرتها ووضوحها - وان كانت خاصة بالانبياء - تنسلك في مناهج الدعوة من وجوه عدة فهي من المنهج العقلي لأنها تخاطب العقول والبصائر ، وتدعو الى التفكر والتبصر ، كما أنها خاطبت الفطر السليمة والعواطف الصادقة اذ أثرت في السحرة الذين خبروا فنون السحر ودقائقه فعلموا أنها خارجة عن نطاق البشر وقدرته المحدودة فخروا سجدا مؤمنين ..

وما أدق الوصف القرآني لهذه الآيات في قوله جل شأنه (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) الآية : ١٣-١٤ قال في أنوار التنزيل : (مبصرة) أى بينة ، اسم فاعل أطلق للمفعول اشعارا بأنها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لوكانت مما يبصر ، أو ذات تبصّر من حيث أنها تهدى ، والعمي لا تهتدى فضلا عن أن تهدى ، أو مبصرة كل من ينظر اليها وتأمل فيها (٣) ، وقال في روح المعاني : (واستيقنتها) أى علمت علما يقينيا أنها آيات من عند الله تعالى ، والاستيقان أبلغ من الايقان (٤)

---

(١) و(٢) يراجع تفسير الطبرى ١٥ / ١١٤ وفرائب القرآن للنيسابورى على حاشية الطبرى ١٥ / ٩٨ ومفاتح الغيب للرازى ٢١/٦ والبحر لأبي حيان ٤ / ٣٧٢ وتفسير البيضاوى ٣ / ٢٤ والمنتخب ص٤٢٤ و٥٦٤ وروح المعاني للالوسي ١٩ / ١٦٧ وتاريخ الامم للطبرى ١ / ٢١٦ وقصص الانبياء للنجار ص ١٩٨ ، وتفسير السورة التي يذكر فيها النمل لابن ابي حاتم الرازى ص ٩٤ - تحقيق نشأت الكوجك .

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوى ٤ / ١١٣

(٤) روح المعاني للالوسي ١٩ / ١٦٨

وأوضحها اليد والعصا وهما المقصودان من قوله تعالى (فأراه الآية الكبرى (١) على رأى جمهور العلماء .

وعلى الجملة فلقد كانت الآيات متجانسة مع طبع الفراعنة العاتي وطبيعة بني اسرائيل المنحرفة كما قال تعالى (وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين) (٢) وقال (ومانريهم من آية الا هي أكبر من أختها) (٣) ومع ذلك لم يعتبر الا القليل ...

٢- المنهج الفكرى :

لقد وجه موسى - عليه السلام - عقولهم ولفت أنظارهم الى بديع صنع الله وعجيب خلقه مما هو ملموس مشاهد في أرجاء هذا الكون ، وقد عرض كتاب الله لهذا المنهج الفكرى على لسان موسى عليه السلام في مواضع عدة اقتصر على بعضها :

قال تعالى (إنا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما ياموسى ؟ قال : ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ،قال : فما بال القرون الأولى ؟ قال : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذى جعل لكم الأرض مهدا ، وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لأولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) (٤) وأنت ترى من هذا السياق القرآني المعجز :

١- الحبل الموصول بالله في دقائق الأمور وجلائلها مما نعرف ونجهل (اناقد أوحي الينا) (ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ، (علمها عند ربي) (لا يضل ربي ولا ينسى) (الذى جعل لكم الارض .. وسلك لكم .. وأنزل من السماء ..) ويتبدل الاسلوب فجأة من الماضي الى المضارع (فاخرجنا به.) (منها

---

(١) النازعات : ٢٠ (٢) الدخان : ٢٣
(٣) الزخرف : ٤٨ (٤) طه : ٤٨-٥٥

خلقناكم وفيهانعيدكم ..) فانظر كيف فوض علم عالمي الغيب والشهادة الى العليم الخبير في كلمات وجيزة عظيمة مبينة ، وهذا أساس العلوم في الاسلام وأساس المنهج الفكرى في الدعوة . .

٢- تصحيح التصورات الخاطئة في الالهية والربوبية ،اذ عبد المصريون القدماء فرعون ومظاهر الكون كالشمس والنيل[١] .. فالله تعالى (أوحى .. واعطى .. وهدى .. وعلم .. ولا يضل .. ولا ينسى) فهو صاحب التصرف المطلق في الارض والسماء .

٣- مع الاستدلال بمظاهر الطبيعة ومشاهد الكون على وحدانية الله وبطلان مايعبد سواه ثمة استدلال آخر على امكانية البعث ، فكما أن الله يخرج بالماء نباتا حيا يانعا من الارض الميتة الخاوية تأكلونه وترعى فيه انعامكم .. كذلك خلقكم من الأرض نفسها وأخرجكم منها وفيها يعيدكم ومنها يخرجكم تارة أخرى ..

ولمنهج لفت النظر الى آثار القدرة الالهية في الكون تفصيل علمي مبوّب سيجيء الحديث عنه في الباب الثالث ان شاءالله .

ومن خصائص المنهج الفكرى -على سعة ابوابه- مراعاة الظروف والأحوال ومخاطبة المدعوين على قدر ما يعون ويفهمون ، وهذا كله ملاحظ في دعوة موسى -عليه السلام- فمن لباقته وفطنته قوله (موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) (٢) فهو يوم تجمع عام وفي أجلى ساعات النهار قال في البحر(وانما واعدهم موسى بذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين وأشياعهم ويكثرالمحدث بذلك الأمر في كل بدو وحضر ، ويشيع في جميع أهل الوبر والمدر) (٣)

---

(١) انظر مقارنات الاديان - الديانات القديمة ص ٥ وما بعدها لأبي زهرة
(٢) طه : ٥٩
(٣) البحرالمحيط لابي حيان ٦/٢٥٤

٣ - المنهج العاطفي :

ومن أهم أساليبه (الترغيب والترهيب) ويخاطب بها وجدان الانسان ويستحث عزمه وكوامن أحاسيسه ، ومن أمثلة ذلك من دعوة موسى عليه السلام قوله عزوجل (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) (١) فهذا الخطاب الكريم على هذا النحو يثير فيهم بقايا الكرامة والنخوة ، فكأنه يقول لهم : انتم من ذرية اولئك الأخيار الذين آمنوا مع نوح واتبعوا هديه ونهجوا طريقه وقد كان عبدا شكورا .. فهلا شكرتم كما شكر أسلافكم ؟!

ومثل آخر من سورة النمل في قوله تباركت اسماؤه حين خاف موسى (ياموسى لا تخف اني لا يخاف لدىّ المرسلون الا من ظلم ثمّ بدّل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم) الآيتان : ١٠/١١ فهذه الآية الشريفة وان كانت تخاطب موسى الا أنها تخاطب المدعوين كافة لأن موسى تلقاها في معرض التكليف .. وكثيرا ما يفيق المذنبون وينيبون على سناها ،قال ابن كثير (هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر ، ذلك أن من كان على عمل شيء ثم اقلع عنه ورجع وتاب وأناب فان الله يتوب عليه كما قال تعالى (واني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) (٢)

ومن أساليب هذا المنهج أسلوب اللين والملاطفة كما قال تعالى (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا ليّنا لعله يتذكر أو يخشى) (٣) ، فلقد وصف فرعون بالطغيان - وكم في هذا الوصف من دلالة - ومع هذا يطلب من موسى أن لا يشتد في مخاطبته ، (والقول اللين لا يثير العزة بالاثم ، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذى يعيش به الطغاة ، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة

---

(١) الاسراء : ٣-٣

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٣٥٧ والآية المستشهد بها في طه : ٨٢

(٣) طه : ٤٣-٤٤

الطغيان) (١)

أهداف دعوة موسى :

رمت دعوة موسى الى أهداف عامة تلتقي في تحقيقها كل رسالات الله ، كما هدفت بعد ذلك الى تحقيق أهداف خاصة ببني اسرائيل تنبثق من الأهداف الكبرى وتنبني على مدى استمساك بني اسرائيل لها واصطبارهم عليها .

والأهداف العامة هي :

١- توحيد الله وافراده في العبادة ، وهذا جلي في قوله تعالى لكليمه موسى عند الطور (انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى) (٢) وفي سورة النمل (ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم) الآية : ٦ وهو جلي - كذلك - في قول موسى وهو يواجه الطغاة (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (٣) وقوله (رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين)(٤)

٢ - تصحيح تصور أهل الكتاب للألوهية : فاليهود يجعلون الوهية الله سبحانه مقتصرة عليهم فقط وهم مع هذا الانحراف يضفون على الألهية صفات نقص على ما مر بيانه (٥) وصحح كتاب الله تلك المفاهيم الخاطئة فقرر أن الله - تقدست اسماؤه - رب العالمين فقال سبحانه موجها موسى وأخاه هارون (.. فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) (٦) وفي سورة النمل في مقام تلقي الرسالة : (فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) الآية : ٨ ،فعلم من ثم أن موسى وهارون عليهما السلام برءاء من انحراف اليهود وانحطاطهم . .

---

(١) في ظلال القرآن ٤/٢٣٣٦ (٢) طه : ١٤
(٣) طه : ٥٠ (٤) الشعراء : ٢٤
(٥) انظر ص ٨٥ من هذه الرسالة (٦) الشعراء : ١٦

٣- تقرير رسالة موسى وأخيه هارون عليهما السلام : وهذا ما تقرر منذ تكليم الله عبده موسى كما في قوله (اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكرى اذهبا الى فرعون انه طغى) (١) وفي قوله (.. فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ،قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى) (٢)

والآيات القرآنية تقرر أن موسى هو صاحب الرسالةالأول ، وشد ازره بأخيه كما في قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتٰبوجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) (٣) ، ولهذا يفرد أحيانا بمقام الرسالة كقوله تعالى (ولقد ارسلنا موسى بٰاٰيٰتنا الى فرعون وملإيه فقال اني رسول رب العلمين) (٤) وفي سورة النمل (.. وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين) الآية : ١٢

٤ - الايمان بالبعث والنشور : وقد ذكر الله ذلك لعبده موسى بقوله (ان الساعةءاتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) (٥) وقوله (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى) (٦) وقال موسى للطغاة وقد هددوه (اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) (٧) ، وعلى لسان السحرة وقد آمنوا : (انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجٰت العلى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) (٨)

---

(١) طه : ٤٢-٤٣
(٢) طه : ٤٧
(٣) الفرقان : ٣٥
(٤) الزخرف : ٤٦
(٥) طه : ١٦
(٦) طه : ٥٥
(٧) غافر : ٢٧
(٨) طه : ٧٤ - ٧٦

وفي توجيه مؤمن آل فرعون ودعوته (.. وياقوم اني أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد) (١) وقوله (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) (٢)

ومع وضوح هذه الأهداف وبساطتها لم يؤمن بها الا القليل كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله (.. فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم) (٣)

أما الأهداف الخاصة فتتلخص في :

١- تخليص بني اسرائيل من العبودية لغيرالله : وهذا يتسق مع الأهداف العامة بل هو من مقتضياتها ، ولذلك يذكرها السياق الجليل مقرونة بها ،قال تعالى (.. فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم) (٤) وقال (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ،ان أدوا اليّ عباد الله اني لكم رسول أمين) (٥) وفي موضع ثالث (قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل) (٦)

٢- اشعارهم بانسانيتهم واحياء معاني الكرامة فيهم : وذلك أن بني اسرائيل فقدوا الكثير من مقومات الثقة بالنفس والاعتداد بالكرامة الآدمية من جراء ذل الاستعباد الفرعوني ، اذ كان فرعون (يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم) (٧) وكان اللعين يتبع سياسة التفريق ليمهد بها الاستعباد متعدد الوجوه ،وليحول دون المقاومة ان حدثت قال تعالى (ان فرعون علا في الأرض وجعل اهلها شيعا) (٨)

---

(١) غافر : ٣٢-٣٣ (٢) غافر : ٤٠ (٣) يونس : ٨٣
(٤) طه : ٤٧ (٥) الدخان : ١٧-١٨
(٦) الاعراف : ١٠٥ (٧) القصص : ٤ (٨) القصص : ٤

وكم من مثل لهذا الوضع المهين يشهده كثير من المسلمين اليوم وان تعددت صوره واختلفت اشكاله مما يبيته أعداء الاسلام .

لقد كانت هذه حالة مزرية عاشها وعايشها قوم موسى ، وسطرلها كتاب الله حلولا ووضع لها مخارج ،وسنن الله لا تتبدل ولا تتخلف لكنها ترتبط بالأسباب ، فهل يأخذ بها المسلمون ليسلكوا سبيل الرشاد بعد تفرق الشمل واختلاف الكلمة وتناحر الجموع ؟؟

٣ ـ التمكين للمستضعفين في الأرض : وفي هذا يقول تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون) (١) ولقد تقاعسوا عن التمكين وقد كتب لهم فلم يدخل الأرض المقدسة الا الجيل الجديد .. (٢)

ولتمكين عباد الله في الأرض ولتمكين دعوته تعالى في النفوس أسس وطرائق تناولت سورة النمل جزءً منها سيجيء بيانه ان شاء الله .

وثمة أهداف أخرى لدعوة موسى تنضوى تحت ما تقدم ينصلح بتحقيقها أمر الدنيا والآخرة افرادا وجماعات ، من تتبعها واستخرج مراميها وقف على منهاج رباني فريد ، قادر على تحويل أمة من النقيض الى النقيض كما تحقق هذا على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسبنا في هذا المقام ما تقدم .

---

(١) القصص : ٥ - ٦

(٢) انظر البداية والنهاية ١/٢٩٢ فصل (نبوة يوشع وقيامه بأعباء بني اسرائيل بعد موسى وهارون) .

موقف فرعون وملئه ، وهلاكهم :

المتتبع لمواقف فرعون وملئه من الرسول الكريم موسى -عليه السلام- يرى انه اتهم بالأوصاف البذيئة واستفز وتحدى وهدد ثم أوذى ، وقتل الكثير ممن آمن به واتبعه ..

١- فلقد اتهم :

أ - بالسحر والجنون ، كما أخبر تعالى عن فرعون بقوله (..فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون) (١) وقول الملأ (ياأيها الساحر (٢) ادع لنا ربك بما عهد عندك ..) (٣) .

ب - وأنه مهين اذ سخروا منه ومما جاء به ،قال تعالى : (. فلما جاءهم بآياتنا اذا هم يضحكون) (٤) ،وقال فرعون اللعين (.. أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين) (٥)

جـ - وأنه كاذب لأنه بشر مثلهم وهذا واضح من قول فرعون (فلولا القي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين) (٦)

د - ورموه بالفساد وأنه يريد اخراجهم من ديارهم ويبدل دينهم الذى ارتضوه عنادا ، كما قال فوعون (اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) (٧) وقول ملئه (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك) (٨) وقوله للسحرة وقد آمنوا (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) (٩)

٢ - وترى بعد ذلك فرعون يتبع أسلوب اثارة التساؤلات التى يستشف منها معاني السخرية والمن والجحود والتكبر اذ قال لموسى :

---

(١) الذاريات : ٣٩ (٢) جمهور المفسرين على أن هذا انما قالوه على وجه التعظيم لانه علم زمانهم ونرى انهم قالوه سخرية لظهور العداء والتنافر بينهم فلا وجه للتعظيم هنا والله اعلم .
(٣) الزخرف : ٤٩ (٤) الزخرف : ٤٧ (٥) الزخرف : ٥٢
(٦) الزخرف : ٥٣ (٧) غافر : ٢٦ (٨) الاعراف : ١٢٧
(٩) الاعراف : ١٢٣

(الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين ،قال فعلتها اذاً وأنا من الضالين ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماو جعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل ، قال فرعون وما رب العالمين ؟ قال ربكم ورب آبائكم الأولين ، قال ان رسولكم الذى ارسل اليكملمجنون قال رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون ، قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) (١)

وهذه الآيات التي تسبق سورة النمل نزولا وترتيبا في المصحف تكشف الكثير من أحداث دعوة موسى عليه السلام المجملة في سورة النمل ، ويلاحظ أن فرعون هنا سأل استهزاء وجحودا لصرف أنظار الناس عن دعوة الحق وكلمة الحق .

ألم نربك فينا وليدا ؟ مارب العالمين ؟ ألا تستمعون ؟

وتعقبها جمل مهيبة على لسانه : ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون واخرى انشائية، لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ،فأت به ان كنت من الصادقين .. ومع هذا التهديد والوعيد والاستفزاز والانفعال الشائن يبدو موسى الكليم بهدوئه ورجاحة عقله ودقة اختياره لموضوعات الدعوة في اجابته على تساؤلات الطاغية .. وان في ذلك لعبرا .

٣ - كما أن التحدى كان له نصيب .. فبالاضافة الى الآيات السابقة (قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين) وقد وضحت منه مشاكسة القوم وبذاءة منطقهم ، يبدو نكثهم للعهود - وهو بصورته المتكررة مع النبي الكريم - من أظهر أمارات التحدى كما حكى الله عنهم (وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) (٢) وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون ،فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) (٢)

---

(١) الشعراء : ١٨ - ٣٣ (٢) الزخرف : ٤٩ - ٥٠

وفي موضع آخر (ولما وقع عليهم الرّجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤ منن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل ، فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون) (١)

٤ - التهديد والتنفيذ : ولم يكن التهديد عجيبا بعد ما بدت منهم البغضاء ، والتهديد اسلوب من خلت جعبته من سواطع البراهين وقواطع الحجج ،وكان بالصلب والقتل والقهركما في قوله تعالى على لسان فرعون (لأقطعن أيديكم وارجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين) (٢) ، (.. ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى) (٣) (وقال الملأمن قوم فوعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتّل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون) (٤) ويذهب كثير من المفسرين الى انه -قبحه الله - نفذ ماتوعدهم به حتى سألت امرأته الله أن ينجيها (اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) (٥) ، وكما هو واضح من قول المستضعفين لموسى(أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) (٦) هذا على اعتبار أن مقولتهم هذه كانت قبل خروجهم من مصر (٧)

والعجب العاجب أن يقابل فرعون وملؤه الرسول الكريم الأمين هذه المقابلة الشاذة وقد استيقنوا الحق (وكذلك الحق لا يجحده الجاحدون لأنهم لا يعرفون ،بل لأنهم يعرفونه ، يجحدونه وقد استيقنته نفوسهم لأنهم يحسون الخطر فيه على وجودهم او الخطر على أوضاعهم ، أو الخطر على مصالحهم ومغانمهم فيقفون في وجهه مكابرين وهو واضح مبين) (٨)

---

(١) الاعراف : ١٣٤ - ١٣٥
(٢) الاعراف : ١٢٤
(٣) طه : ٧١
(٤) الاعراف : ١٢٧
(٥) التحريم : ١١
(٦) الاعراف : ١٢٩
(٧) انظر تفسيرالطبرى ٩ /١٩
(٨) في ظلال القرآن ٥ / ٢٦٣٠

وكم من عظة في هذا الموقف العصيب الذى قوبل به المؤمنون ، والذى يتكرر في كل دعوة تهدف الى أن يفر الناس الى الله ، وكم من درس يستلهمه الناصحون من مواقف الانابة والتضرع وعدم الاكتراث مواقف الصبر الجميل التي تحلى بها أتباع موسى عليه السلام وهم يجابهون الطغيان واللؤم .

عاقبة فرعون وجنوده :

اشار السياق القرآني الجليل في هذه السورة الى نهاية فرعون وملئه اشارة عابرة قال تعالى في ختام القصة (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين)- الاية : ١٤ ، ففي قوله عزوجل (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أربعة مسالك للاتعاظ والاعتبار :

١- فهاهنا أمر بالنظر وهو يعني التأمل والتدبر والاستبصار واستخراج العلل ودراسة ماوقع فيه أولئك الاغرار المبعدون ، للتوقي من سوء فعالهم ، والترقي في مدارج الايمان ، والأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم أمر لأمته عامة والمصلحين منها خاصة ،قال في المفردات : (النظر : تقليب البصر والبصيرة لادراك الشئ ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص ،وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرؤية) (١) وانها لعظة بليغة يلفت رب العزة أنظار الناس اليها بقوله (فانظر ..) .

٢ -طلب البحث في (كيفية) عاقبتهم الوخيمة حيث أتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا فأخرجوا من القصور والسلطان وقد راموا انزال العذاب على الضعفاء ظلما وفسقا فانزل بهم عدلا وقسطا وفي هذا مافيه من مظاهر قدرة الله وعظيم سلطانه وعدله وفضله على المستضعفين من المؤمنين ، قال تعالى (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال ءامنت أنه لا اله الا الذى ءامنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ، ءآلـٰن

---

(١) المفردات للراغب الاصفهاني ص ٧٥٨

وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ، فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) (١) ، وقال (.. فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا (٢) وهذا الاغراق وصف في كتاب الله بأنه انتقام ونكال وتدمير وغشيان العذاب ونبذ في اليم وأخذ ، والآيات في هذا كثيرة مستفيضة فيرى بيان أن ماحاق بهم انما كان (عاقبة) ماعملوا وقدموا ، فلا يظلم ربك أحدا ، وفي هذا من الترهيب عن مثل عملهم مافيه ترهيب كل من : يكذب الرسل ، ويطعن في صدق ما جاؤوا به ، ويكيد للصالحين ، ويبغي في الأرض الفساد ، ومن أبرز ما يرهب المكذبين هنا :

أ - الاستدراج بالامهال لا الاهمال (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) (٣) وفي هذا حث لدعاة الحق على المضي في طريقهم المباركة بلا اكتراث لكيد الكافرين ، فعين الله ترعاهم وهو معهم سميع شهيد فليتوكلوا على الحي الذى لا يموت الذى يقول (.. فتوكل على الله انك على الحق المبين) سورة النمل الآية : ٧٩

ب - تقرير أن الايمان لا ينفع حين معاينة العذاب كما قال تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا) (٤)

جـ - ايراث ما تركه المستكبرون للمستضعفين .. وتلك سنة خالدة من سنن الدعوات الاصلاحية ، بتحققها في أوانها تتوازن الحياة على الأرض فلا يطغى قوى على ضعيف دهورا متطاولة ، ولا يستعلي باطل على الحق الا عن غفلة أهل الحق ، قال تعالى

---

(١) يونس : ٩٠ - ٩٢
(٢) الاسراء : ١٠٣
(٣) ابراهيم : ٤٢
(٤) الانعام : ١٥٨

بعد أن ذكر هلاك فرعون وجنده (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين) (١) وكم من عبر في مثل هذا تسكب في قلوب العالمين فتخشع قلوبهم لجلال الله وكبريائه .

٤ - وصم فرعون وما ه بأنهم أصحاب فساد وافساد ، وهم كذلك في آيات أخر أرباب فسق واسراف وعلو في الأرض بغير حق واستكبار وجحود ، وكل وصف من هذه الأوصاف البغيضة مقرون في كتاب الله بالبوار والهلاك والشقاء والهوان على الله وعلى عباد الله ..

ومن كانت هذه أوصافه وذاك مصيره : قل خيره وعم شره ، وعملت سنة الله في اباد ته والا تيان بغيره مما لا يكون مسئله وفي ذلك مزد جر .

وفيماتقدم عظة بالغة بالاعتبار بمصيرالمكذبين وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم (الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره) (٢)

والهدف العام الذى من أجله سيقت قصة موسى - عليه السلام - هنا هو الوعظ والتسلية قال في التفسيرالحديث : وقصد الموعظة وضرب المثل والتثبيت واضح فيها سواء أفي حرف (اذ) الذى بدئت به والذى هو حرف تذكير ، أم في نهايتها التي تلفت النظر الى العاقبة التي صار اليها المفسدون) (٣)

---

(١) الدخان : ٢٥ - ٢٨

(٢) جزء من حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه ٤/٢٠٣٧ كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي .

(٣) التفسير الحديث ٣/١٥٦

المبحث الثاني
دعوة داود وسليمان عليهما السلام

تقديم :

تعتبر دعوة داود وسليمان امتداد لدعوات انبياء بني اسرائيل ممن جاؤوا بعد موسى عليه السلام وحكموا (بالتوراة) المنزلة عليه ولدعوة داود وسليمان في القرآن المجيد سمات متميزة ، تلتقي مع دعوات سائر الأنبياء في وجوه وتنفرد في وجوه .

ولعل أبرز الوجوه التي تنفرد بها دعوة هذين النبيين الكريمين هو : التمكين لدعوتهما ، اذ جمع الله لهما النبوة والملك .. الشريعة الحافزة والسلطة الوازعة ، ومن ثم لا ترى مقاومة ولا تكذيبا ويختفي في دعوتهما صلف (الملأ) واستكبارهم وعتوهم ..

وترى من خلال سيرتهما المباركة(١) تلك النفس الزكية المستشرفة الأوابة التي تستشعر فضل الله وعظيم منته فتؤوب اليه وتخشع له وتلهج بالحمد والشكر والثناء الجميل كلما سنحت فرصة أو تهيأ سبيل . ثم لم يكن التمكين لهما في الأرض بالذى يلهيهما عن الله وذكره وشكره ، وفي مثل هذا عظات بليغة للحكام والدعاة ، وهو جزء - فيما يبدو - من منهج دعوة أهل الكتاب .

ولقد تعرضت سورة النمل لطرف من سيرة سليمان مع أهل سبأ وهي حلقة من حياته الدعوية الزاخرة ، كما أشارت السورة الى داود في معرض انعام الله عليه وعلى ابنه سليمان اشارة تنم عن الكثير من جوانب الدعوة في حياته المباركة ، واني عارض معالم الدعوة في حياة داود ثم سليمان وفق معطيات السورة ومنهجها ان شاء الله .

---

(١) انظر تفاصيل سيرة داودفي تاريخ الطبرى ١/٢٤٧ والكامل لابن الاثير ١/١٢٥ وقصص الانبياء لابن كثير ص ٤٨٠

المطلب الاول : دعوة داود عليه السلام :

قال تعالى :

(ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ، وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين) سورة النمل / الآيه : ١٥ - ١٦

أفادت الآيتان الشريفتان :

١- ان الله آتى داود وسليمان علما . ٢- وان سليمان ورث اباه في النبوة ٣ - وانهما فضلا بذلك على كثير من المؤمنين ٤ - كما أنهما علما منطق الطير ٥ - وأوتيا من كل شيء يكون به الملك والتسخير ٦- وانهما حمدا اللهعلى ذلك .

وهذه الآلاء التي امتن الله بها على داود بسطت في سور أخرى بأساليب متنوعة ، بيد أن سورة النمل ابرزت منها جانبي : العلم والشكر ، ثم موطن الاعتبار.. وهو ما يتسق مع موضوع السورة ، واهدافها العامة .

وداود هو ابن ايشي بن عوبد .. وينتهي نسبه الى اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام (١) وعاش فى الفترة التي بين (١٠١٠ - ٩٧٠) ق . م (٢)

وتبدأ شخصيته عليه السلام في الظهور - كما يحدثنا القرآن الكريم - ابان قتله جالوت كما اشار الى ذلك قوله تعالى (وقتل داود جالوت، وءاتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) (٣) فلقد منح داود خصائص الحكم مبكرا ، ثم أعين على نوائب الحق فكان من ابرز الملوك في تاريخ

---

(١) تاريخ الطبرى ١/٢٤٧
(٢) تفسير المنتخب ص ٦٣٦
(٣) البقرة : ٢٥١

الانسانية بمقتضى قوله تعالى (يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض) (١) وكان - كذلك - من ابرز انبياء بني اسرائيل كما يفهم من قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (٢)
وقوله (وآتينا داود زبورا) (٣)

ونتبس من حياته الدعوية المباركة ما يعن له البحث من غير اخلال ولا املال :

أ - علمه وحكمه :

وهما من جملة الفضل الذى أوتيه داود قال تعالى (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) (٤) وقال عنه (.. وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) (٥)

ويلاحظ أنه أقام حكمه على دعائم ثلاث :

١- العلم ، ومن مظاهره البيان ولاسيما في مقام النبوة ، وهو ما عبرت عنه الآية بـ(فصل الخطاب) ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم (اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه) (٦)

٢ - اتباع الحق وترك الهوى في كل مادق وجل ، وهو أصح وأدق ميزان عرفه البشر ، به قامت السموات والأرض .

٣ - الحكم بالعدل وهو مقتضى اتباع الحق وهو (فصل الخطاب) على التفسير الثاني وكل ذلك من فضل الله عليه ، ولقد أوتي الزبور قال تعالى (وآتينا داود زبورا) (٧) على أنه - عليه السلام - لم يكن

---

(١) ص : ٢٦ (٢) المائدة : ٧٨ (٣) الاسراء : ٥٥
(٤) ص : ٢٦ (٥) ص : ٢٠
(٦) جزء من حديث انس بن مالك رضي الله عنه اخرجه البخارى ١/ ٤٨ في كتاب العلم باب (٣٠) من أعاد الحديث ثلاثا .
(٧) النساء : ١٦٣

صاحب شريعة جديدة انما كان متبعا لشريعة التوراة ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وأما الزبور فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة ، وانما في الزبور ثناء على الله ودعاء وأمر ونهي بدينه وطاعته وعبادته مطلقا) (١) ، وقال ابن جرير الطبرى : (كنا نتحدث أن الزبور دعاء علمه داود تحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود) (٢)

ب - تسخير بعض ظواهر الطبيعة له :

كالجبال والطير يسبحن معه كما قال تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) (٣) وكإلانة الحديد له يعمل منها الدروع قال تعالى (وألنّا له الحديد ، ان اعمل سابغات وقدر في السرد) (٤) وفهمه منطق الطير كما تقدم .

واشتمال القرآن المجيد على هذه الأخبار من هذا الوجه يفيد في جانب الدعوة :

١- بيان قدرة الله التي لا تحد ولا تخضع لسنن الكون وقوانين الطبيعة كما هو حال المخلوقين ، وفي هذا - ولا شك - تصحيح لمفهوم الألهية لدى كثير من المدعوين المنحرفين في فهمها ولا سيما بنو اسرائيل يهودهم ونصاراهم ، فالأولون وصفوا الههم بالتعب والندم والحزن والبداءة وبهذا تنطق التوراة المحرفة المتداولة اليوم ، والآخرون ضلوا فألّهوا بشرا ضعيفا يأكل ويشرب .. (٥)

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩ / ١٨٤

(٢) تفسير الطبرى ١٥ / ٧١ في موضع الآية ٥٥ من سورة الاسراء

(٣) الانبياء : ٧٩

(٤) سبأ : ١٠ - ١١

(٥) تقدم عرض ذلك بايجاز ، راجع ص ٨٥ من هذه الرسالة .

٢- الاستدلال بهذه الظواهر على وحدانية الله وتفرده في الربوبيـــة والألهـية ، فلئن سبحت هذه الجمادات والعجماوات بحمد ربها وانقادت لأمره وارادته ان في ذلك لحجة على من تبلـــد حسـه واثاقل سمعه وخوى فكره من بني الانسان .

٣ - التسبيح ،والإلانة ، وفهم منطق الطير كل ذلك حقيقة لأن تقرير الأمر على هذا الوجه ابلغ في تقرير الأمرين السابقين وهو الذى عليه سلف الأمة ،ولا أرى وجها معتبرا لمن قال بالمجاز ، أو من قال أنه تسبيح من رآها لعظم خلقها (١) ، أو قال ان الانة الحديد كان بالتحمية والطرق وخص بانسابه لداود لكونه أول مـــن عمل منها الدروع (٢)

وهل غريب أن تجرى على يدى داود معجزات خارقة للعادة وهـــو النبي المكرم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ؟ .

جـ - عبادته وشكره :

أنت ترى أن الله أنعم على داود بنعم متتابعة من العلم والحكـــم وتسخير الجبال والطير والانة الحديد وفهم منطق الطير.ثم بعد هذا وذاك آتاه كتابا ووهبه ابنا جعله نبيا (ووهبنا لداود سليمان) (٣) ووفقه فاجتاز ابتلاءات كثيرة في حياته الخاصة والعامة (٤) كل ذلك وقد كان من عامة بني اسرائيل في مقتبل حياته .. فبماذا قابـــل هذا الفضل والاحسان ؟؟

لقد هب شاكرا منيبا ،عابدا أوابا ، ولقد أثنى الله عليه في ذلك حتى جعله منارة قدوة للدعاة فقال مسليا خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انـــه أواب) (٥)

(١ الكشـاف ٢ / ٥٨٠
(٢) التفسيرالقرآني للقرآن ٤ / ٧٨٥
(٣) ص : ٣٠
(٤) تناولتها سورة ص بالبسط والاسهاب .
(٥) ص : ١٧

لقد تبوأ داود مكانة الأسوة لهذه الأمة الخاتمة في جوانب عديدة من عبادته وشكره ، ودونك بعض الأحاديث النبوية الموضحة لذلك :

- قوله صلى الله عليه وسلم (خفف على داود عليه السلام القرآن فكان يأمر دوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ، ولا يأكل الا من عمل يده) (١)

- وكان في حسن صوته تلاوة وتسبيحا مضرب المثل حتى قال صلى الله عليه وسلم لابي موسى الأشعرى (لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود) (٢)

- وله منهج في العبادة من أمثل المناهج قال عنه صلى الله عليه وسلم (أحب الصيام الى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ، وأحب الصلاة الى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه) (٣)

والتلاوة والصلاة والصيام والكسب من أسس تربية الدعاة ومن مقوماتهم ، والعمل على تحقيق هذه الأسس من أهداف الدعوة وهو منهج تربوى لا يستغنى عنه بحال .

---

(١) رواه البخارى عن ابي هريرة رضي الله عنه ٣/١٢٥٦ في كتاب الانبياء باب (٣٨) قول الله وآتينا داود زبورا .

(٢) متفق عليه ، رواه البخارى في كتاب فضائل القرآن باب(٣١) حسن الصوت ٤/١٩٢٥ واللفظ له ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب (٣٤) استحباب تحسين الصوت ١/٤٥٦

(٣) متفق عليه : اخرجه البخارى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في كتاب الانبياء باب (٣٩) احب الصلاة الى الله ، ٣/١٢٥٧ واللفظ له ، ومسلم في كتاب الصيام باب(٣٥) النهي عن صوم الدهر ٢/٨١٦

المطلب الثاني

دعوة سليمان عليه السلام

قال تعالى :

(ولقد آتينا داودَ وسليمانَ علماً وقالا الحمدُ للهِ الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين . وَوَرِثَ سليمانُ داود وقال يا أيها الناسُ علّمنا مَنْطِقَ الطيرِ وأوتينا مِن كل شيءٍ انّ هذا لَهُو الفضلُ المبين . وحشر لسليمان جنوده من الجنّ والانس والطير فهم يوزعون . حتى اذا أتوا على وادِ النمل قالت نملةٌ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمانُ وجنودُه وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكرَ نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدىّ وأن أعملَ صالحا ترضاه وأدخلني برحمتِكَ في عبادِك الصالحين . وتفقد الطيرَ فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال أحطّت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيءٍ ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيّن لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبءَ في السموات والأرض ويعلم ماتخفون وما تعلنون . الله لا اله الا هو رب العرش العظيم . قال سننظر أصدقتَ أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت يا أيها الملأ اني القي اليّ كتابٌ كريمٌ . انه من سليمانَ وانه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمينَ . قالت يا أيها الملأافتوني في أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون . قالوا نحن ألوا قوةٍ وأولوا بأس شديدٍ والأمرُ اليك فانظرى

ماذا تأمرين . قالت ان الملوك اذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة وكذلك يفعلون . واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلونَ . فلما جاء سليمٰن قال أتمدونن بمال فماءاتاني الله خيرٌ مماءاتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلةً وهم صاغرون . قال يا أيها الملأأيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريتٌ من الجن أناءاتيك به قبلَ أن تقوم من مقامك واني عليه لقوى أمينٌ . قال الذى عندَهُ علم من الكتاب أناءاتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلمارءاه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكرُ أم أكفر ومن شكر فانما يشكرُ لنفسه ومن كفر فان ربي غنيّ كريمٌ . قال نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون . فلما جاء ت قيل أهكذا عرشُك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصدَّها ماكانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجّة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمتُ مع سليمٰن لله رب العالمين .

سورة النمل / الآيات :

(١٥ - ٤٤)

تقديم :

تضمنت قصة سليمان ـ عليه السلام ـ في هذه السورة الكثير من معجزاته ، كما حوت الكثير من أسس الحكم والقضاء والحسبة والتربية والأخلاق .

والى جانب هذا وذاك اشتملت على مناهج الدعوة وأساليبها وأهدافها .. وكل هذا يرد في اطار السمات العامة للسور المكية المعتمدة على نواحي بناء الشخصية الاسلامية ونمائها وترسيخ العقيدة فيها .

ويقف المتأمل في قصة سليمان على الملك الوطيد ، والجاه العريض ، وقبلهما النبوة والحكمة ، ويرى الشخصية المؤمنة المطمئنة بذكر الله المنيبة اليه ، الشاكرة لآلائه ونعمائه التي تسخّر الملك والسلطان لابلاغ دين الله واقامة الحجة على العالمين .

ومن ابرز السمات في هذا النبي الكريم ، الشكر بمعناه الواسع وبأنواعه المختلفة ، يضطلع بها كلما شعر بنعمة وأحس بفضل ، قال صاحب الكشاف (كان داود أكثر تعبدا وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله) (١)

وأبرز الأحداث في حياة سليمان مما يستقى منها موضوعات الدعوة ويستلهم العبرة والعظة ، تتمثل في :

١- النبوة له ولأبيه داود .

٢- الملك يتصرف فيه بغير حساب .

٣- منح الذكاء ودقة الفهم واصابة الحكم منذ الصبا .

٤- علم منطق الطير .

٥- سخرت له الريح يسيرها كيف يشاء .

٦- اعتنائه بالصافنات الجياد .

٧- فتنته والقاء الجسد على كرسيه .

٨- اسالة عين القطر له .

٩- تسخير الجن له .

١٠ - اسلام ملكة سبأ على يديه (٢)

---

(١) الكشاف ٣/ ١٤٠

(٢) انظر كتب التفسير في سور : البقرة : ١٢ ، والنساء : ١٦٧ ، والانعام : ٨٤ ، والانبياء : ٧٨-٨٢ ، والنمل : ١٥-٤٤ ، وسبأ : ١٢-١٤ ، وص : ٣٠-٤٠ ، وانظر قصص الأنبياء للنجار ص ٣١٧-٣٣٣ وتاريخ الطبرى ١/ ٢٥٢ والفصل لابن حزم ٤/ ٢٠ والكامل لابن الأثير ١/ ١٢٧ .

وقصة سليمان في هذه السورة تناولت الحديث عن أمورثلاثة :

- حديث النملة .
- وحديث الهدهد .
- واحداث دعوة ملكة سبأ (١)

وهاك محاولة لاستنباط المعاني الدعوية في اطار هذه الأمور .

---

(١) قال الطبرى هي بلقيس وهي : بلقمة ابنة اليشرح ، وبعضهم يقول ابنة ايلي شرح ... ابن يعرب بن قحطان : تاريخ الامم للطبرى ١/٢٥٤ ، وسبأ هم حمير ، وهم ملوك اليمن بأرض يقال لها مأرب على ثلاثة أميال من صنعاء ، ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٦٠ ورجح القرطبي أن سبأ اسم رجل انظر تفسيره ١٣/ ١٨١ كما في الحديث أن رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سبأ ؟ أرض أم امرأة ؟ قال : ليست بأرض ولا امرأة ولكن رجل ولد عشرة من العرب . رواه الترمذى ٢/١٥٤

موضوعات الدعوة في قصة سليمان عليه السلام

اولا : معجزاته :

لا جرم أن لكل نبي معجزات تكون برهانا على نبوته وصدقه في دعواه ، وقد منح سليمان - عليه السلام - آيات عكست طبيعة بني اسرائيل وأحوالهم ابان مبعثه ، وكان وجوده مابين (سنة ٩٧٤ - ٩٣٧) ق . م (١)

قال الفخرالرازى : وجمع لداود الملك والنبوة . . . .

، وسخر لسليمان الانس والجن والطير والريح ولم يكن هذا حاصلا لأبيه داود عليه السلام) (٢)

ومعجزات سليمان في القرآن الكريم هي :

١- الملك :

ووجه كونه معجزةهو أنه اتسم بخصائص انفرد بها ،فسليمان عليه السلام من الانبياء الملوك اذ قال (رب اغفرلي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى انك أنت الوهاب) (٣) ، وخصائص ملك سليمان :

١- انه لا يتكرر لأحد من الخلق بعده .

٢- وانه مقرون بالنبوة .

٣- ولا حساب عليه فيه ولا تبعة بمقتضى قوله تعالى (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) (٤) وهو اختيار أجلة المفسرين كابن جرير وابن كثير (٥)

---

(١) المنتخب ص ٥٦٤

(٢) مفاتيح الغيب ٦/٢١٧

(٣) ص : ٣٥

(٤) ص : ٣٩

(٥) تفسير الطبرى ٢٣/١٠٥ وقصص الانبياءلابن كثير ص ٥١٣

ولم يوصف مُلك بشر في القرآن الكريم بالعظمة سوى ملك داود وسليمان في قوله تعالى (.. فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) (١)

وقد بالغ بعض المفسرين في ملكه عليه السلام وانه (كان عظيما ملأ الأرض وانقادت له المعمورة كلها (٢) ، والصواب ما يتمشى مع دلالات النصوص القرآنية وهو انه (لم يتجاوز مايعرف الآن - بفلسطين ولبنان وسوريا والعراق الى ضفة الفرات ، وكذلك لم يكن جميع الجن ولا جميع الطير مسخرين له ، انما كانت طائفة من كل أمة على السواء) (٣)

قال ابن كثير في قول سليمان (وأوتينا من كل شيء) أى من كل ما أُلملك اليه من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والانس والطيور والوحوش من الشياطين السارحات ، والعلوم والفهوم ، والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات (٤)

ولئن كان مدلول (الملك) يشمل ماذكره ابن كثير الا أن بعض ذلك نميل الى افراده ببيان ماذ لا يخلومن نتوخاها :

٢- تسخير الريح له :

وهي آية كونية كثيرا ما يستدل بها في القرآن الكريم على وحدانية الله وقدرته ، وفي هذا يقول تعالى (ولسليمان الريح تجرى بأمره الى الأرض التي باركنا فيها) (٥) ، وكونها عاصفة اى : شديدة الهبوب (٦) ، ويقول سبحانه (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر) (٧) اى انها كانت تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين (٨)

---

(١) النساء : ٥٤ (٢) تفسير القرطبي ١٣ / ١٦٧
(٣) في ظلال القرآن ٥ / ٢٦٣٥ وانظر نفس المعنى في فتح القدير للشوكاني ٤ / ١٣٠
(٤) قصص الانبياء ص ٤٩٥ (٥) الانبياء : ٨١
(٦) فتح القدير ٣ / ٤١٩ (٧) سبأ : ١٢
(٨) زاد المسير ٦ / ٤٣٨

فها هنا ثلاثة وجوه اعجازية في الريح : انقيادها لسليمان ، ومجيئها بالخير والنفع من حيث هي عاصفة ، وسرعتها الفائقة

٣ ـ تسخير الشياطين له :

فكانت له مطيعة ، ويفهم منطقها كما في قوله تعالى (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) (١) وقد ذكر السياق القرآني الجليل مهامها (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد) (٢) (ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك) (٣) ، (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) (٤)

والجن وهي تلك القوى الخفية التي لا ترى ـ لم تسخر لغير سليمان كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم (ان عفريتا من الجن تفلّت عليّ البارحة ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه ،فأخذته فأردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان : رب اغفرلي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى ، فرددته خاسئا) (٥) قال ابن حجر (وفي هذا اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم كان يقدر على ذلك الا أنه تركه رعاية لسليمان عليه السلام ، .. ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن في جميع مايريده لا في هذا فقط (٦)

---

(١) سبأ : ١٢ (٢) ص : ٣٧-٣٨
(٣) الانبياء : ٨٢ (٤) سبأ : ١٣
(٥) متفق عليه : رواه البخارى عن ابي هريرة رضي الله عنه ٤/٩٠١٨ في كتاب التفسير باب (٢٩٣) قوله هب لي ملكا .. واللفظ له ، ومسلم في كتاب المساجد باب(٨) جواز لعن الشيطان ١/٣٨٤ وهو في سنن الدارقطني في كتاب الصلاة ١/٣٦٥
(٦) فتح البارى ٦/٤٥٩

٤ - تسخير الطير والحشرات والبهائم له :

قال جل ذكره (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) (سورة النمل : ١٧) وقال سليمان عن نفسه (علمنا منطق الطير) والمنطق : كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد (١)

ولقد كان تعامله مع هذه المخلوقات خارقة لا عهد للبشر بها ، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم ان كلامه - عليه السلام - مع الهدهد وفهمه منطق النملة في هذه السورة من جملة معجزاته قال ابن حزم : (ليس للحيوانات تمييز دقائق العلوم والكلام فيها ... وانما عنى الله بمنطق الطير : أصواتها التي ذكرنا لا تمييز العلوم والتصرف في الصناعات الذى من ادعاه لها أكذبه العيان .. واما قصة النملة والهدهد فهما معجزتان خاصتان لذلك النمل وكذلك الهدهد وآيتان لسليمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ككلام الذراع وحنين الجذع وتسبيح الطعام لمحمد صلى الله عليه وسلم) (٢)

وقال ابن كثير شارحا ذلك ايضا (وكان سليمان يعرف لغة الطير والحيوان ايضا ، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله ، ومن زعم من الجهلة والرعاع أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود .. فهو قول بلا علم ، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة ، اذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم) (٣)

٥ - اسالة عين القطر له :

قال تعالى (وأسلنا له عين القطر) (٤) واسالة عين القطر له معجزة - ولا ريب - سواء أسيلت له كعيون الماء أو أذيب له القطر

---

(١) الكشاف ٣/١٤٠
(٢) الفصل ١/٨١
(٣) تفسير ابن كثير ٣/٣٥٨
(٤) سبأ : ١٢

وهو النحاس ، فكان يلين له بغير نار كما الين الحديد لداود والعين على هذا تكون بمعنى الذات (١)

ثانيا - مناهج الدعوة في قصة سليمان :

الفرع الاول - منطلق البحث :

من خصائص دعوة سليمان أنه يشترك فيها معه جنوده من الجن والانس والطير ولكل منهم دور وحوار واستدلال واستنتاج .. كما ورد في السياق القرآني الجليل في هذه السورة مبادئ في الحكم والسياسة والدعوة على لسان أهل سبأ وكانوا قوما كافرين ..

ودأبنا في هذا المبحث استنباط مناهج الدعوة من كل ما تقدم فهل يتأتى ذلك والحال ما وصفنا ؟

مما لا ريب فيه أن مالا يتعارض مع الأسس العامة للعقيدة والمفاهيم الكلية لمقاصد الشريعة فلا غضاضة فيه ،ولقد قال علماء الأصول (كل حكاية وقعت في القرآن فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها - وهو الأكثر - رد لها أو لا . فان وقع رد فلا اشكال في بطلان ذلك المحكي وكذبه ، وان لم يقع معها رد فذلك دليل على صحة المحكي وصدقه) (٢)

وقد أورد السياق القرآني تعقيبا بالرد تارة وبالتأييد أخرى في قصة سليمان في هذه السورة فتعين صدقها وصحتها فيما ورد فيه التأييد سواء فيما ورد على ألسنة الطير والنمل والجان أو الكافرين من بني الانسان ، وجاز لنا أن نبني عليها أحكاما ونستنبط منها مناهج في الدعوة والحسبة والتربية ،وأصبح هذا النوع من قصص القرآن مما (يكون الدليل على صحته من نفس الحكاية واقرارها

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٢٦٤

(٢) الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي ٣/ ٢٠٦

فان القرآن سمي فرقانا وهدى وبرهانا وتبيانا لكل شيء وهو حجة الله على الخلق على الجملة والتفصيل والاطلاق والعموم ، وهذا المعنى يأبى أن يحكى فيه ما ليس بحق ثم لا ينبه عليه) (١)

واذ قد تبين هذا المنطلق ، فلنشرع في بيان طرائق الدعوة وأساليبها في قصة نبي الله سليمان عليه السلام .

الفرع الثاني : معجزات سليمان ومناهج الدعوة :

أنت ترى في معجزات سليمان أنها اعتمدت على تسخير بعض ظواهر الكون المشاهدة والمخفية على نحو خارق للعادة ...

وفي اختيار أعيان هذه الظواهر : من طير وجان وريح ، هدف دعوى بليغ وفي تطويعها وتسخيرها لارادة عبد من عباد الرحمن مغزى دعوى بليغ كذلك ، فلقد ألهت هذه المخلوقات واعتقد فيها الضر والنفع على ما سيجيء في أهداف دعوة سليمان هذا من ناحية ، وناحية أخرى وهي انحراف طوائف من الناس في فهم مسائل العقيدة ومن أهمها موضوع الالهية :

١ - فلقد قالت بنو اسرائيل بالتجسيم والتحيز وأن الههم يتعب ويندم ويحزن ويجهل .. (٢)

٢ - ولقد سبق في غيب العليم الخبير أنه ستنبت في أمة الاجابة والدعوة نابتة الزيغ والانحراف في فهم الالهية وكما هو مشاهد اليوم في طوائف من غلاة الشيعة والصوفية ومنكرى الالهية كالشيوعيين والماديين .

---

(١) الموافقات للشاطبي ٣ / ٢٠٧

(٢) تقدم بيان ذلك في ص ٨٥ فانظره ، والتوراة المحرفة مليئة بهذا الضلال ومن امثلته ماجاء في : سفر التكوين ١١ : ٤-٥ و١٨ : ١-٢ و٣٢ : ٢٤-٣٠ ، وسفرالخروج ١٣ : ٢١ و٣٣ : ١١ وسفر العدد ٣٢ : ١٠-١١ و ٣٥ : ٣٤ ، وسفرالتثنية ١ : ٣٢-٣٣ و ٩ : ٣ وهذا في نسخ التوراة الثلاث العبرية واليونانية والسامرية ، على اختلاف في ارقام الفقرات .

الفرع الثالث- وسائل الدعوة وأساليبها في قصة سليمان :

من خصائص دعوة سليمان أنها اتسمت بطابع القوة ..

- القوة في شخصية سليمان المتجلية في أمره ونهيه وأسلوب كتابه ودعوته .
- والقوة في أشخاص رعاياه بدء من الهدهد الى الذى عنده علم من الكتاب ، فاذا هم في علو وأنفة يستمدون عزتهم من قوة صلتهم بالله .
- والقوة في العدد والعدد والطاقات المنظورة وغير المشاهدة .
- والقوة في جانب العلم والفكر والابتكار.

واذا ما اجتمعت القوى الثلاث :

١- قوة الصلة بالله عزوجل .

٢- والقوة الحسية .

٣ - والقوة المعنوية في العلم بمختلف أنواعه وتخصصاته الهادفة .

لا تكاد تجد مقاومة من الطغيان وعبيده ، بل ترى الانقياد الذى يجيء طوعا وقسرا ، بالتأثر والرفبة لا بالاكراه والرهبة .

وهذا كله .. مما حفلت به دعوة سليمان عليه السلام ، وأضفى ذلك صبغة على وسائل الدعوة في قصته في هذه السورة ، فاذا هي ذات لون متميز من الأساليب والوسائل .

ومجيؤها في هذه السورة المكية على هذا النمط كان لغرض هادف يوحي بضرورة الاعداد واتخاذ سبل ذلك على نحو رفيع عماده غرس الروح المعنوية الوثابة في الدعاة في مرحلة البناء هذه ..

ووسائل الدعوة في قصة سليمان على ترتيب ورودها في السورة هي :

١ - القدوة :

وهي وسيلة مطردة في دعوات الرسل جميعا ، الا أنها هنا أظهر وأبين لأنها تبرز سمات الملك العريض والنبوة والحكمة .. وتجمع بين

سيرة الحاكم ومنهاج العالم ومعجزة النبي :

أ - أما من حيث العلم ، فبتعلم سليمان وتعليمه وتلقيه الوحي وتبليغه العلم والخير لخلق الله ، وحين يراد النهوض بالدعوة فلا بد من نشر العلم الخيّر وتشجيع رجاله بالقدوة على مستوى الدولة .

ففي قول الهدهد لسيده النبي الملك (أحطت بما لم تحط به) دون أن يحرك ذلك ساكنا من سليمان وملئه سوى قوله (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) في ذلك ارساء لقاعدة التواضع كبرى دعائم القدوة ،كما فيه تنويه بأخلاق الأجلة من العلماء ، قال صاحب الكشاف معلقا على قول الهدهد (وفيه تنبيه على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذى هو فتنة العلماء ، وأعظم بها من فتنة) (١)

ب - وكذلك القدوة العملية جلية في :

١ - الشكرللمنعم جل وعلا بالتحدث بالنعمة في قوله (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين) الآية : ١٦ ،وبالابتهال والدعاء والانابة في قوله (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) الآية : ١٩ وانظر اليه يعدد النعم واحدة واحدة ويطلب التوفيق لصالح العمل ويصبو الى الدار الآخرة .

وتأمل قوله بعد أن مثل عرش الملكة بين يديه (قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم) الآية : ٤٠

ان صدور هذا الابتهال الخاشع المنيب من ذى السلطان المرهوب والعالم المستبصر وهو يرجع كل نعمة الى بارئها ويلهج بالربوبية

---

(١) الكشاف ٣/١٤٣

كل حين .. ان ذلك يترك أثرا بعيدا في نفوس الرعايا والمستمعين فاذا هم يستجيبون ويتأثرون .

٢ - التفقد والوقوف على أحوال الناس والدعاة وهو جزء غير يسير من التربية قال تعالى (وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد..) الآية : ٢٠ ، واذا كان تفقد القيادة للرعية يعطي معنى الانضباط والانتظام انه كذلك يجلب الود ويزرع وشائج التلاحم والتناصر ولا سيما اذا كان المتفقد ذا علم وفضل ، بعد كونه ذا مسؤولية وعبء .

٢ - لفت الانظار الى قدرة الله في الكون :

وهو منهج متعدد الجوانب متشعب الأهداف والغايات ، وقصة سليمان تناولت مجالات أربعة : النبات والانسان والجماد والحيوان عرضا واستدلالا :

أ - ففي النظر الى قدرة الله عزوجل باخراج الخبء في السموات والأرض وهو ميدان البحث في النبات ومقوماته قال تعالى على لسان الهدهد (.. الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) الآية : ٢٥ - ٢٦ ، والمعنى : يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء ونبات في الأرض) (١)

ولقد كان أهل سبأ أصحاب زرع وثمار كما في قول الحق تعالى : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال) (٢) فسمى الله ذلك " آية) قال القرطبي (٣) أى علامة دالة على قدرة الله تعالى على أن لهم خالقا خلقهم وان كل الخلائق لو اجتمعوا على أن

---

(١) تفسير الطبرى ١٩ / ٩٣

(٢) سبأ : ١٥

(٣) هو محمد بن احمد بن ابي بكر الانصارى الخزرجي القرطبي من كبار المفسرين من أهل قرطبة رحل الى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب بمصر وتوفي فيها سنة ٦٧١ هـ (اعلام الزركلي ٦ / ٣٤ و٢١٨) .

يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك ، ولم يهتدوا الى اختلاف أجناس الثمار وألوانها وطعومها وروائحها وأزهارها ، وفي ذلك ما يدل على أنها لا تكون الا من عالم قادر) (١) ، أو أن يكون اخراج الخبء (كناية عن كل مخبوء وراء ستار الغيب في الكون العريض) (٢)

ب - والانسان بجسده وآثاره وروحه ميدان رحيب للنظر والاستدلال .. وهنا يقول تعالى عن المخاطبين (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) فليس في مكنة أحد غير الله أن يطلع على ما يجول في خلد الانسان من خواطر وأفكار وما يكنه من آلام وآمال وما يعتريه بين الحين والحين من أحوال ، هذا فيما يخفيه ويحرص على كتمانه وعدم ابدائه ، والله سبحانه (عليم بذات الصدور) و (يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) الآية : ٧٤ و (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) (٣)

وأما ما ظهر من حال الانسان مقالا أو تصرفا أو حركة أو سكنة فالله سبحانه بذلك أعلم على كثرة عددهم واختلاف أجناسهم وتغاير أجيالهم وتنوع طباعهم ، ورب هذا شأنه لهو المنزه عن الشبيه والشريك ، وهو المستحق وحده للعبادة دون سواه ، ان الايمان بالله كما قال عن نفسه (وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور) (٤) يحفز في الانسان الرقابة الذاتية لتصرفاته في الحياة كلها .

جـ - أما الجمادات فمجال النظر فيها واسع - كذلك - ، قال ابو السعود في قوله تعالى (يخرج الخبء في السموات والارض) الاية : ٢٥ ، اخراج الخبء يعم اشراق الكواكب واظهارها من آفاقها بعد استتارها وراءها ، وانزال الامطار ، وانبات النبات ، بل الانشاء الذى هو اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل ، والابداع

---

(١) تفسير القرطبي ١٤ / ٣٨٣ (٢) ظلال القرآن ٥ / ٢٦٣٩
(٣) غافر : ١٩ (٤) الملك : ١٣

هو
الذى/اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود وغير ذلك من فيوبه عزوجل) (١)

وقد ذكر الهدهد في معرض استدلاله على وحدانية الله أنه تعالى (رب العرش العظيم) ليفند تأليه الشمس وقد عبدها أهل سبأ والعرش اعظم من الشمس وأكبر المخلوقات ، وفي حديث ابي ذر (٢) قال دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فلما غربت الشمس قال يا اباذر هل تدرى أين تذهب هذه ؟ قال : قلت الله ورسوله اعلم . قال : فانها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها ..) (٣) فهي مخلوقة مربوبة مسخرة كما قال تعالى (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) (٤) ، وهي - كذلك - آية من الآيات الدالة على وجود ووحدانية الله كما في حديث عائشة رضي الله عنهاانه عليه السلام قال : (ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله) (٥)

د - اما النظر الى الحيوانات ومنها النمل ، ويقول عنه تعالى (حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوامساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) الاية : ١٨ ففي هذا دلالات باهرات على قدرة الله وعظيم سلطانه ، فهذه الأمم من المخلوقات لها نظم حياة ، وتحكمها نواميس تعيش بمقتضاها ، وذلك تدبير العزيز العليم الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ، فلقد سمع كلامها من فوق سماواته وخلده ليقيم به الحجة على الانسان .

---

(١) ارشاد العقل السليم ٦ / ٢٨٢

(٢) ابو ذر الغفارى من كبار الصحابة والسابقين في الاسلام ، كان له رأى في أموال الاغنياء سوى الزكاة على عهد عثمان رضي الله عنهم جميعا انظر قصة اسلامه في البخارى ٣ / ١٤٠١ كتاب فضائل الصحابة :٧/٥٥ ٦٢/٤

(٣) جزء من حديث رواه البخارى ٦ / ٢٧٠٠ في كتاب التوحيد باب(٢٢) - وكان عرشه على الماء .

(٤) الاعراف : ٥٤

(٥) جزء من حديث متفق عليه : رواه البخارى في كتاب بدء الخلق باب ٤ صفة الشمس والقمر ٣ / ١١٧١ ومسلم ٢ / ٦١٨ كتاب الكسوف .

ومنها الهدهد ذلك الطائر الصغير كم قدم من دليل على وحدانية الخالق وهيمنته اذ قال (اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ، الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) - الآية : ٢٣ - ٢٦ وما كان لهذه المخلوقات وغيرها أن توجد بغير موجد وما كان لها أن توجد أنفسها هذا النظام البديع بهذه الدقة والاحكام في عيشها وفي معرفتها لبارئها جلت آلاؤه .

وفيما تقدم دلائل على ربوبية الله وقدرته المطلقة :

١ - لانه لابد لهذه الخلائق من موجد رازق باق مطلع .. ولم يدع ذلك أحد من الخلق ، وهم اعجز من ذاك .

٢ - وفي تناسق الخلق العجيب ودقة احكام سبل عيشه برهان على قدرة الله .

٣ - وفي تفاوت الخلق من متناه في الصغر الى الضخم الهائل من الأجرام ، وفي الكثرة الكاثرة من الناس والدواب والاجرام ، وفي احاطة علم الله بها جميعا .. في ذلك كله براهين وشواهد وآيات على انه سبحانه متفرد بالخلق والرزق والانشاء والاماته والاعادة ، وانه المستحق للعبادة وحده دون سواه .

وللحديث صلة ماتعة - باذن الله - في باب النظر الى الكون والدعوة من خلال ذلك ، وسنرى هنالك كيف توصل العلم اليوم - بامكاناته الضئيلة - الى بعض اسرار النبات والغيث والحيوان والانسان ، ونقف على وجوه الاستدلال ومسالك اقامة البرهان العقلي والحسي على وجه مبسوط مفصل ان شاء الله .

٣ - الكتابة والمراسلة :

قال تعالى حكاية عن أمر سليمان للهد هد (اذ هب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ،قالت يا أيها الملأ اني القي اليّ كتاب كريم ،انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين) الآية : ٢٨-٣١ تضمنت هذه الآيات الكريمة آداب المكاتبة والسفارة وخصائص المراسلات الدعوية وسمات الأسلوب الأمثل :

أ - فمن حيث المضمون :

يلاحظ أنه غاية في الوضوح والدقة والموضوعية فلقد اشتمل الكتاب على :

١- اثبات الصانع جل وعلا واثبات كونه عالما قادرا حيا مريدا حكيما رحيما (١) فجمع بذلك بين اثبات الذات والصفات .

٢- أمر بالانقياد ونهي عن الترفع والتكبر ،وهذا من منطق القوة التي اتسمت بها دعوة سليمان وهي مستمدة من الاعتزاز بدين الله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) (٢) يخاطب بهقوما هانت عليهم نفوسهم حتى عبدوا الشمس وهي مخلوقة مأمورة .

٣ - تقديم المعجزة وهي : ارسال الهدهد بهذا الكتاب وهو طائر من الطيور ، وسواء شعر به القوم أو لم يشعروا الا انهم وجدوا الكتاب قد القي اليهم .

ب - ومن حيث الأسلوب :

ترى أنه جمع بين :

١ - القوة في الخطاب وعرض الموضوع ، وذلك يضفي على الكتاب وكاتبه ثوب الجدية ، ويمنع امكانيةالمهادنة أو المداهنة وهو ما قد يتطرق الى ذهن المرسل اليه .

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازى ٢٤ / ١٩٤

(٢) المنافقون : ٨

٢ - الاختصار من غير اخلال ، وذاك أوفى في ايصال موضوع الدعوة الرحيب بلفظ يسير ولا سيما الى الحكام والساسة ، وهو أدل على المراد .

٣ - التزام جانب الآداب الاسلامية ، حتى وصفته الملكة بأنه كتاب كريم ، وذلك كما يقول القرطبي (لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء الى عبادة الله عزوجل ، وحسن الاستلطاف والاستعطاف من غير أن يتضمن سبا ولا لعنا ولا ما يغيّر النفس ، ومن غير كلام نازل ولا مستغلق على عادة الرسل في الدعاء الى الله عزوجل) (١)

جـ - ومن حيث الهيئة :

يبدو الكتاب النبوى في هيئة وقورة وان لم نقف على وصف له في مراجع التاريخ او التفسير ، وقد ذكر بعض اهل التفسير أنه وصف بانه كريم لأنه كان مختوما .. اهـ قلت : والشكليات وان هانت في أعين بعض الناس الا أنها قد تحمل من الدلالات عند الملوك والعظماء مالا يحمله موضوعها وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه لما اراد أن يكتب الى الروم قالوا : انهم لا يقرؤون كتابا الا مختوما ، فاتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة كأني انظر الى وبيصه ونقشه محمد رسول الله) (٢) (٣)

هذا ، ولقد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة الكتابة في دعوته المباركة على نطاق واسع كما في الحديث (انه عليه السلام كتب قبل موته الى كسرى والى قيصر والى النجاشي والى كل جبار يدعوهم الى الله (٤)

---

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ١٩٢

(٢) متفق عليه : رواه البخارى عن انس بن مالك رضي الله عنه في كتاب الاحكام باب ١٥ الشهادة على الخط المختوم ٦ / ٢٦١٩ واللفظ له ومسلم في كتاب اللباس باب ١٣ في اتخاذ النبي خاتما ٣ / ١٦٥٧

(٣) الوبيص : البريق ، وبص الشيء برق ولمع . . لسان العرب ٧ / ١٠٤ (وبص) .

(٤) رواه مسلم عن أنس في كتاب الجهاد باب كتب النبي الى ملوك الكفار ٣ / ١٣٩٧ وهو في سنن الترمذى ٣ / ٣٩٢ مكاتبة المشركين .

٤ - السفارة وبعث الدعاة :

قال تعالى على لسان سليمان يوجه الهدهد (اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) الاية : ٢٨ في الاية الشريفة آداب الرسل والسفراء سواء بعثوا بكتب أو انتدبوا للدعوة يبثونها ويبلغونها .

وترى النظم القرآني الجليل جمع أربعة أوامر تستنجز مهمتين يفصل بينهما حرف التراخي ثم ..

اذهب فالقه ، ثم ... تول فانظر .

١ - فالمهمة الأولى هي الذهاب والصدوع بالأمر وابلاغ الناس دين الله ، وليس يضطلع بهذه المهمة الجليلة الا الأماثل من الأمة ممن جمع بين الدراية العلمية والمقدرة النفسية والاستعداد الخلقي قال الشوكاني (وخص الهدهد بارساله بالكتاب لأنه المخبر بالقصة ولكونه رأى منه من مخايل الفهم والعلم ما يقتضي كونه اهلا للرسالة) (١) وفي حديث البراء بن عازب قال (أول من قدم علينا (يعني المدينة) مصعب بن عمير (٢) وابن ام مكتوم فكانا يقرئان الناس) (٣)

ومن آداب السفارة على ماترشد اليه الآية ترك الفضول وأداء الواجب بامانة تامة ، قال في التفسيرالقرآني (الهدهد وهو حامل هذه الرسالة ليس من شأنه أن يسأل عن مضمونها وليس من وضعه في القصة أن يعرف محتواها ، وبهذا ظلت الرسالة سرا محجبا حتى بلغت الجهة الموجهة اليها ، وهذا تدبير تقضي به الحكمة والكياسة (٤)

---

(١) فتح القدير : ٤/١٣٦

(٢) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف أحد السابقين الى الاسلام وممن هاجر الى الحبشة ثم المدينة وهو من البدريين استشهد في موقعة أحد - : الاصابة ٣/٤٠١

(٣) رواه البخارى ٣/١٤٢٨ في كتاب فضائل الصحابة باب ٧٥ مقدم النبي واصحابه المدينة .

(٤) التفسيرالقرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب ٤/٢٤

٢ - والمهمة الثانية :

هي استقراء رد ود الفعل ود راستها ، واطلاع القياد ةالعليا عليها (ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) وقد اورد المفسرون رأيين يتوجه بهما ما نحن بصدده :

أ فاما أن يكون معنى (تول عنهم فانظر) أى تنح فتأمل ،أى كن قريبا حتى ترى مراجعتهم (١)

ب - أو يكون المعنى : انتظر فارجع ، وفي السياق تقديم وتأخير أى : انظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم (٢)

وفي كلا التفسيرين تكليف بدراسة الوضع وتحليله ثم تقديم ما يظهر من ملاحظات ومرئيات على أن تكون على أعلى درجات التثبت واليقين ، لأنه ستبنى عليه مواقف — ربما توجه مصير أمة ، ولقد قال الهدهد قبل سفارته (.. وجئتك من سبأ بنبأ يقين) .

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ٤/١٣٦

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٣/١٩١ والبرهان للزركشي ٣/٢٩٢

الفرع الرابع - المنهج العلمي في دعوة سليمان :

من خصائص دعوة سليمان انها تتميز بطابع القوة الحسية والمعنوية في العلم والتمكين وأسلوب القيادة والجنود والأتباع واجتماع هذه الأمور في دعوة سليمان ودولته انشأ ما يعرف اليوم (بالحضارة) أو الرقي والمدنية .

ومن يتأمل الآيات البينات الكاشفة عن حياة سليمان في هذه السورة يجد انه - عليه السلام - استخدم قوة (التأثيرالحضارى) لدعوة ملكة سبأ الى الاسلام ، وأن الأمر كان مدبرا بنيت مجريات أحداثه على متوقع نتائجه ، وربطت نتائجه بأهدافه ، وقد فصّلت الآيات مراحل هذا التأثير الذى كتب له النجاح وكان من أهدافه اسلام ملكة سبأ لله رب العالمين .

وتدرج سليمان في استخدامه هذا الاسلوب العلمي بخمس مراحل

الأولى :

مراسلة الملكة بأسلوب رفيع كما تقدم ، وكانت الرسالة قوية تنم عن اقتدارالمرسل ومكنته وسلطانه .

الثانية :

رد الهدية التي بعثت بها الملكة ، واعلامها أن مقام الدعوة أسمى من أن يساوم بثمن بخس أو عرض زائل ، بل الداعي يبغي اخراج الناس من حمأة الماديات وركونهم اليها ، وجاء في معرض الرد (بل أنتم بهديتكم تفرحون) الآية : ٣٦ ، واقترن مع ذلك التهديد (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منهاأذلة وهم صاغرون) الآية : ٣٧

الثالثة :

وهي ذات هدفين :

١- طلب احضار العرش من اليمن الى فلسطين في أوجز وقت وبين المكانين بون شاسع ، وفيه اظهار لسلطان العلم واستخدامه للخير والنفع ومن أجل الخير الدعوة الى الله (قال يا أيها الملأ أيكم

يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوى أمين ،قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم) الآيات : ٣٨ - ٤٠ ، وليس من الصواب البحث في كيفية احضار العرش لسكوت السياق عنه ،قال في قصص الانبياء : (اما الطريقة التي أتى بها العرش على يد الذى عنده علم من الكتاب فشيء لم يكشفه العلم وهو نص صريح قاطع الثبوت والدلالة . وما دام الأمر معجزة خارقة للعادة فلا معنى للمكابرة والبحث عن ضروب التأويل) (١)

وحسبنا موطن العبرة ، فهاهنا :

١- تنويه بالعلم النافع وقيمته أيا كان ميدانه .

٢- وربط هذه النعمة بالايمان ،ومن أجلى مظاهره الشكر .

وهاتان قاعدتا الحضارات الحقة في كل زمان ومكان .

وقد ذكر أهل التفسير وجوها عديدة للسبب الذى من أجله استقدم سليمان عرش الملكة ،أوجهها ما مال اليه ابن جرير اذ قال : (.. ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه) (٢)

قلت : وهذه قاعدة تحث الدعاة على ايقاف الناس على ثمرات العلم والايمان ليعلموا أن الاسلام سبيل الرقي والمدنية ، وهو - كذلك - سبيل الحفاظ عليهما من الانهيار والتصدع ، وكم هو حرى بالدعاة الى الله أن يسلكوا هذا المنهج في دعوتهم بايجاد هذا النمط من الحياة ، ثم عرضه على الناس ودعوتهم الى التمسك به ولا سيما في هذا العصر الذى افتتن فيه الناس بعلوم الغرب وتقدمهم ، وانبهروا بثقافاتهم مع خلوها عن الوفاق والود والتواصل وبعدها عن المقاصد الشرعية والاهداف الكبيرة التي دعا اليها الإسلام ولن توجد في غيره .

---

(١) قصص الانبياء للنجار ص ٣٣٤

(٢) تفسير الطبرى ١٩ / ١٠١ وابن العربي ٣ / ١٤٦٢ والنسفي ٣ / ٢١٢ والجواهر ١٣ / ١٦٩ وزاد المسير ٦ / ٧٣

٢ - الهدف الثاني : اختبار عقل الملكة ومقدار مامنحت من مدارك ليكون الأسلوب الدعوى متطابقا مع مداركها متناسبا مع توجهها وليكون موافقا لفهمها للناس وللحياة ، ولقد حقق سليمان هدفين : معرفة اتجاهها ، وايقافها على معجزته . ويلاحظ أن سليمان -عليه السلام - حرص على أن يتم ذلك وفق توقيت دقيق اذ اعتمد على (المبادأة) فهي ابلغ في معرفة المراد واستكشاف المكنون ، قال (أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) قال ابو السعود في القبلية هنا : (ليكون اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات في أول مجيئها) (١)

قلت : ومن فوائد ذلك ايصال الحق والخير الى المدعوين قبل أن يتكون لديهم سابق تصور منحرف فينطبع الحق في افئدتهم عندئذ اذ يصادفها خالية نقية .

ولما علم سليمان حصافتها وأدرك حدة ذكائها واستشعر تأثرها بما رأت من عجيب الأمور وبديع الأحداث انتقل الى المرحلة المناسبة ..

الرابعة :

ايقاف المدعوين على قمم المنجزات العلمية ومبتكرات الحضارة الاسلامية ، وهذا ولاريب من أهداف الاسلام الكبرى اذ أنه من معاني تحقيق الاستخلاف في الارض ، الذى من أجله كرم الانسان ، وليس بناهض به أحد غيرالمسلمين كما حدثنا كتاب اللهوشهدهالتاريخ

قال تعالى (قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير ،قالت رب انيظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) قال صاحب الظلال في هذه الآية (نرجح ان هذه كانت وسيلة لعرض مظاهرالقوة الخارقة التي تؤيده ، لتؤثر في قلب الملكة وتقودها الى الايمان بالله والاذعان لدعوته) (٢)

---

(١) ارشاد العقل السليم ٦/٢٨٦

(٢) في ظلال القرآن ٥/٦٤١

لقد عاشت هذه الملكة لونا حضاريا رفيعا في قومها وان كانت حضارة مادية بحتة فلقد (أوتيت من كل شيئ) ومع ذلك حجبتها الظنون عن نضارة وجه الاسلام واشراقة محياه ، فلما علمت الذى يهدى الى الطيب من القول والى صراط مستقيم ، لما انبهرت بمعطيات الاسلام في مجال التمدن اسلمت وأذعنت مع سليمان لله رب العالمين .

ولنعد كرة اخرى الى ملامح الآية الكريمة فهي ثرة العطاء عميقة الدلالة ما احوجنا الى الاهتداء بنورها ،قال ابن كثير فيها (.. والغرض أن سليمان - عليه السلام - اتخذ قصرا عظيما منيفا من زجاج لهذه الملكة ليريها عظمة سلطانه وتمكنه ،فلما رأت ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه وتبصرت في أمره انقادت لأمر الله تعالى ، وعرفت انه نبي كريم وملك عظيم ، وأسلمت لله عزوجل وقالت رب اني ظلمت نفسي(٢))

ونستخلص من هذا قاعدة جليلة القدر عظيمة الجدوى في باب الدعوة هي ضرورة التخطيط للدعوة ليدخل الناس في دين الله افواجا ، وسنبسط الحديث عنه - بعون الله وتوفيقه - في الدروس المستفادة من قصص الانبياء في السورة (٣)

وانه لمما يصد الناس عن الاسلام اليوم غربته في اهله ودياره ، وتباطؤ علمائه عن مسئوليتهم وتخاذل علماء الكون والمدنية من ابنائه عن بناء صروح الحضارة والرقي ، فلم يفعلوا كما فعل اسلافهم حين استحوذوا على كل علم وفن وبرعوا في كل مجال وميدان ، ولم يتعاونوا في لم الشتات وجمع ما افترق من مواهب (٤)

---

(١) لسان العرب مادة : لجج ٢/٣٥٤

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٣٦٦

(٣) طالع ص ٢٩٠ من هذه الرسالة .

(٤) نشير الى هجرة العقول الاسلامية الى المراكز الاكاديمية في دول الضلال والمجون من شرق وغرب .

الفرع الخامس : منهج القوة في دعوته :

تقديم :

منهج القوة المعتمد على القتال من مناهج الدعوة المطردة في دعوات الرسل كما في قوله تعالى (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (١)

بيد أن لمنهج القوة في دعوة سليمان طابعاخاصا وسمة متميزة ذلك أنه يجمع بين الملك والنبوة ، ومن ثم لا تجد عنادا ولا صدودا ولا استكبارا .

والمتأمل في منهج القوة في هذه السورة المكية - ولم يكن الجهاد قد شرع بعد - يقف على أسس هذا المنهج وأطره العامة وأهدافه الكبرى ، وكان ايراد ذلك كله في ثناياقصص القرآن الكريم تمهيدا لمرحلة المواجهة التي وقعت بعد الهجرة الى المدينة النبوية حيث شرع هناك القتال وباشره رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه الوحي الكريم في ابّانه .

على أن الجهاد وان لم يشرع في مكة الا أنه قد اعد له تربية واعدادا ، وكانت قواعده العامة راسخة منذ العهد المكي ، قال الشاطبي (والجهاد الذى شرع في المدينة فرع من فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو مقرر بمكة كقوله (يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبرعلى ما أصابكان ذلكمن عزم الأمور)(٢)

ومن المفيد أن نذكرفي هذا التمهيد مراحل تشريع الجهاد في الاسلام بايجاز وهي :

١ - مرحلة الكف عن المشركين والاعراض عنهم ، والصبرعلى أذاهم مع الاستمرار في دعوتهم .

٢ - اباحة القتال من غير فرض .

---

(١) آل عمران : ١٤٦

(٢) الموافقات ٣ / ٢٧ والآية في لقمان : ١٧

٣ - فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط .

٤ - قتال جميع الكفار على اختلاف اديانهم واجناسهم ابتداء . (١)

ومكية سورة النمل تقرر عدم فرضية القتال ابان نزولها ، بيد أنا في بحثنا الدعوى هذا لا نرى مايمنع من استنباط حكم الجهاد واحكامه وأهدافه وخصائصه ، مما قد يرتقي بعضها الى مرتبة الفرض وله اثره في نشر الدعوة .

بعد هذا التقديم ندلف الى منهج القوة في دعوة سليمان ، وهو موضوع ينبغي ابرازه بشتى الأساليب ومختلف الوسائل ولا سيما في هذا العصر الذى لم تكن الأمة الاسلامية في حاجة اليه قط فيما سلف من تاريخها كحاجتها اليه اليوم . (٢)

---

(١) اهمية الجهاد - د . علي بن نفيع ص ١٣٦ - ١٤٣ ط ١٤٠٥ الرياض

(٢) الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته د . عبد الله قادري ١/١٨٨ - ١٨٩ ط هجر

(٣) وينبغي أن يستشعر كل مسلم يعمل في حقل الدعوة هذه المسؤولية التي حمّلها فتحملها ، وعلى العلماء الجهاد بالقلم وابراز معاني منهج القوة في الدعوة ، فلم يجعل الله عزوجل عزة هذه الأمة وكرامتها الا في جهادها في سبيله ، وان في التاريخ بعد الكتاب لشاهدا ، ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها والله الهادى الى سواء السبيل .

ومنهج القوة في دعوة سليمان - حسب السياق القرآني الجليل - يتلخص في مرحلتين :

اولا - مرحلة البناء والاعداد ، وتقوم على :

١ - أساس الايمان بالله عزوجل وتفويض الأمور كلها دقيقها وجليلها اليه سبحانه ، والاقرار بأن كل نعمة هي منّ منه وفضل وهذا ما تطالعنا به الآيات البينات في مفتتح القصة في قول سليمان وأبيه (الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) ، وقول سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء) فهاهنا :

١- ايمان بالله عزوجل ٢- وحمده على فضله ٣- وارجاع كل نعمة اليه من التعليم والايتاء ، وان ليس للانسان فيها حول ولا طول ، وتكررت هذه المعاني الجليلة في ثنايا القصة كلها .

٢ - أساس الاعداد والتجنيد : ولقد تكررت كلمة (الجنود) وسماتها الاسلامية ثلاث مرات ،قال تعالى (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) الآية : ١٧ قال الفخر الرازى (والحشر هو : الاحضار والجمع من الأماكن المختلفة) (١) وقال تعالى على لسان النملة (ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) الاية : ١٨ ، وقال على لسان سليمان (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) الاية : ٣٧

وجنود سليمان - كما هو واضح - من الجن والانس والطير سخّروا للدعوة الى الله والى دينه ، وانك لتلمس لدى سليمان عليه السلام الروح الحافزة الى الجهاد ، المتطلعة الى اعلاء كلمة الله حتى أنه قال كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم (قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة بمئة امرأة ، تلد كل امرأة غلاما يقاتل في سبيل الله) (٢)

---

(١) مفاتح الغيب ٢٤/١٨٧

(٢) جزء من حديث متفق عليه : رواه البخارى عن ابي هريرة ٥/٢٠٠٧ كتاب النكاح باب قول الرجل لأطوفن الليلة .. ومسلم ٣/١٢٧٥ في كتاب الايمان باب الاستثناء واللفظ للبخارى .

ولئن كان العمل الاسلامي - ايا كان ميدانه - مناطا بأعمال صفوة خلق الله ، بالاقتداء بها والاستفادة من مناهجها .. انه لجدير أن نلاحظ في جنود سليمان عناصر ثلاثة ، هي أقصى ماوصلت اليه انظمة التجنيد وعرفته فنونه ، وهي :

١ - التنظيم الدقيق وذلك في قوله (.. فهم يوزعون) ، أى يساقون ويدفعون ويحبسون ويجتمعون لا يتخلف منهم أحد (١)

٢ - الكثرة المرهبة ، والتنوع الهادف ، وذلك في قوله عز من قائل (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير..) ، وانها لكثرة كاثرة لكنها لا تعتمد على ذلك فحسب ، بل على ما هو أبقى من ذلك وهو الايمان بالله وصدق اللجوء اليه .

٣ - اتسام الجنود - بمختلف أنواعهم - بالنزاهة والحيطة وسلامة الطوية ، وهي من أزهى ثمار التربية الاسلامية وخصائص جنود الاسلام ، وذلك في قول النملة (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) ، قال الزركشي (وفي قوله (وهم لا يشعرون) احتراس بيّن أن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده ، انهم لا يحطمون نملة فما فوقها الا بألا يشعروا بها) (٢) وهذا على مستوى القائد والجندى .

ويمتاز القائد فوق ذلك بالعدل والحكمة والحزم والهيبة والضبط والانضباط ، وكل ذلك تراه جليا بينا في قول الحق - تباركت اسماؤه - (وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ، لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين)

---

(١) انظر البحر المحيط ٧ / ٦٠

(٢) البرهان ٣ / ٦٥

ثانيا - مرحلة المجابهة والمجاهدة :

وتبدأ بالاستطلاع ودراسة (أرض) المدعويين واتجاهاتهم ومفاهيمهم للحياة والكون ، وقد قام الهدهد بهذه المهمة المثلى خير قيام ، وقدم (تقريرا) مفصلا مبوبا لسيده عرض فيه ما شاهده ولاحظه .

ومن ابرز المبادئ المقررة في هذه المرحلة - ولم يباشر سليمان استخدام هذا المنهج عمليا - مبادئ عامة تتسق مع الأغراض الدعوية والتربوية العامة لموضوع السورة الرامية الى بث معاني الايمان وآثاره في النفوس ، وتتلخص هذه المبادئ في :

١ - الاعتزاز بدين الله ، وهو مبدأ يتغلغل في دماء جند الله ،لا يبدو على ألسنتهم فحسب بل تراه - كذلك - في خلجات نفوسهم ومكنون افئدتهم تعبر عنه تصرفاتهم المنضبطة به ، قال سليمان في كتابه لأهل سبأ (.. ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين) وأيا ما فسر به الطلب هنا سواء الاسلام اوالاستسلام هو قول الواثق من قدراته وقوته ،المؤثر العافية على الطاغية والنهي عن العلو بالصيغة الواردة في رسالة سليمان لم ترد في القرآن المجيد الا في دعوة موسى عليه السلام في قوله لفرعون وملئه (وأن لا تعلوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين) (١) ولقد قال تعالى مؤكدا هذا المبدأ الايماني (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) (٢)

٢ - استخدام هذا المنهج تجاه الكبراء خاصة ، وهم الذين يسميهم القرآن الكريم بالملأ ، وهم الاشراف والسادة ، وبيدهم قياد الامة والتأثير فيها ،وهم الذين يقفون دائما في وجه دعوات الاصلاح

---

(١) الدخان : ١٩ (٢) المنافقون : ٨

حرصا على المصالح والشهوات من الزوال والاضمحلال .

ولقد قالت ملكة سبأ بعد أن وصلها كتاب سليمان بلهجته القوية (قالت يا أيها الملأ اني القي الي كتاب كريم .. يا أيها الملأ أفتوني في أمري ماكنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ..)

وهؤلاء الملأ هم الهدف المباشر لمنهج القوة ، وذلك كما قال ابن عباس رضي الله عنهما (قالت بلقيس : ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) قال الله تعالى (وكذلك يفعلون) (١) قال ابن كثير (أى : وقصدوا من فيها من الولاة والجنود ، فأهانوهم غاية الهوان اما بالقتل أو بالأسر) (٢)

وتخصيص أعزة أهل القرية بذلك :

- كسرا للحواجز التي تقف عائقا أمام الحكم الجديد .
- ولاقرار المهابة في النفوس وهو من لوازم هذا المنهج .

٣ - الترفع عن المساومة بالدعوة بعرض دنيوى زائل ، فليس دعاة الاسلام - وهم حملة أشرف رسالة على وجه الأرض - بالذى يبيع امانته أو يرتشي فيها بثمن بخس ، وهل يقع في الحمأة من يجاهد لاخراج غيره منها ؟!

ولما بعث أهل سبأ الى سليمان بهدية علّه يكف عن طلب بغيته - وكان امتحانا نصبوا فيه شباك الظنون وردئ المقاصد - ارتدت السهام الى نحور رماتها ، لقد قال لهم قولته الجليلة (أتمدونن بمال ؟ فماءاتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) الآية : ٣٦ وفي هذا تشخيص للنفوس المؤمنة السامية الأهداف بقدر ما فيه من تعرية لجهالة أولئك الذين (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) (٣)

---

(١) و(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣/٣٦٢

(٣) الروم : ٧

٤ - مبدأ الشورى : قال تعالى (قالت ياأيها الملأ أفتوني في امري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) تضمنت هذه الآية الكريمة مبدأ هاما يعتبر ركيزة هامة في الحكم والدعوة والقضاء والحياة الاجتماعية المثلى .

وواضح أن ملكة سبأ هنا (لم تكن الشورى طلبتها بحثا عن مخرج أو تحريا لحق ، انها لم تكن أكثر من أسلوب في الادارة ونمط من أنماط الحكم) (١) ، والأصل هو عدم الاعتداد بما يحكى على ألسنة الكفار الا أن يكون ثمة ما يؤيده أو يقره والشورى هنا من هذا النوع ، وهي : تداول الرأى وتقليب وجهات النظر وقد أقرها الاسلام بل أوجبها في أحايين كثيرة ،قال تعالى (وأمرهم شورى بينهم) (٢) وقال (وشاورهم في الأمر) (٣)

وعلى هذا فلا مناص من الاعتبار بالشورى والأخذ بها في منهج القوة في الاسلام ،فليس الانفراد بالتدبير والرأى من شيم القيادات في الاسلام ، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في غزواته كلها في الدقائق والجلائل مما فصلته كتب السير والأخبار.

والعمل بالشورى في هذا المنهج يحمل القادة والاتباع على السواء التبعة والمسؤولية ، وينمي في المسلمين جميعا روح التعاون والتسابق الى نشر الدعوة باسرع سبيل وآمن طريق ، ولندع الخوض بعد هذا في أبحاث الفقه المتصلة بالشورى كالالزام بمحصول الرأى وسمات أهل الحل والعقد وما اليه .. مما يخرج عن موضوع الرسالة .

---

(١) ملامح الشورى في الدعوة الاسلامية - عدنان النحوى ص ٣٦
(٢) الشورى : ٣٨
(٣) آل عمران : ١٥٩

٥ - الولاء والطاعة :

عرض السياق القرآني الجليل في هذه القصة نموذجين لهذا المبدأ الحيوى الهام :

١ - ففي منهج القوة الغاشم قالت جنود الكفر من أهل سبأ (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين) الآية : ٣٣ ، وهذه الكلمات تصور الولاء المطلق بأبعاده الثلاثة :

١- عرض القوى والباس ، والاعتداد بذلك وحسب وهو شأن الناس في ظل الوثنيات في كل زمان .

٢- تفويض الأمر الى الملكة .

٣- حشها على اتخاذ قرار جرئ ايا كانت عواقبه .

والولاء بهذه الصورة نابع من أعماق النفس البشرية من حيث الأصالة ، ثم نما في ظل الحكم الذى وجهه الوجهة التي يريدها وكم من أسلوب يمارس اليوم لجذب الولاء أو تحويله أو تحويره في بقاع العالم الاسلامي ، مما يحتم على ولاة الأمور انتهاج المنهج الاسلامي لمكافحة هذا العدوان البالغ الأثر .

٢ - أما منهج القوة في الاسلام فيرمي الى العدل والمحبة والوئام ويؤثر الأمن والسلام ، هو المنهج الذى أحدث تحولا فريدا في تاريخ الانسانية ، انه يربط الولاء بالايمان باللهويوم الحساب ، - وهو مقرر في مفتتح هذه السورة المباركة - حتى يغدو هذا الايمان هو المحرك والموجه لهذا الولاء فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وهذه خصيصة ينفرد بها الاسلام وأهله .

وانك لتعجب من روعة الولاء الاسلامي المعروض الى جانب الولاء عند عباد الشمس من أهل سبأ ، فحين أشار سليمان الى جنده قائلا (أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) تنافست قوتان من قوى الاسلام احداهما اتسمت (بالقوة والأمانة) والثانية

(بالعلم الرفيع) : (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوى أمين ، قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) الايتان : ٣٩- ٤٠ قال في التفسيرالقرآني (هذه القوى الهائلة المسخرة لسليمان ، تتسابق الى تلبية ندائه وتحقيق رغباته ، وأنت ترى هنا عظمة هذا السلطان وروعته حيث يطلب سليمان الشئ فتتزاحم بين يديه القوى القادرة على تنفيذه وتتخاضع وتتخاشع بين يديه) (١)

وأبعاد الولاء الاسلامي هنا تمتاز بأمور :

١- ابراز القوة مقرونة بالأمانة (واني عليه لقوى أمين) وانها لأمانة مسلم !

٢- توافر نوع من العلم رفيع (قال الذى عنده علم من الكتاب..)

٣- تسابق القوى وتنافسها في الامتثال على اختلاف مستوياتها .

٤- ربط ذلك كله بالايمان بالله ومن ابرز مظاهر الايمان الشكر (فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم) الآية : ٤٠ ،

فيا لله كم للايمان من طمأنينة ومهابة وحلاوة ..

وأنت خبير أن هذا الولاء نابع عن ايمان وقناعة واعتقاد ، وليس وليد غرض أو خوف أو ارهاب ، وبمثل هذا حقق المسلمون للناس انسانيتهم حين نشروا دين الله في بلاد الله .

---

(١) التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب ٤ / ٢٤٣

٦ - ضرورة تضافر المنهج العلمي ومنهج القوة لانجاح الدعوة :

من الحكم الباهرة أن يرد المنهجان متداخلان في دعوة سليمان - عليه السلام - ونجاح الدعوة على أتم الوجوه وأحسنها منوط بتضافر هذين المنهجين ، ولئن كان المنهج العلمي يهدف - فيما يهدف اليه - تكوين أمة قوية البنيان مرهوبة الجانب ، فان منهج القوة يهدف كذلك الى نشر العلم في مجموع الأمة وازالة العوائق التي تقف في طريق ذلك .

والقوة في ذاتها دعوة الى التحلي بأوصاف من يتحلى بها والتخلق بسيماه وسلوكه . . والنهل من أسباب قوته وركائز عزته ..

ومن الآيات القرآنية التي أوضحت هذا التلازم والترابط بين المنهجين قوله سبحانه (وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) (١)

---

(١) التوبة : ١٢٢

ثالثـــا :

أهل سبأ وموقفهم من دعوة سليمان

لقد كان أهل سبأ أصحاب رغد في العيش وأمن في الأوطان والأسفار ، وكانوا مع ذلك يعبدون الشمس ، وذكر المفسرون أنهم كانوا مجوسا (١) ، وشاء الله جل شأنه أن يسوق اليهم الخير على يد سليمان النبي الملك ، فهل دخلوا في دين الله وقد تهيأت السبل وغابت الحجب ؟

يمكن القول -على وجه تطمئن اليه النفس- أنهم دخلوا في دين الله أفواجا ، والآية صريحة في اسلام ملكتهم اذ (قالت رب اني ظلمتنفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أما قومها فلم يرد الخبر الصريح عن اسلامهم ، وكل الأحداث التي وقعت بعد مجيء الملكة الى سليمان عبرت عنها الآيات الكريمات بصيغة الافراد التي تخص الملكة دون غيرها .

ونرجح أن قومها أسلموا معها لوجوه :

١- انهم لها تبع ، ولقد فوضوا اليها الأمر حين استشارتهم فقالوا (.. والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين) ثم لم يرد ما ينقض هذا الخضوع والتسليم .

٢ - لم يكن مجيؤها الى سليمان منفردة عن قومها بل صحبها الاشراف ويدل على ذلك قول سليمان حين علم بمقدمها (.. أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) بصيغة الجمع الدال على ذلك ، والرعاع للاشراف تبع وفق سنن الاجتماع .

٣ - ويدل على ذلك ايضا تفسير من يجعل جملة (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) من كلام ملكة سبأ لا من كلام سليمان في قوله تعالى (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو ، وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) ويكون المعنى (وأوتينا

---

(١) الكشاف ٣/ ١٤٤ والدر اللقيط ٧/ ٧٣ ومفاتح الغيب ٢٤/ ١٩٠

العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك (من قبلها) أى من قبل المعجزة (وكنا مسلمين) منقادين خاضعين لأمر الله لا لأمر سليمان) (١)

ولعل سكوت أجلة أهل التفسير عن التحدث باسلام قومها كان للعلم به ،وبه يترجح ما ذكرنا .

على أن الآيات الواردة في أهل سبأ في سورة سبأ التي تقص أنباء هم وكفر أكثرهم واعراضهم عن الله وهي قوله تعالى (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ،كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمطٍ وأثل وشيءٍ من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نُجازى الا الكفور، وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور، ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين)(٢) فهذه الآيات لمجيئها بعد قصة داود وسليمان توحي أحداثها بأنها وقعت بعد حادثة اسلام الملكة على يد سليمان بزمن غير يسيروأن الحال تبدل بحال وهذا ما رجحه صاحب الظلال وغيره (٣) ولا تنفي الآيات هنا اسلام أهل سبأ على الوجه الذى قدمناه ، والله اعلم .

ويبدو أن الملامح التاريخية لتلك الأحقاب البعيدة يعتريها اليوم بعض غبش ، جاء في معارف القرن العشرين (لم يرد ذكر الدولة

---

(١) البحر المحيط ٧/٧٩ والجواهر ١٣/١٦٩

(٢) سبأ : ١٥ - ٢٠

(٣) انظر في ظلال القرآن ٥ / ٢٩٠٠

السبئية في كتب مؤرخي العرب بتفصيل يحسن السكوت معه ، وقد هدى علماء الآثار من الأوربيين الى أن دولة سبأ بدأت نحو القرن الثامن ق . م ولم يعلموا هل تقدمت هذا التاريخ أم لا (١) وفي المنتخب (ومملكة سبأ التي كانت على أوج ازدهارها على أيام سليمان عليه السلام كانت حوالي القرن العاشر ق . م) (٢)

وعدم اتساق الأخبار عن تاريخ اسلام ملكة سبأ مؤداه أن القوم أسلموا ، ثم سرت اليهم الجاهلية في أجيالهم المتلاحقة وحسبنا العبرة ـــــ والله اعلم بالصواب .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدى ١٧/٥ ببعض تصرف ط ٣ - ١٩٧١ م لبنان .

(٢) المنتخب ص ٥٦٥ ، وانظر الموسوعة العربية الميسرة ٩٥٦/١ مادة : سبأ .

رابعا ـ أهداف الدعوة في قصة سليمان

تكاد تنحصر أهداف الدعوة في قصة سليمان الواردة ضمن قصص هذه السورة المكية في تقرير الربوبية والألوهية وابطال ونفي الشرك والشركاء ، ودعوة المشركين الى تصحيح مفاهيمهم في الألوهية والربوبية .

وثمة أهداف أخرى تنبثق من هذا الهدف الكبير الذى بعث به الرسل جميعا كابراز معاني الاسلام ومقتضياته ، واعلاء كلمة الله .. هذا اجمال فيما يلي تفصيله :

أولا :

تقرير الألوهية والربوبية ، وقد ورد بأساليب كثيرة منها :

أ ـ ذكر لفظ الجلالة مقرونا بالمحامد التي يستحقها سبحانه وتعالى مثل (وقالا الحمد لله) (الا يسجدوا لله ..) (فما آتاني الله خير مما آتاكم)

ب ـ ذكر بعض الأسماء الحسنى كقوله (.. وانه بسم الله الرحمن الرحيم) (.. فان ربي غني كريم) .

جـ ـ ذكر بعض الصفات الدالة على الوحدانية والقدرة كقوله (يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ماتخفون وماتعلنون) . والخبء كل ما غاب ، فيكون المعنى : يعلم الغيب في السموات والأرض (١)

د ـ ورود كلمة الاخلاص التي قامت بها السموات والارض (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم)

هـ ـ ابراز معاني الربوبية (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ ..) (هذا من فضل ربي ..) (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)

---

(١) لسان العرب مادة خبأ ٦٢/١

ثانيـــا :

تصحيح مفاهـيم المشركين والكافرين في الألوهـية ، وقد ورد ذلك علـى خمســة أنمـاط :

١ - ابطال الغلو في الأنبياء والصالحين :

فلقد اعتقد الجاهلون أن الأنبياء يعلمون الغيب ، والحق أنهـم يعلمون منه مايشاء الله لتبليغ الدين واقامة الحجة ،قال تعالى : (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) (١) وقال سبحانه (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسـول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهـم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) (٢) ويقول القرآن الكريم على لسان الهدهد (أحطت بما لم تحط به ..) سـورة النمل - الآية : ٢٢ ، قال القرطبي (أى علمت مالم تعلمه فكان في هذا رد على من قال أن الأنبياء يعلمون الغيب) (٣) وقـال في البحـر(وفيه دليل على بطلان قول الرافضة أن الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أعلم منه) (٤) وكم لغلاة الصوفية من شطحات تلحق بهذا الباب .

والغيب مما استأثر الله بعلمه وفي سورة النمل (قل لا يعلم مـن في السموات والارض الغيب الا الله) الاية : ٦٥ وقد أمر اللـه سيد المرسلين بقوله (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (٥) وتقول أم المؤمنين رضي الله عنها (من زعم أنه يخبر بما يكون فيغد فقد أعظم على الله الفريـة

---

(١) البقرة : ٢٥٥
(٢) الجن : ٢٦ - ٢٨
(٣) تفسير القرطبي ١٣/١٨١
(٤) البحرالمحيط ٧/٦٦ وهو في الكشاف ٣/١٤٣
(٥) الاعراف : ١٨٨

والله يقول (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله (١)

٢ - تفنيد عقائد المشركين في الجان :

فلقد زعموا أن الجان تضر وتنفع وتعلم الغيب ، وكان رجال من العرب في الجاهلية يعوذون برجال من الجن ويلتمسون عندهم ما استرقوه من سمع كما فصلته سورة الجن ، (وكان أحدهم - كما يقول ابن عباس - يبيت بالوادى في الجاهلية فيقول : أعوذ بعزيز هذا الوادى) (٢) فبين كتاب الله في منهجه القويم في تصحيح المنحرف من مفاهيم الناس أن الجن :

أ - مخلوقون مربوبون كسائر المخلوقات ، تجرى عليهم أحكامها (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) الآية ١٧ ،

ب - وانهم عبيد مسخرون ، وقد خضع فريق منهم لسليمان ، يأتمرون بأمره ويزدجرون بنهيه ، وكان منهم له (كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد) (٣) ، وفي هذه السورة : (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) الآية ٣٩ ، والعفريت هو (الخبيث المارد من الجان) (٤) واذا كانت السخرة سارية عليه فكيف بضعافهم ؟

جـ - وانهم مكلفون مجازون قال تعالى (ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) (٥) وقالت الجان (.. وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) (٦) وقد ذكر الامام ابن القيم وجوها عديدة لكونهم مكلفين (٧) فارجع اليه .

---

(١) جزء من حديث مسلم ١ / ١٥٩ كتاب الايمان باب معنى قوله ولقد رآه نزلة أخرى .

(٢) تفسير الطبرى ٢٩ / ٦٨

(٣) ص : ٣٧ - ٣٨

(٤) مفاتح الغيب ٢٤ / ١٩٧

(٥) سبأ : ١٢

(٦) الجن : ١٤

(٧) طريق الهجرتين ص ٥١٥

د - ولا يعلمون الغيب ، قال تعالى في قصة وفاة سليمان (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته ،فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) (١) قال صاحب الظلال (.. فهؤلاء هم الجن الذين يعبدهم بعض الناس ، هؤلاء هم سخرة لعبد من عباد الله ، وهؤلاء هم محجوبون عن الغيب القريب ، وبعض الناس يطلب عندهم اسرار الغيب البعيد) (٢)

وانه لجدير بالدعاة أن يسلكوا هذا المنهج القرآني لتصحيح العقائد المنحرفة والتصورات المعوجة في هذا العصر الذى انتشرت فيه خرافات تحضير الأرواح والتنبؤ بالأحداث قبل وقوعها ، واستخدام الجان في ذلك ، وقد انتشرت هذه الأوهام والأوضار في كثير من بقاع العالم الاسلامي كما عششت هذه الخرافات في بلاد الغرب التي تعاني من سقوط الجانب الروحي في الحياة العامة

وانه لمنهج فعال في دعوة هؤلاء وأولئك لأنه يعتمد على البرهان .

٣ - تقرير عبودية الملائكة :

اذ خضع الملك لأمر سليمان وتسابق بأمر الله الى امتثال أمر سليمان واحضار طلبته قال تعالى (.. قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) الآية : ٤٠ على تفسير من يجعله ملكا اما جبريل واما ملكا آخر (٣)

وقد عبد فئام من المشركين الملائكة وجعلوها اناثا وسموها بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، قال تعالى (وجعلوا

---

(١) سبأ : ١٤

(٢) في ظلال القرآن ٥ / ٢٩٠٠

(٣) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص ٥٠٢ ودعوة الرسل للعدوى ٣١٢

الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ستكتب شهادتهم ويسألون) (١) وقال في تقرير عبودية الملائكة (ولله يسجد مافي السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون) (٢)

٤ - ابطال الطيرة :

وبيان أن الطير لا تملك لأحد شيئا من النفع والضر ، والعرب في جاهليتها كانت تتطير بأنواع من الطيور كالغربان والبوم وغيرها تفاؤلا وتشاؤما .. وقد ورد عن قوم صالح في هذه السورة انهم قالوا لنبيهم (اطيرنا بك وبمن معك ، قال انما طائركم عند الله) الآية :٤٧ ويجيء ذكر الهدهد في هذه السورة ليبطل تلك العقائد الزائفة ، فهو كسائر الطيور :

أ - مسخر لعبد من عباد الرحمن (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) الآية : ١٧

ب - ويقع تحت طائلة الأخذ الشديد والعقاب الأليم ان استوجبه (وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ، لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين)الآية :٢٠ - ٢١

جـ - ويأتمر بأمر سيده (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم .. تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) الآية : ٢٨

د - ويحتج على الانسان مستنكرا أن يتخذ مع الله أندادا وشركاء ،فهو يقول (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون). الآية :٢٣ - ٢٥

هـ - وترد على لسانه كلمة التوحيد وهوالطائر الضعيف غير المكلف لتقوم به الحجة على الانسان المكلف المسؤول (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) الآية :٢٦

---

(١) الزخرف : ١٩ (٢) النحل : ٤٩

٥ - بيان أن الكون مسخر لأمر الله ومشيئته :

وقد عبد فئام من الناس بعض ظواهر الطبيعة مما توخوا فيه النفع أو استشعروا فيه العظمة كالشمس والأنهار والنجوم (١) وهي جميعا آيات تدل على خالقها سبحانه ، فالشمس التي عبدها أهل سبأ مخلوقة مربوبة ، وعلى لسان الهدهد استنكار لأن تعبد من دون بارئها (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) الآية : ٢٤

ثالثا :

ومن أهداف الدعوة كذلك بيان معاني الاسلام ومظاهره ، وآثاره في الناس والحياة العامة والخاصة ، كالشكر والانابة والتضرع واسلام الوجه لله رب العالمين ، وسيرد ذلك بعون لله في باب التربية .

*** *** ***

---

(١) اقرأ في هذا الديانات القديمة لابي زهرة .

الفصل الثاني

دعوة صالح عليه السلام

الفصل الثاني
دعوة صالح عليه السلام

قال تعالى :

(ولقد أرسلنا الى ثَمُودَ أخاهُم صالحاً أن اعبدُوا اللهَ فاذا هُم فريقانِ يَخْتَصِمونَ . قال ياقوم لم تَسْتَعْجِلُونَ بالسيئةِ قبلَ الحسنةِ لولا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لعلكُمْ تُرْحَمُون . قالوا اطّيّرنا بِكَ وبمن معك قال طائرُكم عندَ اللهِ بل أنتم قومٌ تفتنون . وكان في المدينةِ تسعةُ رهطٍ يفسدونَ في الأرضِ ولا يُصْلحون . قالوا تقاسَمُوا بالله لنُبَيِّتَنَّه وأهلَه ثم لنقولَنَّ لوليّه ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أهلِه وانا لصادقون . ومكروا مكراً ومَكَرْنا مكرا وهُم لا يَشْعُرون . فانظر كيفَ كانَ عاقبةُ مكرِهم أنا دمّرناهم وقَوْمَهُم أجمعين . فتلكَ بيوتُهم خاويةً بما ظلموا ان في ذلك لآيةً لقوم يَعْلَمون . وأنْجينا الذينَ آمنوا وكانوُا يتقونَ .) الآيات : ٤٥ - ٥٣

تقديم :

ترد قصة ثمود في هذه السورة لتقدم لونا جديدا من دعوات الرسل الكرام - عليهم السلام - فهي تنير للدعاة دروب الصبر والصدق والدأب ، وترسم لهم أساليب متنوعة تخاطب العقول والفطر السليمة والعواطف الكريمة ، وانها لمن أمثل الأساليب وأقوم المناهج لأنها من دعوات رسل الله عليهم صلاة الله .

ولئن كانت دعوة موسى قد جابهت طغيانا منظما من فرعون وجنوده - كما تقدم - ولم تلق دعوة داود وسليمان كيدا ولا صدودا لقوتهما وتمكين الله لهما في العباد والبلاد - كما مضى - فان دعوة

صالح عليه السلام - التي ترد في هذه السورة المكية بعد قصص أولئك الرسل الكرام - تزخر بأساليب اللين والملاطفة والحرص الدائب والتذكير الواصب .

وان تعجب فعجب استكبار ثمود وعتوها ، اذ جابهت هذه الدعوة الكريمة التي تفيض رقة ورأفة وتنم عن الرغبة المخلصة للهداية والرشاد جابهتها بالعناد والتحدى والرغبة الجامحة في الكيد للحق واتباعه ، حتى أن الله عزوجل قرن ثمود بفرعون اللعين فقال (هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود) (١)

وتعرض قصة صالح - عليه السلام - في هذه السورة الكثير من الشبهات التي استمسك بها مشركو مكة مما تذرع بها أسلافهم من ثمود .. كما تكشف الكثير من جوانب النفس البشرية التي فسدت فطرتها فلم تعد تتقبل معروفا أو تزدرى منكرا ..

وقد ذكر الله قصة صالح مع قومه في مواطن عديدة من كتابه ، في بعضها بيان لمناهجه التي سلكها في الدعوة ، وفي بعضها ذكر لما حلّ بالمكذبين من النقمة والعذاب ، وفي بعضها تقريع لأمثالهم من الأمم الجاحدة ، وكثيرا ما يقترن ذكر ثمود بذكر المكذبين من الأمم السابقة لها واللاحقة كقوم نوح وعاد وقوم لوط وفرعون .. (٢)

وعرض قصة صالح بمعالمها الدعوية الآنفة على هذا النحو المنثور في كتاب الله هو منهج في التربية والدعوة والقصص ، وهي بعد ذلك رافد أساسي مع دعوات الرسل جميعا في رسم المنهاج

---

(١) البروج : ١٧ - ١٨

(٢) انظر سورة الاعراف : ٧٣ - ٧٩ / وبراءة : ٧٠ / وهود : ٦١-٦٨ وابراهيم : ٩ / والاسراء : ٥٩ / والفرقان : ٣٨ / والشعراء : ١٤١ - ١٥٩ / والنمل : ٤٥ - ٥٣ / وص : ١٣ / وفصلت : ١٧ - ١٨ و ق : ١٢ - ١٣ / والذاريات : ٤٣ - ٤٥ / والنجم : ٥٠ - ٥١ / والقمر : ٢٣ - ٣١ / والحاقة : ٤ - ٥ / والفجر : ٦ - ٩ / والشمس ١١ - ١٥

القرآني في الدعوة والدعاة . .

وتقابل دعوته الكريمة في جلالها وسموها بالعناد المستحكم ومعه الرغبة الجامحة في الكيد للحق وأهله .

وتضم قصة صالح في أطوائها الكثير من شبهات مشركي مكة إلتي استمسكوا بها فصدتهم عن الله وآلائه ، كما تكشف جوانب عديدة من النفسية البشرية التي فسدت فطرها فلم تعد تتقبل معروفا أو تزدري منكرا وهو ما وقع فيه الذين صدفوا عن دعوة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم .

وكثيرا ما يقرن كتاب الله دعوة صالح بدعوة هود ، وكثيرا ما يربط ذكر ثمود بعاد في سرد أخبارهما وعرض مواقفهما من الرسل الكرام ، وبيان ما حاق بهما من الجزاء الوفاق ، وايقاظ المشاعر للاتعاظ بمصائرهما ، على نحو قوله تعالى (وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) (١) ، وقوله (.. وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى) (٢) وقوله (كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية واما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ..) (٣)

ولعل من الحكم الدعوية في ذلك وقوع أحداث القصتين في جزيرة العرب وهي مبعث الرسالة الخاتمة وموطن وعربية عاد وثمود (٤) وتمكين الله لهما في نحت البيوت واثمار الزروع واخلادهما الى الارض وهلاكهما بعد الكفر والطغيان الا من رحم ربك ، ثم بقاء آثارهما في جزيرة العرب لاعتبار المعتبرين .

---

(١) العنكبوت : ٣٨

(٢) النجم : ٥٠ - ٥١

(٣) الحاقة : ٤ - ٦

(٤) انظر أصلهم العرقي لدى قصص الانبياء للنجار ص ٥٣ .
ومساكن عاد في أرض الأحقاف وهي شمال حضرموت ، ومساكن ثمود في الحجر بين الحجاز والشام - ويرى البعض أن ثمود عاشت بين ٤٠٠ و ٦٠٠ بعد الميلاد : دائرة المعارف الاسلامية للمستشرقين ٦ / ٢١٠ - ٢١١

موضوعات الدعـــوة في قصة صالـح

أولا ـ أساليب صالح عليه السلام في الدعوة :

باستقراء الآيات الكريمة التي تناولت دعوة صالح وعرضت أساليبه في القرآن الكريم والتي تضمنت سورة النمل خلاصتها تبين أنها أساليب خاطبت العقول والفطر، واستحثت فيهم النخوة، ودعتهم الى الاعتبار بمصير الغابرين ، وأظهر تلك الأساليب :

١ ـ أسلوب التذكير بنعم الله :

واعتمد فيه على سرد النعم المتتابعة وبيان أنها من الله المنعم المتفضل ثم المطالبة بشكرها وما تقتضيه .. اذ قال لهم (.. هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) (١) ، وقال (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا ، فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين)(٢)

فهو ـ عليه السلام ـ هاهنا يذكرهم :

١- بأنهم مكن لهم في استعمار الأرض ، وأنها ذللت لهم .

٢- وأن الله هو الذى مكن لهم فيها بعد اذ أنشأهم منها .

٣- وأنهم خلفوا قوما بائدين لسوء موقفهم من نبيّهم .

٤- وأنهم بوئوا في الأرض منازل فاذا هم ينحتون ويشيدون .

٥- كما يذكر بالنعم جميعها بوجه عام (فاذكروا آلاء الله) ما ظهر منها وما بطن فهي نعم سابغة وفضل عميم .

وفي هذا كله اشعار لهم بأنهم أهل لعمارة الأرض وأنهم تبوؤا مقام الخلافة فيها ، وهذا أسلوب يعتمد على (ايقاظ الحياء والشيم وكرامة النفس .. هو أسلوب يشعر المخاطب بعلوّ نفسه وكبر منزلته وأن عصيان الله هو امتهان للنفس ونزول عن المكان اللائق بها) (٣)

---

(١) هود : ٦١

(٢) الاعراف : ٧٤

(٣) دعوة الرسل للعدوى ص ٢٨

وأسلوب التذكير - وماتقدم بعض وجوهه - كاف لاحياء موات أمة ان احسن استخدامه وصادف نجاحا وقبولا لدى الفطر السليمة والنفوس الكريمة ، وسنن الله سارية في المجتمع الانساني على امتداد تاريخه الطويل ، ذاك ما أنبأنا الله به ، فمن استخلف ثم لم ينهج المنهج الاسلامي في الحياة أبيد وجيئ بآخرين ، قال ابن كثير في قوله تعالى (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) (١) (أى انما جعلكم خلفاء من بعدهم لتعتبروا بما كان من أمرهم وتعملوا بخلاف عملهم ، وأباح لكم هذه الأرض تبنون في سهولها قصورا .. فقابلوا نعمة الله بالشكروالعمل الصالح والعبادة له وحده) (٢)

٢ - الترغيب والترهيب :

ووسائلهما من أوسع أبواب الدعوة ، ومن الأساليب التي اتبعها صالح عليه السلام :

أ - الحث على الاستغفار وبيان ما يستجلبه من الخير العميم والرحمة الواسعة لقد خاطبهم بقوله (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب) (٣) وفي سورة النمل بعد أن استعجلوا العذاب (قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) الآية : ٤٦ فهو عليه السلام (تلطف بقومه ورفق بهم في الخطاب فقال مناديا لهم على جهة التحنن عليهم : لم تستعجلون بالسيئة أى بوقوع ما يسوؤكم قبل الحالة الحسنة وهي رحمة الله) (٤)

ومن ذا الذى يدعي الى رب قريب مجيب ذى رحمة واسعة ونعمة سابغة ثم يعرض ويتولى ولا يخشع وينيب ؟ ؟

---

(١) الاعراف : ٧٤
(٢) قصص الانبياء ص ١١٨
(٣) هود : ٦١
(٤) البحر المحيط ٨٢/٧

ب - ترغيبهم في المسارعة وعدم التأني في الاستجابة لنداء الحق ، فما تدري نفس ماذا تكسب غدا .. وان الكيس الفطن ليهتبل الفرصة قبل فواتها .. يفهم ذلك من قوله (لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) بقبول التوبة ، اذ سنة الله عدم القبول عند النزول (١)

جـ - التحذير من مساس الناقة بسوء ، اذ أنها آية أقيمت عليهم بناء على طلبهم - كما سيجيء - لقد قال لهم (هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم) (٢) ، وفي موضع (فيأخذكم عذاب قريب) (٣) وفي موضع (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) (٤)

ولئن كان العذاب قد عبر عنه بأنه (يأخذ) وانه (أليم) ، وهو (قريب) وواقع في (يوم عظيم) ، وأخبر به رجل جربوا صدقه وبره ونصحه ان في ذلك لمزدجرا ، وفيه من الترهيب غايته .

د - الكشف عن حقيقة ماهم فيه من الأشر والبطر فحينما تطيروا به وبمن معه (قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون) الآية : ٤٧ قال في أضواء البيان (تطلق الفتنة على الاختبار وهذا هو الأكثر استعمالا ، وأصل الفتنة في اللغة وضع الذهب في النار ليختبر بالسبك أزائف هو أم خالص ، وعليه فيكون المعنى بل أنتم قوم تعذبون) (٥)

وعلى اعتبار الفتنة هنا ابتلاء أو عذابا فهو أسلوب في غاية الترهيب كما لا يخفى .

هـ - وفي بيان نجاة المؤمنين ونهاية المكذبين الأليمة في ختام القصة ترغيب وترهيب (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الآية : ٥٠-٥٣

---

(١) روح المعاني ببعض تصرف ١٩/٢١١
(٢) الاعراف : ٧٣ (٣) هود : ٦٤ (٤) الشعراء : ١٥٦
(٥) أضواء البيان بتصرف ٦/٤٠٧ ط مصر ، وانظر لسان العرب مادة فتن - ١٣/٣١٧

٣ ـ المنهج العقلي :

وقد استخدم صالح ـ عليه السلام ـ هذا المنهج على أوجه :

أ ـ أوضحها معجزته وهي الناقة التي سماها القرآن بينة وآية ،قال تعالى (قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية) (١) ، فهي آية على اختلاف وجه كونها آية (٢) قال الفخر الرازى (واعلم أن القرآن دل على أنها آية ،فأما ذكر أنها كانت آية من أى الوجوه فهو غير مذكور، والعلم حاصل بأنها كانت معجزة من وجه ما لا محالة) (٣)

وحسبنا هذا القدر مما يتعلق بناقة صالح ، ولم يرد ذكرها في سورة النمل ، تمشيا مع موضوعها العام الذى يعرض مواقف الجاحدين وما حل بهم .. والمعجزة أقرب الى المنهج العقلي لأن مبناها الاعجاز وانما سبيل معرفته العقل .ومن تأمل الآيات التي قصت نبأ صالح وثمود يرى أن المعجزة أتت بعد أن دعاهم الى توحيد الله وترك الأنداد ومعبودات الآباء .

ب ـ الدعوة الى التفكر في آلاء الله ونعمه ، والوصول من خلال ذلك الى شكر المنعم جل وعلا ، وقد تقدم بيان أسلوب التذكيربالنعم الذى يهدف الى الاتعاظ بمصير الغابرين والعمل بخلاف عملهم ، وهاهنا دعوة الى التفكر في آلاء الله وهي خارجة عن الحصر الانساني وهذا أسلوب يمت الى المنهج العقلي بأقرب وشيجة ، قال الفخر في قوله تعالى على لسان صالح (فاذكروا آلاء الله) (٤) يعني قد ذكرت لكم بعض أقسام ما آتاكم الله من النعم وذكر الكل تطويل ..

---

(١) الاعراف : ٧٣

(٢) انظر الأقوال في ذلك : قصص الانبياء للنجار ص ٦٠ حاشية ١ ودعوة صالح عليه السلام ـ حسن الشيخ (ماجستير) ص ١٢٣ مخطوط

(٣) مفاتيح الغيب ١٤ / ١٧٠

(٤) الاعراف : ٧٤

فاذكروا أنتم بعقولكم ما فيها) (١)

وكم من نعمة الانسان غافل عنها ، وكم من نعمة تحمل في طياتها دلالات على الخالق البارئ ، وكم من نعمة وآلاء تستوجب شكرا وحمدا .. وقد اعتبر القرآن آلاء الله من آياته ، ولذا نعى على ثمود اعراضها عن ذلك قال تعالى (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) (٢)

جـ - المحاجة العقلية ، والتنزل الى مستوى الخصم في قوله لهم (أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير) (٣) قال في البحر (ذكر الطريق الدال على امكان أن يكون نبيا مبلغا عن الله على جهة التعليق والامكان وهو متيقن أنه على بينة من معرفة الله ، وتوحيده وما يجب له وما يمتنع ، ولكنه أبرزه على سبيل العرض لهم والاستدراج للاقرار بالحق وقيام الحجة على الخصم ، ولو قال اني على حق من ربي لقالوا كذبت) (٤) ، وقال ابن كثير (هذا تلطف منه لهم في العبادة ولين الجانب ، وحسن تأت في الدعوة لهم الى الخير أى : فما ظنكم ان كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم اليه ؟ ماذا عذركم عند الله ؟ وماذا يخلصكم من بين يديه ، وأنتم تطلبون مني أن أترك دعاءكم الى طاعته) (٥)

فهو - عليه السلام - هنا يعرض عليهم :

١ - انه على الحق والبينة على سبيل التردد لا التحقق (والحق عكس ذلك) .

---

(١) مفاتح الغيب ١٤/١٧١

(٢) الحجر : ٨١

(٣) هود : ٦٣

(٤) البحر المحيط ٥/٢١٥ والكشاف ٢/٢٧٩ وارشاد العقل السليم ٤/٤٢١ ومفاتح الغيب ١٨/١٩

(٥) قصص الأنبياء ص ١١٩

٢ - وانه أوتي رحمة من ربه وهي رحمة عظيمة يؤذن بها تنكيرها .
٣- وأنه في حالة ترك دعوتهم وعصيان الله :
- تفوتهم تلك الرحمة وذلك الحق والخير .
- ويقع واياهم في خسران .

واذن ، فهو على بينة ، ولن يطيعهم في معصيةربه وعليهم بعد هذا اختيار سبيل الفلاح والرشاد دون سبيل الخسران ، وفي سورة النمل يقول لهم (لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) الآية : ٤٦ ، أى : لم تؤخرون الايمان بالذى يجلب اليكم الثواب، وتقدمون الكفر الذى يجلب اليكم العقوبة ، فان استعجال الخير أولى من استعجال الشر (١)

د - لفت النظر الى ظاهرة الحياة والموت في أنفسهم وفيما حولهم ، والاستدلال - من ثم - على وحدانية الله وتحقق البعث فلقد لفتهم الى :

١ - نشأتهم من الأرض في قوله (هو أنشأكم من الأرض) (٢)
والانشاء هو : ايجاد الشيء الذى يكون مسبوقا بمادة ومدة (٣) قال الفخر في وجه كونهم انشئوا من الأرض (أن الكل مخلوقون من صلب آدم ، وهو كان مخلوقا من الأرض .. وفيه وجه آخر وهو أقرب وذلك : لأن الانسان مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الأغذية وهذه الأغذية اما حيوانية أونباتية والحيوانات حالها كحال الانسان ، فوجب انتهاء الكل الى النبات ، وظاهر أن تولد النبات من الأرض فثبت أن الله تعالى أنشأنا من الأرض) (٤)

---

(١) فتح القدير ٤/١٤٣
(٢) هود : ٦١
(٣) التعريفات للجرجاني ص ٥٦
(٤) مفاتيح الغيب ١٨/١٨

٢ - كما لفتهم الى ما بين أيديهم من الزروع في قوله (أتتركون فيما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم(١) فكأنه يقول لهم اذا كان أسلافكم لم يتركوا فيما ها هنا آمنين ، أفأنتم متروكون وقد فني الماضون صالحهم وطالحهم ، اذن فلا مناص من الرحيل ، ولا بد للرحيل من زاد ، ولا زاد سوى الايمان وهو ما أدعوكم اليه .

ثم انظروا الى هذه العيون والجنات والزروع والنخل ذات الطلع الهضيم وهو (المتراكم الكثير الحسن البهي الناضج) (٢) من أين جاءت هذه النضرة وتلك البهجة وذلك الاخضرار والاهتزاز ومن أين دبت الحياة بعد الموت والهمود؟!

ويلاحظ في منهج صالح - عليه السلام - كغيره من الأنبياء أنه سلك مع قومه أساليب تنبع من بيئتهم وتلائم حياتهم وما ألفوه وفهموه وما هو واقع مشهود فيهم من نحت الجبال وتشييد القصور واتخاذ الزروع .. فلقد كانوا (ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) (٣) وخاطبهم قائلا (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا) (٤) ووصفهم رب العزة والجلال بقوله (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) (٥) وكانوا كما روى عن ابن عباس (معمّرين لا يبقى البنيان مع أعمارهم(٦)

(٧) ،

---

(١) الشعراء : ١٤٨
(٢) قصص الانبياء لابن كثير ص ١١٨
(٣) الحجر : ٨٢
(٤) الاعراف : ٧٤
(٥) الفجر : ٩
(٦) تفسير القرطبي ١٣ / ١٢٧
(٧) سلك الشيخ حسن الشيخ في رسالته الماجستير (دعوة صالح عليه السلام) في عرض أساليب صالح من منطلق مناهج الدعوة : الفطري والعاطفي والعلمي ونرى أن ذلك غير دقيق لتداخل المناهج ولا سيما في دعوة كدعوة صالح وهي سابقة لدعوات الانبياء الذين نزلت عليهم كتبا وعاشت أممهم أحقابا .

ثانيا - أسس دعوة صالح عليه السلام وأهدافها :

سعى صالح - عليه السلام - الى تحقيق أصول الايمان وما يستتبع ذلك من الصلاح والتقوى ، أما الأصول الايمانية وهي مطردة في دعوة رسل الله جميعا ، فهي :

١ - الدعوة الى الايمان بالله :

وافراده سبحانه بالعبادة ، فطليعة الآيات التي تقص علينا نبأ صالح مع قومه تحكي أنه دعاهم الى التوحيد ، قال تعالى (والى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره) (١) وقال (والى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره) (٢) وفي سورة النمل (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون) الآية : ٤٥

وكان لا بد من البدء بهذا الأصل العظيم الذى قامت به السموات والأرض الا وهو توحيد الله وافراده بالعبادة ، ولقد كانت ثمود عبدة أصنام أُلِفوا ما ألْفوا عليه آباءهم ولذا قالوا (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ، واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب) (٣)

٢ - الاقرار برسالة صالح الى قومه :

وقد طلب اليهم ذلك بأساليب متنوعة :

أ - بالتودد ومناداتهم بقوله (ياقوم ..) اشعارا بأنه منهم وهو بهم رؤوف وعلى صلاحهم حريص ، ولذا عبرت الآية بأخوته لهم (والى ثمود أخاهم صالحا) (٤)

---

(١) الاعراف : ٧٣
(٢) هود : ٦١
(٣) هود : ٦٢
(٤) الاعراف : ٧٣

ب - باخباره عما حل بعاد ، تلك الأمة التي سبقت ثمود ، قال (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) (١)

جـ - بسيرته الميمونة وسريرته المحمودة فيهم قبل الرسالة وقد شهدوا بذلك حين قالوا (قد كنت فينا مرجوا قبل هذا)(٢) وهو يقول لهم (اني لكم رسول أمين) (٣)

د - بمجيئه بالناقة بأمر الله وهي معجزة ، ولقد طلبوها فلما جاءت كفروا بها قالوا (ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ..) (٤)

هـ - طلبه طاعته لأنه يهديهم الى صراط الله قائلا لهم (اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين) (٥) وقرن ذلك بنهيه عن طاعة المسرفين في قوله (.. فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) (٦) وفي تعبير القرآن (.. فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها) (٧)

٣ - الايمان بالقضاء والقدر :

وهو من مستلزمات الايمان بالله عزوجل ، لكن الوثنية حين تستحفل في قوم ويستمرئونها ويرثونها جيلا عن جيل تتشعب انحرافاتهم في فهم الألوهية ومقتضياتها ، ولقد عرضت سورة النمل صورة من انحرافهم في تصور الألوهية وهو التطير ، تلك العادة التي وجدت في مشركي العرب ابان بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (فقد كان

---

(١) الاعراف : ٧٤
(٢) هود : ٦٢
(٣) الشعراء : ١٤٣
(٤) الشعراء : ١٥٤ - ١٥٥
(٥) الشعراء : ١٤٣ - ١٤٥
(٦) الشعراء : ١٥٠ - ١٥٢
(٧) الشمس : ١٣

الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمّن وان مر بارحا تشاءم) (١) (٢)

وثمود قالوا لنبيهم (اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون) الآية : ٤٧ ، وأيّا ما كان سبب تطيرهم به وبمن معه مما أطنب به المفسرون (٣) فالذى وجههم به صالح هو قوله (انما طائركم عند الله) أى السبب الذى منه يجيئ خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ، أو أن جزاء الطيرة عند الله وهو العقاب والأقرب الوجه الأول (٤) وأخذا به هو تصحيح للمفاهيم المنحرفة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا عدوى ولا طيرة وأحسب الفأل) (٥) ، وعلى الوجه الثاني هو أسلوب الترهيب بالعقاب وكلا الأسلوبين نهجهما صالح عليه السلام في تقرير مبدأ الايمان بالقدر والقضاء .

٤ - الايمان بالبعث والنشور :

لقد دعا صالح الى الايمان بالبعث وما يكون بعده من جزاء - وحساب ، وقد قرر القرآن الكريم ذلك قال تعالى (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) (٦) ، وانك لتلمح الايمان بالنشور في دعوة صالح وهو يخاطب قومه :

- فتارة يذكرهم بأصل نشأتهم من الأرض في قوله (هوأنشأكم من الأرض) (٧)
- وأحيانا يدعوهم الى الاستغفارومن بواعثه الايمان بالبعث ،قال (.. فاستغفروه ثم توبوا اليه) (٨)

---

(١) الكشاف ٣/١٥١

(٢) السانح ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك ،والبارح : ما أتاك من ذلك عن يسارك - لسان العرب ٢/٤٩٠ مادة(سنح)

(٣) انظر البحر المحيط ٧/٨٢ والتفسير القرآني ٤/٢٥٢

(٤) مفاتيح الغيب للفخر الرازى ٢٤/٢٠٣

(٥) رواه الترمذى في أبواب السّير ٢/٤٠٠

(٦) الحاقة : ٤ | (٧) هود : ٦١

(٨) هود : ٦١

- وطورا يحذرهم من عذاب الدنيا في قوله عن الناقة (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) (١) ايذانا بأن هناك عذابا غيره يوم القيامة .
- ويذكر لهم أنهم ميتون غير خالدين في هذه الدار بقوله (أتتركون فيما هاهنا آمنين) (٢)
- ويذكر لهم - كذلك - أنهم عايشون الى أجل ومابعده هو جزاء ،قال تعالى (وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين)(٣) وفي ذلك كله ولا ريب دعوة الى الايمان بيوم الحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وهو أصل أصيل ترتكز عليه دعوة صالح عليه السلام .

٥ - النهي عن الفساد في الأرض :

وهو هدف يرتبط بأصول الدعوة ارتباطا وثيقا ، ولقد كانت ثمود من المفسدين في الأرض من العتاة الغلاظ حتى انه تعالى يقرن ذكرهم بمن ضربوا للكفر مثلا قال تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ، وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب) (٤)

وصالح عليه السلام دعاهم الى ترك الفساد والافساد :

- فهو ينهاهم عن ذلك بقوله (.. ولا تعثوا في الأرض مفسدين(٥))
- ويأمرهم بترك الناقة وشأنها وينهاهم عن مسها بسوء في قوله (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) (٦)
- وينهاهم كذلك عن اتباع أصحاب السوء بقوله (ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون) (٧)

---

(١) هود : ٦٤ (٢) الشعراء : ١٤٦ (٣) الذاريات : ٤٣
(٤) ص : ١٢ - ١٣ (٥) الاعراف : ٧٤ (٦) هود : ٦٤
(٧) الشعراء : ١٥١ - ١٥٢

وفي سورة النمل طرف من افساد هم في الأرض سيجيء بيانه ان شاء الله .

والفساد الذى وصموا به عام في متناوله ، وهو قرين الكفر بالله ومن ثماره ، وليست له في ظننا معالم ثابتة يرتكز عليها ، بل يتخذ المفسدون من أهوائهم ما يملي عليهم افساد الحرث والنسل ، والفساد - بعد هذا - عكس التقوى الذى دعا اليها صالح والتي نوه عنها السياق الجليل بعد أن سرد مهلكهم فقال (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) النمل : ٥٣

ثالثا - موقف ثمود ونهايتهم :

لم تقابل ثمود نبيها الكريم الا بالجحود والكنود ، سجل عليهم ذلك كتاب الله قال تعالى (الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود) (١) وقال (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون) (٢) هذا في عامتهم وسوادهم ..

ولقد آمن منهم القليل على حد قوله تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) (٣)

والى جانب كفرهم وجحودهم لجوا في طغيانهم يعمهون ، فعثوا في الأرض فسادا ، وراموا شرا مستطيرا ، ومما قص الله علينا نبأهم من ذلك :

أ - اتهامهم صالحا بالكذب والسحر واستهزاؤهم به وازدراؤهم له واحتقارهم اياه على نحو بذئ ، وتحديهم أن يأتيهم بعذاب قال تعالى (قالوا انما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين) (٤) ، وقالوا (أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر) (٥) وقالوا له (ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب) (٦) ولكفرهم البليغ أمر الله نبيه صالحا بالاصطبار قال تعالى (.. فارتقبهم واصطبر) (٧)

---

(١) هود : ٦٨
(٢) فصلت : ١٧
(٣) الشعراء : ١٥٨
(٤) الشعراء : ١٥٣ - ١٥٤
(٥) القمر : ٢٤ - ٢٥
(٦) هود : ٦٢
(٧) القمر : ٢٧

ولما وقفت ثمود هذا الموقف العنيد الأشر ، ذكرالله أنهم كذبوا الرسل جميعا ، لأنهم جميعا يسعون الى هدف واحد فقال تعالى (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وءاتيناهم ءاياتنا فكانوا عنها معرضين) (١)

ب -عقرهم الناقة : قال تعالى (كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها(٢))

والعجب العاجب أن يطلبوها ابتداء ويعلقوا ايمانهم بوجودها بينهم ، فلما تحققت طلبتهم نكصوا على أعقابهم وكفروا ، ولم يكتفوا بذلك .. بل تعدوا ذلك الى عقر الناقة ولقد كانوا مجترئين ، سراعا الى الشر والعدوان يؤذن بذلك حرف الفاء المتكررة في قوله تعالى (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب) (٣) وليس يقدم على هذه الفعلة الشنعاء الا من بلغ من الشر منتهاه وفي حديث عبد الله بن زمعة (٤) انه (سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا انبعث اشقاها) (٥) : انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة (٦)

---

(١) الحجر : ٨٠
(٢) الشمس : ١١ - ١٥
(٣) الشعراء : ١٥٦ - ١٥٨
(٤) عبد الله بن زمعة القرشي ابن أخت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم مات أبوه قبل الهجرة كافرا ، وقتل هو رضي الله عنه يوم الدار سنة خمس وثلاثين : الاصابة ٢/٣٠٣
(٥) الشمس : ١٢
(٦) متفق عليه : رواه البخارى في كتاب التفسير سورة الشمس ٤/١٨٨٨ ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب ١٣ النار يدخلها الجبارون ٤/٢١٩١ .

قال ابن حجر : عزيز قليل المثل ، وعارم : صعب على من يرومه كثير الشر والشهامة (١) ولم يكن من الكافرين نهاة يمنعون ذلك السفيه عن حماقته ولذا أخذوا جميعا بالعذاب .

جـ - همهم بقتل نبي الله صالحا وافسادهم : وهو ما قصه الله علينا في هذه السورة اذ قال (وكان في المدينةتسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ،قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون)الآية : ٤٨- ٤٩

وأنت ترى أن كيد الطغاة للدعاة - الذى يبلغ من العدوان والشر مبلغا كبيرا عين الله له بالمرصاد .. فهؤلاء القوم جمعوا من خصائص العتاة الغلاظ المعتدين أوفر كفل :

١- فهم تسع جماعات على رأس كل جماعة شيطان مارد ،قال الشوكاني (الرهط) : اسم للجماعة فكأنهم كانوا رؤوساء يتبع كل واحد منهم جماعة (٢) وهذه التجمعات أو ما يعرف حديثا (بالتكتلات) هي انفذ لتحقيق أغراضها من الآحاد وفق سنن الكون في الجماعة .

٢ - وهم بعد ذلك بغاة ممن فسادهم مستمر ، كما قال تعالى (يفسدون في الارض) بالمضارعة المؤذنة بالاستمرار ، وأكد ذلك بقوله (ولا يصلحون) فهم ممن لا يتأتى منهم صلاح أو اصلاح قط .

٣ - ولهم عزم ماض في انفاذ الشرور وهتك الحرمات ، لا يصدهم صاد ولا يحجزهم حاجز ،فلقد (تقاسموا بالله) قائلين في نبيهم المرسل رحمة لهم (لنبيتنه وأهله ..) قالوا : زعم صالح أنه يفرغ منا الى ثلاثة أيام ، فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث)"(٣)

---

(١) الفتح ٨/٧٠٥

(٢) فتح القدير ٤/١٤٣

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٣٦٨

٤ - وبعد هذا كله هم حريصون على أن ينفذوا مكرهم على وجه الخفاء قالوا : (ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون) أى انهم خططوا لاجهاض الدعوةوالاجهاز على حملتها دون أن يرقبهم أحد أو يشعر بهم أحد !

وما ظنك - يرحمك الله - بقوم تلك سجاياهم وذاك ديدنهم ، أى مبلغ من الشر والفساد يبلغون والى أى منتهى ينتهون ، لقد عقروا الناقة ثم توجهوا الى صالح وهموا بما لم ينالوا .. وكان ربك لهم بالمرصاد .

والغرض العام الذى من أجله سيقت هذه القصة والتي قبلها قصص موسى وداود وسليمان والتي بعدها : قصة لوط ، انما هو تحذير المكذبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمناوئين للدعاة من بعده أن يحل بهم ما حل بالمكذبين من قبلهم ، وان الذى حل بالمكذبين لأمر ثقيل ..

قال تعالى في ختام قصة صالح في هذه السورة (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) الآية : ٥٠ - ٥١

لقد كان للقوم مكر، ومكر العبد :(ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر) (١) ولم يرد مكر المخلوقين في كتاب الله الا في معرض الذم . . وكان للتسعة الرهط مكر.. يذكر ابن الأثير أن التسعة أقسموا ليقتلن صالحا وأهله فسافروا تظاهرا وأرادوا قتله ودخلوا الغارفسقطت عليهم صخرة فقتلتهم ، ويذكر رواية أخرى مال اليها وهي أن التسعة تقاسموا على قتل صالح بعد عقرهم الناقة فدهمتهم الملائكة بالحجارة ليلا (٢) ثم أهلك

---

(١) تعريفات الجرجاني ص ٢٩٣

(٢) الكامل ١/ ٥١ وهو عند ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٣٠ وقصص الانبياء ص ١٢٤

الـله بقيتهـم قال القرطبي (.. والأظهـر أن التسعـة هـلكـوا بعـذاب مفـرد ثم هـلك الباقـون بالصيحـة والدمدمـة) (١)

عاقبـة ثمـود :

قال تعالى (.. فانظر كيف كان عاقبـة مكـرهم أنا دمرناهم وقومهـم اجمعـين فتلك بيوتهـم خاويـة بما ظلـموا ان في ذلـك لآيـة لقـوم يـعلمون وأنجينـا الذين آمنوا وكانوا يتقـون) الآيـة : ٥١ - ٥٣

يدعـو كتاب الله هنا الى النظـر في كيفيـة العاقـبةالتي حلت بالقوم وهـو نظير ما سـلف في ختام قصـة موسـى في هذهالسـورة ..

وعاقبـة ثمـود عبر عنها كتاب الـله بألفـاظ مختلفـة في صيـغ متنـوعـة وهـو أسـلوب بليغ يمـس شـغاف القلوب الحـية فيحثها حثا الى الاعتبار والاتعاظ ،قال تعالى :

- (.. فأخذتهم الرجـفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) (٢)
- (وأخـذ الذين ظلموا الصيحـة فأصبحوا في ديارهم جاثمين) (٣)
- (.. فأخذهم العـذاب ان في ذلك لآيـة وما كان أكثرهـم مؤمنـين) (٤)
- (.. فأخذتهم صاعـقة العذاب الهـون بما كانوا يكسبون) (٥)
- (.. فأما ثمـود فأهلكوا بالطاغـية) (٦)
- (.. فدمـدم عليهم ربهم بذنبهم فسـواهاولا يخاف عقباها) (٧)

قال ابن كثير (استحقوا العذاب من وجهين أحدهما الشرط عليهـم (ولا تمسـوها بسـوء فيأخذكم عذاب قريب) (٨) والثاني استعجالهم على ذلك (٩)

---

(١) تفسيرالقرطبي ١٣ / ٢١٧ وانظر زاد المسير ٦ / ١٨٢ والألوسي ١٩ / ٢١٥
(٢) الاعراف : ٧٨
(٣) هـود : ٦٧
(٤) الشعـراء : ١٥٨
(٥) فصلت : ١٧
(٦) الحاقـة : ٥
(٧) الشمس : ١٤ - ١٥
(٨) هـود : ٦٤
(٩) البدايةوالنهاية ١ / ١٣٨

وذهب البعض في تفسير الرجفة والصيحة والصاعقة والطاغية والدمدمة مذاهب بالبحث عن ماهيتها وكيفيتها .. (١) وحسبنا في بحثنا الدعوى هذا الاعتبار بما كان اكتفاء بالمدلول اللغوى لكل لفظة مما هو معروف في لسان العرب وفهمه الصحابة رضوان اللهعليهم .

والسياق الجليل يصور بيوتهم الخاوية تصويرا ، بعد الاشارة اليها بـ(تلك) الدالة على البعد وهي خاوية (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ..) النمل : ٥٢ فهي خاوية أى خالية من خوى البطن اذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط (٢) وان الديار الخاوية لمشهودة الى اليوم منذ مئات السنين وهي (شمالي المدينة النبوية وتبعد عنها بحوالي ٣٤٧ كيلا وبالقرب منها مدينة العلا وتبعد شمال العلا بـ ٢٥ كيلا) (٣)

ولقد مر الرسول صلى الله عليه وسلم بالحجر فقال (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم ، ثم تقنّع بردائه وهو على الرحل) وفي رواية (أمرهم ألا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها) .. (وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت ترد ها الناقة) (٤) قال ابن حجر في قوله عليه السلام (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ..) (هذا يتناول مساكن ثمود وغيرهم ممن هو على صفتهم وان كان السبب ورد فيهم) (٥)

---

(١) قصص الانبياء للنجار ص ٦٦ وانظر معه دعوة الرسل للعدوى ص ٣٠ وتعريفات الجرجاني ص ١٧٢

(٢) تفسير البيضاوى ٥/١١٩

(٣) دعوة صالح عليه السلام - ص ٦٦

(٤) الأحاديث متفق عليها : خرجها البخارى في كتاب الأنبياء باب ١٩ قول الله تعالى (والى ثمود اخاهم صالحا) ٣/١٢٣٦ ومسلم في كتاب الزهد باب ١ لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا.. : ٤/٢٢٨٥

(٥) الفتح ٦/٣٨٠

ومن مواطن العبرة من قصة صالح - عليه السلام - الواردة في هذه السورة المكية وجوه المشابهة بينها وبين مشركي العرب :

أ - فكلا الأمتين من العرب ووقعت أحداث دعوتهما في جزيرة العرب وقوله تعالى (اطيرنا بك وبمن معك) الآية : ٤٧ يستدل به على أنهم كانوا عربا وأن صالحا - عليه السلام - كان نبيا عربيا وذلك قبل ابراهيم واسماعيل عليهما السلام أيام العرب العاربة) (١)

ب - وهمّ كل منهما بقتل نبيه فحفظ الله أنبياءه من كيدهما وقد همت قريش بقتله صلى الله عليه وسلم (٢)

جـ - وكلاهما طلب آية ، فأما ثمود فقد أرسل الله اليها الناقة وأما مشركو قريش فقد فلق الله لرسوله القمر بناء على طلبهم قال الفخر(حال صالح كان أكثر مشابهة بحال محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أتى بأمر عجيب أرضيّ كان أعجب مما جاء به الانبياء .. والنبي صلى الله عليه وسلم أتى بأعجب من الكل وهو التصرف في جرم السماء) (٣) كما في الحديث (أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين) (٤)

د - وكلاهما جحد الآية بعد استيقانها ، وقد جحدت قريش ما طلبت ، والله جل وعز يقول (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء الله لأنزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون) (٥)

---

(١) التفسير القرآني ٤/٢٥٢

(٢) انظر ابن هشام في السيرة ١/٤٨٠ قصة الهجرة والاختفاء في الغار

(٣) مفاتح الغيب ٢٩/٥٣

(٤) متفق عليه : رواه البخاري عن أنس ٣/١٣٣١ كتاب المناقب باب ٢٤ سؤال المشركين أن يريهم النبي آية ، ومسلم ٤/٢١٥٩ كتاب صفات المنافقين باب انشقاق القمر، واللفظ له .

(٥) فصلت : ١٣ - ١٤

الفصل الثالث

(دعوة لوط عليه السلام)

الفصل الثالث

دعوة لوط عليه السلام

قال تعالى :

(ولوطاً اذ قال لقومه أتأتون الفاحشةَ وأنتم تُبصرون . ائنكم لتأتون الرجال شهوةً من دون النساء بل أنتم قومٌ تَجْهلون . فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناسٌ يتطهرون . فأنجيناه وأهله الا امرأتَه قدّرناها من الغابرين . وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطرُ المنذرين .) الآيات : ٥٤ - ٥٨

تقديم :

خلق الله الانسان في أحسن تقويم ، ثم كرمه واصطفاه لعمارة الأرض ، ومنحه خصائص الاستعمار ، وركب فيه غرائز البقاء والنماء ، وألهمه التحكم في تلك الغرائز وتصريف طاقاتها وفق سنن الفطرة والشرعة .

وكثيرا ما تزيغ الفطر عن جبلتها ومكنون ما خلقت له ، وكثيرا ما يفلت الزمام فاذا الانسان مرتكس الى أسفل سافلين ..

وقد عالجت دعوة لوط - عليه السلام - لونا فريدا من قضايا الدعوة ومهماتها ، انها قضية تحول علاقة المودة والرحمة بين الذكر والأنثى الى انفصام مستحكم ونشاز غريب .. فاذا الذكر الى الذكر يميل ، واذا الأنثى الى مثلها راغبة .

لقد شهد تاريخ الانسانية تصدعا مروعا في فطرتها حين أظهر قوم لوط الفاحشة وتعالنوا بها دون استنكاف اوحياء ، وغدت لديهم الأمر المألوف والطبع المستساغ الذى لا يستدعي انكارا ولا يستجلب عارا !

وورود دعوة لوط في سورة النمل وهي تعالج انحراف الفطرة في مسلك اجتماعي هام ، بعد دعوة انبياء الله موسى وداود - وسليمان وصالح وتدور دعواتهم المباركة حول قضايا الانحراف في فهم الألوهية والتوحيد ومقتضياتهما ، في ذلك ايماء الى :

أ - أن عقيدة التوحيد أساس وطيد للعلاقات الاجتماعية المثلى ، فبين العقيدة ومنهج الحياة ترابط وثيق ووشائج متداخلة .

ب - وأن الدعوة الى اجراء الحياة على نسق الفطرة ونهج الشرعة لا يقل أهمية عن تصحيح المفاهيم حول الألوهية والتوحيد .

جـ - وأن الانحراف في فهم الألوهية يوازى الشذوذ في باقي قضايا انحراف الفطرة ، فعاقبتهما واحدة ، ومآلهما جميعا الى الهلكة والبوار .

وأنت واجد في منهج دعوة لوط وهو يعالج اعقد مشكلة اجتماعية (وقد استفحل خطرها وعمت بلواها في هذا العصر) ، تلك الخصائص والمقومات الضرورية لرجال الاصلاح الذين يودون الاضطلاع بمجابهة هذا المرض الاجتماعي الخطير .. وتلك الصفات والملابسات النفسية والسلوكية والاجتماعية التي استمكنت من نفوس من ابتلى بهذه الفاحشة ، وسبل علاجهم وطرائق وقايتهم من غلوائها وحماية غيرهم من آثارها .

عرض ذلك كله كتاب الله في ثنايا سور مكية - وهو الأغلب - وبعض السور المدنية على نسق بديع هادف اثر طائفة من قصص الأنبياء أو بعد ذكر مفاهيم ايمانية أو عقب مبادئ اخلاقية أومقترنة بسنن كونية (١)

---

(١) اقرأ الآيات في سورة الاعراف : ٨٠- ٨٤ / وهود : ٦٩- ٨٣ والحجر: ٥١ - ٧٧/ والأنبياء : ٧٤- ٧٥ / والشعراء : ١٦٠-١٧٥ والنمل : ٥٤ - ٥٨ / والعنكبوت : ٢٦ و ٢٨ - ٣٥ / والصافات : ١٢٣ - ١٣٨ / والذاريات : ٣١ - ٣٧ / والقمر : ٣٣ - ٤٠ / والتحريم : ١٠ .

وفي ذلك ايماء هادف الى أن النظام الاجتماعي في الاسلام يتبوأ المكانة الأولى من اهتمام القرآن الكريم .

موضوعات الدعوة في قصة لوط

لا بد قبل بسط الحديث عن أساليب الدعوة التي نهجها لوط - عليه السلام - من ذكر نبذة مقتضبة عن عمل قومه والرذائل التي كانوا يعملونها وهو تمهيد لدراسة الوسائل التي اقتضتها ، وهو - كذلك - وقوف على طرف من أحوال صنف من المدعوين .

أولا - عمل قوم لوط :

لقد سجل القرآن الكريم على قوم لوط السبق في ابتكار الفاحشة التي عرفوا بها ، كما سجل عليهم - فأفاض - الكثير من الرذائل والخبائث في القول والعمل ووصمهم بالاجرام والاسراف والجهل والاعتداء ، والافساد والظلم والفسق ، وأمة تجتمع فيها هذه القبائح والمهلكات لهي في أحط الدركات ، ذلكم هم قوم لوط لعنهم الله .

ولم يقتصر عمل قوم لوط على اتيان الرجال شهوة من دون النساء وحسب بل تعداه الى رذائل أخرى أجملها قول البارى تقدست أسماؤه (ولوطا آتيناه حكما وعلما، ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوما فاسقين) (١) وفصّل بعضها قوله تعالى (ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) (٢)

---

(١) الانبياء : ٧٤

(٢) العنكبوت : ٢٩

وقد ذكر أجلة المفسرين وصفا عامالحالهم كما في رواية ابن عباس (أن قوم لوط كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة منها : أنهم يتظالمون فيما بينهم ويشتم بعضهم بعضا ، ويتضارطون في مجالسهم ، ويخذفون(١) ويلعبون بالنرد(٢) والشطرنج(٣) ويلبسون المصبغات ،ويتناقرون بالديكة ويتناطحون بالكباش ،ويطرفون أصابعهم بالحناء ،وتتشبه الرجال بلباس النساء والنساء بلباس الرجال ، ويضربون المكوس على كل عابر(٤) ،ومع هذا كله كانوا يشركون بالله وهم أول من ظهر على أيديهم اللوطية والسحاق) (٥)

وعلى هذه الرواية فدعوة لوطكانت ترمي الى هدفين : اقرار التوحيد ومحاربة الفاحشة وما يتبعها من منكرات ، بيد أن من المفسرين من سكت عن أنهم كانوا مشركين ، ومن العلماء من نفى أن يكونوا أهل شرك ، قال الزركشي (ذكر الله عن قوم لوط استحلال الفاحشة ولم يذكر انهم أقروا بالتوحيد بخلاف الأمم ، وهذا يدل على أنهم لم يكونوا مشركين وانما كان دينهم استحلال الفاحشة وتوابع ذلك وكانت عقوبتهم أشد) (٦)

ونحن نميل الى أنهم كانوا مشركين لأنهم أحبوا شهواتهم محبة أفضت بهم الى الشرك كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ..) (٧) فأصبحوا عبيد شذوذهم وأسرى شهواتهم وهذا مما علل به شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله كونهم مشركين (٨)

ثم ان اعمالهم لم تكن سوى اعمال قوم كافرين ،ولما كانت امرأة لوط على دينهم ضرب الله بها مثلا للكافرين فقال تعالى :(ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط) (٩) ، ولقد دعاهم لوط الى توحيد الله بمقتضى قوله تعالى (وماأرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) (١٠) ، لكن لما كان وباء الفاحشة قد استمكن من القوم انصبت دعوة لوط على انكار هذا المنكر الشنيع بشتى الأساليب

---

(١) الخذف : الرمي بالحصى الصغار بأطراف الاصابع . اللسان ٩/٦١ مادة(خذف)
(٢) النرد : شيء يلعب به، فارسي معرب وهو النردشير اللسان ٣/٤٢١مادة(نرد)
(٣) الشطرنج : لعبة تلعب على رقعة ذات أربعة وستين مربعا- المعجمالوسيط ١/٤٨٥
(٤) المكس النقص والظلم والدراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق فيالجاهلية القاموس المحيط ٢/٢٥٢ مادة (مكس) وانظر لسان العرب ٦/٢٢٠
(٥) تفسيرالقرطبي ١٣/٣٤٢ وتفسيرالطبرى ١٧/٣٢ وقصص الانبياء لابن كثيرص ١٩٦
(٦) البرهان ٣/٣٢ بتصرف طفيف .
(٧) البقرة : ١٦٥
(٨) انظر مجموع الفتاوى ١٥/٢٩٣
(٩) التحريم : ١٠ | (١٠) الانبياء : ٢٥

التي تربط مفاهيم الحياة وما ينبغي أن تكون عليه العلاقات الاجتماعية لدى الانسان برباط العقيدة التي تقتضي تغليب محبة الله وأمره ونهيه على ماسواه . .

واشتهر عن قوم لوط الفاحشة التي اخترعوها لوجوه اربعة :

١ - اتيانهم الرجال شهوة من دون النساء .

٢ - كونهم أول من فعل ذلك من العالمين .

٣ - اتفاق جميعهم على ذلك المنكر .

٤ - اعلانهم له وتفاخرهم به . .

وينبئنا كتاب الله عن ترسخ تلك الفاحشة فيهم وانها أضحت ديدنهم في الحياة تستحوذ على تصرفاتهم وتوجه حركاتهم وسكناتهم ، وذلك بأمور :

أ - شناعة حالهم ، فلما نزلت الملائكة أضيافا على على لوط في صورة شباب حسان جاء القوم كما قال تعالى : (يستبشرون) (١) ،وليست الفاحشة بالتي يستبشر لها ! وهي التي يستحي الكريم من مجرد سماعها ، وعبرت آية أخرى عن سوء حالهم قال تعالى : (وجاءه قومه يهرعون اليه) (٢) قال الطبرى (يهرعون أى يستحثون اليه ،يرعدون من سرعة المشي مما بهم من طلب الفاحشة ،يقال اهرع الرجل من برد أو غضب أو حمى اذا ارعد وهو مهرع اذا كان مهرعا معجلا حريصا) (٣) ، وعلى هذا فالفاحشة متأصلة في قلوبهم متمكنة من نفوسهم حتى قال الله مقسما في وصف سوء حالهم وقبحه (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) (٤) اى غوايتهم أو شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب (٥)

ب - جرأتهم وصفاقتهم : فلقد كانوا في التبجح ودناءة الخلق أحط من الانعام قال تعالى عن حالهم مع نبيهم : (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر) (٦) وهذا يدل على انعدام الحياء وذهاب ماء الوجه ، حتى انه عليه السلام كانت تنقبض نفسه من تصرفاتهم وقبح اعمالهم قال تعالى في وصف حاله معهم (ولما

---

(١) الحجر : ٦٧

(٢) هود : ٧٨

(٣) تفسير الطبرى ١٢ / ٥٠

(٤) الحجر : ٧٢

(٥) ارشاد العقل السليم ٥ / ٨٦

(٦) القمر : ٣٧

جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب)(١) لما يعلمه من بهيمية قومه وسعارهم في تعاطي الفحشاء ، وفي آية أخرى (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا)(٢)

جـ - قبح ردهم واعلانهم التفحش في الكلام : فلقد بدت وقاحتهم وبذاءتهم وتجاهرهم بالفاحشة من كلامهم الذى جابهوا به لوطا عليه السلام وقدعرض عليهم التزوج ببناته (قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وانك لتعلم مانريد)(٣) ، وانه لعجيب أن يستشهدوا بعلمه بفحشائهم ويتخذوا من ذلك حجة لتحقيق مأربهم وفي ذلك دلالة بينة على أنهم فقدوا أبسط موازين أدب التخاطب والحوار الذى ميز به الانسان ، وبذاءتهم هذه - وقد ذكرها كتاب الله بتعبيراتمختلفة - هي من مظاهر صراعهم الداخلي ـــ inner conflict (ومعرفتها طريق من طرق علاج هؤلاء الشذاذ ، وذلك بارتياد حياة المريض الانفعالية واستكشاف مشاعره اللاشعورية وتحليلها)(٤) ومن ثم تقديم العلاج الملائم مما سيجيء من أساليب لوط عليه السلام ..

د - انقلاب المعروف منكرافي منطقهم : فحين استضاف لوط الملائكة جاءه قومه مستبشرين ولما صدهم لوط قالوا : (أولم ننهك عن العالمين)(٥) فهم بهذا يحمّلونه ورز فعلتهم لكونه يجير أضيافه ويمنع عنهم الفضيحة !!

هـ - انعدام عناصر الخير والصلاح فيهم : فلم يكن فيهم نهاة يمنعون الغواة عن السفه المهلك والجرأة على الحق ولا رجل واحد ، ولهذاقرعهم نبيهم بقوله : (أليس منكم رجل رشيد)(٦) أى فيه خير يقبل ما آمره به ويترك ما أنهاه عنه(٧) وهذا كله يدل على انهم بلغوا من دناءة الخلق غايته ومن سفاهةالاحلامنتهاها ومن ارتكاس الفطروفسادالطبائع وخراب القلوب مبلغالا أمل لصلاحهمعه الابيترهم من جسد الانسانية ، وقد كان ...

---

(١) هود : ٧٧
(٢) العنكبوت : ٣٣
(٣) هود : ٧٩
(٤) العلاج النفسي - د.عبدالرحمن عيسوى - ص ٣٠٥ ط ١٤٠٤ بيروت
(٥) الحجر : ٧٠
(٦) هود : ٧٨
(٧) تفسير ابن كثير ٤٥٣/٢

ثانيا - أساليب الدعوة في قصة لوط عليه السلام :

لقد دعا لوط - عليه السلام - أُمة جمعت بين شراسة الطبع وفساد الفطرة وسفاهة الأحلام (وهي اوصاف تلازم اصحاب الأهواء والفواحش) ومن ثم سلك معهم اساليب مختلفة الاهداف يغلب عليها طابع المجابهة التي فيها تقريع وتوبيخ وهي كذلك مشوبة بمعاني الحرص على الهداية والدلالة الى الأقوم قيلا والأرشد سبيلا . !

وانك لتعجب من حلمه واناته وطول نفسه - على ماسيلوح في أسلوبه في الدعوة - وحق له أن يكون كذلك وهو الرسول المجتبى، وهو ثمرة بعد ذلك من ثمار دعوة ابراهيم الخليل عليه السلام ، جد العرب وصاحبه في الهجرة كما في قوله تعالى : (.. فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي)(١)(قال المفسرون : لما هاجر لوط مع ابراهيم نزل ابراهيم أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليلة او نحو ذلك فبعثه الله نبيا)(٢)، (وقال المؤرخون : هاجر لوط مع ابراهيم عليهما السلام الى مصر ثم عادا الى الشام وأقام لوط بسدوم فلما أقام بها ارسله الله الى أهلها)(٣)

ولقد أوتي لوط الى جانب حلمه ودأبه تبصّرا ودراية بأحوال قومه وهي وان كانت من مقومات كل نبي وخصائص كل مصلح ناجح الا أنها أوجب وألزم في معالجة قضية اجتماعية كالتي عالجها لوط عليه السلام ،قال تعالى (ولوطا آتيناه حكما وعلما ، ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث)(٤)أى (آتيناه حكمة وهي : مايجب فعله من العمل، أو فصلا بين الخصوم ، أو نبوة - (وعلما) أى فقها)(٥)وفي المنتخب : وآتينا لوطا القول الفصل والسداد في الحكم والعلم النافع)(٦)

وهذه الصفات الأساسية للدعاة هي في حد ذاتها أسلوب في الدعوة ، وعامل فعال لانجاحها، ووصف الله سبحانه لوطا بها فيه دلالة على أنه يجب على من يقوم بعلاج الشذوذ الاجتماعي في أمة أن يكون - فضلا عن علمه وحلمه - بصيرا بدوافع

---

(١) العنكبوت : ٢٦
(٢) زاد المسير ٥/٣٦٩
(٣) الكامل لابن الاثير ١/٦٧
(٤) الانبياء : ٧٤
(٥) تفسير النسفي ٣/٨٤
(٦) تفسير المنتخب ص ٤٨١

الشذوذ وطبيعة السلوك المنحرف ، دقيقا في اختيار الأسلوب الأمثل والنهج الأقوم الذى يؤدى الى الهدف المنشود من أقوم وأيسر سبيل .

وأجلى الأساليب التي نهجها لوط في دعوته وتضمنت سورة النمل خلاصتها :

١- أسلوب الانكار المباشر ومحاولة التغيير باللسان توبيخا وتقريعا ، وانما صلح هذا الاسلوب - وليس بالاسلوب الأوفق دائما في تغيير المنكر - لمجاهرة القوم بمنكرهم واجماعهم وتواطئهم عليه ورضاهم به ، بل وسفههم وعدوانهم على من رام الانكار أو دعا الى السداد ، واستخدم لوط هذا الأسلوب بطريقين :

** الاول (طريق الاستفهام الانكارى) وذلك بايضاح هول المنكر وفظاعة الجريرة وشناعة الفعلة وكشف عوارها ، وفضح المسلك الذى اتبعوه ، وبيان أن أمرهم ليس برشيد بل هو - فضلا عن انحطاطه - يستجلب تغيّركثير من المفاهيم والموازين

أ - ففيه خرق لقانون الفطرة (أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها أحد من العالمين)(١)

وقال باسلوب التأكيد (انكم لتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين)(٢)

ب - وفيه انتكاس وتضاد لسنة الله في الكون بتعطيل النسل (أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم)(٣) ، وهذا الأثر من أخطر الآثار التي جناها قوم لوط في انحرافهم ، وفي سورة النمل (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون)الاية : ٥٥ فهو هنا (يريهم انه لا حامل لهم على هذه الفاحشة الا مجرد الشهوة ، أى خرجوا بعملهم هذا عن مقتضى الفطرة)(٤) ، والشهوة التي اودعها الله في المخلوقات انما هي للاعمار لا للافناء (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) أى متجاوزين النساء اللاتي هن محل ذلك (٥)

جـ - وهو هدم لمعاني الرجولة وصرف لها عن غاياتها ، فالرجل مناط البأس والاعالة والقوامة وفي اتيانهم هدر لذلك كله ، ففي قوله (أئنكم لتأتون الرجال)(٦)

---

(١) الاعراف : ٨٠
(٢) العنكبوت : ٢٨
(٣) الشعراء : ١٦٥ - ١٦٦
(٤) دعوة الرسل ص ٦٤
(٥) فتح القدير للشوكاني ٤/١٤٥
(٦) العنكبوت : ٣٠

تصحيح لمفهوم الرجولة ذلك المفهوم الضائع في هؤلاء القوم، وتصحيحه أمر ضرورى بل اساسي لتخليصهم من حمأتهم ، قال ابو السعود (.. وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها الاتيان) (١)

** الطريق الثاني : طريق الوصم بالعدوان والاسراف والجهل ، وهو أسلوب يكشف صلف القوم وانهم بلغوا من السفالة مبلغا لا يجدى معهم غير هذا الاسلوب.. وهو من جهة اخرى ايقاظ للكرامة والنخوة فيهم ان كان لها وجود ، فكريم النفس تنبعث لواعج صدره اذا رمي بالجهل او الافساد وتراه بعد ذلك يتفقد نفسه لينفي عنها هذه التهمة .. فهو عليه السلام بعد أن سلك معهم الاسلوب الاستفهامي الآنف الذكر ولم يؤت ثماره ..اضرب عنه باسلوب آخر فقال :

(.. بل انتم قوم مسرفون) (٢)

(.. بل انتم قوم عادون) (٣) وفي سورة النمل :

(.. بل انتم قوم تجهلون) الاية : ٥٥

والجهل أخبث الاوصاف الثلاثة فهو داعية الاسراف والاعتداء ، وهو عام في متناوله (فقد جهلوا حقيقة ماخلقت له المرأة، وجهلوا انفسهم ومكانهم في المجتمع الانساني وجهلوا خطر ما اقدموا عليه ، وجهلوا دعوة نبيهم الذى ارسل اليهم (٤) ولم يكن فيهم رجل واحد على رشد من مسلكه وبينة من امره ولقد قال لهم نبيهم وقد اعياه امرهم (أليس منكم رجل رشيد) (٥) قال ابن كثير(لم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به حتى ولا رجل واحد منهم) (٦)

ولقد بسط لوط هذه المعاني المتقدمة امام قومه موضحا لهم شناعة فعلتهم وعظم جرمهم تضمنها قوله لهم كما في سورة النمل (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون)الاية٥٤

---

(١) ارشادالعقل السليم ٦/٢٩٢

(٢) الاعراف : ٨١

(٣) الشعراء : ١٦٦

(٤) التفسيرالواضح : ٣/٢٠

(٥) هود : ٧٨

(٦) قصص الانبياء ١٩٦

على تفسير من يجعل البصر هنا :

أ - بمعنى عدم التكاتم بل الاعلان بالفاحشة أى (ويرى بعضكم بعضا)(١)

ب - أو من يجعلهابمعنى : وانتم تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها ، فيكون اسلوب ادانةوذلك(لأن تعاطي القبيح من العالم بقبحه أقبح وأشنع)(٢)

جـ - أو من يجعلهابمعنى تبصرون آثار العصاة قبلكم (٣) وعلى هذا فهو اسلوب ترهيب ، وهذه التفسيرات الثلاثة ترد ضمن اسلوب التشنيع والتقريع .

وهذا الاسلوب بطريقيه القائم على التقريع والتوبيخ هو أسلوب ناجع من الوجهة السلوكية وهو المعبر عنه لدى علماء النفس بالعلاج بالتنفير Aversion therapy (٤)

٢ - أسلوب الترهيب بوصف أهل الفواحش بالذم والنقائص والمهانة وسوء المصير وهو اسلوب ينفر الناس عن اهل الرذيلة وأصحاب الفسق والعلل البغيضة وفي هذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (لقد وصف الله اهل الفواحش الذين لايغضون ابصارهم ولا يحفظون فروجهم وصفهم بالسكرة والعمه والجهالة وعدم العقلوعدم الرشدوالبغض وطمس الأبصار ، هذامع ما وصفهم به من الخبث والاجرامفقال عن قوم لوط(بل انتم قوم تجهلون)النمل :٥٥ فوصفهم بالجهلوقال (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون)(٥) وقال (اليس منكم رجل رشيد)(٦) وقال (فطمسنا اعينهم)(٧) وقال (بل انتم قوم مسرفون)(٨)وقال (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين)(٩) وقال(انهم كانوا قوم سوء فاسقين)(١٠)وقال(ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر)(١١)، (١٢)

---

(١)تفسير ابن كثير ٣٦٨/٣

(٢) ارشاد العقل السليم ٢٩٢/٦

(٣) مفاتح الغيب ٢٠٤/٢٤ والكشاف ١٥٣/٣وروح المعاني ٢١٦/١٩

(٤) العلاج النفسي ص ٣٠٦

(٥) الحجر : ٧٢

(٦)هود : ٧٨

(٧) القمر : ٣٧

(٨) الاعراف : ٨١

(٩) الاعراف : ٨٤

(١٠)الانبياء : ٧٤

(١١)العنكبوت : ٢٩

(١٢) مجموع الفتاوى ٤٠٢/١٥

٣ - اسلوب التوجيه والارشادالى الزواج من النساء :

وهو اسلوب يرد بعد اسلوب الاستنكار- المتقدم - حين يستيقظ الغافل وتتهيأ النفس .. وهو اسلوب فضلا عن واقعيته منسجم مع نواميس الكون ومجريات الحياة كما تر ى انه الترغيب في الزواج وبيان محاسنه وانه (الأطهر) سبيلا ، لقد وجههم نبي الله لوط عليه السلام الى نسائهم في ذروة سكرتهم وهمهم بالمنكروالفحشاء ، اذ رامـوا أضيافه وما علموا أنهم رسل الله :

- (وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون ، قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين)(١)

- (ياقوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولاتخزون في ضيفي اليس منكـم رجـل رشيد) (٢)

- (وعلى ترجيح ان بنات لوط هنا هن (نساء قومه) وهو مامال اليه اماثل العلماء كابن جريروابن كثير وغيرهم (٣)وهو الذى يـؤيده قوله تعالى على لسا ن لـوط (أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قـوم عادون)(٤)وفي سورة النمل(ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون) الايـة : ٥٥ ، أقول : على هذا الترجيح الذى أخذنا به هو أسلوب في دعوة هـؤلاء القوم المنحرفين بارشادهم الى نسائهم اللائي خلقن للزواج والنسل وهن مكان للسكن والعودة وفق الشرعة والفطـرة .

وقد قرر علماء النفس الغربيون في احدث دراساتهم أن تعريض الشاذ جنسيا لمثير طبيعي ـ Seduction كفتاة أو امرأة وترغيبه فيها في مراحل متدرجة مايشفيه من شذوذه (٥)وقد قرر هذا العلاج كتاب الله في اقوم صورة الا وهي صورة الزواج ضمن قواعد الاخلاق كما يفهم من قوله تعالى (هن اطهر لكم) قال ابن حزم :(واما قول لوط عليه السلام (هؤلاء بناتي هن اطهر لكم) فانما اراد التزويج والوطء فـي المكان المباح .. اذ من المحال أن يدعوهم الى منكر وهو ينهاهم عن المنكر)(٦)

---

(١) الحجـر : ٦٧ - ٧١

(٢) هود : ٧٨

(٣) انظرتفسيرالطبرى ١٢/٥٢ و١٤/٣١ وتفسير ابن كثير ٢/٤٥٣ و٢/٥٥٥ والكشاف٢/٣٩٦ و٢/٢٨٣ ومفاتح الغيب ١٨/٣٤ واضواء البيان٣/٣٠

(٤) الشعراء : ١٦٦

(٥) انظر العلاج النفسي ص ٣٠٥

(٦) الفصل ٤/٩

وفي هذا الاسلوب الفطرى توجيه بليغ لأولئك الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، ويمدون أربابها بأسباب البقاء والنماء ! وفيه توجيه كذلك للدعاة الى أن يسلكوا الأسلوب الأمثل في الترغيب في الزواج وتيسير سبله والعمل على رفع الحواجز المصطنعة أمامه . وان هذا العمل الجليل من مسؤليات العلماء والدعاة ورجال الفكر والحكم .. هو جزء هام من مرحلة البناء التي تحتاجها الامة الاسلامية اليوم والتي تضافرت السور المكية على وجه الخصوص ومن بعدها السور المدنية على بيان أسسه ومناهجه ومقتضياته كتضافرها على ارساء قواعد العقيدة واسس الاخلاق ومبادىء السلوك (١)

٤- اسلوب الاستمالة والترغيب في الخير : وذلك بمخاطبة عقول القوم واستمالتهم باثارة النخوة والمروءة فيهم ان كان لها وجود وذلك في قوله (ياقوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد) (٢) وقوله (ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون) (٣) فهو هنا يحثهم على ألا يخزوه في ضيفه ولا يفضحوه فيهم، والنفوس الأبية اذا دعيت الى مثل هذا الاستعطاف - ان اعتبرناه كذلك - اجابت ، وهو أسلوب فيه تحريك للضمير قال ابو السعود (.. وحيث كان التعرض لهم بعد أن نهاهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك بقوله (فلا تفضحون) اكثر تأثيرا في جانبه عليه السلام، وأجلب للعار اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير ذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك اعظم العار عبر - عليه السلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجتهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزى، وأمرهم بتقوى الله تعالى في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لأنه كان يعرف انه لا يفيد ذلك) (٤)

---

(١) وليس ببعيد ان صلحت السرائر وخلصت النيات أن نرى في اماكن الريب والفساد وهي مظان المنكرات والشهوات من مسارح ومراقص وسينما ودور اللهو غير البرىء والمجون والدعارة ان نرى مكانها جمعيات خيرية تيسر الزواج وتدعو الشباب اليه وتسهم في مؤونته وتعمل على توفير الامن الاجتماعي والنفسي لشباب الامة) ومنالها آمالها . .

(٢) هود : ٧٨

(٣) الحجر : ٦٨ - ٦٩

(٤) ارشاد العقل السليم ٥/٨٥

وقال صاحب الكشاف كاشفا عن مغزى ذكرالضيف هناقال(واذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل، وذلك - اى نهيه اياهم عن خزى الضيف - من عراقة الكرم وأصالة المروءة)(١)واسلوب الاستمالة هذا هو اسلوب رفيع في التربية لانه ينيط اثارة كوامن النفروبواعث المروءة بتقوى الله (فاتقوا الله ولاتخزون) وقد قرر علماء السلوك حديثا (ان استخدام الدافع الديني ينمي الضميرومن ثم يجيء الكف المؤسس على الشعور بالذنب)(٢)

٥ - لفت النظر الى سنن الكون في الزواج : وهو اسلوب عقلي يدعو الى التفكر في هذه السنن المطردة التي لايشذ عنهامخلوق، وذلك في قول لوط عليه السلام في سورة النمل (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) الاية : ٥٤ على تفسير من يجعل قوله (تبصرون)بمعنى ترون وتنظرونأى : (تبصرونالحياة في جميع أنواعها وأجناسها تجرى على نسق الفطرة وهم وحدهم الشواذ وسط الحياة والاحياء)(٣) ولقد شاء الله أن يسير نظام الكون على هذاالناموس قال تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)(٤)

٦ - الترهيب من ارتكاب الفواحش بذكرعواقبهاالوخيمة، وأول العواقب العذاب الاخروىالذى لا محيص عنهلمن لم يتب ، ولقد توعدهم به ورسلهم كماقال تعالى (ولقدانذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر)(٥) فأجابوه بقولهم(ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين)(٦) ولا يزدجر بهذا الترهيب من لم يؤمن بالآخرةوكان منها في شك،لكنه اسلوب في الدعوة يهدف الى البلاغ المبين.. اما في هذه الحياة الدنيافالعواقب كثيرةوشهيرة ويمكن استنباط ذلك من قوله لهم في هذه السورة الجليلة (أتاتون الفاحشة وأنتم تبصرون) أى عواقبهاوماتجراليهمن الخزى والبوار.. ويغلب على ظننا - والله اعلم - أن لو طا لم يعدد لهمالعواقب لمعرفتهم بهاومنها غيرماتقدم(من تعطيلالنسلوتخنثالرجال)

---

(١) الكشاف ٢/٢٨٣
(٢) العلاج النفسي ص ٣٠١
(٣) في ظلال القرآن ٥/٢٦٤٧
(٤) الذاريات : ٤٩
(٥) القمر : ٣٦
(٦)العنكبوت : ٢٩

ماذكره المفسرون :

١- أن أكثر الناس يحترزون في الغالب عن الولد ،لأن الوليد يحمل المرء على طلب المال واتعاب النفس في وجوه المكاسب ، الا أنه سبحانه جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة ،حتى ان الانسان يطلب تلك اللذة يقدم على الوقاع،وحينئذ يحصل الولد شاء أم أبى ،وبهذا الطريق يبقى النسل ولاينقطع النوع .

٢- ومنها أن الذكور قطنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال ،فانعكاس القضية يكون خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة.

٣- ومنها ان الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهائم وخروج عن الغريزة الانسانية وهب أن الفاعل يلتذ بذلك العمل الا أنه سعى في الحاق العار العظيم بالمفعول به مادام حيا ، والعاقل لايرضى لأجل لذة زائلة الحاق منقصة دائمة بغيره .

٤- ومنها أنه يوجب استحكام العداوة بين الفاعل والمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل أو على الحاق الضرر به بكل طريق يقدر عليه، وذلك لنفور طبعه عن رؤيته، وأما حصول هذا الأمر(اى الزواج) بين الرجل والمرأة فانه يوجب زيادة الالفة والمحبة كما قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة..) (١) ،(٢)

وذكر صاحب المنار من الاثار السيئة ايضا :

٥- أن فيها مفسدة للشباب بالاسراف في الشهوة لأنها تنال بسهولة .

٦- وفيها مفسدة للنساء اللواتي انصرف ازواجهن عنهن فلا يجدن الاحصان الواجب لهن .

٧ - وهي ذريعة الاستغناء واتيان البهائم(٣)

٨- وقضاء الشهوة بالطريق الحلال في المكان النظيف له أثره النفسي الحميد ليس للنشاط الفسيولوجي (٤) فحسب بل والعقلي والروحي على ما قرره علماء الاحياء(٥) ومن الاثار النفسية المنعكسة على الاطفال الناشئين في المجتمع الشاذ جنسيا انهم تتحكم فيهم النزعة الجنسية المثلية(اللواط - Homosexuality - لكون الأب

---

(١) الروم : ٢١

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى على حاشية الطبرى ١٥٨/٨ وانظر معه مفاتح الغيب ١٧٦/١٤

(٣) تفسير المنار بتصرف ٥٢١/٨

(٤) الفسيولوجيا : علم وظائف الاعضاء يدرس الظواهر الخلقية التي تميز الكائنات الحية من نبات وحيوان والانسان : الموسوعة العربية الميسرة ١٢٢٩/٢ مادة علم وظائف الاعضاء .او فسيولوجيا .- ط ١٤٠٦ بيروت

(٥) انظر: الانسان ذلك المجهول - الكسيس كاريل ص١٠٨ ط ١٩٨٣ بيروت

فاقدا قوامته وكون الأم هي المسيطرة على الأسرة(١)

هذا من العواقب التي لها أثر في الحياةالنفسية والسلوكيةوالاجتماعية.

أما الآثارالصحية، فلقد ذكرالمفسرون المحدثون أنه(ينتقلباللواط ماينتقل بالزنا من الأمراضكالزهري والسيلانوالقرحة الرخوة وأمراض الجلدكالجرب)(٢)

وقرر فريق من الخبراء أنه من آثار هذه الفاحشةالمقوتة مايعرف علميا (بالايدز Aids : انهيارالمناعةالمكتسبة) والكلاميديا والهربس والزهرى والتهاب الكبد الفيروسي وسرطانالكبد والشرج والمستقيم (٣)

ومرض (الايدز(٤) من النذر التي ظهرت في هذا العصر لدى المجتمعاتالاباحية ممن لايقيمون للعلاقات الشرعية في حياتهم الجنسية وزنا، وقد أكد أحدث مؤتمرعن هذا المرض عقد بباريس عام ١٩٨٦م أن المرض وصل في انتشاره الى حد كبيرمن الخطورة ، وأن سبب ذلك هو الاباحية وسلوك الانسان الجنسي الشاذ(٥)

وقدرت بيانات منظمة الصحةالعالمية أن حالات الايدز تساوى في معدلهاألف حالة في كل أسبوع(٦)! وتجاوز هذا الوباء هناك سوادالناس ليكشف عن ممارسات منيسمون برجال الدين فقد اعلنكبير اساقفة واشنطن اثر كشفه عن خبر وفاة احد القساوسة بمرض الايدزأن ذلك كان بناء على رغبته الشخصية لاثارة شفقة الشعب على الاشخاص المصابين به، وأشارت مجلة (ناشيول كاثوليك ريبورتر) المستقلة أن هناك ١٢ قسا قد أصيبواحتى الآن بهذا المرض (٧) هذا فيماظهروماخفيفربكبمعليم.

---

(١) دراسات في علم النفس الاجتماعي د. عبدالرحمن عيسوى ص١٥٥ ط ١٩٧٤بيروت

(٢) تفسيرالمنتخب ص ٥٥٦

(٣) مجلة منار الاسلام ص ٤٤ عدد شعبان ١٤٠٧هـ - المؤتمر الطبي الاسلاميالدولي المنعقد بالقاهرة ٢ - ٥ فبراير ١٩٨٧م

(٤) وهو مرض لاعلاج له سوى الموت ؛ مضمون ما أوردته صحيفة (لواكو) الفرنسيةعن منظمة الصحة العالميةفي جنيف - انظر جريدة الجزيرة ص الاخيرة عدد ١٤٠٧/٨/٢هـ واكتشف هذا المرض اول مرةسنة ١٩٧٨م في امريكا ،ويرى الخبراء أنالشذوذالجنسي هو السبب الرئيسي له. ومعنى الايدزبلسانالعرب : الاعراض المتزامنة للنقص المكتسب في نظام المناعة) وبعبارة اخرى : يدمر هذاالمرضجهاز المناعةفي الجسم فيفضي الى الموت .. انظر جريدة المسلمونعدد : ١٤٠٨/٣/٨هـ ص ٣ وعدد ١٤٠٨/٣/٢٢هـ ص ٣ مقال (كيف نحمي اطفالنامنالايدز

(٥) مجلة منار الاسلام - مرجع سابق.

(٦) صحيفة الشرق الاوسط ص الاخيرة عددالاحد ١٤٠٧/٨/١٤هـ - ١٩٨٧/٤/١٢

(٧) صحيفة الاهرام القاهريةص ٤ عددالاثنين ١٥ شعبان١٤٠٧هـ ١٣ ابريل١٩٨٧

وهل أتاك نبأ القساوسة في الغرب اذ اباحوا هذا الشذوذ وحرضوا عليه بسلطان الكنيسة وكانوا فيه للناس قدوة باعترافات القيادات السياسية هناك(١)

ان العالم يشهد اليوم مأساة بعيدة المدى حين تعدى المجرمون حدود الله ، وانتهكوا حرمات الناس ، ولقد نشرت صحيفة المسلمون الدولية أن هناك (٨٠٠) مليون مصاب بالايدز والسيلان والزهرى والهربر والكلاميديا الجنسية(٢) وهذا يكشف ولا ريب من المدى السحيق الذى تردى فيه الغربيون مما وجد في قوم لوط من التعالن والتواطؤ ومحاربة الفضيلة واهلها ، بل ماهو انكى من ذلك وأدهى من اتيان المحارم والعياذ بالله .

واننا اذ نسوق هذه الغوائل الناتجة عن الفاحشة وتلك الحقائق والمقررات العلمية المأساوية عنها لندعو أولئك الذين سرت فيهم أوبئة التحلل والتفسخ ، وفشت معها الامراض الاجتماعية والنفسية والخلقية . . وقد ضرب بهم المثل اليوم كما ضرب باخوانهم من قبل من قوم لوط في تحلل الروابط الانسانية وتفسخ المبادئ الاخلاقية ، لندعوهم الى دين الاسلام حيث الطهر والعفاف والتوادد والبر والتقوى ، حيث اسمى شعور وانظف سلوك وأنجع علاج وأقوم تربية ، تلك التربية المثلى التي لا يجدى الترهيب بغيرها .

والجدير بالاعتبار ان لوطا عليه السلام وهو النبي الموحى اليه استخدم امثل الأساليب في دعوة المنحرفين من قومه ، ولقد وضع علماء الغرب بعد دراسات طويلة حلولا فردية لعلاج الشذوذ الجنسي Treatment of Homosexuality

- منها مايقوم على مبدأ العلاج الفيزيقي(٣) وليس ذا جدوى كبيرة .

---

(١) حمّلت رئيسة الحكومة البريطانية رجال الدين المسيحي جانبا من المسؤولية في الانتشار الوبائي لمرض العصر (الايدز) وشنت هجوما على رجال الكنيسة قائلة انهم قد خذلونا بل وساهموا في نشر الوباء باباحتهم الممارسات الشاذة ويأتي هذا الهجوم على الكنيسة بعد ايام قليلة من صدور تقرير جاء فيه أن واحدا من كل ثلاثة من رجال الكنيسة مصابون بالشذوذ ! ! : مجلة الدعوة (السعودية) عدد ١٤٠٨/٣/١١هـ ص ٩-٢/نوفمبر ١٩٨٧

(٢) المسلمون عدد ١٤٠٧/١٠/٢٤هـ ص ١

(٣) الفيزيقيا : العلم الذى يبحث في خواص المادة والطاقة والعلاقة بينهما : انظر الموسوعة الميسرة ١٣٤٦/٢ .

- ومنها ما يعتمد على السجن والضرب بل وازالة الاعضاء التناسلية بالقوة لبعض المجرمين - Compulsory Costration وهو موجود اليوم في السويد وفنلندا ، وهذه الاساليب لا تصلح لشفاء هؤلاء المرضى .

- ومنها العلاج السلوكي والنفسي كالايحاء عن طريق التنويم المغناطيسي أو بالصدمات الكهربية وبعضها لا يسمح به الخلق الكريم والتقاليد الصحيحة(١)

وهذه الأساليب ان صلحت في علاج فرد فليست بالعلاج السليم المطرد في كل الاحوال ، والعليم الخبير الذى خلق الانسان هو سبحانه أعلم به ـــــ وضع له الطريق القويم للحياة وللسلوك وليس بعده ولا معه طريق اخرى . .

---

(١) انظر بتوسع العلاج النفسي ص ٣٠٠ - ٣٠٢

ثالثا - أسس دعوة لوط عليه السلام واهدافها :

عرض القرآن المجيد دعوة لوط - عليه السلام - مبينا منهجه في محاربة المنكر الذى تفشى في قومه، والمواقف التى جوبه بها والقرآن المجيد بهذا العرض ركز على الهدف الذى تميزت به دعوة لوط عليه السلام وهو مكافحة فاحشة اللواط التي انتشرت انتشارا ذريعا في قومه .

والنهي عن المنكر أو تغيير الانحراف في مجتمع ما لابد أن يرتكز على عقيدة يستمد الداعية منهاجه من أسسها ويقيم دعوته على ضوء مقرراتها ودلائلها.

وعلى هذا فقد قامت دعوة لوط عليه السلام على أسس اربعة جمعها قول الحق تقدست اسماؤه (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون، انـي لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين، أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل انتم قوم عادون) (١) وهذه الاسس اتفقت دعوات الرسل على ثلاثة منها وانفردت دعوة لوط بواحد، وتفصيل ذلك :

١- الدعوة الى الايمان بالله عزوجل ، ولقد ذكر لوط قومه بالله ودعاهم الى تقواه وبين لهم انه رب العالمين لاتخفى عليه خافية . .

٢- تقرير رسالته وانه لهم ناصح امين لايبغي لنصحهم منهم اجرا، وان طاعته من طاعة الله (فاتقوا الله واطيعون)

٣ - تقرير البعث وهو جلي في دعوته من وجوه كثيرة منها : انه دعاهم الى تقوى الله الذى يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته ،ودعاهم قبل ذلك الى مطلق التقوى اذ قال لهم (الا تتقون) ويدخل في متناوله اليوم الاخر، وفي موضع (ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر) (٢) وبطشة الدنيا تعقبها بطشة الاخرة، لأن الاولى اذا تحققت صدّقت الرسول الذى انذر بها وهو صادق في الاخرى لا محالة .

وفي سورة النمل (ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون) الاية : ٥٥ قال ابن عباس : اى تجهلون القيامة وعاقبة العصيان (٣)

٤- النهي عن ارتكاب فاحشة اللواط وقد تقدم اساليبه في ذلك.

---

(١) الشعراء : ١٦٠-١٦٦ (٢) القمر : ٣٦

(٣) زاد المسير ٦/١٨٣

رابعا - موقف قوم لوط من دعوته وعاقبته :

لم يلق لوط - عليه السلام - من قومه غير الصدود والنكود ، رغم ما بذله لهم من نصح وأظهر لهم من حرص على الهداية ورغبة في تخليصهم من ادرانهم وشهواتهم البهيمية.. لقد كفروا وصدوا كما بدا ذلك من مواقفهم العنيدة وكلامهم البذيء ورغبتهم في العدوان على أضيافه - كما تقدم بيانه - وأجمل ذلك قوله تعالى (كذبت قوم لوط بالنذر) (١) ، وبعد ذلك :

أ - تحدوه عليه السلام بأن يأتيهم بالعذاب الذى يتوعدهم به وفي ذلك دلالة على كفرهم البليغ ولجاجتهم واستكبارهم ولقد قالوا له (ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) (٢)

ب - وراموا اخراج لوط - عليه السلام - من قريتهم من أجل انه وآله يتطهرون من قاذوراتهم وانه لمنطق عجيب ، وقد اتفقوا على ذلك على تفاوت بينهم في التعبير به ، كما اخبر تعالى عن ذلك فقال (.. وماكان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون) (٣) ،وقال (قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين) (٤) ، (وكأنهم كانوا يخرجون من أخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال) (٥) وفي سورة النمل (.. فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) الاية : ٥٦ ، وأوضح أنهم لم يلجأوا الى هذا الموقف - وهو الهم باخراج لوط وآله - الا حين اعياهم الجواب واعجزتهم الحجة وهي وسيلة كل مستكبر عنيد ، قال في المنار موضحا اختلاف التعبيرات (كأنه قال فما كان جواب قومه الا أن قال بعضهم لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ،وان قال بعضهم اخرجوا آل لوط من قريتكم وردده آخرون : أخرجوهم من قريتكم) (٦)

---

(١) القمر : ٣٣
(٢) العنكبوت : ٢٩
(٣) الاعراف : ٨٢
(٤) الشعراء : ١٦٧
(٥) ارشاد العقل السليم ٦/٢٦٠
(٦) تفسير المنار ٨/٥١٤

جـ - وآزرتهم امرأة لوط وأعانتهم على منكرهم وباطلهم، قال ابن كثير: (كانت ردء لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة ، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط.. لأنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله لا كرامة لها (١) ولاجل ذلك شاركتهم مصيرهم البئيس، وانه لعسير على رجل يحمل دعوة الله ويقوم برسالة ربه، عسير عليه الا يجد سندا ولا عونا من الصق الناس به واكثرهم مشاركة له في حياته، بل يرى الصدود والكفران ..

عاقبة قومه :

قال تعالى في سورة النمل (.. فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) ٥٧-٥٨ وبهذا ألحق قوم لوط بالأمم البائدة التي أهلكها الله جزاء تكذيبها رسلها وخروجها عن طاعة بارئها، فكانت عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين .

والعذاب الذى أبيد به هؤلاء القوم وصفه السياق القرآني الجليل على صور مختلفة وبتعبيرات متنوعة ليزدجر بها المكذبون من هذه الأمة المحمدية :

أ - فلقد طمست اعينهم كما قال تعالى (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر) (٢)

ب - وأخذتهم صيحة هائلة قال تعالى (.. فأخذتهم الصيحة مصبحين) (٣)

جـ - وقلبت قراهم بجعل عاليها سافلها، قال تعالى (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود) (٤)

د - ثم امطروا بعد ذلك بالحجارة وقد وصفها كتاب الله بأوصاف :

- فهي رجز من السماء كما قال تعالى (انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) (٥)
- وهو حاصب كما قال تعالى (انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر) (٦)

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٦٨
(٢) القمر : ٣٧
(٣) الحجر : ٨٣
(٤) هود : ٨٢
(٥) العنكبوت : ٣٤
(٦) القمر : ٣٤

- وهو مطر سوء كما في سورة النمل (وأمطرناعليهم مطرا فساء مطر المنذرين) الاية : ٥٨

وكان عذابهم بصوره المختلفة المتعاقبة عذابا دائما قال تعالى (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر)(١) ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (وعذب قوم لوط بأنواع من العذاب لم يعذب بها أمة غيرهم فجمع لهم بين الهلاك ، والرجم بالحجارة من السماء ، وطمس الأبصار، وقلب الديار عليهم بأن جعل عاليها سافلها ، والخسف بهم الى أسفل سافلين)(٢)

قال الطبرى (وكن خمس قريات صبعة، وصعرة ، وعمرة ، ودوما ،وسدوم، وهي القرية العظمى) (٣)

وأضحي القوم من الغابرين ممن دمرالله عليهم .. وقدكانوا مجرمين مسرفين لايخشون عذا با ولا يرجون ثوابا ، انذرهم نبيهم فتماروا بالنذر، فأخذهم ربك أخذ عزيز مقتدر .

ولقد كانت في ابادتهم راحة لخلق الله من شرورهم ، وفيها كذلك حكم فيصل في تقرير سنن الله في الكون ، واقامة للموازين الاجتماعية والسنن الخلقية، وقدجعل بعض المفسرين قول الله تعالى في سورة النمل عقب قصة لوط (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ..) الاية : ٥٩ خطابا للوط عليه السلام بأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلّم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم)(٤)

وفي هذا ولا ريب دلالة عميقة على أن عناية الله تحيط بالدعاة وترعاهم كلما هم الفجار بابادة الابرار .

مواطن العبرة من ذلك :

مامن شك أن نهاية كل مستكبر تحمل الكثير من العظات البالغة والعبرالواضحة التي يعتبر بها اولو الالباب ، ولاسيما اذا كان لنهاية المستكبرين ـــــ آثارا باقية وديارا خاوية واطلالا بادية يمر عليها الناس في الليل والنهار كقوم صالح وقوم لوط ..

---

(١) القمر : ٣٨
(٢) مجموع الفتاوى ١٦/٥٠٢
(٣) تاريخ الامم ١/١٥٨
(٤) تفسير النسفي ٣/٢١٢ والبيضاوى ٤/١١٩

ولقد وجه القرآن الكريم الناس الى الاعتبار بقوم لوط الذين امطروا مطر السوء ، وقدكانوا من العتاة الغلاظ الذين لا يلين لهم قلب ولا يرق لهم طبع. . وجه القرآن الناس الى الاعتبار بمصيرهم ، وذلك بأمور :

أ - أن لهم آثارا خالدة الى يو م الدين لا تندثر على مر الايام وكر الليالي ، قال تعالى (ولقد تركنا منها ءاية بينة لقوم يعقلون) (١)

ب - أن الاثار الباقية متاحة لكل ناظر وعاقل قال تعالى (وانكم لتمرون عليها مصبحين وبالليل افلا تعقلون) (٢) وقال في مشركي مكة (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء ، أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا) (٣) قال صاحب قصص الانبياء (وأعتقد أن البحر الميت المعروف الان ببحر لوط لم يكن موجوداقبل هذا الحادث وانما حدث من الزلزال الذى جعل عالي البلاد سافلها ، وصار اخفض من البحر بنحو أربعمئة متر) (٤)

جـ - ان في تلك الاثار بينات وهي من مواطن العبرة قال تعالى (ان في ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لأية للمؤمنين) (٥) فهي توحي بجبروت الواحد القهار وتؤكد صدق المرسلين وسوء مصير المكذبين .

ولئن كان لوط عليه السلام انذر قومه فكذبوه فأبيدوا كما في نهاية قصته في سورة النمل (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) الاية : ٥٨ فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم انذر قومه من بطش الله وأليم عقابه فليرعوى المكذبون وليحذروا أن يصيبهم ما أصاب قوم لوط ، وفي هذا ترهيب وهو أسلوب في الدعوة .

*** ***

---

(١) العنكبوت : ٣٥
(٢) الصافات : ١٣٧ - ١٣٨
(٣) الفرقان : ٤٠
(٤) قصص الانبياء للنجار ص ١١٣
(٥) الحجر : ٧٥ - ٧٧

الفصـــل الرابـــع

(وحـــدة رسـالات الـــله)

الفصـــل الرابـــع

وحـدة رســالات اللـــــــه

تقديم :

تضافرت آيات كثيرة من الكتاب المعجز - ولاسيما في سروه المكية - على تقرير وحدة رسالات الله من حيث المصدر الذى تلقت منه، والمنهج الذى سارت عليه ، والهدف الذى سعت الى تحقيقـه .

والنهج العام الذى يستقيه الناظـر من تلك الايات ذو دلالات ومعطيات زاخرة، فكتاب الله عزوجـل ـــــــــــــــــــــــــــــ يسوق أخبـــار الأولين والآخرين من المرسلين على نسق معجز، تجد من خلاله عظيم الدؤوب ورغبتـهم المخلصـة وحرصهم المضني على اخراج الناس من وهـدة الظنون ونزعات الاهواء وتعدد الأرباب اخراجهم من ذلك كله الى عقيدة التوحيد وشريعة الاسلام . .

وقد اتحدت غايتهم واتفقت مقاصدهم . وتوافقت نهايات المكذبين لهم وان فرقـت بينهم الأزمنـة ومقتضيات التشريع على حد قوله تبارك وتعالى (. . لكل جعلنا منكم شرعـة ومنهاجا) (١)

وثمـة سور مكية أفاضت في تقرير وحدة رسالات الله حتى غدا ذلك هو الموضوع الأساسـي الذى تدور حوله آياتها كسـورة الاعراف وهـود والشعراء . . مما ينبـيء بـأن ترسيخ ذلك في افئـدة الناس يواكب ترسيخ مسائل العقيدة الاخرى .

وجدير أن نلم العامة سريعة بوحدة رسالات الله تمشيا مع الاهداف العامـــة لسورة النمل المكية واستكمالا لحلقات البحث العلمـي في هذه الرسالة الدعوية .

ومن ابـرز مظاهر وحدة رسالات اللـه :

١ - وحـدة الوحـــي :

فلقد تلقى جميع رسل الله - عليهم صلاة الله - الوحي عن الله عزوجل كما هو بيّـن في قوله تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينـــا داود زبورا ورسـلا قد قصصـناهم عليك من قبل ورسـلا لم نقصصـهم عليك وكلم اللـه موسـى تكليما) (٢)

---

(١) المائدة : ٤٨

(٢) النساء : ١٦٣ - ١٦٤

مع قوله تعالى (وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء انه عليّ حكيم) (١) قال ابن كثير في قوله تعالى (اويرسل رسولا . .)كماينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام) (٢)

ومن بحث في التعبيرات القرآنية التي تناولت الوحي في رسالات الله جميعا على امتداد الاجيال والأزمان يجد :

١- أن الله - ذا الجلال والاكرام - يجعل ذاته العلية مرجع الوحي ومرد الرسالات ويعبر كتاب الله عن ذلك بأساليب مختلفة مقرونة بموضوع الرسالة أو آدابها أو سننها ومن ذلك :

أ - (الارسال) بمختلف صيغه اللغوية (٣)

ب - (الوحي) على اختلاف استعمالاته اللغوية - كذلك -(٤)

جـ - (البعث) الذى هو بمعنى الارسال والتكليف -وقد ورد بصيغ مختلفة ايضا (٥)

الى غير ذلك من الالفاظ كالالقاء والتعزيز والاصطفاء . . مافيه معنى ارسال الله الرسل الى الناس مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

٢ - كما يجد المتأمل في كتاب الله هذه الكلمات بصيغها الكثيرة الهادفة ترد منسوبة الى المرسلين وعلى ألسنتهم وهي كثيرة يطول ذكرها .

٣ - وهي كذلك واردة بكثرة منسوبة الى المرسل اليهم بنوعيهم المؤمن والجاحد ، المسلّم والمجادل .

وان هذا الحشد الكبير من الالفاظ الكثيرة الصيغ المتنوعة الأهداف ليقرر وحدة الوحي في رسالات الله جميعا على وجه يستقي منه الناظر تصورا يقرر أن الايمان برسالة ما يستلزم الايمان بكل الرسالات وان جحد رسالة ما هو كفر بها جميعا . .

---

(١) الشورى : ٥١

(٢) تفسير ابن كثير ١٢٢/٤

(٣) مثل : ارسل ،أرسلنا ، ارسلناك ، ارسلناه ، نرسل ، يرسل ، أرسل ، رسولنا ، رسله رسولي ، رسلنا ، رسلي ، رسالات ربي ،رسالته ، رسالاتي ، مرسلين ،رسالة ربي ، رسالاته ، انظر : مادرة رسل - معجم ألفاظ القرآن الكريم .

(٤) مثل : أوحينا ،نوحي ،يوحي ربك ،يوحي ،أوحي ،يوحى ،وحينا . .

(٥) ابرزها : بعثنا ، يبعث الله .

وفي سورة النمل المكيةترد وحدة الوحي على نمط بديع ينسجم مع الهدف العام الذى سيقت من أجله قصص كل من : موسى وداود وسليمان وصالح ولوط عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وهو الهدف المسطرد في السور المكية عامة مما يؤكدأن القرآن من عندالله العليم الحكيم وأن لادخل لمحمد صلى الله عليه وسلم في انشائه البتة، كما أن الرسالات السابقة كانت من عندالله عزوجل ولم يكن للرسل سوى التبشير والانذار..

فلقدوردت وحدة الوحي في رسالات الله في هذه السورة على النسق التالي

أ - في شان خاتم المرسلين (وانك لتلقي القرآن من لدن حكيم عليم)الاية ٦

ب - في شأن موسى (اذقال موسى لأهله..) الاية ٧ و(اذ) التي صدرت بها قصة موسى عليه السلام منصوبة بمضمر تقديره : اذكراذقال موسى..(١) وهي على هذا صلة بما تقدمها من ذكر تلقي محمد صلى الله عليه وسلمالقرآن وفيه تأكيد على وحدة الوحي في رسالات الله .

جـ - في شأن داود وسليمان (ولقد آتينا داود وسليمان علما ..) الاية : ١٥

د - في شأن صالح :(ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا) الاية : ٤٥

هـ - في شأن لوط :(ولوطا اذقال لقومه..) الاية : ٥٤ أى وأرسلنا لوطا(٢)

وواضح أن تقرير وحدة الوحي في أشخاص هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلامفي هذه السورة هو تقرير لوحدةالرسالات جميعا ، لأن هذه الصفوة من المرسلين تتبعها أمم على امتداد الزمنمن فترة ماقبل الكتب المنزلة ثم فترة بني اسرائيل ، وأخيرا خاتم المرسلين عليهم الصلاة والسلام(٣)

٢ - وحدة العقيدة :

ولقد اتفقت رسالات الله جميعا على عقيدة التوحيد ، فلقد بعث كل رسولالى أمته بأن يعبدوا الله مخلصين له الدين ، وأن يتركوا الأنداد والأرباب والوسطاء فالله - عزوجل - قريب مجيب حي قيوم أحد صمد ..

---

(١) الكشاف ١٣٢/٣ والبحرالمحيط ٥٤/٧

(٢) الكشاف ١٥٣/٣

(٣) وأعنى بالامم الذين لهم اتباع ممن ذكروا في السورة موسى ومعه داودوسليمان ثم محمد صلى الله عليهم وسلم .

وأنت ان تتبعت الآيات القرآنية الجليلة الواردة على ألسنة الانبياء وهم يعرضون على أقوامهم معاني ومقتضيات الربوبية والالوهية تجلت لك وحدة العقيدة في أبهى حلة وأوضح بيان، حتى ان رسل الله عليهم الصلاة والسلام تكررت مقولتهم الجليلة (.. ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره)(١)، ووحدة العقيدة جلية كذلك على ألسنة أولي العزم من الرسل وغيرهم تبع لهم قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)(٢)، (فما من نبي الا وهو مأمور بما أمر وابه وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام ومالايختلف باختلاف الامم وتبدل الاعصار من أصول الشرائع والأحكام، كما ينبيء عنه التوصية ، فانهامعربة عن تأكيدالأمر والاعتناء بشأن المأمور به)(٣)

وفي آية جامعة يقول جل ذكره (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)(٤)وفي آية اخرى يقول عزوجل(واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون)(٥) وفي آية ثالثة: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)(٦)قال صاحب الظلال(.. فالتوحيد هو قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله الرسل للناس لا تبديل فيهاولا تحويل، توحيد الاله وتوحيد المعبود، فلا انفصال بين الالوهية والربوبية ولامجال للشرك في الالوهية ولا في العبادة ،قاعدة ثابتة ثبوت النواميس الكونية، متصلة بهذه النواميس وهي واحدة منها)(٧)

ومن حديث النبي صلى الله عليه وسلم قوله(الانبياء اخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)(٨)

---

(١) الاعراف : ٥٩و٦٥و٧٣و٨٥ وهود : ٥٠و٦١و٨٤

(٢) الشورى : ١٣

(٣) ارشاد العقل السليم ٨/٢٥

(٤) الانبياء : ٢٥

(٥) الزخرف : ٤٥

(٦) النحل : ٣٦

(٧) في ظلال القرآن ٤/٢٣٧٤

(٨) متفق عليه : رواه البخارى عن ابي هريرة رضي الله عنه ٣/١٢٧٠ كتاب الانبياءباب (٤٩) واذكر في الكتاب مريم، واللفظ له، ومسلم ٤/١٨٣٧ كتاب الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام.

والعلات : الضرائر، وأولاد العلات : الاخوة من الاب وامهاتهم شتى: الفتح ٦/٤٨٩

ومعنى الحديث : أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلفت فروع الشرائع (١) قال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن ذكر الحديث (.. فالرسل متفقون في الدين الجامع للاصول الاعتقادية والعملية، فالاعتقادية كالايمان بالله ورسله وباليوم الآخر، والعملية كالاعمال العامة المذكورة في الانعام والاعراف وسورةبني اسرائيل كقوله تعالى (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم) (٢) الى آخر الايات الثلاث(٣)وقوله (وقضى ربك الا تعبدوا الاياه..) الى آخر الوصايا (٤)وقوله (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) (٥)وقوله (قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) (٦) فهذه الأمور هي من الدين الذىاتفقت عليه الشرائع كعامة مافي السور المكية ،فان السور المكية تضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله اذ كان الخطاب فيها يتضمن الدعوةلمن لا يقربأصل الرسالة(٧)

ومن وحدة العقيدة في رسالات الله مما أكدته سورة النمل المكية كون الاسلام دين جميع المرسلين فنوح يقول (وأمرت أن أكون من المسلمين) (٨)وابراهيم ابوالانبياء يقول الله عزوجل عنه (.. ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) (٩) ويوسف قال (.. توفني مسلما وألحقني بالصالحين) (١٠)،(وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) (١١)والايات في هذا كثيرة جدا.

وفي سورة النمل في خطاب سليمان(..الاتعلواعليّ وأتوني مسلمين) الاية : ٣١ وعلى لسانه (ايكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) الاية ٣٨ وقالت بلقيس (رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليما ن لله رب العالمين) الاية : ٤٤ قال رب العزة والجلال في آخر السورة موجها خاتم المرسلين (انما أمرت أن اعبدرب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين) الاية : ٩١

---

(١) الفتح ٦/٤٨٩
(٢) الانعام : ١٥١
(٣) الانعام : ١٥١ - ١٥٣
(٤) انظرسورة الاسراء : ٢٣ - ٣٩
(٥) الاعراف : ٢٩
(٦) الاعراف : ٣٣
(٧) مجموع الفتاوى ١٥/١٥٩
(٨) يونس : ٧٢
(٩) الحج : ٧٨
(١٠) يوسف : ١٠١
(١١) يونس : ٨٤

٣ - وحدة المنهج :

فلقد سارت دعوات الرسل - عليهم السلام - ضمن اطار خلقي قويم ، سواء في السلوك الشخصي أو ا سلوب الدعوة ، وكان من مميزات دعواتهم المباركةجملة من الخصال الحميدة كالصبر قال تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل)(١) وكان منهم الحلم والدأب والحكمة والحرص والنصح والاخلاص وعدم سؤال الأجر ، والبساطة وعدم التكلف وكان قولهم المأثور(وما أسألكم عليه من أجران اجري الا على رب العالمين)(٢)مكرورا على السنتهم جميعا ، كما ساروا على نهج تأكيد بشريتهم ومخاطبتهم أممهم حسب أفهامهم وبألسنتهم (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)(٣) وقد جمعهم - كذلك - الاسلوب العام الشامل في الدعوة التبشير والانذار أو الترغيب والترهيب كما قال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين)(٤) وقال (مايقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم)(٥) وقال (ومانرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين)(٦)

٤ - وحدة احوال المكذبين :

ومن عجيب ما تواطأت عليه أحوال أولئك المكذبين لرسلهمعلى اختلاف الأزمنة: استهزاؤهم بالمرسلين ، قال تعالى (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون)(٧)وقال سبحانه(ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الاكانوا به يستهزئون) (٨) وكذلك تكذيبهم الوقح بلا وجل ،قال تعالى (ولقد كذبترسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا)(٩) ، وقال سبحانه (ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب)(١٠) ، ورموا بعد ذلك الانبياء بأقذع الصفات كما قال تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون ، أتواصوابه بل هم قوم طاغون)(١١)قال صاحب الكشاف (أى لم يتواصوا به ، لانهملم

---

(١) الاحقاف : ٣٥
(٢) الشعراء: ١٠٩ و١٢٧ و١٤٥ و١٦٤ و١٨٠
(٣) ابراهيم : ٤
(٤) النساء : ١٦٥
(٥) فصلت : ٤٢
(٦) الانعام : ٤٨
(٧) الحجر : ١١
(٨) يس : ٣٠
(٩) الانعام : ٣٤
(١٠) ص : ١٤
(١١) الذاريات : ٥٢ - ٥٣

يتلا قوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان ، والطغيان هو الحامل عليه) (١)

وفي سورة النمل حكاية عن مواقف المعاندين الكيدية العدوانية اذ هموا بالنيل من صاحب الرسالة باليد واللسان وقد مضى الحديث عن ذلك في قصة موسى وصالح ولوط عليهم السلام.

ه - وحدة المصير :

وهو باب متمم لسابقه ، فالايات القرآنية الواردة في موضوعه وردت في أعقاب الآيات السابقة، فقد اقتضت سنة الله في عباده أن يظهر الحق ويندحر الباطل ولو بعد حين .

أ - ففي انتصار الحق الدائم يقول تعالى بعد بيان سننه النافذة في الأمم السالفة (.. ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) (٢) ويقول عزوجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون) (٣) قال ابو السعود : (ولايقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة، وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة، والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة) (٤) ، ويقول تعالى في موضع آخر (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (٥)

ب - وفي انحسار الباطل واندحاره وهو من مقتضيات انتصار الحق يصور القرآن العظيم في أساليب مختلفة ما حاق بالأمم البائدة التي كذبت رسلها من ألوان العذاب المهين من مثل قوله تعالى (.. فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (٦) وقوله (ولقد أهلكنا أشياعكم فهل

---

(١) الكشاف : ٤/٢٠ وانظر في معناه تيسير الكريم الرحمن ٨/٢٩

(٢) يونس : ١٠٣

(٣) الصافات : ١٧١ - ١٧٣

(٤) ارشاد العقل السليم ٧/٢١١

(٥) غافر : ٥١

(٦) العنكبوت : ٤٠

من مدكر)(١)، وهذا وان كان وسيلة ترهيب هو كذلك بيان لسنة الله النافذة في الكفر وأهله .

وفي سورة النمل عن فرعون وملئه (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوّا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) الاية : النمل - ١٤ وعن قوم صالح (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا، ان في ذلك لآية لقوم يعلمون) الاية : ٥٠ - ٥٢

وعن قوم لوط (.. فأنجيناه وأهله الا امرأته قدّرناها من الغابرين، وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين)الاية : ٥٧ - ٥٨

---

(١) القمر ٥١

الفصل الخامس

الدروس المستفادة من قصص الأنبياء في السورة

الفصـــل الخـامس

الدروس المستفادة من قصص الأنبياء في السورة

تقديـم :

مامن ريب أن القصص القرآني يزخر بالكثير من الدروس والعبروالحقائق الكونية والحكم والأحكام، يجتهد العلماء في استنباطهاواستجلاء مواطن العبرة منها والاستنارة بها في دروب الحياةوسالك الاصلاح .

ولعل دروس الدعوة من أجلّ مايستنبطه الناظرون في الكتاب المعجز،ذلك أنها ذات معطيات جمّة تخاطب العقول والقلوب وتساوق الثقافات على مرالأجيال واختلاف البلدان والبيئات .. وهذه الخصائص المنجمعة في دروس القصص القرآني تجعلها أساسا متينا ومادة رحبة لاستخراج طرائق اعداد الدعاة ورسم مناهجهم وسبل انجاحهم ..

ويقتصر الحديث في هذا الفصل على ابراز دروس الدعوة من خلال قصص الأنبياء في سورة النمل المكية مما يفتح الله به ويعين عليه .

وقد صنفتها الى أنواع ثلاثة :

١- دروس في الدعوة .

٢- دروس في الدعاة .

٣- دروس في المدعوين .

وبين هذه الأنواع وشائج ليس في المستطاع قطعها، بل كثيرا ما يندرج أحدها في ثنايا الآخر .. ويأخذ بعضها بعقب بعض .

وأقول وبالله أستعين واستهدى :-

المبحث الأول : دروس في الدعوة

وهي في الأعم الأغلب تحدد خصائص الدعوة الاسلامية ، وتبرز طبيعتها الحضارية وأهدافها الكبرى، وهي - كذلك - ذات معطيات ثرّة في تقرير السنن الربانية النافذة في الحياةوالكون.. ولاتخلو من الاشارة الى جوانب الاعداد والتخطيط لايصال دين الله الى الناس كافة واقامة الحجة - بذلك - على العالمين .

ومن أبرز هذه الدروس :

١- كون العقيدة الاسلامية اساسا لكل العلاقات والتوجهات والتصرفات التي تبعث الدعاةالى الله تعالى .. فهم على نور من ربهم يسيرون ويمتثلون شرعه يتقيدون والى اعلاء كلمته ونشر دينه يسعون.. ويبدو هذا جليا في قصص الأنبياءفي السورةمن النواحي الآتية :

أ - ايجادالوازع الديني وتنميته لدى الفرد والجماعة، فالعقيدة هي التيتزع الانسان وتنمي فيهالرقابة الذاتية ، فيهب شاكرا لله خالقه وبارئه على ما أنعم وتفضل ، كماقال سليمان وقد أحسّ بنعمة (ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التيانعمت عليّ وعلى والديّ وأن اعمل صالحا ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) الاية : ١٩ ، والعقيدة هي التي تبعث الضمير وتحفزه فيكفّ المرء عن الظلم والعدوان وهو قادر على ذلك، لقد أقام سليمان موازين العدل بعد أن هدد الهدهد بقوله(لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنّه أو ليأتيني بسلطان مبين)الاية : ٢١ فلم يتعد حدود ما قرره.. رغم جرأة الهدهد اذ قدم على سيده قائلا له : (أحطت بما لم تحط به ..) النمل : ٢٢

وبدافع العقيدة يحارب المصلحون المنكرات والفواحش ويتحملون في سبيل ذلك المشاق والمتاعب والعنت بنفوس مطمئنة رضية ، غير آبهين بشيء سوى مرضاة الباري تقدست أسماؤه..

وعلى الجملة فالعقيدة الاسلامية هي العقيدة الوحيدة على وجه الارض التي تحفظ للفردتوازنه واستقراره وسعادته ، كما تكفل للمجتمع اسباب الرخاءوالأمن والتقدم والمدنية، وترمي الى أن تعيش الانسانية جمعاء في وفاق ووئام .

ب - الارتقاء في الغزو بالمسلمين عن دناياالأهداف .. فلئن كان الغزووسيلة للدعوةفهو ليس الا لاعلاء كلمة الله، واذاكانت أسباب الغزو على مايذكره ابن خلدون في الأكثر الأغلب اما غيرة ومنافسةواما عدوانا واما غضبا لله ولدينه، واما غضباللملك وسعي في تمهيده (١)فليس يهدف المسلمون حين يسلكون منهج القوة في تبليغ دين

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٧١

الـــله الا لرفع الحواجز التي تعوق المد الاسلامي أو تقف أمامه صادة مانعـــة قال تعالى على لسان سليمان (. . ألّا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين)الآية ٣١ موضحا بذلك موازين التفاضل الحق ، وقال (أتمدونني بمال فمآتأني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون) الاية ٣٦ راسما بهذا سمات المجتمعين المادى والايماني . !

وما أكذب وارذل الحاقدين على الاسلام الذين يرومون تشويه صورتهالنقية الوضاءة اذ قال قائلهم عن الفتح الاسلامي (وكانت البواعث التي دفعت العرب(يقصد المسلمين) الى القيام بالفتوحات هي الحاجة المادية والطمع! !) (١)

جـ - العقيدة الاسلامية أساس لحل المشكلات :وهي كثيرة تعاني منها الانسانية ولاسيما المشكلات الاجتماعية ومن أخطرها فاحشة اللواط ففي قول لوط - عليه السلام لقومه(. . فاتقوا الله ولاتخزون في ضيفي) (٢) درس بليغ وهو أنه بزوال العقيدة من النفوس أو بانحراف تصورهاينحرف مسار الحياة كلها ، لأن العقيدة الاسلاميـــة تربط جميع تصرفات الجماعة والافراد برباط الايمان والتقوى ،قال صاحب الظلال (طبيعة التصورالاعتقادى ونظام الحياة الذى يقوم عليه ذو أثر حاسم في هذا الشأن ، فهذه هي الجاهلية الحديثة في أوربا وفي أمريكا ينتشر فيها هذا الانحراف الجنسي الشاذ انتشارا ذريعا بغير ما مبرر الا الانحراف عن الاعتقاد الصحيح وعن منهج الحياة الذى يقوم عليه) (٣)

٢- وضوح الدعوة الاسلامية في موضوعها وأهدافها وكل مايتعلق بها :
فموضوعها الاسلام في كل الرسالات ،وهدفها الاعظم تخليص الناس من عبادة العبـاد الى عبادة الخالق جل وعلا ، والدعوة بعدذلك واضحة بينة في أدلتها وطرق تناولها وعرضها ، وفي مصير المستجيبين للدعوةوالمعرضين عنها . . ان كل مافي الوجود ومن فيه يشهد بوحدانية الله جل وعلا ويهتف باستحقاقه سبحانه العبادة وحده لاشريك له

---

(١) العقيدة والشريعة للمستشرق اليهودى جولدتسيهر ص ١٢٢
(٢) هود : ٧٨
(٣) في ظلال القرآن ٣/١٣١٥

والدعوة الاسلامية بهذا الوضوح الشامل تتسق مع نواميس الكون كما تنسجم مع مدركات الفطر السليمة ولاتجافي العقول الواعية . .

** ففي قصة موسى - عليه السلام - في هذه السورة يقول تعالى (. . فلماجاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) الاية ١٣ - ١٤ فلقد عبر السياق الجليل عن وضوح الدعوة بكون الايات (مبصرة) قال ابو السعود (اطلق اسم الفاعل على المفعول اشعارا بأنها لفرط وضوحها وانارتها كأنها تبصر نفسها لوكانت ممايبصر) (١)

** وفي قصة سليمان - عليه السلام - ترد كلمة الاخلاص الخالدة على لسان طائر صغير اذ يقول (. . الايسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ماتخفون وماتعلنون الله لا اله الاهو رب العرش العظيم) الاية ٢٥ - ٢٦ وفيه استدلال من وجوه تقدمت الاشارة اليها .

** وفي رسالة سليمان - عليه السلام - الدعوية الواضحة (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الاتعلوا علىّ وأتوني مسلمين) الاية ٣٠ - ٣١
انه وضوح ليس معه لبس في الموضوع والمنهج والهدف .

** وفي مطلع قصة صالح - عليه السلام - (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله . .) الاية : ٤٥

** وفي مفتتح قصة لوط - عليه السلام - (ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون)
الاية : ٥٤ - ٥٥ فهو استنكار الفطرة واشمئزاز النفس والطبع . .

ومن هذا نستخلص :

١ - ان الدعوة الاسلامية هدفها الأول توحيد الله سبحانه وتعالى في ربوبيته وألوهيته .
٢- وأن الاسلام دين كل الرسالات .
٣ - وأن الاعتزاز بدين الله مبدأ راسخ من مبادىء الدعوة الاسلامية .
٤ - وأن كل مافي الكون من مخلوقاته هي أدلة شاهدة على وحدانية الله تعالى واستحقاقه سبحانه للعبادة دون سواه .
٥- وكذلك العاقبة للتقوى والخسران المبين للجحود .

---

(١) ارشاد العقل السليم ٦/٢٧٥

ولهذا كان كفر عامة الأمم - كمايقول ابن القيم رحمه الله - عن تيقن وعلم ومعرفة بصدق أنبيائهم وصحة دعواهم وماجاءوا به (١) وهذا الوضوح من خصائص دعوة الاسلام وهو من أسباب انتشارها وخلودها لتقوم بها حجة الله على عباده .

٣ - نجاح الدعوة الاسلامية :

انها ماضية الى قيام الساعة ولا يخلو زمان من قائم لله بحجة، وهذه الدعوة المباركة ناجحة ولابد ، فاذا أعرض عنها رعاع الناس آمن لها ملوكهم كما آمنت ملكة سبأ ، واذا أعرض عنها الملوك آمن الضعفاء .. فثمرة الدعوة مباركة مطردة وعليه فلا ينقطعن عنها من اجتباه ربه لها ، ولا يقصرنها على فئة دون أخرى ..

٤ - التخطيط للدعوة : (٢) :

للفظ التخطيط في القرآن العظيم مرادفات كثيرة كالاعداد والتدبير والحكمةوالبصيرة والاعتبار.. وكل أولئك يرد مقرونا بالدعوة أو أساليبها أو أهدافها وهو كثير فيالقرآن الكريم ان جمع وصنّف لا يستوعبه سفر ضخم.

ومناهج الاصلاح يقاس نجاحها - كماهو معلوم بما تقدمها من اعداد وتخطيط، يشملالتمهيد والمراحل والأساليب والأهداف .. هذا ما عرفه الفاقهون وهوما ينبغي أن تعتمد عليه مناهج الدعوة ..

وهاهنا نجد مقومات التخطيط في مجالين أساسيين :

أ - الاعداد الكامل للدعاة على مختلف الأصعدة وشتى المستوياتوالتخصصاتايمانيا ونفسيا ومادياوفي العدد والعدد ، والاعداد بهذا الشمول المنظّم الذى يعرف فيهكل فردموقعه ومسؤليتههو المفهوم من قوله تعالى في هذه السورة(وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) الاية : ١٧ ، وأنت تريهنا :

١- التجنيدالمفهوم من كلمة الحشر التي تصدرت الاية ، والحشر هو الاحضاروالجمع من الأماكن المختلفة. (٣) ويعطي معنى الكثرة العظيمة المرهبة، وهذا ملاحظ

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٩٤

(٢) تنهض مناهج التغيير اليوم بالدرجة الأولى على ما يعرف بالتخطيط ثم بدقة التنفيذ .. وعرف العالم التخطيط الاستراتيجي _ Strategic planning والتخطيط الطويل الأجل _ Longrange planning _ والتخطيط القصيرالاجل _ ShortranGe planning ويعتمد هذا وذاك على عنصرين اصليين: تحقيق الاهداف والقدرات القيادية : انظرمناهج الدعوةد. علي جريشة ص ١٠ .

(٣) انظر مفاتح الغيب ٢٤/ ١٨٧

في تعداد أصناف الجند من الجن والانس والطير، وهو ملاحظ - ايضا في كلمة (جنوده) .

٢ - والتنظيم على أعلى مستوى قال ابو السعود في قوله (فهم يوزعون) (فيه اشعار بكمال مسارعتهم الى الخير، وتخصيص حبس أولهم بالذكر دون سوق أواخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك ايضا ، لما أن أواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم) (١)

ب - أما المجال الثاني ، فهو دراسة أرض المدعو وأحوالهم وحينما يطلعنا رب العالمين على موقف الهدهد وهو يقدم بين يدى سيده تقريرا مطولا مفصلا ، فانما هو تنويه بقيمة ما تعارف عليه الناس اليوم بالتخطيط، تأمل قوله (اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم،وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ووزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الاهو رب العرش العظيم)الايات : ٢٣ - ٢٦ انه أحاط هنا بعدة أمور:

١- لقد حدد نظام الملك في الدولة في قوله(اني وجدت امرأة تملكهم) فهي دولة ملكية، والنظام الملكي في تلك العصوركان حكما مطلقا ، ولكن هذه الملكة كما اشارت الآيات بعد ذلك كانت تحكم بالشورى، ومن ثم فمظنة ايصال الدعوةالى عامة الناس فضلا عن خاصتهم موضع توقع بل تحقق، لأن أهل الشورى يصطلحون الزعم الارغب على استجلاب المصالح ونشدان الخير العميملهم ولرعاياهم. .

٢- وتحدث عن رخاء المملكة وغنى الملكة فقال (وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) والغنى يلهي عن الله ان لم يوفق الانسان (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) (٢) بيد أن سليمان- عليه السلام - أوتي كذلك - من كل شيء فشكر وهؤلاء أوتوا من كل شيء فكفروا ، والله سبحانه مع الشاكر دون الكافر. . وهذا ماعلمته الملكة فأسلمت كما ذكره السياق الجليل.

---

(١) ارشاد العقل السليم ٦/٢٧٧

(٢) العلق : ٦ - ٧

٣ - وتحدث عن دين الدولة ملكة وشعبا وما يعبدون من دون الله حديث شاهد عيان (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) ومن عبد بعض مظاهر الكون حرى أن يدعى بالمنهج العلمي والفكرى لايقافه على جلال سلطان الله وعظيم قدرته وملكه، فهو المسير للشمس وباقي الاجرام ...

٤ - لهنس نفسه كجندى مؤمن في جيش سليمان النبي أن يتحدث عن سبب كفرهم، فقال (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون) وبين مستدلا وجه خطئهم (الايسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وهذا التحليل البارع لنفسية القوم ينم عن مقدرته العلمية الاستدلالية ولاسيما وقد قام بهذا الاستطلاع دون سابق تكليف من القائد العام استشعارا بواجب الدعوة وأنه يجب أن يستمكن في النفوس(١)

ومن الدروس التي يستقيها الناظرون في قصة سليمان عليه السلام مما هو ذو جدوى في التخطيط للدعوة ما تقدم الحديث عنه في أسلوب دعوة سليمان (بالتأثير الحضارى) (٢) وهو ما شرحه ابن خلدون اذ يقول (المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت له ، أما لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي انما هو لكمال الغالب ، فاذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقادا فاتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء ،أو لما تراه - والله اعلم - من أن الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس وانما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب .. وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان في الأكثر لأنهم الغالبون لهم) (٣)

ومن هذا المنطلق العلمي الذى يكشف اغوار النفس البشرية في اجتماعها ينبغي أن يهتم الدعاة بالبناء الحضارى للامة وهو جزء غير يسير من مهام الدعوة الاسلامية على ما سنرى في الدرس التالي .

---

(١) اقتبسنا بعض فقرات هذا الموضوع من مقال (ايمان الطائر وغفلة البشر) د . عبدالمجيد وافي بمجلة : منار الاسلام ص ٢٥ عدد شعبان ١٤٠٧ مع تحوير

(٢) راجع ص ٢٠٧ من هذه الرسالة.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٤٧ ويا لله للمسلمين كم قلدوا اعداءهم بان استعمارهم لبلادهم ومقدراتهم وبعد رحيل الاستعمار... !!

٥ - بناء الحضارة الاسلامية :

تشمل الحضارة في أوسع مفاهيمها المدنية والتقدم والرقي الثقافي والاجتماعي والاقتصادى والسياسي(١) وهذا هدف منشود للدعوة الاسلاميةاذ أن موضوعهاهوالاسلام وهو يبني هذه الحضارة كنظام شامل للحياة ، فهو يوفر للحضارة عوامل البناء ثميوفر لها - بعد ذلك - عوامل النماء والبقاء .

والعالم الاسلامي اليومبعد أن كان ذا قيادة للبشرية في كل المجالات الحضارية في وضع متخلف حضاريا وهو كما يقول الاستاذ محمدالغزالي (مضطرب أخلاقيا واجتماعيا وسياسيا ، وبينه وبين الامم القائدة الصاعدة أمد بعيد . هذه الأمم تعلم ظاهرا من الحياة الدنيا ، وتفتقر الى جيل من البشريذكرها بالله ولقائه والاسلام وحده هو المالك لهذه الحقائق الهادية . .) (٢)

وفي هذه الآونة التي تشهد فيها الحضارات المادية احتضارها تظهر كتابات ضخمة لأناس ينتسبون الى الاسلام ويتكلمون بألسنتنا ، يغفلون في كتاباتهم الداعية الى التمدن والتحضر، يغفلون الايمان ، وهم بهذا يجترحون سيئة عظيمة الخطر،ونحن ندرك كما يدركون أنهم يسيرون في ركاب المدارس الاستشراقية والتبشيرية المبثوثة في أكثر ارجاء العالم الاسلامي . . ومن هنا فاننا نعلن لهؤلاء ولمن يتتلمذون عليهم أن الدعوة الاسلامية ارست أسس الحضارة منذ فجرها في مكة المكرمة . .

وأنت واجد في هذه السورة المكية وقد نزلت ابان تأسيس وبناء المجتمع الاسلامي عقيدة وخلقا . . منهجا متفردا يجمع أهم عناصر الحضارة الاسلامية،

فهو بعد تقريره للايمان بالله واليوم الآخر وما يتصل بهما من التزكية بالعمل الصالح :

---

(١) الحضارة في اللغة فعل أهل الحضر ولكنها في الاصطلاح الاسلامي هي : عمارة الارض بمقتضى المنهج الرباني ، فيدخل في ذلك الجوانب الماديةوالتنظيمية، وتدخل فيه القيم التي يحملها هذا الدين الحنيف غير منفصلة هذه عن تلك أى انهاتشمل الأمرين اللذين فرقت بينهما الجاهلية المعاصرة، فسمت أحدهما ثقافة culture وخصته بالقيم والافكار والمعتقدات، وسمت الاخرحضارة Civilization وخصته بالجانب المادى والتنظيمي . .
فالحضارة في الاسلام تشمل الجانب المعنوى الذى يحمل القيموالجانب الماديالتنظيمي على سواء ، انظر : واقعنا المعاصر - محمد قطب ص ١٠١ ط ١٤٠٧ هجرة

(٢) دستور الوحدة الثقافيةبين المسلمين ص١٢٣ ط ١٩٨١ القاهرة

أ - يمجدالعلم ويرفع من قيمة ومكانة العلماء، وهذا أول أبواب الحضارة ، وحسبنا أن نذكر في هذا أن المنهج العام للسورة هو المنهج العلمي ، فكتاب المسلمين الخالدنزل (من لدن حكيم عليم) الاية : ٦ وقال الله في هذه السورةأيضا (ولقد آتينا داود وسليمان علما) الاية ١٥ وقال سليمان متحدثا بنعمة ربه(ياأيها الناس علمنا منطق الطير) الاية ١٦ وقال الهدهدفي ثقة العلماء مخاطبا سيده (أحطت بما لم تحط به) الاية ٢٢ ، ونوه الله تعالى بقيمة العلمالرفيع وعظيم سلطانه فقال(.قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك..) الاية ٤٠ بعد أن قال الجني (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) الاية ٣٩ وقال سليمان متحدثا بنعمة الله (العلم) على مسامع ملكة سبأ(وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) الاية ٤٢ وفي السورة باب عظيم من ابواب الدعوة بلفت انظار الناس الى صفحات الكونوأغوار النفس والاستدلال بها على وحدانيةالبارى تقدست اسماؤه.. وحسبنا أن ندلل على أن الاسلام دين العلم ما ذكره اللهتبارك وتعالى في هذه السورة من ضرورة التقاء الفطرة بالعقل الراشدفقال(قل هاتوابرهانكم ان كنتم صادقين) الاية : ٦٤ فبالتقائهما يحق الحق ويزهق الباطل، وتعنو الوجوه للحي القيوم الذى لا اله الا هو .

أليس في هذا تنويه بقيمة العلم وتأسيس للحضارة الاسلامية على قاعدةالمعرفة واليقين ؟!

ومن ابرز روافد العلم - كأساس للحضارة - عنصر الكتابة المنوه عنها في هذه السورة ممثلةفي كتاب سليمان- عليه السلام - الى ملكة سبأ يدعوها فيه الىالاسلام، والكتابة والخط كمايذكر ابن خلدون(من عداد الصنائع الانسانية ، وهي من خواص الانسانالتي يميز بها عن الحيوان، وأيضا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الاغراض الى البلاد البعيدة.. وهي تابعة للعمران..)(١)

ب - ويربط العلم بالايمان، ولذا جمع الله بين فضيلة العلم وبين مظهر الايمان وهو الحمد والعبادة اذ قال عز من قائل(ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين)الاية - ١٥ قال صاحب الظلال(لقد آتاهما الله خيرما يؤتى الانسان من فضل واحسان وهو العلمالذى من ملكه ملك أقوى ما على الأرض من قوةيستطيع بها أن يستولي على سلطان هذاالعالمكله

---

(١) مقدمة ابن خلدون بتصرف طفيف ص ٤١٧

ولقد انتهت البشرية اليوم الى مرحلة جديدة من مراحل العلم بتحطيم الذرة واستخدامها ولكن ماذا جنت البشرية حتى اليوم من مثل هذا العلم الذى لا يذكر أصحابه الله، ولا يخشونه ولا يحمدونه ولا يتوجهون بعلمهم اليه؟! (١)

جـ - ويرفع من شأن الحرية : فقد عزت وندرت في حضارات الماديين ، ونرى معاني الحرية في قصة سليمان - عليه السلام - متوفرة للجماعة والفرد ، ففي مجال الحرية الدينية ليشرع الجهاد الا لتوفير الحرية ولفتح الطريق أمام الهدى المحمدى، ورفع المعوقات والحواجز التي تحد من حريات الناس ، وتربط عقولهم ومشاعرهم بقيود وضعية وضيعة.. والجهاد واضح جلي في دعوة سليمان في أسسه وأهدافه كما تقدم (٢)

وفي مجال تقرير الحرية الشخصية لكل فرد نسمع قول الهدهد لسيده اذ يقول له : (أحطت بما لم تحط به) الاية -٢٢ قال في تفسير الجواهر (خاطب الهدهد سليمان بغاية الحرية فانه يقول له وهو يملك ذبحه ونتف ريشه وحبسه واذلاله : (احطت لما لم تحط به) فهذه الخصلة تدل على حرية تامة، ولم ينزل الله هذا الا ليعلم أهل الارض قاطبة انه لا يمكن استخراج قوى النفوس الانسانية الا اذا كانت متمتعة بحرية الرأ ى كما تمتع الهدهد بذلك، فأما اذا صغرت النفوس من الضغط والذل في أى أمة فان الانسانية العا مة يعتريها النقص بمقدار ما فقدت من قوى كانت كامنة في تلك النفوس فحرمت ثمرتها.. وعلى المسلمين أن يثبتوا هذه الحرية ويستخرجوا آراء المسلمين بها، ثم يعاونوا عليها في الارض كلها) (٣)

ومما يدل على أن الهدهد كان في هذا الموقف في غاية الحرية :

١- كونه في غاية الضعف حالا ومقاما اذ هو طير هدد بأقصى أنواع العقوبة.

٢- وكون سيده في غاية القوة والتمكين اذ يجمع بين النبوة والملك .

٣- واستعمل الهدهد مع هذا كله كلمة (احطت) دون غيرها من الكلمات المرادفة كعلمت مثلا ، فأثبتها لنفسه ونفاها عن سيده..!! (أحطت بما لم تحط به) ! وهل تجد مثلا أروع للحرية من هذا المثال الذى يميط اللثام عن حقيقة العلا قة بين الحاكم والمحكوم في الاسلام.. وبين رجال الدعوة على اختلاف مستوياتهم وأقدارهم !!؟

أوليست الحرية على هذا المثال المحتذى عاملا من العوامل الاساسية للحضارة الاسلامية.

---

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٦٣٣

(٢) انظر ص٢١١ من هذه الرسالة

(٣) الجواهر ١٣/١٨٢

د - كما يقرر المساواة التامة بين افراد المجتمع المسلم فلا فضل لأحد على أحد ولا لعربي على عجمي الا بالتقوى، وهذه ملكة سبأ حين أعزها الله بالاسلام وعرفت سوء ماكانت فيه، وعظم ما امتن الله عليها من نعمة الاسلام (قالت رب اني ظلمت نفسي - وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين) الاية ٤٤ ، لقد قالت اسلمت مع سليمان وليس له بل لله رب العالمين، وحين تستقر المساواة على هذا النحو في نفوس الناس تتفتح ابواب الازدهار بتفتح المواهب والمهارات ، وتتوافر فرص الابتكار والابداع في شتى مجالات الحياة .

هـ - ويضع أسس تنظيم المجتمع الأمثل، وذلك بتقرير مبدأ الحسبة، ذلك النظام الاسلامي المفقود في أكثر بلاد الاسلام، وللحسبة أصول ووظائف وأخلاق ومبادئ تهدف الى حمل الناس الى المصالح العامة بوازع السلطة على نحو ما بسطه العلماء في كتب الحسبة، وفي هذه السورة الجليلة اشارات واضحة الى تطبيقات جوانب من هذا النظام الحيوي، وذلك في مواضع من قصة سليمان - عليه السلام - منها ما

قاله

القرطبي في قوله عزوجل (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) الاية :١٧ قال في قوله (فهم يوزعون) دليل على اتخاذ الامام والحكام وزعة يكفّون الناس ويمنعونهم من تطاول بعضهم على بعض ،اذ لايمكن الحكام ذلك بأنفسهم) (١) ومنها ما وضحه ابوحيان في البحر في قوله عزوجل (وتفقد الطير..) قال فيه دلالة على تفقد الامام أحوال رعيته والمحافظة عليهم (٢)

قلت : ولم تعرف البشرية على امتداد تاريخها حكاما اتقى ولا أزكى من الحكام المسلمين اذ أشرفوا على مهامهم بنفوس مطمئنة من ربها و جلة ، والأمثلة من سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم والصالحين من بعدهم زاخرة عديمة المثال..

---

(١) تفسير القرطبي ١٣/١٦٨

(٢) البحر المحيط ٧/٦٤

و - كما يحارب أمراض المجتمع ولاسيما ماينشأ من العلاقات المحرمة والمنحرفة من فواحش ومتعلقاتها.. وفي قصة لوط عليه السلام مع قومه منهاج لمحاربة مايعرف اليوم بالشذوذ الجنسي، ذلك الوباء الذى تضج به حضارات الغرب العاجن والشرق الملحد على السواء، ان اية حضارة مهما بلغت من تقدمها العادى سواء في مجال التمدن والعمران او في مجال ابتكار العلوم المدنية وتطويرها.. او في مجال اختراع الآلات البعيدة المدى في فعاليتها...الخ هذه الحضارات الخالية من الخلق الحميد والعقيدة الصحيحة مهما ارتقت في جانبها المادي هي احط من كثير من الانعام، ذلك أنها بماديتها الجلفاء تجعل الاب لايأمن ابنه والاخ لايطمئن لاخيه..

أظليس المنهج الاسلامي لبناء الحضارة - وهو جزء من الدعوة الاسلامية - من امثل المناهج بربطه المادة بالاخلاق !؟ وتأسيسه المنجزات على عقيدة الايمان بالله واليوم الاخر ؟

٦ - ميزان التقابل بين جند الحق وجند الباطل:

وهو درس من دروس الدعوة الهامة ،فأسلوب الجهاد من أساليب الدعوة التي استخدمها سليمان - عليه السلام - وقد مضى الحديث عنه في مناهج دعوته.. وهنا بين أيدينا درس بليغ ينبغي أن يفقهه الدعاة والمسلمون عامة ولاسيما في هذا العصر الذى تفاخر تفيه قوى الشر والباطل بما تملك من عناصر الدمار ووسائل الفتك وماتنجزه على مر الأيام من تقدم في ارهاب المسلمين.. قال الاستاذ محمد الغزالي (اني لأرى العلل القديمة تتجمع ونذر العاصفة المدمرة تبدو في الافق البعيد بل ان الأعداء شرعوا في الهجوم، والارض الاسلامية تنتقص من اطرافها، والخطط توضع لضرب القلب بعد قص الأجنحة !! وعلى أهل المسؤولية الاسراع في جمع القوى وسد الثغرات وحشد كل شيء لاستنقاذ وجودنا المهدد) (١) وأسلوب الجهاد من أساليب الدعوة الخالدة الى يوم الدين لمواجهة أعداء الاسلام الذين وصفهم رب العزة بقوله (ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) (٢)

فميزان التقابل بين الجندى المسلم والجندى الكافر يقضي بأن يقابل المسلم كافرين على أقل تقدير، وذلك في قوله تعالى في هذه السورة الجليلة على لسان سليمان

---

(١) هموم داعية ص ٤٦ - ٤٧ ط ١٤٠٥ هـ دمشق
(٢) البقرة : ٢١٧

عليه السلام (ارجع اليهـم فلنأتينّهم بجنود لاقبل لهم بها . .) الاية ٣٧ أى : من حيث العدد والعدد والروح المعنوية التي أساسها الايمان ، والتقابل هنـا غير محدد بعدد كما ترى بل يشعـر بتفوق أهل الايمان وحسب ، ولقد تدرج هذا التقابل في سورة الأنفال المدنية على النحو الآتي : قال تعالى (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين ، وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين ، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن اللـه ، والله مع الصابرين) (١) ووضّح ذلك قول الله تعالى في سورة آل عمران المدنية (قد كان لكم آية في فئتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل اللـه وأخرى كافرة يرونهـم مثليهـم رأى العـين ، واللـه يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) (٢)

وما من ريب أن هذا التقابل الذى تدرج على هذا النحو واستقر على أن يواجه كل جنديين كافرين جنديا مسلما ، هو ما يؤخذ في عين الاعتبار حين التخطيط لاعداد الدعاة المجاهدين بعد اعدادهم ايمانيا والله يؤيد بنصره من يشاء . . وهو درس يعتبر في شروط مواجهة الباطل وحمايته .

٧ - نفاذ سنن الله عزوجل في المجتمع :

وهو من دروس الدعوة ذات العبر والعظات ، ومن هذه السنن :

أ - أن العذاب يعم الجماعة التي لم تنه السفيه عن غيه ، في قصة صالح عليه السلام نرى أن الذى باشر عقر الناقة رجل كما قال تعالى (اذ انبعث اشقاها) (٣) لكن العذاب عم الجميع لرضاهم بذلك وتواطئهم عليه ومشاركتهم اياه في الرأى والتحريض ولذا نسب السياق القرآني الجليل عقر الناقة اليهم جميعا (فكذبوه فعقروها) (٤) وكذلك في سورة النمل نجد أن الذين هموا بقتل صالح - عليه السلام - كانوا (تسعة رهط يفسدو ن في الارض ولا يصلحون) الاية : ٤٨ لكن العذاب عمهم جميعا وقومهم ،

---

(١) الانفال : ٦٥ - ٦٦
(٢) آل عمران : ١٣
(٣) الشمس ١٢
(٤) الشمس : ١٤

قال تعالى (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) الاية : ٥١

وفي اطراد هذه السنة يقول تعالى (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب)(١) ومن هنا تبرز أهمية بل فرضية الأخذ على أيدى السفهاء وأطرهم على الحق أطرا ، وعدم السكوت على المنكرات أو التهاون فيها قدر الوسع .

ب - ومن هذه السنن النافذة :

خسران كيد الكافرين ،فمهما أوتوا من قوة وسلطوا ومكن لهم في الأرض لابدأن تنهار مكائدهم، والله عزوجل لهم بالمرصاد ،وهوسبحانه مبطل كيدهمومعز دعاته وجنده ففي سورة النمل حكاية عن قوم صالح - عليه السلام - (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموان في ذلك لاية لقوم يعلمون) الاية : ٥٠ - ٥٢ فأنت ترى هنا :

١- مكران ، كل مكر هو غاية في التدبيريؤكده المفعول المطلق .

٢- ومكر الله تقدست اسماؤه كان من حيث لا يشعر أولئك الأرذلون فهوابلغ وأحكم.

٣- والعاقبة مشهودة منظورة يراها الغادى والرائح ليقارن بين المكرين- وليسا موضع مقارنة - وليعلم أن الله غالب على أمره .قال الجرجاني(٢) (المكر من جانب الله عزوجل ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الأدب.. ومن العبد : ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر)(٣) ولم يرد لفظ المكر في القرآن المجيد منسوباالى العبد الا على سبيل الذم(٤)

فمكر الله - تقدست اسماؤه - يسبق كل تدبير وتخطيط وتنفيذ يقوم به الكافرون للنيل من الدعاة والمسلمين كما قال تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أويخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خيرالماكرين)(٥) وفي تصوير قرآني بديع(قد مكر الذين من قبلهم

---

(١) الانفال : ٢٥

(٢) هو علي بن محمد بن علي الجرجاني(٧٤٠ - ٨١٦هـ) : البدرالطالع ٤٨٨/١

(٣) التعريفات ص ٢٩٣ مادة : مكر

(٤) انظر المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم

(٥) الانفال : ٣٠

فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) (١)

و هذه السنة الربانية هي جزء هام من المفاهيم الايمانية التربوية التي ينبغي أن يربى عليها الدعاة والمجاهدون ،وهي - كذلك - اعزاز للدعاة ورفع لقدرهم ومكانتهم عند البارى جلت آلاؤه ، ولتقوم بهم الحجة على العالمين .

جـ - ومن هذه السنن النافذة انها لا تحابي أحدا لقرابة أو نسب أو وجاهة ، فالايمان وحده هو المعيار دون سواه للتفاضل وللنجاة من سخط المولى جل وعلا ، فهذه امرأة لوط - عليه السلام - شملها العذاب الذى حاق بقومها حين صدفوا عن الحق واستمرؤوا الفاحشة كما قص الله علينا نبأهم في هذه السورة ، قال تعالى (. . فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) الاية ٥٧ - ٥٨ قال ابن كثيررحمه الله(كانت من الغابرين أى من الهالكين مع قومها ،لأنها كانت ردء لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط. . لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله صلى الله عليه وسلم لاكرامقلها (٢)

ومن الدروس العامة التي تؤخذ من قصص الانبياء في السورة :

- ان الانسان مكلف ومحاسب ولهذا بعثت الرسل وانزلت الكتب .
- وأن سعة العيش والتمكين في الأرض يقابلان بالشكر كما فعل سليمان عليه السلام .
- ومن طمست بصيرته وختم على قلبه لا تنفع معه محاولات الاصلاح .
- وان في آيات الله ونعمه وآلائه دليل على وحدانيته واستحقاقه للعبادة دون سواه .
- ومن طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا فنهايته الى بوار . .

---

(١) النحل : ٢٦

(٢) تفسير ابن كثير ٣٦٨/٣

المبحث الثاني ـ دروس في الدعـاة

ثمة دروس عظيمة النفع وافرة العطاء حفل بها القصص القرآني في هذه السـورة، مما يستنير بها الدعاة الى الله تعالى فاذا هم على بينة من ربهم، سواء فيما ينبغي أن يتصف به عباد الرحمن والدعاة الى دينه خاصة، أو فيما يتعلق بمنهجية العمل الجماعي في الدعوة وأهميته وفعاليته . .

ا ـ ومن هذه الدروس القرآنيةما هو مندرج تحت صفات الدعاة ومقوماتهم الأساسية:

أ ـ الثقة المطلقة بالباري جل وعلا: تلك الثقة التي يستمد منها الداعية اطمئنان نفسه وسكون قلبه، فهو يحمل أمانة أبت السموات والارض حملها وأشفقن منها . . ثم هويعرض هذه الأمانةالعظيمة على الناس وفيهم ذوا الصلف والصدود، والكيد . .

وثقة الداعية بنفسه وثقة المجتمع فيه يبنيها الداعية على ثقته بربه جل وعلاويستمدها منه . . وهذا الدرس الايماني نستقيه من قول الحق تبارك وتعالى لعبده موسى حين كلمه ربه وقد اعتراه الخوف، قال له (لاتخف اني لا يخاف لدىّ المرسلون) الاية : ١٠ وهذه الثقة الحميمة في الله تبنى في نفس المؤمن قوة لا تضارعهاقوة اذ تدفعهالى التوكل على الله . . ومن ثم كان الارشادالإلهي لخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام (. . فتوكل على الله انك على الحق المبين)الاية ٧٩ وهذه الثقة يحتاجها ـ فضلاعن عامة الدعاة ـ قادة العملالاجتماعي ليكون منهجهم امتداداً لمنهج المرسلين.

ومن آثار هذه الثقة في اللهـ عزوجل ـ راحة البال التي تتيح للانسان التفكيرالهادىء المنظمّ العشر، ولهذا اثره البليغ في عرض موضوعات الدعوة للناس بأسلوب هادىء لطيف بعيدا عن الانفعال المذموم . .

ب ـ العلم: وهو فضلا عن أهميته البالغة في تكوين الدعاة واعدادهم، وأثره الكبير في منجزات الدعوةذو أثرعظيم النفع في الحياة العامة،ولاسيما العلم الشرعي الذى ورثه سليمان عن ابيه داود ـ عليهماالسلام ـفي قوله تعالى (وورث سليمان داود) بعد قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذىفضلنا على كثير من عباده المؤمنين) الاية : ١٥ قال القرطبي (في الايةدليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملتهوأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم ،وان من اوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من عباداللهالمؤمنين) (١)

---

(١) تفسير القرطبي ١٣/١٦٤

والايات كثيرة متضافرة على تمجيد العلم ورفع قدر اهله .

جـ - الحذر والحيطة : فالفطنة وحضور البديهة من مقومات نجاح الدعاة . . وملكة سبأ حين أتاهاكتاب سليمان يدعوها الى دين الله ارسلت اليه بهدية تمتحن مراده ! والملكة وان كانت على غير دين الاسلام حين ارسلت بالهدية،الا أنها كانت تتوخى هدفا من ذلك ولامانع أن يستقى من منهجهاالدعاة ما يخدم دعوتهم،فلقدارادت أن يقف رسلهاعلى أحوال هذا الملك النبي الذى يدعوها وقومها الى الاسلامهن منطق القوة ، وان تدرس مدى قدرته وامكاناته حتى اذا ركنت الى أمر ركنت اليه بعد رويةواطلاع وفهم للعواقب ، وهذا ما يفهم من (النظر) في قولها (واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) الاية ٣٥

د- الترفع عن حطام الدنيا : فما يحمله الداعية بين جوانحه هو أسمى مقاما وأرفع شأنا من حطام الدنيا وزخرفها التي يركن اليها كثير منالناس ، ولقد قال سليمان - عليه السلام -قولته الجليلة حين وصلته هدية الملكة جوابا على رسالته القوية(قال أتمدونن بمال فماءاتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) الاية ٣٦ فليس من شأن الدعاة المخلصين الركون الى الحطام وهم ينقذون الناس من الحطام، ولا من سماتهم قبول عرض زائل ورشوة حقيرة يتزلف بها السفهاء . . الست ترى تحقيراللمال في تنكيره(اتمدونني بمال) ! والمال له أثره في قوام الحياة ولا ريب ، لكن حين يقابل به دعوة الله يذم من يتجمبه هذا الاتجاه الذميم . .

هـ - معرفة أوليات العرض : موضوع الدعوة واسع سعة الاسلام ، وأهدافها - كذلك - متنوعة تنوع المصالح الدينية والدنيوية وشمولها ، ولكل مقام مقال ، ولكلمدعو مايلائم طبعه ويساوق فطرته . .

ومن فطنة الداعي الى الله أن يتخذ من الكلام وأساليبه وضروبه ما يناسب حال المدعووومقامه ومداركه كي تصل الدعوة اليه منأقرب طريق بأيسر مؤونة .

فالله عزوجل يحكي ما أبداه الهدهد لسيده من معلومات قد مهد لها ثم رتبهاوبوّبها وجعل أولاها يفضي الى أخراهافلقد قال (أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأبنبأ يقين ، اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) الاية ٢٢ -٢٣ قال في البحر(أخبر أولا باطلاعه على مالم يطلع عليه سليمان ، تحصنا من العقوبةبزينة العلم الذى حصل له، فتشوف السامع الى ذلك .

ثم أخبر ثانيا بتعلق ذلك العلم وهو انه من سبأ ، وأنه أمر متيقن لاشك فيه فزاد تشوف السامع الى سماع ذلك النبأ .

ثم أخبر ثالثا عن الملك الذى أوتيته امرأة ، وكان سليمان - عليه السلام - قد سأل الله أن يؤتيه ملكا لاينبغي لأحد من بعده.

ثم أخبر رابعا ما ظاهره الاشتراك بينه وبين هذه المرأة التي ليس من شأنها ولا شأن النساء أن تملك فحول الرجال..)(١)

وثمة دروس كثيرة تستقي من قصص الأنبياء في السورة ، مما هو معدود من صفات الدعاة كالامانة والصدق والاخلاص ولعَرْوَة ، مر ذكر أكثرها في مناهج دعوة كل رسول في السورة ..

٢ - الدعوة بين الشيوخ والشباب :

ومن الدروس التي تستنبط من قصة سليمان وداود عليهما السلام انه لا يلاحظ عنصر السن في الداعي بمقدار ما يلاحظ نجاحه وقدرته على تحمل مسؤولية الدعوة وممارسة واجبها ، واستيعابه لقضاياها ، فلقد قرن الله - عزوجل - بين وداود وسليمان في آية فقال (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) الاية ١٥ وكل من النبيين الكريمين ينتسب الى جيل ، هذا أب وذاك ابنه ، قال السيوطي (قال أهل التاريخ ملك سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين ، ومات وله ثلاث وخمسون سنة)(٢) ومن تأمل أخبار سليمان عليه السلام الواردة في سورة الانبياء والنمل و ص وجد أنه أعطي ذكاء وفطنة وفهما ، يؤكد ذلك مافي الصحيحين (كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن احداهما ، فقالت صاحبتها انما ذهب بابنك ، وقالت الاخرى : انما ذهب بابنك ، فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال : ائتوني بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى : لاتفعل يرحمك الله هو ابنها ، فقضى به للصغرى)(٣)

---

(١) البحر المحيط ٦٢/٧

(٢) الاتقان ١٤٠/٢

(٣) متفق عليه ، رواه البخارى عن ابي هريرة رضي الله عنه ١٢٦١/٣ واللفظ له في كتاب الانبياء باب ٤١ قول الله ووهبنا لداود سليمان نعم العبد .. وهو في مسلم ١٣٤٤/٣ كتاب الاقضية باب بيان اختلاف المجتهدين .

ولئن كان الشيوخ اكثر حكمة وخبرة وأطول ممارسة للحياة ،فان الشباب أكثر حماسا وطموحا وأنفذ عزيمة ، وانهم لهم المادة الحيوية للدعوة ان رسخت في افئدتهم عقيدة التوحيد ووعوها حق الوعي ثم قاموا بمقتضاها اتم قيام ، وفي التاريخ الاسلامي نماذج كريمة لشباب الاسلام كانوا أمثلة فذة يستضاء بها ، حملوا لواء الاسلام وبسطوا رواقه على وجه المعمورة من الصين شرقا الى الاندلس غربا في أقل من قرن بالجهاد الصادق والكلمة الطيبة والسمت الكريم . .

٣ - سمات منهج العمل الاجتماعي :

يقوم العمل الاجتماعي على عناصر ثلاثة رئيسة ١- القيادة وما يتعلق بها . من قدوة وشورى . ٢- والشعور الجمعي النامي عن الجماعة ٣- ثم أسلوب يحدد مسار العمل . .

وفي قصة سليمان - عليه السلام - توافرت هذه العناصر ومن ثم نستقي هذه السمات فنقول بتوفيق الله :

أ- القيادة (١) :

لاجرم أن القيادة المثلى التي يتمثل فيها الخلق الكريم والسمت الحسن هي قيادة مؤثرة موجهة، تفعل الكثير في الزمن اليسير. . ولقد تمثل ذلك كله في شخص سليمان - عليه السلام - النبي الملك، الذى جمع الله لهبين العلم والعدل والمودة والحزم والاشفاق والنصح . .

---

(١) يمكن استخلاص الدروس الاتية من قصة سليمان عليه السلام في السورةفي جانب القيادة مما نكتفي بالاشارة اليه :

*** لتربية القضاة : أساليب التحقيق ، مناهج التحرى والحكم ،العدالة،الفهم والعلمومكافحة الرشوة .

*** لتربية الدعاة : سرعة البديهة، خطاب الناس على قدرعقولهممراعاة الاوقات

*** لاعداد الحكام والامراء: العدل ،النزاهة،الرحمة، الحزم ،الحرص على المصالح العامة ، التناصح .

*** لاعداد قادة الجيوش : براعة الاستطلاعومناهجه، دقة التخطيط ، اختيار العناصر المناسبة الموهلة للمناسبات الخاصة والعامة. .

ب - ضوابط السلوك :

المجتمع المسلم مجتمع دعوة وبناء لقوله عزوجل (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكروتؤمنون بالله)(١) سواء الذى يسوسه الحاكم العام، أو الذى يوجهه قائد في مجال الدعوة لابد أن يقيد ـــــ تصرفات أفراده ضوابط ، استجلابا للنظام ودفعا لغوائل السوء والناتجة عن الاجتماع البشرى .. والضوابط كثيرة ،وهي متنوعة في مقاصدها وغاياتها(٢) نشير الى ابرزها ضمن معطيات قصص الانبياء في السورة ، منها :

** الترابط والتلاحم : ونستقيهما من قول الله تبارك وتعالى عن سليمان عليه السلام (وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين)- الاية ٢٠ والتفقد يحوى معنى : الرفق والشفقة والنصح والتوادد والتلاحم، فاذا هي وشائج تربط المتفقد بالمتفقد ، قال القرطبي (وفي هذه الاية دليل على تفقد الامام أحوال رعيته والمحافظة عليهم ، فانظر الى الهدهد مع صغره كيف لم يخف على سليمان حاله ، فكيف بعظام الملك ، ويرحم الله عمر فانه كان على سيرته ، قال : لو أن سخلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب يسأل عنها عمر)(٣) وقال في تفسير الجواهر (. ومعلوم انه لا يتفقد الطير الا اذا كان متفقدا للا نسان الذى هو أرقى منه دلالة) (٤)

وتالله لست تجد هذا الشعور الايماني المتنامي في غير نظام الاسلام، وانه لدرس لا يعيه الا الأخيار من حكام المسلمين وقادة الفكر والدعوة..

** التثبت من الاخبار والانباء : يعد الخبر سببا أساسيا لاتخاذ القرار. فلا بد أن يكون على أعلى درجات الصدق والدقة واليقين، ولابد أن يسبق قبول الأخبار التحرى والتثبت،وهذا ما فعله سليمان- عليه السلام - حين أخبره الهدهد بما عاين من أحوال أهل سبأ ،فقال له(سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين)الاية :٢٧ مع أن في لهجة الهدهد سيما الصدق والرشد اذ قال (احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) فالاحاطة : العلم بالشيء من جميع جهاته، والنبأ الخبر الخطير الشأن، واليقين درجة في الصدق رفيعة لا يخالجها شك.. قال النيسابورى : في قوله (سننظر..) اشارة الى أن خبر الواحد وان زعم أنه اليقين لايعول عليهالا بأمارات أخرى .(٥)

---

(١) آل عمران : ١١٠ (٢) اقرأ سورة الحجرات والمجادلة.
(٣) تفسيرالقرطبي ١٣/١٧٨ (٤) الجواهر ١٣/١٣٧
(٥) تفسير النيسابورى علحاشية الطبرى ١٩/١٠٨

والتثبت قاعدة مثلى ، وجه اليها كتاب الله كما في قوله عزوجل (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (١)

** المسارعة الى الخير والتنافس فيه: وهو جلي في موقف كل من العفريت والذى عنده علم من الكتاب حين تسارعا الى تنفيذ أمر سليمان واحضار طلبته (قال ياأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوى أمين ، قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر . .)
الآية : ٣٨- ٤٠

** التواضع : لا جرم أن خصلة التواضع من مكارم الاخلاق ، وتواضع العلماء أزكى وأكرم ، ولقد ضرب الله مثلا بنبيه سليمان عليه السلام في هذه السورة في التواضع وهو النبي الملك الذى أوتي من كل شيء ، فبتواضعه - عليه السلام - بلغ الهدهد مقام خطابه اذ قال له (أحطت بما لم تحط به . .) قال صاحب الكشاف (ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذى هو فتنة العلماء وأعظم بها من فتنة) (٢)

جـ - البدء بذى الشأن :

وهو فضلا عما تقدم بسطه من تنوع الأساليب وتعددها في دعوات الأنبياء (أسلوب البدء بذى الشرف والجاه قبل غيرهم)، هو درس يستقى من دعوات رسل الله جميعا لأن الاشراف وهم (الملأ) في تعبير القرآن ، بأيديهم زمام الأمور ، وبصلاحهم يصلح الله الاتباع والرعاع ، ونرى في هذه السورة موسى وداود وسليمان وصالحا ولوطا بدأ كل منهم دعوة الوجهاء بأسلوب حكيم يحمل في طياته المودة والنصح واللين هذا من ناحية -

---

(١) الحجرات : ٦ (٢) الكشاف : ٣/١٤٣

وناحية أخرى وهي أن أمر الدعوة حين يتعلق بالدولة فلا بد من اطلاع الامام . . حتى تنتظم أمورالمسلمين حين يدعون غيرهم فهذا الهدهد وهو بمثابة الداعي وقد قص الله علينا نبأه قصد قائده واطلاعه على جليةالأمر

٤ ـ الاستعانة بغيرالمسلمفي ايصال الدعوة :

لا جرم أن الدعوة الى الله أمانة ،وهي كذلك مسؤولية شاركت الأمة رسولها في حملها وأدائهاكما قال تعالى (قل هذه سبيلي أدعواالى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (١) فلا بد أن يكون الداعي مؤتمنا عليه موثوقا به ،فممارسة الدعوة عرضا واستدلالا ووعظا وارشادا لا يقوم به الا الثقات من المسلمين ،العدول من علمائهم .

أما الاستعانة بغيرالمسلم في بعض وسائل الدعوة مما لا يتاح مثله للمسلمين ومما لا يستغنى عنه فهذا يجوزان أمن الفتنة ،وكذلك ان آوى الداعي الي عصبته من غيرالمسلمين يحتمي بها وتدفع عنه غول الغائلين ، فلا نرى بأسا من ذلك أيضا ،وهذا مايترجح لدينا .

ونستقي هذا الدرس مما ذكره الله ـ تقدست اسماؤه ـعن قوم صالح ـعليه السلام ـ وقد دعا ـ قومه الى الله (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون) الاية : ٤٩ قال صاحب أضواء البيان (هذا يدل على أنهم لا يقدرون أن يقتلوه علنا لنصرة أوليائه لهوانكارهم شهود مهلك أهله دليل على خوفهم من اوليائه والظاهر أن هذه النصرة عصبية نسبية ،لا تمت الى الدين بصلة ،وان اولياءه ليسوا بمسلمين) (٢)

ومثل هذا كثير كقوله تعالى عن قوم شعيب(ولولا رهطك لرجمناك) (٣) ، وعن لوط (قال لو أن لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد) (٤)

---

(١) يوسف : ١٠٨
(٢) أضواء البيان ٦/٤٠٩
(٣) هود : ٩١
(٤) هود : ٨٠

وعن محمد صلى الله عليه وسلم (ألم يجدك يتيما فآوى) (١) وقصة عم النبي ،أبي طالب في دفاعه عن ابن أخيه مشهورة معروفة ، ومن حديثه عليه الصلاة والسلام(ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) (٢)، وقوله (يرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد) (٣) على رأى من فسر الركن هنا بالعشيرةقال الحافظ ابن حجر(يقال أن قوم لوط لم يكن فيهم أحد يجتمع معه في نسبهلأنهم من سدوم وهي من الشام ، وأصل ابراهيم ولوط من العراق ، فلماهاجر ابراهيمالى الشام هاجر معه لوط فبعث الله لوطا الى أهل سدوم ،فقال :لوأن لي بكم منعة وأقارب وعشيرة لكنت استنصر بهم عليكملدفعوا عن ضيفاني) (٤)

و هذه الاستعانة قد تكون جزءاًمن سنن الله يحمي بها أهل الحق من الانقراض فقد يكون أهل الحق قلة تكاد تذوب ضعفا في خضم الكفر والطغيان ،والله عزوجل يقول : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) (٥) ، وفي آية أخرى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز(٦)

---

(١) الضحى : ٦

(٢) متفق عليه : اخرجه البخارى في كتاب الجهاد عن ابي هريرة رضي الله عنه باب ١٧٨ ان الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ٣/١١١٤وهو في مسلم في كتاب الايمان باب ٤٧ غلظ تحريم قتل الانسان نفسه ١/١٠٥ وهو جزء من حديث - وانظره في الفتح ٦/١٧٩

(٣) متفق عليه وهو جزء من حديث رواه البخارى عن ابي هريرةرضيا لله عنه في كتاب الانبياء٣/١٢٣٤ باب ١٣قوله عزوجل ونبئهم عن ضيف ابراهيم ، ومسلم في كتاب الايمان باب ٦٩ : زيادة طمأنينة القلب ١/١٣٣.

(٤) الفتح ٦/٤١٥

(٥) البقرة : ٢٥١

(٦) الحج : ٤٠

المبحث الثالث - دروس في المدعويين

تحوى قصص الأنبياء في السورة دروسا قيمة في المدعوين وأصنافهم فتقدم تحليلا لنفسيتهم ودخائلها وطباعها وانطباعاتها ، كما تعرض أسباب صدودهم عن الحق وعدائهم له وكيدهم لأهله ، وتشير - بعد هذا وذاك - الى بعض الأساليب الناجعة لمداواة ادوائهم وعللهم ، كما ترسم ملامح في حالتي الخير والشر ، وتقرر بعض السنن والظواهر الاجتماعية .. للمجتمع الغير المسلم التي تنشأ وتترعرع وترسخ ابان غياب الحق وحماته .

وكل أولئك ولا ريب من أروع ما تضمنته هذه السورة المكية الشريفة من دروس .. اذ يصلح أن يكون مادة علمية نفيسة لا يستغني عنها الدعاة والقائمون على العمل الاجتماعي في دراساتهم لأصناف المدعويين وتنوع طبقاتهم ..

١ - فمن هذه الدروس مما هو من سنن المجتمعات : (انقسام الناس تجاه الحق) بين متقبل له مؤمن به داع اليه ، وبين صاد عنه جاف له متمسك بباطله .. وكثيرا ما يكيل المغرضون التهم لدعاة الاسلام بأنهم يشقّون وحدة الجماعة ويفرقون بين الأب وابنه ، والزوج وزوجه .. ويجهل هؤلاء ـــــــ أن الدعوات أيا كانت - الى الخير أو الشر - تحدث هذا الانقسام حين تطرح قضاياها في المجتمع ، فليس الأمر خاصا بدعوة الاسلام ، بل هي سنة اجتماعية مطردة .

قال تعالى (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا اللـــه فاذا هم فريقان يختصمون) الآية ٥ وتستنبط من هذه السنة الاجتماعية التي قررتها الآية الشريفة جملة من الدروس :

١ - لعقيدة التوحيد قوة غلابة حيث تستمكن في النفوس وتستحوذ على القلوب ، فهي تغلب الأواصر الأخرى مهما سمت وارتقت .

٢ - وللعقيدة أثر حاسم في تصرفات الانسان .

٣ - لا يخلو مجتمع من متقبل للحق والخير .

٤ - لا بد من حدوث (المخاصمة) بين الفريقين وهو مكمن الابتلاء .

٥ - هذه المخاصمة مستمرة الى يوم الدين ، يؤذن بذلك مجيء الفعل على صيغة المضارعة (فريقان يختصمون) وهو واقع ملموس مشهود .

٢ - ومن الدروس مما يتعلق بمعرفة أحوال المدعويين واستكشاف ما انطبعت عليه نفوسهم .. ما يلاحظ على الكفار عموما :

أ - انهم يعرفون الله - عزوجل - بالفطرة التي فطرهم عليها ، ومعرفتهم هذه هي اقرارهم بربوبيته عزوجل ، وهذا جلي في قول كفرة ثمود اذ (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون) الاية : ٤٩ قال صاحب الظلال : (من العجب أن يتداعوا الى القسم بالله مع هذا الشر المنكر الذى يبيتونه وهو قتل صالح وأهله بياتا ، وهو لا يدعوهم الا لعبادة الله .. ولكن النفس البشرية مليئة بالانحرافات والالتواءات وبخاصة من لا يهتدى بنور الايمان الذى يرسم لها الطريق المستقيم) (١) ، فمعرفة الله مستكينة في النفس فطرة ، وان طمست البصائر وران على القلوب السيئات ، ومن أجل هذا قامت مناهج الدعوة في القرآن المجيد في الأصالة على دعوة من يشرك بالله لا من ينكر وجوده ..

ب - كما يعرف الكافرون في بواطن نفوسهم أنهم على ضلال وفي بوار وان تنكروا لذلك في الظواهر فعاندوا الحق وصدوا عنه ، وذلك في قوله تعالى على لسانهم (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله) والتبييت هو : تدبير الأمر بليل ، وفيه دليل على أنهم يعملون في خفاء لداعي الخوف مع داعي المكر ، وخوفهم يدل على أنهم على باطل ، اذ صاحب الحق يصدع بحقه ويجهر به دون وجل أو ترقب . .

---

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٦٤٦

جـ - حبهم الغريب للمادة وأسبابها ، وذلك في قوله تعالى في وصف عبدة الشمس من أهل سبأ على لسان سليمان عليه السلام (قال أتمدونن بمال فما ءاتاني الله خير مما ءاتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون) الاية : ٣٦ ويدل على ذلك وجوه :

١ - انكاره عليهم أن يتجهوا بالمال هذا الاتجاه الذميم ، فليست وظيفة المال الارتشاء أو التزلف أو التملق .. بل وظيفته أسمى من ذلك بها تقوم الحياة الكريمة ، تأمل قوله تعالى في صيغة الاستفهام الانكارى (أتمدونن بمال) ؟؟

٢ - جهلهم بقيمة المال وتقديمهم اياه على نوائب الحق والفضيلة وذلك في قوله عزوجل (فما ءاتاني الله) أى من الاسلام والخير (خير مما ءاتاكم) أى من العرض الزائل الذى تذهب لذته وتبقى تبعته ، فذاك باق ، وهذا ذاهب ، والاشتغال بالزائل عن الباقي جهالة وسفاهة .

٣ - وتنافسهم المذموم في الحصول عليه ، فاذا هو غاية اهتمامهم ونهاية مرامهم ، وذلك في قوله تعالى (بل انتم بهديتكم تفرحون) قال - صاحب الكشاف (أضرب عن الانكار الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا أن يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها) (١) ، وقال الطبرى : (تفرحون بالهدية التي تهدى اليكم لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها) (٢) واذا غابت عن الانسان حقيقة البعث وما فيه .. وغفل عن يوم الحسرة مالت به نفسه الى مطامعها وشهواتها والعياذ بالله ، وهذا حال الكافرين .

د - ومن الدروس أن المنكر ان لم يغيّر انقلب معروفا في نظر الكافرين ، وذلك باستمرائهم له وتدرجهم عليه وتقبلهم له .. ومن المنكرات فاحشة قوم لوط كما حكى الله ذلك عنهم وكيف أنها استمكنت من قلوبهم

---

(١) الكشاف ٣ / ١٤٨ وانظر النسفي ٣ / ٢١٢

(٢) تفسير الطبرى ١٩ / ٩٩

المريضة فكانوا يعمهون في سكرتهم ، ومن هذا يفهم (أن للنقص والرذائل دركات كما أن للكمال والفضائل درجات ، فأولى الرذائل أن يلم بالرذيلة وهو يشعر بقبحها ويلوم نفسه عليها ، ويليها أن يعود اليها المرة بعد المرة مستخفيا ، ويليها أن يصرّ عليها حتى يزول شعوره بقبحها ، ويليها أن يجهر بها وتكون قدوة سيئة ، وأحط دركاتها أن يفاخر بها أهلها ويحتقر من يتنزهون عنها ، وهذه دركة قوم لوط (١) وأحط من هذه جميعا أن يكون هذا الانحراف باعثا على الشفقة يستدر به صاحبه عطف الاخرين فيعطفون عليه .. كما هو واقع اليوم في مجتمعات الكافرين . (٢)

هـ - ومن الدروس التي تكشف أحوال بعض المدعوين أن منهم من هو سليم العقل صحيح الادراك لكنه لم يصادف الحق أو داعيه فلم يهتد فهذه الملكة بدا نبوغ عقلها وكمال مداركها وصدق فراستها من أمور عديدة كالشورى وبعث الهدية تستطلع رد الفعل وقولها عن العرش الماثل عند سليمان (كأنه هو . .) ومع ذلك ظلت كافرة ضالة الى أن هداها ربها قال تعالى (وصدها ماكانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم - كافرين) الاية : ٤٣ قال الطبرى (أى : ومنع هذه المرأة صاحبة سبأ ماكانت تعبد من دون الله وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله ولم يصدها عن عبادة الله جهلها وأنها لا تعقل ، انما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس.. وكان ذلك من دين قومها وآبائها فاتبعت فيه آثارهم) (٣) وفي هذا فوائد :

١ - أن ثمة عقول على جانب كبير من الادراك في ضلال وغفلة .

٢ - أن العقول السليمة التي لا يحجزها تقليد تتسق مع الحق فتقبله .

٣ - وأن في التقليد تعطيل للعقل وازراء به .

---

(١) دعوة الرسل - ص ٦٦

(٢) تفسير الطبرى ١٩ / ١٠٥

(٣) انظر شاله ص ٢٦٨ من هذا البحث .

٣ - ومن الدروس التي لها صلة بالمرأة .. ذلك المخلوق الكريم هو أن للمرأة دورا هامافي توجيه المجتمع الى الفضيلة أو الرذيلة ، فلقد ساق الكتاب المعجز نبأ كل من :

* ملكة سبأ التي أسلمت مع سليمان لله رب العالمين ،فكان لها عند بارئها من الزلفى ما تقر به الأعين ، ونحن نميل الى أنها كانت سببا في اسلام قومها باعتبار سلطانهاعليهم وان لم يصرح السياق الجليل بذلك .

* كما ورد ذكر عجوز السوء امرأة لوط وكيف كانت ردءاً لقومها على رذائلهم وهي امرأة نبي مكرم .. فكانت معهم في الهلكة والبوار .

ولئن كان للمرأة هذا الدور الكبير المنوط بهافي توجيه المجتمع وهي نصف المجتمع وينبوعه ومثابته ومثواه ،انه لحرى أن تربى في مهدها على مكارم الأخلاق وحميد الخصال ، حتى تخرج الأجيال على يديهامكتملة البنيان عقليا وعاطفيا وخلقيا .. ولاؤها للهولرسوله وللمؤمنين . (١)

٤ - ومن الدروس المستقاة : وجوب تغيير بيئة المدعو ان تعين ذلك فليس من اليسير دعوة من تتقاذفه تيارات معادية شتى ولا تصله دعوة الاسلام الا لماما ، لقد قال الله تبارك وتعالى مبينا سبب تأخر اسلام ملكة سبأ (وصدها ماكانت تعبد من دون الله انها كانت من قومكافرين) فللمقام بين ظهراني قوم كافرين اثر في النفس ولا ريب ، ولهذا أوجب العلماء الهجرة على المستضعفين من المسلمين الى القوةوالمنعة ان توافرت أسباب الهجرة ،لأن تحقيق عزة المؤمن وكرامته مطلب أساسي من النظام الاجتماعي في الاسلام ،وهو - كذلك - أمر قد يتوقف عليه نجاح

---

(١) ونرى أنه لا بد أن يقوم الدعاة والعلماء بنصح المسؤولين واستصدار ما من شأنه تدارك ما تبقى من أنوثة المرأة المسلمة والعمل على تنميتها تنمية اسلامية رشيدة ،ولا سيما وقد شهدت النساء المسلمات في ارجاء العالم الاسلامي الا من رحم ربك تهتكا وتبذلا مفزعا لا مثيل له في تاريخ الاسلام كله ، وذلك ابان خضوع بلاد الاسلام للاستعمارالاجنبي وذيوله وهو أمر لا يرضى عنه مسلم غيور، انظر فصولا من واقع المرأة المسلمة المعاصرة في بحث(عمل المرأة وموقف الاسلام منه لكاتب السطور ط ١٤٠٦ مصر

الدعوة ، وفي هذا يقول الله - جلت آلاؤه - في سورة النساء المدنية (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروافيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا) (١)

٥ - ما يصد الناس عن اعتناق الحق :

وهو درس جليل الفائدة يكشف ادواء المدعوين والأسباب الحقيقية لصدودهم عن الحق وعدائهم له .. ولقد حفلت السور المكية بنماذج كثيرة من شبهاتهم التي يثيرونها ويتمسكون بها ، ومن أجمع السور المكية التي تناولت هذا الموضوع سورة الطور (٢)

واني عارض هنا مجمل ما صد الناس عن الاسلام على ضوء ما ورد في سورة النمل : فمن الاسباب التي صدتهم عن الحق :

أ - منها ما ينبع من دخائل النفوس مما هو ناتج عن اتباع الاهواء وقد ذكرها الامام ابن القيم رحمه الله مبينا منهج القرآن في تجليتها من منطلق أن الحق واضح للجاحدين وأنهم عالمون به فقال : (العلم يكون بكون الشيء سببا لمصلحة العبد ولذاته وسروره قد يتخلف عنه عمله بمقتضاه لاسباب عديدة :

السبب الأول : ضعف معرفته بذلك .

السبب الثاني : عدم الأهلية وقد يكون معرفته به تامة لكن يكون مشروطا بزكاة المحل وقبوله للتزكية ، فاذا كان المحل غير زكي ولا قابل للتزكية كان كالارض الصلدة .

السبب الثالث : قيام مانع وهو اما حسد أو كبر كما حصل من ابليس

السبب الرابع : مانع الرياسة والملك وان لم يقم بصاحبه حسد كما حصل من فرعون .

---

(١) النساء : ٩٧ - ٩٩

(٢) الآيات من ٢٩ الى ٤٩

السبب الخامس : مانع الشهوة والمال .
السبب السادس : محبة الاهل والاقارب .
السبب السابع : محبة الدار والوطن .
السبب الثامن : من تخيل أن في الاسلام ومتابعة الرسول ازراء وطعن منه على آبائه واجداده وذما لهم كما حصل لابي طالب .
السبب التاسع : متابعة من يعاديه من الناس للرسول وسبقه الى الدخول في دينه كما حصل لليهود في المدينة .
السبب العاشر : مانع الالف والعادة والمنشأ . (١)

ب - ومنها ما له اثر خارجي قد يحول بين المرء وبين الحق كالخوف من طغيان المستكبرين وسوء عمل بعض المسلمين كما هو مذكور في قوله تعالى (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) (٢) (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) (٣)

وهذه الأسباب الصادة عن الحق تنضوى على الاجمال تحت قوله عز وجل في سورة النمل (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) الاية - ٢٤ ، (وصدها ماكانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين) الاية ٤٣ (وقال الذين كفروا اءذا كنا تراباً وآباؤنا اءنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين) الاية - ٦٧ - ٦٨

---

(١) مفتاح دار السعادة ٩٦/١
(٢) يونس : ٨٦
(٣) الممتحنة : ٥

الباب الثالث

(الدعوة تلفت الأنظار إلى آثار القدرة الإلهية في الكون)
ويشتمل على ثمانية فصول :

الفصل الأول : مظاهر الكون في القرآن الكريم .

الفصل الثاني : خلق السموات والأرض وما فيهما من آثار قدرة الله .

الفصل الثالث : خلق الأرض ومظاهر القدرة فيها .

الفصل الرابع : دفع الضر وجلب النفع والتمكين في الأرض .

الفصل الخامس : نعم الله على الإنسان في البر والبحر والرياح والسحاب .

الفصل السادس : بدء الخلق وإعادته وبث الأرزاق .

الفصل السابع : الاستدلال بمظاهر الكون على الإلهية .

الفصل الثامن : الاستدلال بهذه المظاهر على البعث والنشور .

الباب الثالث

الدعوة بلفت الأنظار الى آثار القدرة الالهية والنعم المحيطة

قال تعالى :

(قل الحمدُ لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى آللهُ خيرٌ أما يشركون . أمّن خلق السمواتِ والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائقَ ذات بهجة ماكان لكم أن تُنْبِتُوا شجرها أإلهٌ مع الله ، بل هم قومٌ يَعْدلون . أمن جعلَ الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرينِ حاجزا أإلهٌ مع الله بل أكثرُهم لا يعلمون . أمن يجيبُ المضطر اذا دعاه ويكشفُ السوءَ ويجعلكم خلفاءَ الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم في ظلماتِ البرِ والبحرومَنْ يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون ، أمن يبدؤا الخلقَ ثم يعيده ومن يرزقكم من السماءِ والأرض أإله مع اللهِ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . قل لايعلم من في السمواتِ والأرض الغيبَ الا اللهُ وما يشعرون أيان يبعثون . بل ادّارك علمهم في الآخرة بل هم في شكٍّ منها بل هم منها عمون . وقال الذين كفروا أإذا كنا تراباوءاباؤنا أإنا لمخرجون . لقد وُعِدْنا هذا نحن وءاباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبةُ المجرمين . ولاتحزن عليهم ولا تكن في ضيقٍ مما يمكرون . ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين . قل عسى أن يكون رَدِفَ لكم بعضُ الذى تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون . وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم وما يعلنون . وما من غائبة في السماءِ والأرض الا في كتاب مبين . ان هذا القرآنَ يقصُّ على بني اسراءيل أكثر الذى هم فيه يختلفون . وانه لهدى ورحمةٌ للمؤمنين . ان ربك يقضي بينهم بِحُكْمِه وهو العزيزُ العليمُ فتوكل على الله انك على الحق المبين . انك لا تسمع الموتى ولا تسمعُ الصمّ الدعاء اذا ولّوا مدبرين . وما أنت بهادى العمي عن ضلالتهم ان تسمعُ الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون . واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابةً

من الأرض تكلّمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون . ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون . حتى اذا جاءوا قال أكذّبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون . ووقع القولُ عليهم بما ظلموا فهم لا يَنْطِقون . ألم يروا أنّا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مُبْصِرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون . ويوم يُنْفَخُ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين . وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون . من جاء بالحسنةِ فله خيرٌ منها وهم من فزع يومئذ آمنون . ومن جاء بالسيئة فَكُبَّتْ وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون . انما أمرت أن اعبد رب هذه البلدة الذى حَرَّمَها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين . وأن أَتْلُوا القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضلّ فقل انما أنا من المنذرين . وقل الحمدُ لله سيريكم آياته فتعرفونها وماربك بغافل عما تعملون .) سورة النمل - الآيات : ٥٩ - ٩٣ (**)

توطئة :

يعيش الانسان على هذه البسيطة بين مظاهرالكون ونواميس الطبيعة وقوانينالحياة فهو جزء أصيل لا ينفصل عن هذا الكون .

والدعوة الى الله - عزوجل - بلفت الأنظار الى مظاهر الكون وأغوار النفس، والاستدلال بذلك على وحدانية المولى تبارك وتعالى باب عظيم من أبواب الدعوة ومنهج واسع من مناهجها اذ يخاطب العقول والعواطف والفطر .

ولقد كان رسل الله - عليهم السلام - يدعون أممهم الى بارئهم من حيث يألفون ويعرفون مما هو مشهود من جارى السنن ومعهود الحياة، وقد مر طرف من ذلك في مناهج دعوة كل من موسى وداود وسليمان وصالح ولوط عليهم الصلاة والسلام في الباب الثاني .

ولقد وعي سلف هذه الأمة الخالدة أهمية الدعوة بهذا المنهج وقدروا أثره فطفقوا يبحثون في أسرار هذه المخلوقات وينقبون عن حكم خلقها وأنماط حياتها وجمعوا في ذلك بين النظر والتطبيق على ضوء ما وجه به القرآن العظيموحث عليه ودعا اليه وبسط أمثلته ومقاصده .. وبرعوا في ذلك على نحو يعدم مثيلهفي

(**) أرجأنا بسط أساليب الدعوة في الآيات البينات الى آخر هذا الباب .

الأمم الأخرى ، ولا زال الغربيون الى اليوم يستمدون من مؤلفات المسلمين في شتى المجالات الانسانية والمدنية مما يقفهم على أن المسلمين بلغوا من الاحاطة بهذه العلوم شأوا لا يزال مجهولا مداه(١) قال الاستاذ محمد الغزالي :

(في حين كانت حضارة اليونان حضارة فلسفية ضعيفة الصلة بالواقع وكانت حضارة الرومان حضارة مادية تقوم على القوة العسكرية أو على النظم الشكلية ، كانت الحضارة العربية أول حضارة تقوم على العلوم والحريات، وهي التي أورثت الحضارة المعاصرة الكشوف العلمية والمنطق العلمي الذى استمرت به في كشف أسرار الطبيعة ولم تكد تظهر رسالة الاسلام حتى تفردت العلوم الانسانية بالوجود الانساني نحوا من ألف عام تهذبه وتهديه) (٢)

ومنهج النظر الى الكون واسع سعة الكون ، فهو كثير الأبواب متعدد المجالات وكتاب الله - عزوجل - يدعو الى النظر المطلق في هذا الكون مادام ذلك ممكنا ويفضي الى نتيجة سليمة، قال تعالى (**أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض، وما خلق الله من شيء**) (٣) قال ابو السعود (وقوله تعالى (من شيء) بيان لما خلق ، مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى : أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطبق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى) (٤) وقال سبحانه (**قل انظروا ماذا في السموات والأرض**) (٥) ولا ينحصر معنى النظر في التأمل وحسب ، بل هو واسع سعة المدارك البشرية ، اذ (النظر: تقليب البصر والبصيرة لادراك الشيء ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرؤية .. واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة وفي البصيرة أكثر عند الخاصة) (٦)

وانه لجدير بالدعاة الى أن ينفضوا الغبار عن التراث الاسلامي في هذا المضمار ويرجعوا العلوم التجريبية والمخبرية الى أصولها الاسلامية ، ويوجهوا طاقات الشبيبة المسلمة الوجهة المحمودة، ويحيوا

---

(١) انظر دائرة فريدوجدى ٥/٢٥٨ مادة (سلم) وحضارة العرب - غوستاف لوبون
(٢) غلام من الغرب ص ٥٣ ط | (٣) الاعراف : ١٨٥
(٤) ارشاد العقل السليم ٣/٢٩٩ | (٥) يونس : ١٠١
(٦) مفردات القرآن للراغب الاصفهاني ص ٧٥٨

موات الأمـة التي بلغت يوما في العلوم الطبيعـية وغيرها مبلغا لا قبل لأحـــد من غير المسلمين بـه .

واني في هذا الباب مستجل معطيات سورة النمل في الدعوة الى الله عزوجل بلفت الأنظار الى مظاهر الكون ، متتبعا في ذلك ترتيب الآيات الشريفـة التي تناولت هذا الموضوع عرضا واستدلالا ، ضمن الاطار العام للسور المكية التي تهدف الى بناء الفرد والمجتمع المسلم بترسيخ العقيدة ومقتضياتها ، ثم التثبيت على ذلك واجـراء الحياة كلها على نسق شريعة الاسلام ومنهاجـه .

الفصـل الأول

(مظاهـر الكون في القرآن الكريم)

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : (أهمية الدعوة بلفت النظر الى مظاهر الكون)

المبحث الثاني : (مجالات النظر في الكون وضوابطه)

المبحث الثالث : (المقاصد العامة لهذا المنهج في القرآن المجيد)

*** ***

المبحـث الأول

(اهتمام القرآن الكريم بمظاهر الكون)

لاجرم أن البحث في الكون ومظاهره يقوم على العلم الذى يحصل بالتفكر والتدبر والتبصر، وهذا كله من خصائص العقل الذى ميز به الانسان .

ودعوة الناس الى الله - عزوجل - بلفت أنظارهم الى بديع صنعه وعظيم خلقه يقوم على المنهج العلمي من مناهج الدعوة، وهو عند البعض المنهج العقلي والفكرى

ومن تتبع وتأمل آيات الذكر الحكيم التي تناولت مظاهر الكون يجد فيها العرض المسهب لدقائق المخلوقات وجلائلها بدء من الذرة والحبة وورقة النبات ومكونات الرياح والمياه الى الجبال الرواسي والأرض والكواكب والأفلاك والسموات العلا . . كل ذلك في اتساق عجيب وعرض معجز، وكتاب الله تبارك وتعالى حين عرض هـذا الجانب مما يدرك كنهه العقل البشرى يذيل السياق الجليل بما يشعر أن الأمر جلل والغاية مثلى ، فمظاهر الكون آيات لقوم يتفكرون ، ويسمعون ، ويعقلون ، ويعلمون ، ويبصرون ، ثم هم بعد ذلك ومعه : يهتدون ، ويؤمنون ، ويوقنون ، وأولئك هم أولوا الالباب .

تأمل قول البارى - تقدست أسماؤه - (ومن ءايته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن ءاياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين . ومن ءاياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن ءاياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء

فيحيي به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقومَ السماء والأرض بأمره ثم اذا دعاكم دعوةً من الأرض اذا أنتم تخرجون، وله من في السموات والأرض كل له قانتونَ) (١) تأمل كيف بدأ بالتفكر ثم ثنّى بالعلم واتبعه بالسماع وهو يفضي الى التعقل ونتيجة ذلك القنوت !! وتأمل معه قوله تبارك وتعالى (ان في خلق السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يَبُثُّ من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزقٍ فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياحِ آيات لقوم يعقلون . تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) (٢) وفي سورة النمل (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) الاية : ٨٦

ومن هذه الألوان البديعة اقتران أسماء الله الحسنى بمظاهر الكون كما في قوله عز من قائل (رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) (٣) وقوله (له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم) (٤) وقوله (خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى الا هو العزيز الغفار) (٥) ومن هذه الصور القرآنية اقتران الابتهال والدعاء المتضرع المنيب بين يدى الخالق ذى الجلال والاكرام وصفات الاتقياء ، اقترانه بمظاهر الكون كما في قوله تعالى (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) (٦) فانظر - رحمني الله واياك - كيف وصفهم بأنهم (يذكرون الله ... ويتفكرون في خلقه) ! وفي هذا ارشاد الى المنهج الهادف للنظر في المخلوقات ومن ثم استخراج الدلالة على وحدانية الحي القيوم وقدرته المطلقة جل وعلا على ما سيجيء بسطه - بفضل الله - من وجوه الاستدلال في الفصلين السابع والثامن .

---

(١) الروم : ٢١ - ٢٦
(٢) الجاثية : ٣ - ٦
(٣) ص : ٦٦
(٤) الشورى : ٤
(٥) الزمر : ٥
(٦) آل عمران : ١٩٠ - ١٩١

ومن أبرز ما يدل على اهتمام كتاب الله - عزوجل - بهذا المنهج في الدعوة فضلا عماتقدم :

١ - كثرة الآيات القرآنية الواردة فيه :

فلقد نالت الآيات الكونية حظا وافرا من صفحات الذكر الحكيم مما يدل على عمق المادة الدعوية والعلمية التي تحويها ، وسعة المنهج الذى تناولته ، قال في تفسيرالجواهر(في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمئة وخمسين آية ، أما علم الفقه فلا تزيد آياته الصريحة على مئة وخمسين) (١)بل ثمة سور سميت بأسماء كثير منمظاهر الكون لغلبة ما فيها من سردالآيات الكونيةوالتنويه بماتحويه من وجوه الدلالات على مقاصد القرآن العظيم، كسورة الرعدوالنحل والنمل والنجم والقمر والحديد والشمس والانفطار والانشقاق والبروج والطارق والليل والضحى .

٢ - الأمر بالنظر المطلق في صفحات الكون وأغوار النفس :

قال تعالى (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون) (٢)وقال سبحانه حاثا على النظر في كيفية بد ء الخلق (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير) (٣)وقال طالبا البحث في سر تنوع ا لثمرونضجه بعد أن بين مراحل نمو النبات(وهوالذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبامتراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاوغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤ منون) (٤)وقال آمرا بالنظر المطلق في كل شيء مبثوث في السموات والأرض (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) (٥) وقال (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنيالآيات والنذر عن قوم لا يؤ منون) (٦) والأمر بالنظر في هذه الآيات للوجوب كما ذكره غير واحد من أهل العلمقالوا (في الأصول : أن صيغة الأمر تقتضي الوجوب الا لدليل يصرفها عن الوجوب) (٧) بل أن تحقيق الاستخلاف في الأرض لا يتم في أجلى صوره الا بعد النظر في صفحات الكون نظر أولي الألباب ، فكل مافي الكونمسخرللانسان (هو الذى خلق لكم مافي الأرضجميعا) (٨)

---

(١) الجواهرفي تفسيرالقرآن ٣/١ (٢)الذاريات : ٢٠ - ٢١
(٣) العنكبوت : ٢٠ (٤) الانعام : ٩٩
(٥) الاعراف : ١٨٥ (٦) يونس : ١٠١
(٧) أضواء البيان ٢٠٢/٣ ط ٨٣هـ مصر (٨) البقرة : ٢٩

فانظر - رحمك الله - الى أعداء الاسلام كيف افتروا عليه حين زعموا أن الاسلام ينافي العلم ويجافي الحضارة وهوالسبب في تخلف المسلمين !! بل بدت البغضاء من أفواه غلال المستشرقين حين قالوا (ان العرب (يقصدالمسلمين)لا يقوون بطبيعتهم على ابتداع أى جديد في الحقل العلمي والقرآن وقف حجر عثرة في وجه العلم وحرية النظر العقلي !! والاسلام رفض للعلم والحضارة!) (١) (٢) فهل يعي شباب الاسلام حقيقة دينهم القويم ومرتكزات حضارتهم ؟ وهل يوجههم المستبصرون من علماء المسلمين ؟! ذلك ما ينبغي أن يكون . .

٣ - ومن دلائل اهتمام القرآن العظيم بمظاهر الكون كمنهج للدعوة اعتباره النظر في أرجاء المعمورة دليلا شاملا يكفي للاهتداء، وفي هذا يقول عزوجل : (ان في السموات والأرض لايت للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة لايت لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح ايت لقوم يعقلون . تلك ايت الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وايته يؤمنون) (٣) وأنت ترى هنا أبرز عناصر هذا المنهج القرآني وهي :

* كبرى مظاهر الكون المذكورة هنا ثمانية ، وهي المذكور في آية البقرة (٤) الانسان ، وسائرالدواب ، والأفلاك والاجرام من السموات والأرض وما يتبعها من الليل والنهار والمطر والرياح .
* أحوال الناظرين المنتفعين بهذه المظاهر، ودرجاتهم في الاهتداء بها بين الايمان واليقين والتعقل .
* الهدف من النظر وهو الايمان بالله عزوجل وبأسمائه وصفاته ومايقتضي ذلك
* كون المنهج كافيا للاهتداء ، فليس ثمة شيء هو أدل على وحدانية الله تعالى بعد آياته وآلائه .

وهذا العرض على هذا النحو زاخر في سورة النمل وهو ماسنبسطه ان شاء اللهتعالى في ثنايا فصول هذا الباب .

---

(١) انظرمناهج المستشرقين ٢/٢٧

(٢) ومايصيح به هؤلاء المستشرقون انما ينصب على الكنيسة النصرانية التي حاربت العلم ، أما الاسلام فأول آية نزلت فيه (اقرأ بسم ربك الذى خلق)العلق : ١ بدأ بالقراءة وعاء العلم ، ثم ثنى بالعلم(خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم)العلق : ١- ٥ فهل تستوى الظلمات والنور أم هل يستوى الأحياء والاموات !!؟

(٣) الجاثية : ٣ - ٦ (٤) الاية ١٦٤

٤ - ومن ذلك أن جعل الله التدبر في خلق الله والاهتداء بها من صفات المتقين الأبرار، قال تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) (١) كما جعل الاعراض عنها من أسباب الهلاك والبوار وصفات الكفار والأشرار، قال تعالى في سورة النمل عن الكفار (حتى اذا جاؤ وا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون . ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) الاية : ٨٤ - ٨٥ ففي قوله (ولم تحيطوا بها علما) اشارة الى أنهم لم ينظروا في آيات الله، ولم يعرضوها على عقولهم ، بل واجهوها بالبهت والتكذيب، ورموها بالسخرية والاستهزاء من قبل أن ينظروا فيها . (٢) ولقد نعى القرآن الكريم على الكافرين اعراضهم عن هذه الآيات قال تعالى (وكأيّن من ءاية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) (٣) وقال (وما تأتيهم من ءاية من ءايات ربهم الا كانوا عنها معرضين) (٤) وقال (ومايجحد بآياتنا الا كل ختار كفور) (٥)

٥ - ومن ذلك تشريف هذا المنهج اذ افتتح الله بيانه في سورة النمل بالحمد لله والصلاة على المرسلين فقال (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءآلله خير أما يشركون) الاية : ٥٩ ثم شرع يفصّل في خلق السموات والارض ومافيهما من خلق مبثوث ونعمة سابغة ، قال في البحر (بدأ بالحمدلة وكأنها صدر خطبة لما يلقى من البراهين الدالة على الوحدانية والعلم والقدرة) (٦) والبدء بالحمدلة والتسليم على الأخيار مع كونها من رب العرش العظيم فيها دليل بالغ على شرف علوم الكون وأنها من اعظم البراهين على الالوهية والربوبية ، وهي بعد ذلك أدب رفيع في الدعوة .

---

(١) ق : ٦ - ٨ (٢) التفسيرالقرآني ٢٩٤/٤
(٣) يوسف : ١٠٥ (٤) الانعام : ٤
(٥) لقمان : ٣٢
(٦) البحر المحيط ٨٨/٧ وانظر القرطبي ٢٢٠/١٣

٦ - ومن ذلك اتساق هذه الآيات الشارحة لمظاهر الكون والعارضة لدقائقه وتفاصيله وخباياه وأسراره على نحو معجز مبين .. مع ختم النبوات برسالة محمد بن عبدالله عليه صلوات الله ، اذ تضمن هذا الكتاب الخالد بين ثناياه صفحات من البيان المفصل لكل ما يتصل بالحياة وكل ما يمكن أن يجدّ من جديد في دنيا النا س ، وليس للناس حاجة الى بيان الهي لذلك بعد نزول القرآن العظيم الذى خلده رب العالمين ، وفيه - من جملة مافيه - الكونيات وهي ذات دلالات عظيمة وعبر بليغة على قضايا الايمان وأثر حميد في تأسيس اليقين وفي نمائه وبقائه .ولاسيما وأن هذا المنهج مبسّط ميسّر اذ هو يساير أحوال النفس وطبيعتها ويساوق جبلتها ومنطقها ، قال الامام ابن القيم رحمهالله (اعطي الانسان معرفة خالقه وبارئهومبدعه سبحانه والاقرار به سبحانه ويسّر عليه طرق هذه المعرفة ، فليس في العلوم ماهو أجل منها ولا أظهر عندالعقل والفطرة وليس في طرق العلوم التي تنال بها أكثر من طرقها ولا أدل ولا أبين ولا أوضح فكلما تراه بعينك أو تسمعه بأذنك أو تعقله بقلبك ، وكلمايخطر ببالك وكلمانالته حاسة من حواسك فهو دليل على الرب تبارك وتعالى ، فطرق العلم بالصانعفطرية ضرورية ليس في العلوم أجلى منها) (١)

ويحسن بين يدى ختام هذا المبحث أن نشير الى أنه يجدر بالدعاةالىالله أن ينهضوا بهذا المنهج العلمي السديد ذى الخيرالعميم، الاوهو لفت الأنظار الى بديع صنع الله وعظيم خلقه في الكون والنفس والحياة، ولاسيماوالعالميشهداليوم مدا ثقافيا متاحا لكل أحد .

وانه لمن المهمات الأساسية للدعوة الاسلامية اليوم أن تثرى المكتبة الاسلامية بأبحاث الكونيات ذات الطابع الاسلامي الايماني ، فلازالت كثير من المناهج الدراسية التي تلقى على أروقة جامعات المسلمين تحمل سمات الغرب في المحتوى وأسلوب العرض والهدف العام ! سواء في ذلك الموادالانسانية أو الطبيعية والكونيةوما يتفرع عنها .. مع أن الغربيين انما استمدوها من مدونات الرواد المسلمين الذين كان لانتاجهم العلمي الوفير اثر محمود في حضارة الغرب،

.. وتقصيرالمسلمين اليومفي هذا الجانب يعد من أولى أسباب ضعفهم واستكانتهم .

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٨٠

ولقد حفزنا كتاب الله عزوجل الى الدعوة من هذا الباب قبل غيره منذ العهد المكي ، اذ هو منهج يتسم بالامتداد الزمني الرحيب،قال تعالى(سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ، ألا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط)(١) وقال في سورة النمل(وقل الحمد لله سيريكم ءاياته فتعرفونها ، وما ربك بغافل عما تعملون) الاية : ٩٣

فالدعوة بهذا الطريق متجددة بتجدد الاكتشافات العلمية كما تتسع باتساع المجال الكوني الرحب .

---

(١) فصلت : ٥٣ - ٥٤

المبحـــث الثانـــي

(مجالات النظر وضوابطـه)

من خصائص الاسلام الكبرى أنه دين العلم والفكر، يدعو الى التدبر في آلاءالله ونعمه وخلقه ، فهو يؤسـس قضايا العقيدة على البرهان والاقناع واليقين ، ويخاطـب الجاحدين والمنكرين داعيا اياهم الى هذا المنطلق كما في سورة النمل (قل هاتـوا برهـانكم ان كنتم صادقـين) الاية : ٦٤ ويجعل العلم الشرعي والمدني من أسس المجتمع المسلم ومقوماته وأهدافه، ثم هو يحارب التقليد الأعمى والانسياق مـع الناس أو الأهواء بغير هدى من اللـه . .

ولماكان العقل البشرى عاجزا عن ادراك الكثير من المصالح الدنيوية والاخروية، قاصرا عن استكناه الغيب وقضاياه . . ضعيفا في فهم الكثير من أمور النفس وحقيقتها ولكي تخرج نتيجـة الفكر صحيحة سليمة، وحتى لا يجنح العقل الى الماديات ويقف عندها ويكتفي بها، من أجل ذلك كله وضع الدين القويم ضوابط وسن سننا تحدد الوجهة وتوجـه الفكرة وتضبط الهدف ، كما رسم الخطوط الكبرى لمجالات النظر فـي الكـو ن والآفاق والنفس .

ومن أبرز الضوابط الشرعية التي رسمها الاسلام للنظر والتفكر والتدبر في آلاء الله - فضلا عن التثبت والصدق والموضوعية - (١) ما نلخصه في أمرين رئيسـيين :

١ - <u>قصر النظر على المدركات -</u> وهو ذو شعبتين :

أولا ما يتعلق بالذات الالهـية :

والقاعدة الكبرى والهدف الاعظم للتفكر في المخلوقات هو الاستدلال بها على وجود الخالق تباركت أسماؤ ه ، وحدانيته تعالى واستحقاقه للعبادة دون سواه . .

ولم نؤ مـر بالتفكر في حقيقة الذات الالهية، فهوسبحانه وتعالى (**لاتدركه الابصاروهويدرك الابصاروهو اللطيف الخبير**) (٢) ولقد حذر رسول اللهصـلى الله عليهوسلم من مغبة الانزلاق الى هذه الهاويةالتي تردى فيها كثير من علماء الكلام وأرباب التصوف، قال صلى الله عليه وسلم(ياتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينتـه) (٣)

---

(١) انظر ص ٢٠٥ من هذه الرسالة (٢) الانعام : ١٠٣

(٣) متفق عليـه: رواه البخارى كتاب بدء الخلق ٣/١١٩٤ باب صفة ابليس ومسلمفي كتاب الايمان ١/١٢٠ باب الوسوسةفي الايمان . . وهو في الفتح ٦/٣٤١

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله(جاء في الاثر تفكروا في المخلوق ولاتفكروافي الخالق ، لأن التفكير والتقديريكون في الامثال المضروبة والمقاييس ، وذلك يكون في الامور المتشابهة وهي المخلوقات ، واماالخالق جل جلاله سبحانه وتعالى فليس له شبيه ولا نظير ، فالتفكر الذى مبناه على القياس ممتنع في حقه ، وانما هو معلوم بالفطرة، فيذكره العبد ، وبالذكر وبماأخبر به عن نفسه يحصل للعبد من العلم به أمور عظيمةلاتنال بمجرد التفكير والتقدير أعني من العلم به نفسه فانه الذى لا تفكير فيه)(١)

أما حين يكون البحث في آثارقدرة الله والتدبر في كيفية هذه الآثار فالتأمل هنا واجب ، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم(نحن أ حق من ابراهيم اذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤ من قالبلى ولكن ليطمئن قلبي)(٢) (٣)

والذين تفكروا في كل شيء من غير المسلمين لم يصلوا الى شيء يؤ سس عليه يقين أو ينهض به تصور، ذلك أنهم تخلوا عن هذه القاعدة فباؤ وا بالخسرانالمبين، اذنسبوا جلال الله وعظمته وكبرياءه الذى تبدى في خلقه الى الصدفة تارة والطبيعة تارة !

قال الاستاذ محمد الغزالي(ان العلم بعد ارتقائه المعاصر يهدى الى الله بالاسلوب القرآني لا بالفكر السطحي ولا بالتعمق التائه ، وقد تدبرت كتابات علماء الكون والحياة فوجدتهم استدلوا بالملكوت على صاحبه، وعنت وجوههم امام عظمته، ثم استيقنوا بعد ذلك من عجزهم عن اكتناه ذاته فتوقفوا مبهورين !)(٤)

أفلست ترى بعد هذا أن ما رسمه القرآن المجيد من منهج للتفكر هو أمثل المناهج وأعدل السبل وأهدى الطرق ، اذ يصلك الى ما يرضي العقل ويريح الضمير ويستجلب الايمان العميق ؟!

ثانيا - مايتعلق بالغيب :

الله عزوجل استأثر نفسه بعلم الغيب ، فهو سبحانه كما قال عن نفسه (عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحداالا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا)(٥)وقال: (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو)(٦) وقال عز من قائل (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٣٩ - ٤٠ (٢)البقرة : ٢٦٠

(٣) متفق عليه : رواه البخارى في بدء الخلق ٣/١١٩٤ باب صفة ابليس عن ابي هريرة رضي الله عنه ومسلم في كتاب الايمان ١/١٢٠ باب الوسوسة في الايمان وهو في الفتح ٦/٣٤١

(٤) سرتأخرالعرب والمسلمين ص ٦١ (٥) الجن : ٢٦ - ٢٨

(٦) الانعام : ٥٩

أرض تموت ان اللهعليم خبير)(١) وقال في سورة النمل بعد أن عدد مظاهرالكون وطبائع النفس والنعم المحيطة (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله) الايــة : ٦٥

وانطلاقا من هذه القاعدة الاسلامية المتينة نقول بعون الله :

* ان الانسان يكتنفه الغيب من كل صوب وحدب في هذه الحياة، وهوقبل هذا ذوعقل محدود الطاقة ، يجهل الكثير من عالم الشهادة .

* ودائرة الغيبتتسع لتشمل مع أركان الايمان الستة كل مايحيط بالانسان ماليس في وسعه ادراكه او استكناه حقيقته (فهذا الكون من حوله، انه ما زال يضرب في الفروض والنظريات حول مصدره ونشأته وطبيعته وحول حركته وحول (الزمان) ماهو، وحول (المكان) وارتباطه بالزمان ، وارتباط مايجرى في الكون بالزمان والمكان ، والحياة ومصدرها ونشأتها وطبيعتها وخط سيرها ، والمؤثرات فيها ، وارتباطها بهذا الوجود (المادى)ان كان هناك في الكون مادقعلى الاطلاق ذات طبيعة غير طبيعة(الفكر) وغير طبيعة الطاقة على العموم! والانسان ماهو ؟ ما الذى يميزه عن المادة ؟ وما الذى يميزه عن بقية الاحياء؟ وكيف جاء الى هذهالأرض وكيف يتصرف ؟ وما العقل الذى يتميز به ويتصرف؟ ومامصيره بعد الموتوالانحلال؟ بل هذا الكيان الانســاني ذاتهما الذىيجرى في داخله من تحليل وتركيب في كل لحظة؟ وكيف يجرى؟ انها كلهاميادين للغيب يقف العلم على حافتهاولا يكاد يقتحمها حتى على سبيل الظن والترجيح ، وان هيالا فروض واحتمالات)(٢)

* وعلى هذا فلئن كان مفهوم الكون في اللغة يعطي معنى (الحدث)(٣)فيقال : الله مكون الأشياء اى يخرجها من العدم الى الوجود (٤) والكون هو الوجود العام المطلــق (٥) والموجودات في العرف العام(تشمل الانسان والجان والملائكة، وسائر المخلوقات والمكونات الاخرى من سموات وأرض وبحار بما يتضمنه كل ذلك من أسباب ومسببات وحركات كونية مختلفة)(٦)

أقول لئن كان مفهوم الكون بهذا الشمول وبتلك السعة فان دائرة النظرالى الكونفي الاسلام لا تشمل جوانب الغيبيات من هذه الموجودات . .لاستحالة ادراكهاوعجزالانسان

---

(١) لقمان : ٢٤
(٢) في ظلال القرآن ١١١٦/٢
(٣) القاموس المحيط ٢٦٤/٤ (كون)
(٤) لسانالعرب ٣٦٤/١٣
(٥) المعجم الوسيط ٨١٢/٢
(٦)كبرى اليقينيات الكونيــة = = محمد البوطي ص ٢٤٣

عن استكشاف حقيقتها ، ولقد أجال سلف الأمة الصالح أفكارهم في أرجاء الكون متتبعين الحكمة ومستدلين على الخالق المقتدرجلت آلاؤه . . وجعلوا ذلك كل همهم وجل مقصدهم، وعرف هذا النوع من الفكرعندهم بعلم الطبيعيات الذى يقول عنهابن خلدون (هو علم يبحث عن الجسم من جهة مايلحقه من الحركة والسكون ، فينظر في الاجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعدن ، ومايتكون في الأرض من العيون والزلازل ، وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك، وفي مبدأ الحركة للاجسام وهو على تنوعها في الانسان والحيوانوالنبات) (١)

٢ - ربط النظر في الكون بالايمان والاخلاق :

لكلمة (العلم) اليوم مفهوم خاص ولد في أوربا ابان تسلطها على عقول أكثرالشباب المسلم بعد استعمارها لديارهم، وأخذ هذا المفهومالمنحرف مدا ثقافيا ذا شرمستطير في عالمنا الاسلامي (فكلمة العلم اليوم تعني في اوربا : مجموعالمعارف الانسانيةالمؤيدة بالدلائل الحسية وجملة النواميس التي اكتشفت لتعلل حوادث الطبيعة تعليلا مؤسسا على تلك النواميس الثابتة . . فأصبح لا يطلق الا على المعارف التي تقع تحت أحكا م المشاعر وتخضع لامتحانها ، فاذاقال قائل : العلم قرر كذا خرج منه علم الدين لأن مدار الدين على المسائل الاعتقادية، وهي معتمدة على التسليم بمقررات لاتخضع للامتحان والتجربة ومن هذا نشأت مسألة المناقضة بين العلم والدين) (٢) هذا شأن الذين ليس للايمان بالله واليوم الآخر مكان في نفوسهم .

* أما الشأن في الاسلام فهو مغاير لهذا كل المغايرة ، فلئن كانت الأمور الاعتقادية لاتخضع للتجربة والبحث عن حقيقتها ، الا أنه يجعل الاستدلال من خلال الموجودات بشتى الوجوه ليس مما يحجر على المسلمينأو غيرهم، بل هومن أكبرأهداف وجود هذا الكون ، ولقد سلكابراهيم عليه السلام هذا المنهج حين استدل على البارى تبارك وتعالى من خلال تغير أحوال الشمس والقمر والكواكب ظهورا وأفولا (٣) وطلب الدليل المادى على البعث والنشور فوجده (٤) ولئن كان هذا مما لايقع لغير الانبياء عليهم السلام الا أن مظاهر الكون تحمل في طياتها

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٢ الفصل الثامن عشر في الطبيعيات .
(٢) دائرة معارف القرن العشرين - ٥٨٤/٦
(٣) اقرأ الايات ٧٤ - ٨١ من سورة الانعام
(٤) اقرأ الاية ٢٦٠ من سورة البقرة

الكثير مما هو نظير ذلك في الدلالة ، كتجدد الحياة والموت في الزروع، وتعاقب الحياة والموت في الأحياء ، وتوالي الليل والنهار ... الخ مما سنبسطه ان شاء الله في ثنايا فصول الباب ، وهذا كله يصلح أن يكون من الأدلة المادية الحسية على وحدانية الله وقدرته وعلمه وعلى البعث والنشور ..

* وهذا المنهج الاسلامي الأمثل في الأبحاث الكونية يورث في الانسان استقرار الفكر وطمأنينة النفس وراحة البال ، ذلك أنه يكون أبدا موصولا بحبل الايمان مستمسكا بالهدى والنور، قال المستشرق النمساوى ارنست بانيرت في هذا (ان التأثير الديني في الغرب يتعرض لهزات عنيفة كلما حقق العلم انتصاراته ، أما الانسان المسلم فانه يظل على ايمانه المؤكد برغم اطلاعه الدائب والمثابر على العلوم الحديثة) (١)

ولما نبذ المنكرون للاسلام والجاحدون له هذا المنهج ضل بهم السبيل وعصفت بهم الأهواء فما لان لهم قلب ولا استنار بهم طريق .. بل أضحت العلوم مصدر خطر وبوار اذ لم يقيدوه بايمان ولا خلق ، فهم اليوم (يكابدون قلقا نفسيا وحيرة فكرية واضطرابا سلوكيا ومرد ذلك الى هذا القدر الضئيل الذى انكشف للعقل من أسرار هذا الوجود ، دون أن يرتبط ذلك بالايمان بالله ، واضافة هذا الى علمه وقدرته وابداعه في خلقه) (٢)

٣ - تقديم معطيات القرآن المجيد لصدقها المطلق :

فكتاب الله عز وجل كتاب هداية أنزله رب العالمين ليخرج الناس من الظلمات الى النور، ولئن كان هذا الكتاب الخالد قد تضمن دقائق العلوم وجلائلها تفصيلا أو تلميحا بمقتضى قوله تعالى (**ما فرطنا في الكتاب من شيء**) (٣) وقوله (**ونزلنا اليك الكتاب تبيانا لكل شيء**) (٤) انه لمن كمال الايمان به وبما احتواه الا يتسارع المرء كلما وقع على فكرة أوعادف نظرية الى تطبيق معطياتها على كتاب الله ليقرر أن للقرآن المجيد السبق والفضل ... دون تروٍ وتبصر وتحقق، فلا يقاس كتاب الله على غيره بل العكس صحيح ، فالأصل هو ماجاء به هذا الكتاب المعجز وكثيرا ما تنهار النظريات بعد ان لاح ثبوتها وتخيل الناس رسوخ أركانها .

---

(١) الانسان بين العلم والدين - شوقي خليل ص ٢٣٢ ط ١٣٩٧هـ دمشق
نقلا عن مجلة الفكر المعاصر عدد اكتوبر ١٩٧٠ ص ١٠٦

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٤/٢٣٥ بتصرف

(٣) الانعام : ٣٨ (٤) النحل : ٨٩

قال صاحب أضواء البيان موضحا هذا الضابط الهام(اعلم وفقني الله واياك أن التلاعب بكتاب الله جل وعلا وتفسيره بغير معناه لمحاولة توفيقه مع آراءكفرة الافرنج ليس فيه شيء البتة من مصلحة الدنيا والآخرة ، وانما فيه فساد الدارين ونحن اذ نمنع التلاعب بكتاب الله وتفسيره بغير معناه نحض جميع المسلمين على بذل الوسع في تعليم ما ينفعهم من هذه العلوم الدينية مع تمسكهم بدينهم(١)

فالقرآن العظيم مقصوده الأسمى هداية البشر ودلالتهم الى ما فيه خير الدارين وهو مع ذلك معجز في كل نواحي الاعجاز ومنها الاعجاز العلمي لصدقه المطلق اذ هو كلام رب العالمين (ومن أصدق من الله حديثا)(٢)

وتأسيسا على ما تقدم سنلتزم - قدر الوسع - بالمنهج الوصفي في عرض مظاهر الكون الواردة في سورة النمل المكية ، جاعلين نصب أعيننا الأخذ بما قرره كتاب الله المجيد دون أن نحمل أنفسنا عب ء تطبيق النظريات العلمية على معطيات الآيات القرآنية ، ولا التوفيق بين القديم والحديث من الآراء وان كنا سنشير الى بعض ذلك مما يلوح صدقه .. وغالبا ما نكتفي بالتلميح ، وقد نحيل الى مظان ما نغفله ، ولا نبتغي وراء ذلك تقرير ابتكار حديث ولا ترجيح فرض سائد ، اذ همنا ايقاف القارئ على روعة الخلق ودقته وعلى عظمة خالقه المبدع وجلال سلطانه وهيمنته واقتداره ورحمته على الوجه المبسط المتسق مع الفطرة والمفضي الى توحيد الخالق وطرح الانداد والشركاء ، وهذا هو الاطار العام لمظاهر الكون في السور المكية عامة ، وبالله التوفيق .

---

(١) أضواء البيان ١١٨/٣

(٢) النساء : ٨٧

المبحث الثالث

(المقاصد العامة لمظاهر الكون في القرآن الكريم)

من تمعن في معطيات الآيات القرآنية المباركة التي تناولت مظاهر الكون، وعرضت وجوه الاستدلال فيها .. يقف مبهورا من سعة الهدف الذى ترمي اليه وجلال الغاية التي تنشدها، وليست غايتنا ولا في مكنتنا في هذا المبحث استقصاء كل المقاصد التي اشارت اليها آيات الكتاب العزيز، اذ ذاك واسع سعة القرآن العظيم ولسنا - كذلك - نريد أن نتعرض للمقاصد الخاصة التي تدعو الى الاستدلال من خلال مظاهر الكون والحياة على أصول الدين من الألوهية والربوبية ومقتضياتهما والبعث والنشور، وتثبيت مفاهيم الايمان عامة، وهو المقصد الأسمى والهدف الاكبر الذى من أجله خلق الكون وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب - اذ لذلك حديث مفصّل في الفصلين السابع والثامن من هذا الباب .

وحسبنا هنا ما فتح الله به علينا من المقاصد العامة المعروضة في صفحات القرآن المجيد الداعية الى النظر في صفحات الكون الرحيب ، تلك المقاصد التي لها أثر محمود في اقامة الحياة المثلى على أمثل منهج وأقوم سبيل ، اقول وبالله التوفيق :

أولا - المقاصد المتعلقة باستخلاف الانسان في الأرض وسبل تحقيق ذلك :

وهي مقاصد تضرب في تنوعها وكثرتها كل وجهة بثت فيها حياة :

* فمن ذلك ترغيب الانسان في البحث عن الرزق وطلب الخير حيث كان كما في قوله تعالى (هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعا) (١) وقوله(الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار،وءاتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) (٢) وقوله(ربكم الذى يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما) (٣) وقوله عز من قائل (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) (٤) وفي سورة النمل (أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) الاية : ٦٤

---

(١) البقرة : ٢٩
(٢) ابراهيم : ٣٢ - ٣٤
(٣) الاسراء : ٦٦
(٤) الملك : ١٥

* ومن ذلك اقتران الأرض بمعاني الخير و التسخير للانسان بكل مافيهامن خيرات كما في قوله تعالى (ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين) (١) وقوله (والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف والريحان فبأى آلاء ربكما تكذبان) (٢) وفي سورة النمل (أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ، أاله مع الله، بل أكثرهم لا يعلمون) الايـة : ٦١

* ومن ذلك بيان كبرى نواميس الكون وتقرير سنن الحياة كالزوجية لكل شيء ، وتناسق المخلوقات وتقديرها بموازين لا تزل ولا تطغي ،قال تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكّرون) (٣) وقال سبحانه(وخلق كل شيء فقدره تقديرا) (٤) وقال (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (٥) وقال (وكل شيء عنده بمقدار) (٦) ، وفي سورة النمل (.. صنع الله الذى أتقن كل شيء) الاية : ٨٨

* ومن أهم ذلك كله تصوير حال الدنيا وبيان حقيقة أمرها وأنها دار بـلاء وابتلاء لا استقرار فيها ولا قرار ، قال تعالى (انما مثل الحيوٰة الدنياكماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليهاأ تٰها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) (٧) وقال عز من قائل (واضرب مثلا الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا ..) (٨) ويلتقي هذا مع الهدف الاكبر لمظاهر الكون كما سنوضحه في النوع السادس من المقاصد بعد حين .

ثانيا ـ المقاصد المتعلقة بأنواع المدعوين بهذا المنهج :

من دلائل شمولية هذا المنهج وعموميته أنه يخاطب كل عاقل مدرك، مسلما كان أو كافرا ، ناسيا أو غافلا ، ساهيا أو جاحدا ، وعلى الداعية اللبيب أن يتخير مـن هذه الآيات الشريفة وهي كثيرة مبثوثة في السور المكية والمدنية ، ماينا سب حال المدعو ويلائم طبعه ووجهتـه :

---

(١) البقرة : ٣٦
(٢) الرحمن : ١٠ - ١٣
(٣) الذاريات : ٤٩
(٤) الفرقان : ٢
(٥) طـه : ٥٠
(٦) الرعد : ٨
(٧) يونس : ٢٤
(٨) الكهف : ٤٥

أ - ففي مخاطبة الجاحدين يقول تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون، وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) (١) ومن هذا النوع آيات سورة النمل حيث ختم كلا منها بقوله (أإله مع الله) وكرر ذلك خمس مرات ، وبدأها جميعا بقوله (آلله خير أما يشركون) ثم شرع يفصل في الآيات والبراهين . .

وفي ذلك دعوة الى اعمال العقل وبناء أسس العقيدة على اليقين وطرح التقليد واتباع الاهواء ، وهذا من أمثل المناهج في دعوة المشركين والملحدين والمتشككين.

ب - وفي مخاطبة المؤمنين ، يدعوهم الى اقامة سياج متين للعقيدة حتى تبقى راسخة قوية أمام الهوى والشيطان بحكم الابتلاء في هذه الدار، قال تعالى: (ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون) (٢) وقال (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) (٣) وقال في سورة النمل (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) الاية : ٨٦

ثالثا - الترغيب والترهيب :

أ - فمن صور الترغيب في صنوف العمل الصالح والحث عليه ما ورد في الحض على الانفاق كقوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) (٤) وتحبيذ الكلمة الطيبة كقوله تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) (٥) والترغيب في صالح العمل على الاطلاق كما في قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) (٦)

---

(١) الانبياء : ٣٠ - ٣٢
(٢) يونس : ٦
(٣) آل عمران : ١٩٠
(٤) البقرة : ٢٦١
(٥) ابراهيم : ٢٤ - ٢٥
(٦) البقرة ٢٥

ب - ومن الترهيب عن الرذائل ما ورد عن متعاطي الربا في قوله تعالى (الذين يأكلون الربوٰ لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس)(١)وقوله عن الكلمة الخبيثة (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار) (٢)

رابعا - بيان حال الابرار والاخيار :

ومن ذلك :

أ - وصف حالهم اما تقريرا و اعترافا للمنعم جل وعلا بالفضل والحمد كما ورد في قوله تعالى (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب)(٣) أو قياما بالشكر من حيث عمل الجوارح كما في قوله تعالى (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما)(٤)وقوله سبحانه (أمن هو قٰنت ءانآء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه)(٥)

ب - أو توجيها لهم الى التي هي أقوم كما في قوله(ان ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا ، ان لك في النهار سبحا طويلا)(٦) وقوله(واذكراسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) (٧)

جـ - أو توجيه الناس عامة الى الخير والتقوى كقوله تعالى(.. فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون)(٨) وقوله تباركت أسماؤ ه(وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكورا) (٩)

خامسا - تصوير حال المكذبين والمعاندين :

فمن صور توهين أعمال المنافقين قوله تعالى(مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون)(١٠) ومن صور أهل الزيغ

---

(١) البقرة : ٢٧٥
(٢) ابراهيم : ٢٦
(٣) آل عمران : ٢٧
(٤) الفرقان : ٦٤
(٥) الزمر : ٩
(٦) المزمل : ٦
(٧) الانسان : ٢٥ - ٢٦
(٨) الروم : ١٨
(٩) الفرقان : ٦٢
(١٠) البقرة : ١٧

والضلال عامة قوله سبحانه(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ، ذلك هو الضلال البعيد)(١)وقوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ، أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)(٢)

والايات البينات في هذا كثيرة الصور متعددة الأهداف والمرامي ان جمعت مع نظائرها من مشاهد القيامة كانت منهاجا ربانيا يحمل في طياته الكثير من وسائل وأساليب الدعوة .

سادسا - تقرير الحقيقة الكبرى وبيان الهدف الاكبر لهذا الكون :

وهو أن هذا الكون لم يخلق عبثا ولن يترك سدى ، وانك لتجد هذا واضحا جليافي السياق الجليل بصيغ مختلفة وتراكيب متنوعة كقولهعزوجل(وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق)(٣)وقوله (وما خلقنا السموات والأرض ومابينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل)(٤) وقوله تقدست أسماؤه(وما خلقنا السماء والأرض ومابينهما لاعبين)(٥) وقوله عزمن قائل(ماخلق الله السموات والأرض الا بالحق وأجل مسمى)(٦) وقوله سبحانه(وماخلقنا السموات والأرض ومابينهماباطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)(٧) والآيات في هذا كثيرة تقرر أن للخلق بداية وله كذلك نهاية وأن ما بينهما لم يكن عبثا بل لحكمة وغاية ، وكل أولئك يساوق المقاصد العامة لمظاهر الكون ويفضي الى حقيقة كبرى وهي عبادة الله عزوجل وتوحيده فيها واخلاص الوجه له ، فهو السبيل الوحيدالى الأمن يوم الفزع الأكبر .

وتتلخص المفهومات الأساسية للطبيعة في القرآن العظيم في الآتي :

١ - ليست الطبيعة بجميع عناصرها سماوية وأرضية الا خاضعة لله جل جلاله، فلا يشاركه سبحانه وتعالى في خضوعها له مشارك فهو المتصرف فيهاوحده .

---

(١) ابراهيم : ١٨
(٢) النور : ٣٩ - ٤٠
(٣) الانعام : ٧٣
(٤) الحجر : ٨٥
(٥) الانبياء : ١٦
(٦) الروم : ٨
(٧) ص : ٢٧

٢ - ليست عناصر الطبيعة آلهة في القرآن كما يعتقده كثير من المشركين بل هي دليل وبرهان لمعرفة الاله الأحد سبحانه فهي لذلك (آيات) على الربوبية والألوهية.

٣ - ليست أزلية قديمةبل محدثة مخلوقةوخالقها هو الله تبارك وتعالى .

٤ - ليست أبدية خالدة بل فانية زائلة جريا على سنن الله في الكون .

٥ - ليس بين مظاهر الطبيعة وعناصر الطبيعة صراع أو تضاد ، بل بينها وشيجة البركة والمنفعة والخير والتآزر والانسجام.

٦ - كل مافي الكون مسخر للانسان ومذلل له ويخدم وجوده المادى والمعنوى(١)

٧ - وفيها دلالات بينات على ماهو كائن بعد هذه الحياة الدنيا .

---

(١) الطبيعة في القرآن ص ٤٨ - ٧٣ ملخصا د. كاصد الزيدى ط ١٩٨٠ العراق .

الفصل الثاني

خلق السموات والأرض ومافيهما من آثار قدرة الله ونعمه المحيطة بالانسان

قال تعالى :

(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أإله مع الله ، بل هم قوم يعدلون)

سورة النمل : ٥٩ - ٦٠

* النظر في خلق السموات والأرض .
* انزال الغيث وما فيه من المنافع .
* النبات وعجائبه .

١ - النظر في خلق السموات والأرض :

للسموات والأرض في كتاب الله المجيد ذكر يتسم بأهمية خاصة، فمن تأمل مظاهر الكون المعروضة في القرآن العظيم يجد الله تعالى يبدؤ ها بذكر السموات والأرض وهو كثير مطرد في أغلب الآيات الشريفة، وكثيرا ما يقترن ذكر السموات والأرض معاكما في سورة النمل ، وقد ينفرد كل منهما ببيان .

وحديث كتاب الله عن السموات والأرض متشعب الأهداف متعدد الأساليب ، قال الامام ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر طرفا من عجائب نطفة الانسان وغرائب الخلق (لانسبة لجميع مافي الأرض الى عجائب السموات . . فالأرض والبحار والهواء وكل ما تحت السموات بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر ، ولهذا قل أن تجيء سورة في القرآن الا وفيها ذكرها : ١ - اما اخبارا عن عظمتها وسعتها . ٢ - واما اقساما بها . ٣ - واما دعاء الى النظر فيها . ٤- واما ارشاد العباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها . ٥- واما استدلالا منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة . ٦ - واما استدلالا منه بربوبيته لها على وحدانيته وأنه الله الذى لا اله الا هو . . ٧ - واما استدلالا منه بحسنها واستوائها والتئام أجزائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته . . (١)

---

(١) مفتاح دار السعادة ١٩٦/١ - ١٩٧

ومن مجالات النظر في السموات والأرض مما عرضه السياق القرآني الجليل :

١ - بيان عظيم خلقهما وضخامة تكوينهما :

السماء في اللغة : اسم لكل ما ارتفع وعلا (١) فسماء كل شيء اعلاه، قال الامام الطبرى (وانما سميت السماء سماء لعلوها على الأرض وعلى سكانها .. وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء ، لذلك قيل لسقف البيت سماؤه لأنه فوقه مرتفع عليه(٢) وفي التفسيرالقرآني (تجمع السموات وتفرد الأرض في كل مقام يراد فيه عرض جلال الله وعظمته وقدرته وسعة ملكه ، ليكون في ذلكالعرض ما يدعو الى التأمل والنظر وتوجيه البصائر والأبصار الى ما وراء هذا الأفق المحدود .. أما حين تذكر السماء مفردة فتارة يكون في مقابلها الأرض وتارة تذكر وحدها غير مقترنة بالأرض ، وهي في كلا الحالين لا يراد بها جرمها وبناؤ ها التكويني وانما يراد بها أنها جهة علو بالنسبة للارض وما على الأرض)(٣)

وأرى أن يفهم لفظ السماء على عمومه بكل اجرامه ومداراته وأفلاكه، قال في تفسير المنتخب (السماء كل ماعلانا تبدأ ١- بغلاف جوى ٢ - فالفضاء ٣- فأجرام السماء)(٤) وعلى هذا تتسع دائرة السماءاتساعا مديدا لا يعلم مداها الا خالقها جلت آلاؤ ه .

ويقسم الفلكيون الأجرام السماوية ويرتبونها حسب ضخامتها الى : ١ - المجرات ٢- النجوم ٢ - الكواكب (ومنها كوكب الأرض) ٤ - المذنبات ٥ - الشهب والنيازك(٥) ولا نظن أن هذا هو كل مافي الكون بل هو ماعرفه الانسان من الكون ، قال تعالى (ويخلق مالا تعلمون) (٦) وقال (فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون)(٧) ومن الآيات القرآنية الشريفة التي نوهت بعظمة خلق السموات قوله تعالى (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين)(٨) وقوله عزمن قائل (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) (٩) وقوله (وبنينا فوقكم سبعا شدادا)(١٠) وقوله تعالى (ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها)(١١)

---

(١) لسان العرب ١٤/٣٩٧(سما) (٢) تفسيرالطبرى ١/١٢٦ موضعالبقرة: ٢٢
(٣) التفسيرالقرآني ٢/١١٩موضعالانعام: ١ (٤) المنتخب ص ٤٩٨ موضع الحج : ٦٥
(٥) المدخل الى علم الجغرافيا ص ٣٩ - ٤٤ د. طه عثمان ط ١٤٠٥هـ الرياض
(٦)النحل : ٨ (٧) الحاقة : ٣٨ - ٣٩
(٨) المؤ منون : ١٧ (٩) الذاريات : ٤٧
(١٠) النبأ : ١٢ (١١) النازعات : ٢٧ - ٢٩

ومما يدل على عظم خلقها وجلال خالقها تباركوتعالى كونها مرفوعة بلاعمد بأمر ربها ، قال تعالى (**الله الذى رفع السموات بغيرعمد ترونها**) (١) وقال (**ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه**) (٢) وقال سبحانه (**خلق السموات بغير عمد ترونها**) (٣) ، وقال (**والسقف المرفوع**) (٤) وقال (**والسماء رفعها ووضع الميزان**) (٥)

أما الأرض ، فهي الأقرب معرفة وإحساسا بحكم عيشنا عليها بعد أن خلقنا البارئ منها ويعيدنا فيها ويخرجنا منها تارة أخرى ، ولقد اهتم القرآن العظيم ببيان أحوالها اهتماما كبيرا يؤ ذن بذلك ورودها (٤٥٢) مرة (٦)

* ومن دلائل عظمتها في الخلق والتكوين أنها كانت مع السموات رتقا ففتقهما الله تعالى كما قال (**أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يعقلون**) (٧) وعظمة الخلق وروعة الفتق جلية واضحة على التفسيرات الثلاثةلهذه الايةوهي : (اما أنه تعالى فصل بينهما بالهواء أو جعلهما سبع سموات وسبع أرضين بعد أن كانتا طبقةواحدة ، أو فتق السموات بالمطر والأرض بالنبات) (٨) قال في المفردات (الرتق : الضم والالتحام، والفتق الفصل بين المتصلين وهو ضد الرتق) (٩)

* ومن ذلك كون الأرض في هيئتها وتناسق أجزائها ودقة تركيبها وترابط عناصرها وتعاقب الليل والنهارعليها أمثل مكان لوجودواستمرار حياة الانسان والحيوان والزروع وحسبنا هنا الاشارة الى كرويتها وتلاؤ مها في ذلك مع بقية الأجرام مما هو معلوم يكاد يتفق عليه الاسلاف والأخلاف ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية عليه رحمة الله : (اعلم أن الأرضقد اتفقوا على أنها كرية الشكل ، وهي في الماءالمحيط بأكثرها اذ اليابس السدس وزيادةقليل ، والماء أيضا مقبب من كل جانب للأرض ، والماء الذى فوقها بينه وبين السماء كما بيننا وبينها مما يلي رؤ وسنا ، وليس تحت وجه الأرض الا وسطها ونهاية التحت المركز، فلا يكون لنا جهة بينة الا جهتان : العلو والسفل وانما تختلف الجهات باختلاف الانسان ، فعلو الأرض وجهها من كل جانب ، وأسفلها ما تحت وجهها ، ونهاية المركز هو الذى يسمى محط الأثقال ، فمن وجهالأرض والماء من كل وجهة الى المركز يكون هبوطا ، ومنها الى وجهها صعودا ، واذا كانت

---

(١) الرعد : ٢ (٢) الحج : ٦٥
(٣) لقمان : ١٠ (٤) الطور : ٥
(٥) الرحمن : ٧ (٦) انظرالمعجمالمفهرس لالفاظ القرآن
(٧) الانبياء : ٣٠ (٨) تفسيرالنسفي ٣/٧٢
(٩) مفردات الراغب ص ٢٧٣ (الرتق) و ص ٥٥٨ (الفتق)

سماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها فالثانيةكرية وكذا الباقي ..)(١) وتقرير هذه الهيئة للأرض مبثوث في القرآن المجيد ويستنبط من الآيات التي وصفت الأرض وما يتعاقب عليها من الليل والنهار بالتكوير والايلاج والانسلاخ والمد والبسط والدحو والطحو والاغشاء والمشارق والمغارب .. وثمة أدلة علمية قررها الباحثون يرجع اليها (٢)

هذا وسيأتي الحديث مفصلا في الفصل الثالث عن مظاهر عظمةالخلق في الأرض الدالة على جبروت الحي القيوم ومنها الجبال الرواسي والأنهار والبحارمما ورد ذكره في سورة النمل في موطنه ان شاء الله .

٢ - دقة تناسق أجزائهما وتوازن عناصرهما :

بالنظر الى الأفق القريب مما هو مشاهد محسوس ويعرف بالقبة الزرقاء التي كان بعض الأقدمين يظنونها بناء متماسكا كالسقف مقاما حول الأرض .. تبين اليوم أنها ليست سوى (ظاهرة ضوئية تحدث في غلاف الأرض الجوى عندما يشق ضوء الشمس والنجوم طريقا في جوالأرض المحيط بها ويلقى عقبات كثيرة على صورة جزئيات من الهواء وقطرات مائية دقيقة ودقائق من تراب وغبار متحللة الى أضوائه الجزئية وتمر خلالها الأمواج الطويلة المكونة للونالأحمر ، أما القصيرة المكونة للون الأزرق فتتشتت بين هذه العقبات (ذرات الهواء وقطرات بخار الماء وهباءات الغبار) ويتكرر انعكاسها بينها حتى تنعكس أخيرا الى الأرض من جميع الجهات وهذا هو سبب مايظهر لنا من زرقة الجو، فالضوء الأحمر اذن يمر لأن موجاته طويلة والضوء الأزرق يتشتت لأن موجاته قصيرة..)(٣)

ومن عجيب التناسق أن هذه الظاهرة الضوئية التي تعرف بالغلاف الجوى للأرض مثبتة حول الأرض على شكل خيمةجوية... وتتألف أساسا من خليط من الغازات التي أهمها : الأزوت ٧٨٪ والاكسجين ٢١٪ والأرجون ٢١٪ وثاني أكسيدالكربون ٠,٠٣٪ والهيليوم وغازات أخرى ٠,٠١٪ وذلك في الهواء الجاف علاوة على بخار

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/١٥٠ وانظر نفس المعنى لدى ابن خلدون في مقدمته ص ٤٤ المقدمة الثانيةفي قسط العمران.. وللاستاذ محمد الشعراوى كلام طيب حول كرية الأرض وأن وصفها بالمد والبسط في القرآن الكريملا يناغي كريتها انظره في جريدة المسلمونعدد ٢٧/٦/١٤٠٦هـ ص ٨ عنوان (الحقائق العلمية لا تتناقض مع الحقائق القرآنية).

(٢) انظر المنهجالايماني للدراسات الكونية ص ٢٣٥ د. عبدالعليم خضر ط جدة ١٤٠٤هـ

(٣) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ص ٢٠٥ د. خضر ط جدة ١٤٠٤هـ وانظرتفسيرالمنتخب ص ٨٤١ موضع الملك : ٥ والتفسيرالعلميللآيات الكونيةفي القرآن - أحمد حنفي ص ١٦٤ و ٢١٤ ط مصر ١٩٦٠م

الماء ، وكلما ازداد الارتفاع فوق سطح الأرض كلما تضاءل حجم الغلاف الجوى حتى ارتفاع ١٠٠٠ ك . م)(١) ويبلغ هذا الغلاف الجوى Atmosphere من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة المنقضة بسرعة ثلاثين ميلا في الثانية ، والغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة (٢)

فكيف حصل هذا التناسق العجيب وتلك الدقة وذاك التوازن بين هذه العناصر؟! وكيف يستمر هذا التوازن بينها على مر الأيام دون أن يطغى عنصر على آخر؟! وصدق الله اذ يقول (ان الله يمسك السموات والأرض ان تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده)(٣)

أما الأرض فلننقل بعض ما ذكره الباحثون حول تناسق حجمها وموقعها من الأجرام الأخرى مما فيه دلالة جلية على قدرة الخالق تقدست أسماؤه (فلوأن حجم الكرة الأرضية كان أكبر مما هو أو أصغر ... لكانت هذه الحالة ذات أثر هائل في الحياة من كل نوع بما فيها حياة الانسان ، وكان هذا الأثر يبلغ من القوة بحيث أن الكرة الأرضية لو كانت اختلفت من هذه الناحية أو تلك الى أية درجة ملحوظة لما أمكن وجود الحياة فوقها ، ومن بين كل الكواكب نجد أن الكرة الأرضية فيما نعلم الآن هي الكوكب الوحيد الذى كانت صلته بالشمس سببا في جعل نوع حياتنا ممكنة !)(٤)
هذا من حيث الجرم وموقعه من الشمس ، أما من حيث توازن عناصرها ومكوناتها وترابط قاراتها وتجدد معالمها بفعل التعرية أو غيرها فهو مبسوط في المباحث التالية باذن الله ، وحسبنا هنا الاشارة الى كونها أنسب مكان يمكن أن يعيش فيه انسان من حيث الضغط الجوى (فالصاعد الى السماء ينفجر ويتناثر على هيئة أشلاء لأن الفضاء فراغ لا ضغط فيه ولا هواء ! وكذلك الذى يغوص الى قاع البحار أو المحيطات يسحق جسده كلما هبط الى القاع حيث يضغط الماء على كل سنتيمتر مربع من جسده ما يعادل كيلو جراما واحداأو مايعادل ١٠٣٣ جراما لكل عشرة أمتار غطسا في الماء(٥)
فكيف حدث هذا التهيؤ العجيب لحياة الانسان على الأرض ..؟ ثم كيف يستمر ذلك التوازن على مر الأيام وتوالي الاجيال؟وقد قال الله عزوجل مشيرا الى توازن واتساق

---

(١) المنهج الايماني للدراسات الكونية ص ٥٠٦ والعلم يدعو للايمان ص٦٩
(٢) الله يتجلى في عصرالعلم ص ٧ والمدخل الى علم الجغرافيا ص ١١٦
(٣) فاطر : ٤١ (٤) العلميدعوللايمان ص ٥٣
(٥) من أسرارالحياة والكون ملخصا ص ١٥٦

السموات والأرض (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) (١)
وقال (الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء) (٢) وقال (الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء) (٣)

٣ - بث المنافع فيهما :

من المطر والزرع وتسخير الرياح وتذليل البحر والتمكين في الأرض على ما سيجيء

.. ومن منافع السماء المذكورة في وصفها بأنها (سقفا محفوظا) :

١ - يحتفظ هذا السقف المحفوظ بالاكسجين اللازم لبقاء مملكة الحيوان يانعة مزدهرة ، ومنها بالطبع مملكة البشر فهم يستنشقون ويطردون ثاني أكسيد الكربون للنبات ليعيده أوكسجينا من جديد !

٢ - وفي داخل هذا السقف المحفوظ تثار السحب ومنه ينزل المطرالذى هو مصدر المياه العذبة .

٣ - وتعمل نسبة الآزوت العالية في الجو على امكان اطفاء اى حريق يشب على الأرض اذ أن الهواء الجوى (سقف الأرض أو الغلاف الجوى) عبارة عن خليط من غازين رئيسين أحدهما لايشتعل ولايساعد على الاشتعال وهو الآزوت ويشغل $\frac{٤}{٥}$ الهواء من حيث الحجم، أما الخمس الباقي فقوامه غاز الاكسجين اللازم للحياة .

٤ - في هذا السقف المحفوظ تسرى الأصوات ولولاه لما سمع أحدنا الآخر ولما كانت لحاسة السمع أية ضـــرورة .

٥ - في هذا السقف يتكون ضوء النهار بسبب تناثر أو تشتت أشعة الشمس خلال الطبقة الممتدة من سطح الأرض حتى ارتفاع ٢٠٠ كم (٤)

ومن المنافع الزينة قال تعالى (والسماء ذات الحبك) أى ذات مسير النجوم. .

ولنذكر بعد هذا طرفا من المنافع المبثوثة في الأرض أو المنافع المشتركة بين السماء والأرض مما ذكره الله تعالى في هذه الاية الشريفة (أمن خلق السموات والأرض وأنـزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون) الايـة ٦٠ من سورة النمل (٥)

---

(١) الانبياء : ٣٢ (٢) البقرة : ٢٢
(٣) غافر : ٦٤
(٤) المنهج الايماني للدراسات الكونية ص ٢٢٥
(٥) ولسنا نود عرض المسائل الأخرى التي تناولت المدة التي خلقت فيها السموات والأرض وحقيقة عددهما ونهايتهما وصوره المعروضة في القرآن مما يطول عرضه وحسبنا في الدلالة ما تقدم .

ب - النظر في انزال الغيث ومافيه من المنافع :

لاجرم أن غيث السماء عماد الحياة وينبوعها ، بل هو أصل الأحياء والكائنات كما قال تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي)(١) وهذا على التفسيرين الواردين في قوله(جعلنا) اما بمعنى خلقنا ، أو بمعنى صيرنا (٢)ولقد كان للغيث من اسمه دلالة ونصيب ! قال البخارى قال ابن‌عيينة(٣) ماسمى الله تعالى مطرا في القرآن الا عذابا ، وتسميه العرب الغيث وهو قولهتعالى(ينزل الغيث من بعد ما قنطوا)(٤)، (٥)

** ومن يمعن النظر في الآيات القرآنية التي تناولت الغيث وعرضت أوصافه وأحواله ومنافعه يرى أهميته القصوى في المعاش ودلالته البينة على المعاد ، فالغيث في القرآن المجيد وصف بالطهر(وأنزلنا من السماء ماء طهورا)(٦) قال في المنتخب في الآية اشارة الى أن ماء المطر عند بدء تكوينه يكون في أعلى درجات النقاء وعلىالرغم من أن حمله بعد ذلك بعض مافي الجو من أجساموذرات فانه يكون في أعلىدرجات الطهارة (٧) ومع طهارته الحسية هو ذو طهارة معنوية(وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) (٨) ويوصف كذلك بالغيث والرحمة قال تعالى (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد)(٩) وهو رزق قال عزوجل(وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها)(١٠) وهو بعد هذا وذاك بركة قال تعالى(ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد)(١١)

** أما مصدر ماء الغيث بحسب الظواهر المشهودة فيرى علماء الطبيعة(أنالسحب هي المصدر الوحيد للمياه العذبةوالأصل فيه تكاثف ابخرة المياه المتصاعدة منالمحيطات والبحار ونحوها على شكل سحب، وتحويلها الى نقط من الماء أو بلورات من الثلج أو هما معا ، وتتساقط هذه المكونات عندما تزداد حجومها على هيئة مطرأوبرد)(١٢) وعلى هذا فدورة الماء في الأرض تمر بخمسة مراحل : ١- البخار من المحيطات والبحار

---

(١) الانبياء : ٣٠ (٢) انظر الكشاف ٢/٥٧٠

(٣) هو ابراهيم بن عيينة ، محدث امام خير (١١٠ - ١٩٩هـ)
سير اعلام النبلاء ٨/٤١٨

(٤) الشورى : ٢٨

(٥) البخارى ٤/١٧٠٤ كتاب التفسير - سورة الانفال .

(٦) الفرقان : ٤٨ (٧) المنتخب ص ٥٣٧

(٨) الانفال : ١١ (٩) الشورى : ٢٨

(١٠) الجاثية : ٥ (١١) ق : ٩

(١٢) المنتخب ص ٨٧٨ في موضع سورة النبأ : ١٤

٢ - تتكون منها السحب ٣ - من الامطار تنشأ الانهار ٤ - وتصب في البحر بعد ارواء الأرض ثم تاخذ طريقها الى السحب ٥ - ومن الامطار ما يخزّن في باطن الأرض(١)

ولايمنع أن يكون مصدر المياه العذبة أصالة الأرض (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منها الماء)(٢) قال الطبرى في آية النمل (وأنزل لكم من السماء ماء) الاية ٦٠ : أى مطرا، وقديجوز أن يكون مريدا به العيون التي فجرها في الأرض لأن ذلك من خلقه (٣) ووضح هذا شيخ الاسلام فقال (قال الله تعالى (الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا..) (٤) أخبر سبحانه أنه يسلك الماء النازل من السماء ينابيع والينابيع جمع ينبوع وهو منبع الماء كالعين والبئر فدل القرآن على أن ماء السماء تنبع منه الأرض ، والاعتبار يدل على ذلك، فانه اذا كثر ماء السماء كثرت الينابيع واذا قل قلت ، وماء السماء ينزل من السحاب ، والله ينشئه من الهواء الذى في الجو وما يتصاعد من الأبخرة، وليس في القرآن ان جميع ما ينبع يكون من ماء السماء، ولاهذا ايضا معلوم بالاعتبار، فان الماء قد ينبع من بطون الجبال ويكون فيها ابخرة يخلق منها الماء، والأبخرة وغيرها من الأهوية قد تستحيل .. فعلم أنه ممكن أن يكون في الأرض ماء ليس من السماء...)(٥)

** اما السحب وتكوينها ومراحلها فلقد فصلت آيات القرآن المجيد ذلك قال تعالى (وينشئ السحاب الثقال) (٦) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين)(٧) وقال (الم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء)(٨) وقال في سورة النمل (وأنزل لكم من السماء ماء) الاية : ٦٠ وقال سبحانه (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز.)(٩) وقال عز من قائل (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا)(١٠)

---

(١) المنتخب ص ٥٠٤ في موضع المؤمنون : ١٨ والمنهج الايماني ص ٧
(٢) البقرة : ٧٤
(٣) تفسير الطبرى ٢٠/٣
(٤) الزمر : ٢١
(٥) مجموع الفتاوى ١٦/١٦ - ١٧
(٦) الرعد : ١٢
(٧) الحجر : ٢٢
(٨) النور : ٤٣
(٩) السجدة : ٢٧
(١٠) النبأ : ١٤

فقد فصلت هذه الآيات أحوال السحاب ومراحل تكوينها وأنواعها وكيفية امطارها . .
قال في المنتخب (المعروف علميا أن السحب الركامية الممطرة تمر بمراحل ثلاث هي : ١- مرحلة الالتحام والنمو ٢- ثم مرحلة الهطول ٣- واخيرا مرحلة الانتهاء وهذه السحب تنمو باتجاه رأسي وترتفع قممها الى علو ١٥ أو ٢٠ كم وهي وحدها التي تجود بالبرد وتشحن بالكهرباء التي تذهب بالبصر) (١)

** وهناك نظام عام يضبط كل المراحل المتقدم بيانها وينتظمها في قانون دقيق هادف ، فماء السماء يهطل بقدر محدود ، لايزيد فيغرق ولاينقص فيعطل جوانب كثيرة من الحياة، تأمل قوله تعالى (**وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض ، وانا على ذهاب به لقادرون**) (٢) ولا يضيع فائضه سدى بل يخزن في باطن الأرض كمافي الاية السابق ذكرها وآية سورة الحجرالمتقدمة وكذلك آيةالزمر التي شرحها شيخالاسلام ابن تيمية، ولقد نبه البارى جلت آلاؤه ولفت الانظار الى هذا التوازن العجيب في حفظ الماء على شكل ينابيع أو انزاله بقدر ليحس الناس في كل سانحة عظم هذه النعمة المحيطة بالانسانفقال (**قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**) (٣)

ومن لطائف ما ذكره العلماء حول نزول الغيث مما يدل على التدبير والاحكامالتوازن في انزاله(ان الله جعل جسم الأرض قابلا للاحتفاظ بجاذبية قوية تسيطر بها على جميع جزئيات الغلاف الهوائي المحيط بها حتى ارتفاع ١٠٠ ك. م فحال هذا دون ذهاب ماء الأرض وبخاره . .وجعل سبحانه سرعة الانفلات من الأرض ٧ أميال في الثانية ولوشاءلجعلها ميلينفي الثانية. . وساعتها لنيبقيمن الماء على أرضناشيء ثم ان بخار الماءاذا حاول أن يصل الى ارتفاع كبير يتيح له فرصةالتسلل هروبا من سلطان الأرض وجاذبيتهاجعل الخالق سبحانه وتعالى درجة حرارته تنخفض فينكمش ويتكثف الى قطيرات تعود نحو السطح على هيئة مطر !) (٤)

فمن وضع هذا القانون الدقيق ومن خلق هذه المظاهر العجيبةالتي ان تعطل بعضها أو تخلف عن مهمته هلك الأحياء وبادت الحياة؟! وللامام ابن القيم حديث عن هذه الدقة والاتقان في انزال الغيث قال رحمه الله(اذا تأملت السحاب الكثيف المظلم كيف تراه في جو صاف لا كدورة فيه، وكيف يخلقهالله متى شاء واذا شاء، وهومع لينه

---

(١) المنتخب ص ٥٢٦ موضع النور : ٤٣
(٢) المؤمنون : ١٨ (٣) الملك : ٣٠
(٤) المنهج الايماني للدراسات الكونية ص ١٠٩ و ١١٣ملخصا

ورخاوته حامل للماء الثقيل بين السماء والأرض الى أن يأذن له ربه وخالقه في ارسال ما معه من الماء فيرسله وينزله منه مقطعا بالقطرات ، كل قطرة بقدر مخصوص اقتضته حكمته ورحمته ، فيرش السحاب الماء على الأرض رشا ويرسله قطرات مفصلة لا تختلط قطرة منها بأخرى ولا يتقدم متأخرها ، ولا يتأخر متقدمها ، ولا تدرك القطرة صاحبتها فتمزج بها !! بل تنزل كل واحدة في الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنه حتى تصيب الأرض قطرة قطرة قد عينت كل قطرة منها لجزء من الأرض لا تتعداه الى غيره ، فلو اجتمع الخلق كلهم على أن يخلقوا منها قطرة واحدة أو يحصوا عدد القطر في لحظة واحدة لعجزوا عنه . .) (١)

** أما عناصر تكوين الماء فمن أعجب عجائبه ما كشفه العلم الحديث (فهو مركب من الأوكسجين Oxygen - والايدروجين Hydrogen بمعدل ذرتين من الايدروجين وذرة واحدة من الاكسجين (٢) وقد أمكن اليوم فصل ذرة الاوكسجين عن ذرتي الايدروجين التي يتكون من ثلاثتها الماء . . ومن الممكن تحطيم احدى هذه الذرات بفعل ضغط كهربي أو صاعقة . . اذا حدث هذا في ذرات الايدروجين فان خاصية الاشتعال السريع التي يتمتع بها ستحول المياه جميعا في المحيطات وبعدها مياه الأنهار التي تتصل بها نارا وجحيما وتجف كلها في وقت قصير(٣) فمن الذى يمنع حدوث هذا الامر الجلل الى الوقت المعلوم ؟ الى يوم تفجير البحار وتسجيرها ؟! بل من خلق هذه الذرات بادئ الأمر ومن يرعاها لكي تؤدى عملها بدأب ؟! ومن يحفظ توازن مقاديرها ودقة تركيبها ؟؟

** وعودا على بدء نشير الى مجمل منافع الماء في هذه الحياة ، ولئن كان الحديث عن هذا يطول الا أن مجمل ما يقوله علماء الطبيعة على اختلاف معارفهم:

أ - في علم الخلية : الماء هو المكون الهام في تركيب مادة الخلية وهي وحدة البناء في كل كائن حي نباتا أو حيوانا .

ب - علم الكيمياء الحيوية : الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء ، فهو اما وسط أو عامل أو داخل في التفاعل أو ناتج عنه .

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢٠٢/١

(٢) الذرة والكون - بيار روسو ص ٤٤ ط ١٩٨٢م بيروت

(٣) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ص ٧٩

جـ - علم وظائف الاعضاء : الماء ضرورى لقيام كل عنصر بوظائفه التي بدونها لا تتوفر له مظاهر الحياة ومقوماتها (١) وصدق الله اذ يقول (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء) (٢) ويقول (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (٣)

جـ - النظر في النبات وعجائبه :

لفت قوله تعالى في سورة النمل (وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) الاية : ٦٠ الانظار الى ثلاثة أمور في مجال الزروع : ١- أهمية الماء في تركيب النبات وبقائه ٢ - عنصر التنوع والتلون في الزروع مع كونها تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة ٣- بيان قدرة الله في ذلك وتقرير عجز البشر .

** ومن تأمل الآيات القرآنية التي نوهتبدور الماء في اخضرار الأرض وانتشارالبهجة فيها بعد الهمود والخمود يقف مبهورا أمام قدرة الله الذىله الخلق والأمر، وهو أمر مشهود مكرور في هذه الحياة .. يقول تعالى (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا) (٤) ويقول تقدست أسماؤه (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاًألوانها) (٥) ويقول سبحانه (فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم) (٦)

والصور القرآنية البديعةالتي تفصّل كيفية اخراج الزروع وانشاء الحياة في الأرض الهامدة كثيرة يزخر بها الكتاب المجيد ، وليس بدعا أن تحظى تلك الصور بعناية القرآن المجيد على هذا النحو، فلئن كانت ذات دلالات عميقة على تقرير قضايا الايمان كالبعث والنشور.. انها - قبل ذلك - ذات أهميةبالغة ودور خليع في بقاءالحياة على الأرض ! اذ النبات الاخضر كمابين العلماليوم يتوقف عليه كل نوع للحياة (٧)

---

(١) المنتخب ص ٤٧٦ في موضع سورة الانبياء الاية ٣٠
(٢) الانعام : ٩٩ (٣) الانبياء : ٣٠
(٤) الانعام : ٩٩ (٥) فاطر : ٢٧
(٦) عبس : ٢٤ - ٣٢
(٧) العلم يدعو الى الايمان ص ٢٠٢

ولقد عرف الناس من أنواع النبات الى اليوم ٣٢٠ ألف نوع ولكل منها منافع ومناظر وخواص وطبائع وعجائب تخالف الثاني (١) وما من ريب ان عالم النبات بهذه السعةمجال رحب للنظر والتأمل واستخراج وجوه الاستدلال على قضايا الايمانالكبرى وهو هدف توخاه السياق القرآني الجليل .. والدعوة الى الله بهذا المنهج مطلب حضارى اليوم فضلا عن كونه واجبا شرعيا ، وذلك بعرض تركيب النبات وخواصه وفوائده واتساقه مع بقية الكائنات في اقامة التوازن وعدم الاختلال.. الى غيرذلك من فروع علم النبات التي تسوق الناظرين سوقا الى الايمان بالله العظيم وتعميق الصلة به جل وعلا ، واني عارض هنا - على مايقتضيه المقام - بعض خصائص النبات وعجائبه والمكونات الاخرى التي تسهم في نمائه واثماره ، مما فيه دلالة على قدرة الله وبديع خلقه وهو مجال رحب للنظر والتفكر والاستبصار ، فمن ذلك :

أ - تهيؤ الأسباب الضرورية لانفلاق الحب والنوى وبقائهما ونمائهما ، ولقد أبان العلماء أن الزرع يشترك في نموه بصفة أساسية أمران :

أحدهما : المناخ ويشتمل على أ - الحرارة ب - ضوء الشمس جـ - الرياح د - الرطوبة هـ - الامطار.

والثاني : التربة وتضم : أ - موادا غيرعضوية(معادن) ب - ماء جـ - هواء د - مواد عضوية كمخلفات الحيوان والنبات على شكلسماد (٢)

وكل هذه الأمور تؤدى عملها وفق نظام مرسوم لا تحيد عنه ولا تتخلف ، وبمقادير موزونة لا تزيد ولا تنقص ، وباتساق عجيب فلئن نقص (السماد) الضروريللزرع - مثلا - مما هو من مخلفات الحيوان ، نزل قدر منه من السحاب مع المطر على شكل (نتروجين مركب) بفعل عواصف الرعد اذ كلما ومض برق خلال الهواء وحّد بين قدر قليل من الاكسجين وبين النتروجين ، فيسقطه المطر الى الأرض كنتروجين مركب (٣)

ولقد يرد على الأذهان تساؤلات شتى عن سر انبثاق الحياة في الحبة الميتةالصماء وكيف تحافظ تلك الحبة على خصائص نوع الشجرة التي أخذت منها ، والجواب عن ذلك ما قرره علم النبات اليوم قال(لايكفي أن يكون هناك ضوء ومواد كيماوية وماء وهواء كي ينمو النبات ، ان هنالك قوةداخل البذرة تنبثق في الظروف المناسبة فتؤدى الى قيام كثير من التفاعلات المتشابكة المعقدة والتي تعمل معا في توافق

---

(١) تفسير الجواهر ٣/١٣

(٢) المدخل الى علمالجغرافيا ص ٢٨١ ومابعدها

(٣) العلميدعو الىالايمان ص ٧٨ملخصا

عجيب ، والبذرة التي بدأت من اتحاد خليتين مجهريتين تتألف كل منهما من عدد كبير من العناصر والعمليات تكون فردا جديدا يشق طريقه في الحياة ويكون مشابها للنبات الذى انتجه بحيث لا تنتج حبة القمح الا قمحا .. ورغم مابين أنواع النبات من تشابه تجد كل صفاته وخواصه المميزة ، ونحن لا نستطيع بعقلنا الطبيعي ومنطقنا السليم الى أن نقول ان هذه الأشياء قد نشأت نفسها بنفسها أو نشأت هكذا بمحض المصادفة ولا بد لنا من البحث عن خالق مبدع، ويعتبر التسليم بوجود الخالق أمرا بديهيا تفرضه عقولنا علينا (١)

ب - ومن ذلك سريان الحركة الدائبة في النبات على نحو معجز، ومن صورها :

* جريان الماء من جذور النبات الى فروعه وأوراقه وثماره بمقادير معلومة وعلى دفعات موزونة ! عبر شبكة موزعة توزيعا حكيما ، يقول الامام ابن القيم رحمه الله بعد أن سرد بعض عجائب الشجر (وانظر الى مجارى تلك العروق الرقيقة الضئيلة الضعيفة التي لا يكاد البصير يدركها الا بعد تحديقه كيف يقوى قسره واجتذابه من مقره ومركزه الى فوق ، ثم ينصرف في تلك المجارى بحسب قبولها وسعتها وضيقها ، ثم تتفرق وتتشعب وتدق الى غاية لا ينالها البصر.. هذا وكم لله من آية في كل مايقع الحس عليه ويبصره العباد ومالا يبصرونه تفنى الأعمار دون الاحاطة بها وبجميع تفاصيلها) (٢)

** ومن صورها ما ينتقل من طاقة الشمس الى جسم النبات وهو مايعرف علميا بعملية التمثيل الضوئي photo synthetic اذ تمتص خلاياه المحتوية على المادة الخضراء في النبات (الكلوروفيل) ثاني اكسيد الكربون من الجو ، وبتفاعل هذا الغاز مع الماء الذى يمتصه النبات تنتج المواد (الكربوهيدراتية) بتأثير الطاقة المستمدة من ضوء الشمس ، ومن ثم يتكون الخشب الذى يتركب أساسيا من مركبات كيميائية محتوية على الكربون والهيدروجين والاوكسجين (٣)

** ومن صور الحركة في النبات ماتتمتع به أوراق الشجر الخضراء من القدرة في ضوء الشمس على تجزئة ثاني اكسيد الكربون الى كربون وأوكسجين ، فالنبات يلفظ بصفة دائمة الاوكسجين الذى نتنسمه والذى بدونه تنتهي الحياة بعد خمس دقائق ..

---

(١) مجلة الوعي الاسلامي عدد ربيع الاخرة ١٤٠٨هـ ص١٤ مقال (وجود الله بين العلم والقرآن) للاستاذ عماد الدين الخطيب والكلام برمته للدكتور لسترجون زمرمان استاذ الزراعة بكلية جوشن بأمريكا

(٢) مفتاح دار السعادة ٢٠٣/١

(٣) المنتخب ص ٦٥٩ في موضع الآية ٨٠ من سورة يس .

وهكذا نجد أن جميع النباتات والغابات والأعشاب .. وكل ما يتعلق بحياة الزرع يبني تكوينها من الماء والكربون على الأخص ، والحيوانات تلفظ ثاني أوكسيد الكربون بينما تلفظ النباتات الاوكسجين .. فالتناسق قائم اذ لو عدمت الحياة النباتية لحقت بها الحياة الحيوانية ! والعكس صحيح (١)

** ومن صور ذلك مالاحظه علماء النبات من خلال عدسة المجهر (المكبّر) أنه في كل خلية من خلايا النبات حركة لا يمكن أن ينبيء عنها ما يبدو على ظاهر الورقة من السكون ، قالوا (ففي داخل الخلايا التي تبدو كالبنيان المرصوص ، وفي داخل الحشوة (السيتوبلازم) التي تحيط بالنواة أجسام دقيقة خضر تسمى (البلاستيدات) الخضر وهي لا تسبح في الحشوة (السيتوبلازم) وانما تتهادى كما تتهادى السفن الصغيرة يجرفها تيار الماء في بحر خضم .. !! أما القوة أو القوى التي تجعل هذه المواد تتحرك والتي ينشأ عنها هذا التيار المستمر فهي مالانعرفه معرفة اليقين ، ومالا نستطيع أن نفسره في حدود معرفتنا الحالية تفسيرا صحيحا (٢) هذا كلام الماديين الذين بحثوا ثم وقفوا في حيرة اما نحن فنقول - بفضل الله - ان الله جلت آلاؤه هو الذى أجرى الحياة في هذه الأوراق وفي غيرها بقدرته وحكمته عزوجل (ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ، ذلكم الله فأنى تؤفكون) (٣) وماكان لمخلوق أن يفعل كل هذا ، وصدق الله اذ يقول (ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله ، بل هم قوم يعدلون) سورة النمل الاية : ٦٠

ج - ومن أحوال النبات : جمال التركيب في أجزائه الظاهرة ودقة التنظيم في مكوناته ومحتوياته .. فالنبات فضلا عما يحتويه من المواد الآنف ذكرها ذو منظر خلاب بديع يدخل البهجة في النفوس بلونه الاخضر الجذاب الذى نوهت عنه آية الانعام (.. فأخرجنا منه خضرا) (٤) والذى ورد ذكره في سورة النمل (.. فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) الاية : ٦٠ والبهجة : حسن اللون وظهور السرور فيه (٥) فالثمار والازهار بعد اخضرارها تسودّ أو تبيض أو تصفر أو تحمر .. أما التركيب الداخلي فلا يقل عن سابقه دقة واعجازا ودلالة ولذلك عقبت الآية فقالت (نخرج منه

---

(١) العلم يدعو للايمان ص ٧٢ بتصرف
(٢) الله يتجلى في عصر العلم مقال : الخلايا الحية تؤدى رسالتها - رسل تشارلز ص ٧٣ - ٧٤ ببعض تصرف .
(٣) الانعام : ٩٥ (٤) الانعام : ٩٩
(٥) مفردات الراغب ص ٨٢ مادة (بهج)

حبا متراكبا)(١) قال الشيخ عبدالرحمن السعدى (٢)(أى بعضه فوق بعض من بر وشعيروذرة وأرز وغير ذلكمن أصناف الزروع، وفي وصفه بأنه متراكب اشارة الى أن حبوبه متعددة وجميعها تستمد من مادة واحدة،وهي لا تختلط بل هي متفرقة الحبوب مجتمعة الأصول، واشارة - أيضا - الى كثرتها وشمول ريعها وغلتها ليبقى أصل البذرة ويبقى بقية كثيرة للأكل والادخار)(٣)

ومما عرفه الناس اليوم من مكونات النبات (النيتروجين (الآزوت) الذى تتركب منه العضلات في الحيوان ، والكربون الذى يتركب منه الدهن في الحيوان ايضا، والاورجين الذى يدخل في الماء مع الاوكسجين ، فهذه الاربعة معروفة في الحيوان والنبات، ويضافاليها : البوتاسا، والصودا، والجير، والمغنيسيا، وحمض الفوسفوريك ، وحمض الكبريتيك ، وسلكا، وكلور ، وآوكسيد الحديد (٤) وكل زرع ينبت على الأرض على اختلاف اغراضه ومنافعه وهيئاته وزمن ظهوره وبيئته فانما هو منضبط بمقدار معلوم لايزيد عنه ولا ينقص منه كما قال جل ثناؤه (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون)(٥) اى بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا(٦) فليس الأمر عبثا ولن يترك سدى .

د - ومن ذلك مبدأ التنوع والاختلاف :

وهذا مما اشارت اليه آية سورة النمل في العدول من ضمير الغائب المفرد في (انزل) الى ضمير المتكلم المعظم ذاته في (أنبتنا) في قوله تعالى(وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) الاية ٦٠ ، مما يفيد أن الزروع ليست على صورة واحدة من حيث الالوان والاشكال والانواع والأجناس (٧)

ولقد لفتت كثير من آيات الذكر الحكيم الانظار الى هذه الظاهرة العجيبة في المخلوقات ومنها النبات كما في قوله تعالى(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزروع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (٨) وقوله تقدست أسماؤه(ألم يروا الى الأرض

---

(١) الانعام : ٩٩

(٢) هو الشيخ عبدالرحمن بن ناصر آل سعدى من قبيلة تميم ولد بعنيزة عام١٣٠٧هـ ونبغ في العلوم وتقلد الاجتهادتوفي عام ١٣٧٦هـ بعنيزة(علماءنجد ٤٢٢/٢)

(٣) تيسيرالكريمالرحمن ٢٠٦/٢

(٤) تفسيرالجواهر ١٨٧/١٣

(٥) الحجر : ١٩

(٦) ارشادالعقلالسليم ٧١/٥

(٧) التفسيرالقرآني ٢٦٣/٤

(٨) الرعد : ٤

كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم)(١) وقوله سبحانه(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) (٢)وقوله عزوجل(والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف والريحان فبأي ءالاء ربكما تكذبان)(٣)

وأنت ترى من أصناف الفواكه- فضلا عن البقول وغيرها - فواكه حمضيةكالبرتقال والتمر الهندى والأناناس ، وفواكه مزه كالشليك والتوتالشوكي والخوخ ، وفواكه سكرية كالتين والبرقوق والعنب والتمر، وفواكهزيتية كالزيتون والجوز واللوز والكاكو، وفواكه مائية كالبطيخ والبرشومي ، وفواكه عطريةكالمانجو والخوخ ، وفواكه نشوية كالسفرجل والغبيراء

فكيف تتركب الحموضة في شجرة والسكر في شجرة اخرى بجوارها والزيت في ثالثة .. الخ ؟؟

ان الذين لا يؤ منون بالله ولا باليوم الآخر ولا يدينون دين الحق غاية ماقالوه (ان النبات يلفظ الاكسجين ويحتفظ بالكربون متحدا مع هيدروجين الماء الذى يستمده النبات من جذوره وبكيمياء سحرية تصنع الطبيعة !! من هذه العناصر سكرا ومواد كيموية أخرى عديدة وفواكه وأزهارا !!(٤)

ولقد ضلوا السبيل فليس الأمر كما زعموا ، بل هو الله الواحد القهار(وهو الذى أنشأ جناتمعروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه)(٥) ان تلوين زهرة واحدة وتنسيقها ليعجز عنه اعظم رجال الفنونمن البشر، وان تموج الالوان وتداخل الخطوط وتنظيم الوريقات في الزهرة الواحدة ليبدو معجزة تتقاصر دونها عبقرية الفن في القديم والحديث فضلا عن معجزة الحياة النامية في الشجر، وهي السر الاكبر الذى يعجز عن فهمه البشر (ماكان لكم أن تنبتوا شجرها) سورة النمل- الاية : ٦٠ وسر الحياة كان ومايزال مستغلقا على الناس سواء أكان في النبات أم الحيوان أو الانسان (٦)

---

(١) الشعراء : ٧ (٢) ق : ٧

(٣) الرحمن : ١٠ - ١٣

(٤) العلم يدعو الى الايمان ص ٧٢

(٥) الانعام : ١٤١

(٦) في ظلال القرآن ٥/٢٦٥٦

الفصل الثالث

(خلق الأرض وما فيها من مظاهر القدرة والنعم)

قال تعالى :

(أمن جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزا ، أإله مع الله . بل أكثرهم لا يعلمون) سورة النمل - الاية : ٦١

وقال :

(ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ، ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) الاية : ٨٦

وقال :

(وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شيء ، انه خبير بما تفعلون) الاية : ٨٨

** جعل الأرض قرارا .

** اجراء الانهار .

** ارساء الجبال .

** حاجز البحرين .

** تعاقب الليل والنهار .

** النمل والهدهد ، خلقهما وعجائبهما .

أ - النظر في خلق الأرض :

للارض حظ وافر من بيان الذكر الحكيم فهي مجال رحب للنظر في ملكوت الله والتأمل في بديع صنعه قال تعالى (وفي الأرض آيات للموقنين) (١) والأرض بما حوت موضع ابتلاء لبني آدم الذين حملوا أمانة الاستخلاف فيها قال تعالى (انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) (٢)

ومن الوجوه التي نوهت عنها سورة النمل مما فيه دلالة على عظمة بانيهاوقدرته وعلمه سبحانه وتعالى : دقة تكوينها وعظم جرمهاعلىمامر في الفصل الثاني ، ومن

---

(١) الذاريات : ٢٠ (٢) الكهف : ٧

تلك الوجوه جعلها قرارا ، وشق الأنهار فيها ، وجعل الجبال لها رواسي وأوتادا والحجز بين البحرين ، وتعاقب الليل والنهار عليها .

ففي جعلها قرارا آيات باهرات تدل على وحدانية الملك العلام، وعلى البعث والنشور ، وبيان ذلك من وجهين :

احدهما : مايدل عليه لفظ (جعل) من قوله(أمن جعل الأرض قرارا)وهذا اللفظ يتعدى الى مفعولين لافادته معنى التصيير ، قال الفخر الرازى (الفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين والتصيير كانشاء شيء من شيء وتصيير شيء شيئا) (١) وهذا يفيد أن الأرض خلقت بادئ ذى بدء على هيئة لم تكن صالحة للحياة .. ثم جعلها الله قرارا بقدرته وحكمته اما بارساء الجبال أو بتهيئة سطحها .. فكيف حصل هذا التحول العجيب؟

الوجه الثاني : مايتضمنه لفظ(القرار) الذى وصفت به الأرض ، وهو اللفظ الذى وضحته آيات أخرى كقوله تعالى (وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا) (٢) وقوله تباركت أسماؤه (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي) (٣) وقوله سبحانه : (الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون) (٤) وقوله عزمن قائل (والأرض فرشناها فنعم الماهدون) (٥) وقوله تعالى (والأرض وضعها للأنام) (٦) ، وقوله جل وعلا (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) (٧) وقوله سبحانه (واللهجعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا) (٨) وقوله عزوجل (الم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا) (٩) وقوله تبارك وتعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) (١٠) وقوله مقسما بها (والأرض ذات الصدع) (١١) وقوله (والأرض وما طحاها) (١٢)

فمن الذى ضبط هذه الموازين التي تمسك الأرض وتضبطها على هذا الوجه؟ وكيف يستمر حال الأرض على هذا المنوال وتلك الهيئة الملائمة لسكنى البشروماتتبعه من مخلوقات ؟ قال الفخرالرازى(.. فكون الأرض مهادا وقرارا وفراشا لنا أن لاتكون في

---

(١) مفاتيح الغيب ١٢/١٥٩في موضع الانعام : ١ وانظرالبرهان للزركشي ٤/١٢٨

(٢) الرعد : ٣
(٣) الحجر : ١٩
(٤) الزخرف : ١٠
(٥) الذاريات : ٤٨
(٦) الرحمن : ١٠
(٧) الملك : ١٥
(٨) نوح : ١٩ - ٢٠
(٩) المرسلات : ٢٥ - ٢٦
(١٠) النازعات : ٣٠
(١١) الطارق : ١٢
(١٢) الشمس : ٦

غاية الصلابة كالحجر فان النوم والمشي عليه مما يؤ لم البدن ، وأيضا فلوكانت الأرض من الذهب مثلا لتعذرت الزراعة عليها ! ولا يمكن اتخاذ الأبنية منه لتعذر حفرها وتركيبها كما يراد ، وأن لاتكون في غاية اللين كالماء الذى تغوص فيه الرجل ، وأن لا تكون في غاية اللطافة والشفافية فان الشفاف لا يستقر النور عليه وماكان كذلك فانه لايتسخن من الكواكب والشمس ، فكان يبرد جدا فجعل الله كونه أغبرليستقر النور عليه فيتسخن فيصلح أن يكون فراشا للحيوانات. . (١) فمن الذى هيأ الأرض على هذا النحو المعجز بمكوناتها وجوها وترابط عناصرها واستمرار وضعها الى ان يأذن الله ؟!

ثم ان الذى مد الأرض ومهدها وسطحها وفرشها وبسطها ودحاها وطحاها ووضعها للأنام وجعلها كفاتا قادر على سلب هذه النعمة العظيمة ـــ كما قال سبحانه (ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور) (٢) والمورهو الجريان السريع (٣) ولايبقى ساعتها على الأرض بشر ولاشجر.

وحسبنا من معطيات (القرار) الموصوفة به الأرض في سورة النمل هذا القدر الدال على عظمة الخالق تبارك وتعالى ، ولست أبتغي توجيه الأقوال التي قيلت في معنى قرار الأرض مما ذكرته سورة النمل اذ هو معروض في كتب التفسير وان كانت هذه الاقوال تنحصر في معنيين: اما أن يكون معنى (جعل الأرض قرارا) أى قارّة ساكنةلا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم وذهب اليه جمع من الأجلة كابن كثير وابن القيموغيرهم (٤) ، أو يكون المعنى انه (تعالى جعلها على هيئة يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها ودحوها وتسويتها حسبماتدور عليه منافعهم، فقرارا بمعنى : مستقرا لا بمعنى قارّة غير مضطربة) (٥)

وكلا المعنيين يفيدان أن الأرض مهيأة على أحسن ما يكون تهيؤ للحياة والاعمار وهذا هو ما نتوخاه في النظر والاستدلال .

وللأرض نهاية فلقد خلقت وجعلت قرارا الى أجل ، قال تعالى (اذا رجّت الأرض رجّا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا) (٦)وقال (وحطت الأرض والجبال

---

(١) مفاتيح الغيب ١١٣/٢ في موضع البقرة: ٢٢
(٢) الملك : ١٦ (٣) مفرداتالراغب : ص ٧٢٥
(٤) تفسير ابن كثير ٣٧٠/٣ ومفتاح دار السعادة ٢١٧/١ - ٢١٨
(٥) روح المعاني للالوسي ٥/٢٠ والبيضاوى ١٩١/٤ والكشاف ١٥٥/٣ والشوكاني ١٤٦/٤ والنسفي ٢١٩/٣ وابوالسعود ٢٩٤/٦ والقرطبي ٢٢٢/٧ وزادالمسير ١٨٦/٦ والطبرى ٤/٢٢ والماوردى ٢٠٧/٣
(٦) الواقعة : ٤ - ٦

فدكتا دكة واحدة)(١) وقال سبحانه(يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة)(٢) والآيات فيه كثيرة . .

ب - النظر في الانهار :

من حكمة الله وفضله ان فجّر الانهار العذبة ونشرها في توزيعهديع على ظهر الأرض لتكون بمثابة شرايين الحياة ، واجراء الأنهار على وجه البسيطة من الآيات التي امتن الله بها على عباده ، وفيها دلالات على قضايا الايمان ، قال تعالى(وسخر لكم الأنهار)(٣) ، وقال في معرض بيانقدرة الله(وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار)(٤) وكثير ما يرتبط ذكر الأنهاربالرواسي وبسط الأرض ، كما في قوله تعالى (وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا)(٥) وقوله عز وجل(وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا)(٦) وقوله في سورة النمل(أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي) الاية : ٦١ ومن مظاهر قدرة الله وحكمتهووحدانيته سبحانه في جريان الانهار أنها تجرى بأمر ربها باعتدال واتزان وفق ما قدره لها بارئها من نظام ، فمن ذلك أنها تتدفق بميزان ، ومهما نهل منها الناهلون فهي أبدا جارية بمعدل ثابت بأمر ربها ، ومن ذلك عذوبة مائها وما تشترك فيه من المنافع مع البحر كاستخراج اللآلئ واللحم الطرى ونقل الأثقال ، ومن ذلك عدم اختلاط مياهها العذبة بالمالحة علىما سيجيء في هذا الفصل ان شاء الله .

ومن المقاصد الايمانية في ورودها في كتاب الله المجيد أنها تحمل دلالات على يوم الحساب والنشور وهي - ايضا - كباقي مشاهد القيامة اداة ترغيب في العمل الصالح قال جل ثناؤه(ان المتقين في جنات ونهر)(٧) وقال سبحانه(ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار)(٨) وقال مفصلا أنواع أنهار الجنة(فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذةللشاربين وأنهار من عسل مصفى)(٩) ولننظر بعد هذا الى الجبال وحاجزالبحرين معالهصلةبالأنهار

---

(١) الحاقة : ١٤
(٢) النازعات : ٦ - ٧
(٣) ابراهيم : ٣٢
(٤) البقرة : ٥٤
(٥) الرعد : ٣
(٦) النحل : ١٥
(٧) القمر : ٥٤
(٨) النساء : ١٣
(٩) محمد : ١٥

جـ - النظـر في الجبال الرواسـي :

تناولـ كتاب الله الجبال الرواسي فوصفها وعدد منافعها وقص مايكون من نهاية أمرها .. ففي وصف ضخامتها وعظم اجرامها يقول جل ذكره(وجعلنا فيها رواسي شامخات)(١) وفي وصف دقة تركيبها يقول تعالى(.. والى الجبال كيف نصبت)(٢) وفي تعداد انواعها وألوانها يقولعز من قائل(ومن الجبال جدد[٣] بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود)(٤) وفي فوائدها ومنافعها يقول تقدست أسماؤه(وجعل لكم من الجبال أكنانا)(٥) ويقول (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم)(٦) ويقول سبحانه(والجبال أوتادا)(٧) وفي سورة النمل(وجعل لها رواسي) الاية: ٦١ ومن حـديث النبي صلى الله عليه وسلم (لما خلق الله الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال فقال بها عليها فاستقرت)(٨)

وأود أن أقف هنا وقفة على بعض ماتكشف للناس من مظاهر قدرة الله الأحد الديان في هذه الجبال على اختلاف منافعها ودقة موازينها وعظيم خلقها مما تدركه العقول ويحوى دلالة على قضايا الايمان بالله واليوم الآخـر ..

١ - فعن وظيفتها الأساسية كأوتاد ورواسي تمنع الأرض من الميد وهو الاضطراب ما وصف الله به الجبال من الرسو وهو يدل على أن الأرض لم تكن مستقرة قبل ارساء الجبال عليها (لأن الرسوّ لا يكون الا لجسم طاف فوق سطح سائل ، وتبارك الذى أودع في القرآن سبقا علميا مذهلا وهو أن قشرة سطح الأرض هي المتجمدة أما الباطن الذى اطلق عليهالعلم الجغرافي SIMA وماتحته من نيف NIFE فهو في حالة شبهسائلة بسبب الضغط والحرارة العظيمين(٩) ولقد كشف العلم أنللجبال امتدادات عظيمة الشأن تحت قارات القشرة الأرضية، ووجد أن سمك القشرة الأرضية تحت القارات ٥ كم أما سمكها تحت الـجبال فيصل الى ٣٥ كم. وتتخذ شكل الأوتاد ووظيفة الأوتاد تماما كما أخبر القرآن الكريم، وهاهو العلم يؤكد أن الجبال

---

(١) المرسـلات : ٢٧ | (٢) الغاشيـة : ١٩

(٣) الجـدد : الخطوط والطرائق تكون في الجبال فبعضها بيض وبعضهاحمر، وبعضها غرابيب سـود ، والغرابيب جمع غربيب وهو الشديد السواد : زادالمسير ٤٨٥/٦

(٤) فاطـر : ٢٧ | (٥) النحـل : ٨١

(٦) لقمان : ١٠ | (٧) النبـأ : ٧

(٨) جـزء من حديث رواه الـترمذى عن أنـس بن مالك رضي الله عنـه في أبواب التفسـير ٢٢٣/٤

(٩) المنهـج الايماني للدراسات الكونيـة ص ٤٨٥ بتصـرف .

(مساكات) للقارات في الصخور السائلة Sima التي توجد تحت القشرةالأرضية الصلبة ، ولولا جذور هذه الجبال المنغرسة في طبقات السيما Sima لطفت القشرة المكسرة الى قارات وانعدم توازنهاوثباتها فوق الطبقةالتحتيةالسائلة المنصهرة ولم تعرف هذه الحقائق عن الجبالووظيفتها في تثبيت قشرة الأرض الا سنة ١٩٥٦م فقط (١)

٢ - ولقد وزعها الله تبارك وتعالى على وجه الأرض توزيعا حكيما على شكل دائرتين متماسّتين تحفظان توازن الأرض (٢) فلم يكن توزيعها عشوائيا حيثما كان وكيفما اتفق !

٣ - وخاصية التوازن ملحوظة بجلاء في هذه الجبال :

* في دقة توزيعها (فالقشرة الأرضية مرتفعة في مواضع معينة هي الجبال ، ومنخفضة في مواضع أخرى هي قيعان المحيطات ، وتتوازن أثقال هذهالأجزاء بعضها مع بعض ومن قدرة الله وحكمته أن أوجد هذا التوازن وجعله ثابتا عن طريق انسياب الموادالأرضية المكونة للقشرة الرقيقة تحت الطبقات السطحية وذلك من الأثقل الى المكان الأقل ثقلا (٣)

* وفي تنوعها ، فالجبال على اختلاف أشكالها وتباين ضروبها وتنوع أصنافها تنقسم الى ثلاثة أقسام : ١ - صخرية وتحتوى على المعادن المسخرة لمنفعة الانسان ،
٢ - وهشة السطح مغطاة بوشاح ناعم الحبيبات وهذه تستغل في الزراعة والرعي .
٣- وشامخة تصيد المطر وتجمع الثلج ، وكلها راسخات تثبت الأرض وتحفظها من الميد والاضطراب (٤)

* وفي تكوينها ، فقد ثبت أن الجبال الثقيلة دائما أسفلها مواد هشة وخفيفة وأن تحت ماء المحيطات المواد الثقيلة الوزن ، وبذلك تتوزع الأوزان على مختلف الكرة الأرضية (٥)

* وفي تناسقها مع المتغيرات الطبيعية ، وقشرة الأرض كما قرره العلم ميزان حساس فكل مكان فيه هو كفة متوازنة مع كل مكان آخر، فاذا تغير الثقل على مكان ما اضطرب هذا التوازن ونجمت عن ذلك هزات الزلازل وتصاعدت القشرة اليابسة لاعادة هذا التوازن ، والجبال بمقتضى عوامل التعرية تزول ببطء شديد ولعل هذا ماتشير اليه الاية في سورة النمل (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر السحاب)الاية ٨٨(٦)

---

(١) المرجع السابق ص ٤٥٦ (٢) الظواهر الجغرافية ص ٩١
(٣) المنتخب ص ٢٦٧ موضع الاية ٧ من سورة ق
(٤) المنهج الايماني للدراسات الكونية ص ٤٩٠ - ٤٩١
(٥) تفسير المنتخب ص ٤٧٧ في موضع الاية ٣١ من سورة الانبياء
(٦) تفسير الآيات الكونية ص ٢٠

هذا على اعتبار مرور السحاب في دار الدنيا وهنا أجماع كما ينقله كثير من المفسرين (١) على أنها تمر مر السحاب يوم الحساب ولا نود توجيه الأقوال فيه اذ هي مبسوطة في كتب التفسير ولا ينضوى تحت الهدف الذى نتوخاه وهو الاستدلال على قضايا الايمان الكبرى من خلال مظاهر الكون مما تتفق عليه العقول وتدركه البصائر (٢)

* ومن منافع الجبال - وهي كثيرة وجليلة وقد يتوقف عليها حياة الناس - ماذكره الامام ابن القيم ننقل من ذلك (١- ان الثلج يسقط عليها فيبقى في قللها حاصلا لشراب الناس الى حين نفاذه وجعل فيها ليذوب أولا فأولا ٢ - ومن منافعها ما يكون في حصونها وقللها من المغارات والكهوف ٣ - ومن منافعها ما ينحت من أحجارها للأبنية على اختلاف أصنافها ٤- وما يوجد فيها من المعادن على اختلاف أصنافها من الذهب والفضة ٥ - وأنها ترد الرياح العاصفة وتكسر حدتها ٦- وأنها ترد عنهم السيول ٧ - وهي أعلام يستدل بها ٨- وماينبت فيها من العقاقير والأدوية التي لاتكون في السهول ٩ - أن الله جعلها أوتادا للأرض (٣)

فمن جمع هذه الفوائد في الصخور الصماء ؟ ومن وضع لهذه الصخور القانون البديع الذى لايتخلف ؟ وكيف تتجاوب ذرات الجبال مع بقية أجزاء الأرض في احداث واستمرار التوازن وتحقيق الارساء ؟ وكيف تنتظم هذه الدقة العجيبة لهذه الاجرام الثقيلة الضخمة ؟!

ان الذى خلقها وأرساها ووضع للأنام فيها المنافع هو القادر وحده - تبارك وتعالى- اذا شاء أن يبطل هذا النظام العجيب ،وهذا ماسيكون يوم الحساب كما أخبرنا بذلك كتاب الله اذ قال (**ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا**) (٤) وقال سبحانه (**وتكون الجبال كالعهن** ـــــ) (٥) وقال عز من قائل (**واذا الجبال نسفت**) (٦) وقال (**وسيرت الجبال فكانت سرابا**) (٧) وقال (**وتكون الجبال كالعهن المنفوش**) (٨)

---

(١) انظر التفسير القرآني ٤/٢٩٩

(٢) انظر آراء العلماء في مرالجبال مر السحاب المذكور في آية النمل :
أضواء البيان ٦/٤٤٢ والتفسير القرآني للقرآن ٤/٢٩٧ - ٢٩٩ والنكت والعيون للماوردى ٣/٢١٣ والتفسير الحديث ٣/١٧٤

(٣) مفتاح دار السعادة بتصرف ١/٢١٩

(٤) طه : ١٠٥ - ١٠٧

(٥) المعارج : ٩

(٦) المرسلات : ١٠

(٧) النبأ : ٧

(٨) القارعة : ٥

أفليس في خلق الله الأرض والجبال أول مرة ، ثم في تناسق أجزائهما وترابط عناصرهما بما فيه بقاء الحياة ونماؤها، ثم في افناء هذه المخلوقات والأجرام الضخمة .

.. أليس في ذلك كله دلالات موحيات(بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور)(١)

د - النظر في حاجز البحرين :

أودع الله سبحانه وتعالى في الماء خاصية عجيبة تمنع امتزاج عذبه بمالحه حين التقاء البحرين ، ولقد لفت السياق القرآني الجليل الأنظار الى هذه الظاهرة العجيبة التي تحدث في كل لحظة ويعود أثرها الحميد على الناس .. قال تعالى (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) (٢) وقال جل شأنه (ومايستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)(٣) وقال عز من قائل (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأى آلاء ربكما تكذبان)(٤) وقال في سورة النمل (أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) الاية : ٦١

وباستقراء ما قاله أجلة المفسرين حول هذا الحاجز والبرزخ والحجر المحجور ، يلاحظ أنه أحد أمرين :

١ - اما أنه من غير عنصر الماء اما اليبس من الأرض الفاصل بين الماء العذب والماء الملح (٥) او أنه بحرالسماء وبحر الأرض والحاجز الهواء ..

٢ - أو أنه - وهوالمترجح لدى - حاجز مائي غير مرئي للبشر، (ولم يكتشف الانسان قانون هذه الظاهرة الا منذ فترة قريبة فقط ، بعدمشاهدات وتجارب حيث أمكن التوصل الى أن هناك قانونا ضابطا للسوائل هو قانون المط السطحي الذى

---

(١) الحج : ٦ - ٧ (٢) الفرقان : ٥٣
(٣) فاطر : ١٢ (٤) الرحمن : ١٩ - ٢١
(٥) انظر أضواء البيان ٦/٣٣٩ والبحر المحيط ٧/٩٠
والبيضاوى ٤/١١٩ والتفسيرالعلمي للآيات الكونية ص ٤٣١

يفصل بين سائلين متحركين بسبب اختلاف تجاذب الجزئيات لكل منهما ، بحيث يحتفظ كل سائل باستقلاله في مجاله ، وتوجد بقدرة الله غشاوة مرنة Elastic film 2 على سطح كل نوع من المياه .. وهذا الغشاء الدقيق غير مرئي على الاطلاق(١)

* وهذا الحجر المحجور، بقانونه العجيب يعمل بدقة متناهية معجزة(فقد ثبت أن طبقة الماء العذب العليا يزداد سمكها مع زيادة الارتفاع عن منسوب البحر بعلاقة منتظمة حتى انه يمكن حساب العمق الاقصى للماء العذب الذى يمكن الوصول اليه ، فهو يساوى قدر الفرق بين منسوب الأرض ومنسوب البحر أربعين مرة)(٢)

وهو قانون ثابت لا يتغير ولا يتأثر بحركات البحر الرهيبة المتولدة عن التيارات المائية ودفع الرياح وكثافة الماء والمد والجزر - Tides وحركة الأمواج المختلفة الحجم السطحية والعميقة (٣)

وتتجلى مظاهر قدرة الله في هذا الحاجز العجيب الدقيق من وجوه :

١ - أن البحرين يلتقيان فتصب الأنهار العذبة في البحار المالحةوكل منهماجامتحرك.

٢ - والنوعان العذب والأجاج من جنس واحد وهو الماء ،ولا لون للماء حتى يميّز الرائي بين الصنفين .

٣ - وكل منهما بعد هذا يحافظ على أعلى مستوى من خصائصه وبدقة بالغة، هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، دون أدنى اختلاط أو تأثر رغم اشتراكهما في كثير من المزايا (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها)(٤)

فكيف تم هذا الابداع والاتقان على هذا الوجه ؟ وهل يقدر عليه أحد غيرالحي القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ؟

* أما المنافع المتعلقة بـبقاء كل من العذب والأجاج في نطاقه وعلى طبيعته فكثيرة لخصها ابن كثير بقوله(تقتضي الحكمة الالهية بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه فان البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس ، والمقصود منهاأن تكونعذبة زلالا ، يسقي الحيوان والنبات والثمار منها ، والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والاقطار منكل جانب والمقصود منهاأن يكون ماؤ هاأجاجالئلا يفسدالهواءبريحها(٥)

---

(١) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ص ٣٠

(٢) تفسير المنتخب ص ٥٣٨ موضع الاية ٥٣ سورة الفرقان

(٣) المدخل الى علم الجغرافيا ص ٢١٧ - ٢٢٢

(٤) فاطـــر : ١٢

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧٠

هـ - النظر في تقلب الليل والنهار ومنافعهما :

الليل والنهار من الظواهر المتجددة التي ترتبط بها أمور المعاش وتنتظم بها كثير من أمور الدين .. ولقد عني كتاب الله عناية كبيرة بهاتين الظاهرتين : لفتا للانظار الى عجائبهما ، وتنويها بمنافعهما ، وايجابا لكثير من العبادات والشعائر كالصلاة والزكاة والصيام والحج ايجابا متعلقا بهما ، واستدلالا بتعاقبهما على قدرة الله ووحدانيته وعلى البعث والنشور .

** ومن دلائل عناية القرآن العظيم بهاتين الظاهرتين المتجددتين :

أ - القسم بهما مجتمعتين أو مفردتين كما في قوله تبارك وتعالى (والليل اذ أدبر والصبح اذا أسفر) (١) وقوله سبحانه (والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس) (٢) وقوله (والفجر) (٣) وقوله (والليل اذا يسر) (٤) وقوله سبحانه (والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى) (٥)

ب - التنويه بعظم النعمة الحاصلة بهما والامتنان على العباد بتعاقبهما قال تعالى (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ، قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (٦) وقال في سورة النمل (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) الاية : ٨٦

جـ - تقديم ذكرهما على السموات والأرض كما في قوله عز من قائل (ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون) (٧)

د - بيان متعلقاتهما من الشمس والقمر وحركتهما الموزونة قال تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا) (٨) وقال عزوجل (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا) (٩) وقال (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم

---

(١) المدثر : ٣٢ - ٣٣
(٢) التكوير : ١٧ - ١٨
(٣) الفجر : ١
(٤) الفجر : ٤
(٥) الليل : ١ - ٢
(٦) القصص : ٧١ - ٧٣
(٧) يونس : ٦
(٨) الانعام : ٩٦
(٩) يونس : ٥

مظلمون ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمرولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) (١)

هـ - ذكر خصائص كل منهما وهو مجمل في آية النمل (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) الاية ٨٦ وسيجيء بسطه ان شاءالله

** فكيف يحدث الليل والنهار ؟ وماهي موازين ذلك ؟

من تأمل الآيات القرآنية الواردة في الليل والنهار يجد أن الله تعالى يصف (تعاقب) الليل والنهار بالايلاج والاغشاء والاختلاف والتقليب والانسلاخ والتكوير والتسخير ، وذلك في قوله تعالى (الم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى) (٢) أى يولج بعض مقدار الليل في النهار وبعض مقدار النهار في الليل (٣) وفي قوله تعالى (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا) (٤) وقوله سبحانه (وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) (٥) اما اختلاف بحسب طلوع الشمس وغروبها ، أو في تفاوتهما في أنفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الأزمنة ، أو في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الأمكنة اما في الطول والقصر واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي أن يكون بعض الأوقات في بعض الأماكن ليلا وفي مقابله نهارا (٦) واما أنه الاختلاف في الظواهر الطبيعية وغير المرئية كالألوان ومشاهد الكسوف (٧) وأيضا في قوله تعالى (يقلب الله الليل والنهار) (٨) وقوله عز من قائل (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون) (٩) وقوله سبحانه (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) (١٠) وقوله (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) (١١)

وهذه التعبيرات القرآنية المختلفة تنبيء عن الحركة الناشئة من جريان الشمس والقمر وفق نظام بديع دقيق لا يتخلف ولا يتبدل على كر الدهور ومر الأيام الى أن يأذن الله ..

---

(١) يس : ٣٧ - ٤٠
(٢) لقمان : ٢٩
(٣) البرهان للزركشي ٢٣٨/٣
(٤) الاعراف : ٥٤
(٥) المؤمنون : ٨٠
(٦) ارشادالعقل السليم ١٢٢/٤ في موضع يونس : ٦
(٧) المنتخب ص ٥١٠
(٨) النور : ٤٤
(٩) يس : ٣٧
(١٠) الزمر : ٥
(١١) الحجر : ١٢

ولقد درس علماء الكون الظواهر المتصلة بتعاقب الليل والنهار وتوصلوا الى نظام دقيق مذهل وعرفوا أن الاشعاع الشمسي يتألف من مجموعة من الألوان المرئية وغير المرئية ، ويتميز بعضها عن بعض بطول الموجة، وتخضع هذه الموجات بخصائص عديدة كالانكسار والانعكاس والتشتت والتداخل والاستقطاب والحيود ، وقالوا ان الاشعاع المباشر للشمس يسقط على الغلاف الجوى للارض الذى يتألف من جزئيات صغيرة ويحمل الذرات الغبارية، فانه ينعكس في مختلف الاتجاهات ويتشتت (١) وهكذا تتبدد ظلمة الليل وينتشر ضياء الصباح

فمن خلق هذه الاجرام الضخمة من الشمس والقمر والارض ؟ وكيف ضبط النيران وفق قانون دقيق بحيث أن لها مطالع ومشارق محددة معلومة لا تحيد عنهاولاتميد ؟

وكيف تبقى على هذا النظام المتقن متسقة كل هذه الدهور المتطاولة ؟

ان الذى أجرى هذا النظام المتقن قادر وقت شاء على ابطاله كماقال تقدست أسماؤه (يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى) (٢)

أماالمنافع التي يثمرها اختلاف الليل والنهارفضلا عن انتظامه العبادات فكثيرة جليلة تتسق مع حاجات الأحياء وخصائص تكوينهم :

- منها ماقتضته حكمة الله جلت قدرته أن التعاقب بين الليل والنهار وتراوحها على فترات قصيرة هو مما يؤدى الى اعتدال الحرارة والمناخ ويهيء البيئة الصالحة للحياة والأحياء (٣)

- ومنها معرفة التاريخ والحساب ، والضرب في مناكب الأرض ابتغاء فضل الله كما قال تعالى (وجعلنا الليل والنهارءايتين فمحونا ءاية الليل وجعلنا ءاية النهارمبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناهتفصيلا) (٤)

- ومنها تجدد نشاط الحواس من السمع والبصر كما في سورة النمل (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) الاية : ٨٦ قال ابن القيم(خص الله النهار بذكر البصرلأنه محله وفيه سلطان البصر وتصرفه ، وخص الليل بذكر السمعلأن

---

(١) المنتخب ص ٥١١ (٢)فاطر : ١٣

(٣)المنتخب ص ١٠٢ في موضع آل عمران : ١٩٠

(٤) الاسراء : ١٢

سلطان السمع يكون بالليل وتسمع فيه الحيوانات ما لاتسمع في النهار لأنه وقت هدوء الأصوات وخمود الحركات وقوة سلطان السمع وضعف سلطان البصر ،و النهار بالعكس فيه قوة سلطان البصر وضعف سلطان السمع ..(١)

- ومنها اشباع الاحياء حاجاتهم الى النوم والراحة ، وفي وصف الليل بانه مكان للسكن (ليسكنوا فيه) ايماء الى ذلك ، لأن السكون : هوعدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك ، فعدم الحركة عماليس من شأنهالحركة لا يكون سكونا ، فالموصوف بهذالا يكون متحركا ولا ساكنا . (٢) والليل أهدأ أصواتا وأدعى الى السكون لخواصه المهيئة لمثل هذا ، قال ابن خلدون مشيرا الى ذلك(ولما كانت الحواس الظاهرة جسمانية ، كانت معرضة للوسن والفشل بما يدركها من التعب والكلال ، وتغشى الروح بكثرة التصرف ، فخلق الله لها طلب الاستجمام لتجرد الادراك على الصورة الكاملة ، وانما يكون ذلك بانخناس الروح الحيواني من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى الحس الباطن ويعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل ، فتطلب الحرارة الغريزية اعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون مشيعة مركبها وهو الروح الحيواني الى الباطن ، ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هوبالليل)(٣) ومن أجلى مظاهر السكون النوم ، وهو مالايتحمل الانسان فقدانه أمدا طويلا والانسان أعجزمن فقدان النوم عن الجوع (٤) فسبحان الله وفق بين مظاهر الكون وحاجات الأحياء ليعبدوا بارئهم ويشكروه على جليل نعمه وعظيم فضله

- ومنها الاقدام على أمور المعاش والمعاد بدأب ونشاط فقضاء المصالح انما يكون غالبا في النهار،وهو ما أشارت اليه آية النمل (والنهار مبصرا) أى تبصرون فيه طرق التقلب في الحاجات (٥)

وقد وضحت آيات أخر هذا المعنى التوجيهي كما في قوله تعالى (ان لك في النهار سبحا طويلا)(٦) وقوله تبارك وتعالى (وجعلنا النهار معاشا) (٧)

فتبارك الذى أودع هذه الخصائص في الليل والنهار وهيأ بها أكمل سبل الحياة وله الحمد في الاولى والآخرة وهو الحكيم الخبير.

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢٠٨/١ (٢) تعريفات الجرجاني ص ١٩٥ باب السين
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٠٤
(٤) علم النفس الفسيولوجي ص ٢٦٩ د. كاظم ولي ط ١٤٠١هـ بيروت
(٥) البرهان للزركشي ٤٦٢/٣
(٦) المزمل : ٧ (٧) النبأ : ١١

و - النظر في خلق النمل والهدهد :

القرآن العظيم مع توجيهه الأنظار الى مظاهر هذا الكون الضخمة من سموات وأرض وجبال وأنهار وبحار .. يوجه الأنظار الى دقائق المخلوقات كالنحل والذباب والنمل والهدهد ، ففي سورة النمل حديث عجيب عن هذا المخلوق الصغيرالذى سميت السورة با سمه ، يقول تعالى (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) الايات : ١٧ - ١٩ فهذا المخلوق الذى يدق في أعين الناس له من العجائب والغرائب ماهو جدير بالنظر والاعتبار:

أ فمن ذلك النظر الى نظام حياته ، والآيات السالفة أفادت : ١ـ أن النمل يعيش في جماعات منظمة ٢ - وأن منها من همه حراسة الجماعة وتحذيرها من الاخطار والكوارث قبل وقوعها ٣ - وأن لها (منطقا) تعبر به عن مسالك حياتها وأنماط سلوكها ٤ - وأنها تميز بين الانسان وغيره بل بين القائد من بني البشروجنوده ! وعلى الجملة فقد تكلمت هذه النملة كما ذكر العلماء بعشرة أنواع من الخطاب في هذه النصيحة: النداء ، والتنبيه ، والتسمية ، والأمر، والنص ، والتحذير، والتخصيص ، والتفهيم والتعميم ، والاعتذار (١) وقد ذهب كثير من أهل العلم أن للحيوانات منطقا تتفاهم به قال ابن العربي في تفسيره(ولاخلاف عند العلماء في أن الحيوانات كلها لها أفهام وعقول) (٢) ولقد قرر علماء النفس أن سلوك الحيوان وانفعالاته وأفكاره وحتى السلوك التكيفي منه(مايكون مبنيا على تعويد الحيوان على شيء ما) لا يمت الى الذكاء الا بصلة بعيدة وأن كل أولئك مما يفطر عليه الحيوان ويجبل (٣) وأنها لايكتسبها الحيوان كشأن البشر وانما دافعها الغرائز . instincts فالغريزة اما دافع فطرى أو سلوك فطرى (٤)

وفي النظر الى بعض (سلوك) النمل في تدبير سبل المعيشة وأسباب الحياة قال الجاحظ (.. وقد علمنا أن الذرة تدخر للشتاء في الصيف، وتتقدم في

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢٤٣/١ (٢) أحكام القرآن ١٤٤٩/٣
(٣) المدخل الى علم النفس ص ٢٠٤ و٢٢١ ركست نايت ط ١٤٠٤هـ العراق
(٤) أصول علم النفس ص ٣٨٢

حال المهلة ولا تضيع أوقات امكان الحزم ثم يبلغ من تفقدها وحسن خبرها (١) والنظر في عواقب أمرها انها تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء في الصيف أن تعفن أو تسوس ، ويقبلها بطن الارض فتخرجهاالى ظهرها لتيبّسها .. قلنالطول التجربة ،ولأنّا لم نر ذرة قط حاولت نقل جرادة فعجزت عنها ثم رأيناها راجعة الا رأينا معها اخواتها ! .. .. وعلى أننا لم نر ذرة قط حملت شيئا أو مضت الى جحرها فارغة فتلقاها ذرة الا أوقفتها ساعة وخبّرتها بشيء ! .. ومن العجب أنك تنكر أنها توحي الى أختها بشيء والقرآن قد نطق بماهو أكثر من ذلك اضعافا قال عزوجل (حتى اذا أتو على واد النمل ..)الاية (٢)

ومن عجيب ما كشفه العلم الحديث عن لون من ألوان منطقها الذى تتفاهم به أن النملة حين تموت فانها تعلن عن وفاتها في مجتمع النمل وتخبر قومها بالسبب سواء كان طبيعيا أو نتيجة لاغتيال أو لوقوعها تحت حذاء انسان ! اذ تطلق مادة تعرف علميا (بالفيرومونات : Pheromones) شبيهة بالهرمونات الا أن الفيرومونات أثرها في خارج الجسم لا داخله تستقبلها أجهزة خاصة في النمل الحي فتؤ ثر فيها وتوجه سلوكها نتيجة ذلك (٣)

ب - اما النظر الى خلق هذين المخلوقين النملةوالهدهد .. فامر يقضي المرء منه العجب في دقة التركيب وتناسق الاجزاء وروعة التكوين ومرونة الحركة ! ولننقل طرفا من مأثورات علي رضي الله عنه في وصفه النمل يقول : (انظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها ، لاتكاد تنال بلحظ البصر، ولابمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها ، وصبّت على رزقها ، تنقل الحبة الى جحرها ، وتعدها في مستقرها .. ولوفكرت في مجارى أكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراشيف بطنها (٤) وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا ، فتعالى الذى أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها ، لم يشركه في فطرتها فاطر ، ولم يعنه على خلقها قادر) (٥)

---

(١) الخبربضم الخاء: العلم بالشيء
(٢) تهذيب الحيوان ١/١٢٣ - ١٢٤ ط مكتبة نهضة مصر - الفجالة
(٣) مجلة القافلة عدد جمادى الاولى ١٤٠٨هـ ص ٤٣ ملخصا
(٤) الشراشيف مقاط الاضلاع وهي اطرافها
(٥) نهج البلاغة ص ٢٧٠ ط ١٩٨٢ بيروت

وكذلك الهداهد تتحلى كبقية الطيور بخصائص الجسم الطيرى من خفة الوزن ومتانة البناء وعلو كفاءة القلب ودورة الدم وجهاز التنفس ، ودقة انسياب الاجسام في الهواء وعلى الأرض ، فتبارك الذى بيده ملكوت كل شيء وهو سبحانه القائل (أولم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ، ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) (١) والقائل (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير) (٢)

قال في المنتخب ولقد دلت الابحاث الحديثةعلى أن لكل جماعة من الطير طريقة خاصة يتفاهم بها أفراده منها اللمس ومنها الصوت ومنهاالاشارة (٣)

فتعالى العليم الخبير وتبارك حين دعا الى النظر في خلق السموات والارض مما جلّ من الخلق والنظر الى النملة والهدهد مما هو دقيق رقيق ، والكل مسخر بأمره مسبح بحمده ، وفي حديث النبي صلى الله عليهوسلم(قرصت نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله اليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح) (٤)

---

(١) النحل : ٧٩

(٢) الملك : ١٩

(٣) تفسير المنتخب ص ٥٦٤

(٤) متفق عليه :

رواهالبخارى عن ابي هريرة رضي اللهعنه في كتاب الجهاد ٣/١٠٩٩ باب اذا أحرق المشرك المسلم هل يحرق، واللفظ له ، ومسلم في كتاب السلام ٤/١٧٥٩ باب النهي عن قتل النملة.

الفصل الرابـــع

(دفع الضر وجلب النفع والتمكين في الأرض)

قال تعـــــــالى :

(أمّـن يجـيب المضـطر اذا دعاه ويكشـف السواء ويجعلكم خلفاء الأرض أئله مع الله قليلا ما تذكرون) الاية : ٦٢

في هذه الاية الشريفة من سورة النمل صورة فذة من حياة الناس مما يعيشه كل فرد في عمره ولو مرة .. ولا يفلت عن ذلك وجيه أو وضيع ، مسلم أو ملحد مادام مميزا مكلفا ، وحتى أتقى الناس وأكملهم أنبياء الله عليهم صلوات الله ، فهذا خاتمهم وامامهم صلى الله عليهوسلم (كان يدعو عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم) (١)

وفي هذهالآية الشريفة لفت للانظار الى النفس البشرية في أدق حالاتهاوأحلك ظروفها حين تسفر هذه النفس عن فطرتها وجبلتهاالتي خلقت عليها (٢)

فالمضطر - على اختلاف معطيات هذا اللفظ - (٣) في لمحات الكربة والضيق لايجد لهملجأ الا الله يدعوه ليكشف عنهالضر والسوء ، وذلك حين تضيق الحلقة وتشتد الخنقة وتتخاذل القوى وتتهاوى الأسناد ، وينظر الانسان حواليه فيجد نفسه مجردا من وسائل النصرة وأسباب الخلاص ، لاقوته ولا قوة في الأرض تنجده ، وكل ماكانيعده لساعة العسرة قد زاغ عنه أو تخلى ، وكل من كان يرجوه للكربة قد تنكر له أو تولى ، في هذهاللحظة تستيقظ الفطرة فتلجأ الى القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة ، ويتجه الانسان الى الله ولو كان قد نسيه من قبل في ساعات الرخاء ، فهو الذى يجيب المضطر اذا دعاه وهو وحده دون سواه يجيبه ويكشف عنه السوء ويرده الى الأمن والسلامة وينجيه من الضيقة الآخذة بالخناق) (٤)

---

(١) الامام البخارى في الادب المفرد ص ١٠٣ باب الدعاء عندالكرب عنابن عباس رضي الله عنهما ط - بيروت

(٢) راجع(المنهج الفطرى والعاطفي في الدعوة ص ١١١ من هذهالرسالة)

(٣) قال أهل التفسير عن المضطر هو ذو الضرورة المجهود ، والذى لاحول له ولاقوة والذى قطع العلائق عمادون الله ، والمفلس ، والذى اذا رفع يديهالى الله داعيا لم يكن له وسيلة من طاعةيقدمها (القرطبي ١٣/١٢٣)

(٤) في ظلال القرآن ٥/٢٦٥٨

** ان في تشخيص القرآن المجيد لهذه الصورة البشرية في هذه الحال الضنق منهج للدعوة يخاطب الفطر السليمة والعواطف الحية والعقول النيرة، ولا يخلو امرؤ من هذه الخصائص وان تفاوت الناس في الشعور والاحساس . .

ولقد أفاض كتاب الله المجيد في بيان هذا الوصف الذى يعترى الانسان ويسبر غوره ويكشف عن طبيعته ومكنونه، وذلك على أنحاء كثيرة :

أ - فتارة يقرر أن المكروبين لا يلجؤون في حال الكرب الا الى الله وحده وينسون ما أشركوا به قال تعالى (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين ؟ بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) (١)

وان القرآن المعجز ليكشف عن طبع الانسان وجبلته ليس في حالة نزول العذاب فحسب بل وحين يشهد عرصات القيامة كما هو جلي في الآية ، وهو من الغيب الذى سيحدث !

ب - وتارة يصف حال المضطر وهو يتقلب في الدعاء والابتهال في كل أحواله لا يفتر ولا يتوانى قال تعالى (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون) (٢)

جـ - وتارة يقرر أن الله يستجيب حين يخلص المرء في الدعاء وانه سبحانه رحيم بعباده كما في سورة النمل (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون) الاية : ٦٢ قال الماوردى (وخص اجابة المضطر لأمرين أحدهما لأن رغبته أقوى وسؤاله أخضع ، والثاني لأن اجابته أعم وأعظم لأنها تتضمن كشف بلوى واسداء نعمى) (٣) وقال القرطبي (والسبب في اجابة المضطر ان الضرورة اليه باللجأ ينشأ عن الاخلاص وقطع القلب عما سواه وللاخلاص عنده سبحانه موقع وذمة وجد من مؤ من أوكافر، طائع أوفاجر) (٤)

د - وتارة يفصّل الحديث عما يتعرض له الفريقان (الشاكر والكافر) ابان نزول الضر ووقت زواله من أحوال اليأس والقنوط والرجاء، ثم البطر واللهو، قال تعالى (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور، ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور ، الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) (٥)

---

(١) الانعام : ٤٠ - ٤١
(٢) يونس : ١٢
(٣) النكت والعيون ٣/٢٠٨
(٤) تفسير القرطبي ١٣/٢٢٣
(٥) هود : ٩ - ١١

وقال تباركت آلاؤه (لايسأم الانسان من دعاء الخير وا ن مسه الشر فيئوس قنوط ،ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ، واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونئا بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض) (١)

هـ - وتارة يقرر قدرة الله التي تحيط بالانسان وانه سبحانه مقتدر لايعجزه الكافرون اينما كانوا وحيثما توجهوا ، قال تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلمّا نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا ، أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ، أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) (٢)

و - وتارة ينعى على الاشر والبطر من الناس الذى ينسى ربه ويسرف في غيه كلما أحس بنعمة ، قال تعالى (واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونئا بجانبه واذا مسه الشر كان يئوسا) (٣) وقال سبحانه (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ماكان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) (٤)

** ولقد يعرض تساؤل : لماذا يكون اللجوء في الشدائد الى الله وحده دون سواه؟ يستوى في ذلك من عرف الله ساعة ومن كفر به ، ومن جحد وألحد ؟! والجواب البديهي أنها الفطرة التي يولد عليها الانسان قبل أن تغشاه عوارض الاهواء ونوازع الشهوات، وهي الفطرة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) (٥)

ويغشى الفطرة رين قد يحجب عنها وجه الحق ، وانه لفي شغل الحياة وصروفها ملهاة عن الحقيقة الكبرى والهدف الجليل الذى من أجله خلق الثقلان ، الا وهو تحقيق العبودية لله في الألوهية بما تقتضيها الربوبية، وحين تنزاح هذه الصروف وتتبدد

---

(١) فصلت : ٤٩ - ٥١ (٢) الاسراء : ٦٧ - ٦٩
(٣) الاسراء : ٨٣ (٤) الزمر : ٨
(٥) تقدم تخريج الحديث ص ١١٢

تلك الشواغل الطبيعية تحت وطأة المصيبة وثقل الفاجعة تبرز النفس البشرية على حقيقتها وفطرتها التي خلقها الله عليها ، فاذا هي متضرعة - أول ماتتضرع - الى ربها وتنيب اليه مخلصة له الدعاء ، ولا ترجو لغيره وقارا ولاتعرف سواه مغيثا .

** والملاحظ في هذه الاية الشريفة من سورة النمل (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض) أنها ذكرت أمورا ثلاثة متعاقبة (يجيب . . ويكشف . . ويجعلكم خلفاء الارض. .) فهناك ١ ـ اجابة الدعاء ٢ ـ وكشف السوء ٣ ـ والتمكين في الأرض .

وهذه المنن الثلاث لم يسبقها من العبد غير خالص الدعاء ! فنزولها على العباد بهذا التتابع المذكور في السياق القرآني الجليل منهج للدعوة يخاطب العقول الواعية ويوقظ الغافل ويرد الشارد ويبعث الضمير من رقدته وسهوته ، ويرد الانسان الى بارئه ومولاه الذى يعطي الجزيل على القليل ، فهوسبحانه المتفضل المنعم ، وهذا وجه من المنهج العاطفي في الدعوة الى الله في الآية ، مما يستجيش الوجدان والشعور .

وهناك وجه آخر يعتمد على المنهج الفكرى او العقلي وهو: أن تحول الانسان المسلم في هذه الحياة - فردا أو جماعة - من النقيض الى النقيض كالتحول من الجهل الى العلم ومن اضطراب النفس وتلجلج الفكر وقلق البال الى طمأنينة القلب وهدأة الضمير . . لايتم في نقلة زمنية يسيرة على المعهود من جارى العادة وسنن الحياة مالم تتهيأ أسباب ذلك . .

ولقد ذكر أهل التفسير ان الاستخلاف المذكور في قوله تعالى (ويجعلكم خلفاء الأرض) يحتمل خمسة أوجه :

١ ـ انه بمعنى يجعلكم خلفا من بعد خلف .

٢ـ او أنه بمعنى يجعل أولادكم خلفا منكم .

٣ ـ او يجعل الكفار خلفا لكم يطيعون الله بعد كفرهم(١)

٤ ـ أو أنه يجعل المسلمين خلفا من الكفار(٢)

٥ ـ أو أنه اراد بالخلافة الملك والتسلط (٣)

---

(١) النكت والعيون للماوردى ٢٠٨/٣ وتفسير القرطبي ٢٢٤/١٣

(٢) تفسير الشوكاني ١٤٧/٤

(٣) الكشاف ١٥٥/٣

وكل وجه من هذه الوجوه يصح أن يكون موطن اعتبار ومجال نظر وموضع استدلال على قضايا الايمان .. فالله تقدست أسماؤه قادر على أن يخلق الأولين والآخرين في صعيد واحد وزمن واحد بابطال قانون الزوجية والأبوة والامومة، قال ابن كثير (قوله تعالى (ويجعلكم خلفاء الأرض) أى أمة بعد أمة وقوما بعد قوم ولوشاء لأوجدهم كلهم في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض بل لو شاء لخلقهم كلهم جميعاكما خلق آدم من تراب ، ولوشاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يميت أحدا حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد لكانت تضيق عنهم الأرض وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم من بعض ، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة يكثرهم غاية الكثرة ويذرأهم في الأرض ويجعلهم قرونابعد قرون وأمما بعد أمم حتى ينقضي الأجل وتفرغ البرية كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعدهم عدا ، ثم يقيم القيامة يوفي كلاً عمله اذا بلغ الكتاب أجله)(١) والله عزوجل مع هذا قادر على التمكين لأهل الايمان على أهل الكفر أبد الدهروهو تعالى قادر كذلك على أن يهدى الناس جميعا فلا يعرفون الكفر أبدا ، وهو كذلك قادر على أن يهدى جميع الخلق بعد كفرهم وغيّهم ! الى غير ذلك من الصور التي ربما ترد على الأذهان .

وأنت ترى هذهالوجوه وغيرها قد أشار اليها كتاب الله في غيرموضع من السورالمكية والمدنية كقوله تعالى(ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأتبآخرين وكان الله على ذلك قديرا) (٢) وقوله جل ثناؤه(ولو شاء الله لجمعهم على الهدى)(٣) وقوله سبحانه (وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء،كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين)(٤) وقوله تعالى (ولوشاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكرهالناس حتى يكونوا مؤ منين)(٥)وقوله (ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز)(٦)وقوله سبحانه (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا)(٧)

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٧١
(٢) النساء : ١٣٣
(٣) الانعام : ٣٥
(٤) الانعام : ١٣٣
(٥) يونس : ٩٩
(٦) ابراهيم : ١٩ - ٢٠
(٧) الانسان : ٢٨

ولعل الوجه الذى أورده الشوكاني وغيره وهو التمكين للمسلمين في الأرض والتمكين قبل ذلك للدعوة الاسلامية في القلوب ، هو المناسب لسياق الآية فهو على هذا لفت للانظار الى ظاهرة عجيبة لايفقهها كثير من الناس ، فكأن الله تبارك وتعالى يريد أن يلفت الناس وسط ذكره للكونيات(من سموات وأرض وأنهار وجبال) الى هذهالظاهرة العجيبة التي تمكن للمستضعفين في الأرض بعد أن يكونوا قلة أذلة في أعين الناس ، وهي ظاهرة تتسق معحقية ظواهرالكون في لفت الإنظار للتفكر والاعتبار والاستبصار، لهذه الفئة المؤ منة المستضعفة حين يرسخ في أفئدتها الايمان بالله واليوم الآخر(وهوموضوع الدعوة الاسلامية)وتسلك في الحياة منهجا بمقتضاه.. حينئذ تنقلب هذه الفئة المؤ منة المستضعفة التي تقطعت بها أسباب الجاه والمال ، وانفصت دونها وشائج التواصل بالناس أجمعين تنقلب هذه الفئة المؤ منة حين تصدق في ايمانها الى أمة ممكنة في الأرض تنشر الرحمة وتفتح القلوب قبل البلاد ، وتشيد حضارة الاسلام وتبني الشباب المسلم والعقول المسلمة.. وهذه سنة واضحة جلية في سير الأنبياء والمرسلين ، ولاسيما سيرة خاتمهم صلى الله عليه وسلموصحبه الكرام من بعده ، في مكة والمدينة ، ثم سيرتهم في أطراف الجزيرة ومن بعدها الى حدود الصين شرقا والاندلس غربا .. في زهاء قرن .

فكيف تهيأت وتتهيأ أسباب هذا الفتح المبين في الزمن اليسير ؟؟! ومن أين يستمد المستضعفون من المؤ منين تلك القوة التي تسكب في قلوبهم العزة والتمكين؟؟

الذى لا مرية فيه ولا جواب غيره ، ان الذى فلق الحبة وبرأ النسمة ويخرج الحي من الميت والميت من الحي هو الذى يفعل مايشاء اذا شاء ، وهوالذى أيد المؤ منين بنصره فهو سبحانه ولي المؤ منين وهوالقائل جل وعلا (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض، أءله مع الله قليلا ما تذكرون)النمل - الايــة : ٦٢

الفصل الخامس

(نعم الله على الانسان في البر والبحر والريـاح)

قال تعـــــــالى :

(أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشـرى بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون)

سورة النمل - الاية : ٦٣

** اهتداء الناس في ظلمات البر والبحر.

** النظر في الرياح المرسلة بشرا بين يدى رحمته وفوائدها .

أ - النظر في اهتداء الناس في ظلمات البر والبحر:

فطر الانسان على الضرب في مناكب الأرض بحثا عن الرزق وسعيا وراء المصالح الدنيوية والأخروية ، مصداق ذلك قوله تعالى(لقد خلقنا الانسان في كبد) (١) ولما شاء الله أن يكون معاش الانسان في هذه الدار على الأرض وهي كثيرة المسالك متعددة المناكب واسعة الأرجاء تضم البرارى والقفار والبحار والجبال وليس عيش الانسان مقتصرا على جانب منها دون آخر بل هو مطالب بالضرب فيها بمقتضى قوله تعالى(هو الذى خلق لكم مافي الأرض جميعا) (٢) وقوله(هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) (٣) لما كانت أسباب عيش الانسان بهذه المثابة كان لابد أن ترعاه عناية الله وتحوط به رحمته ويدركه لطفه وحلمه ، ذلك أن في ظلمات البر والبحر الكثير من أسباب الهلكة والبوار لما بث الله فيها من الدواب والوحوش وغيرها من المخلوقات . . ومن منن الله على عباده أن هداهم سبلهم في هذه الظلمات (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ، قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون) (٤) وما هداية الله الناس في هذه الظلمات الا ضرب من انجائه اياهم منها ومن شرورها .

---

(١) البلد : ٤ (٢) البقرة : ٢٩

(٣) الملك : ١٥ (٤) الانعام : ٦٣ - ٦٤

** وجوه الاهتداء في البر والبحر :

والهداية التي نوهت عنها آية سورة النمل (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) عامة في متناولها ، تشمل كل ما يمكن أن يهدى الانسان في الظلمات،فمن ذلك:

أ - هداية الله الى استخدام الدواب للركوب في البر قال تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون) (١) وكذلك استخدامه الفلك في البحر كماقال تعالى (وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (٢) وقال (وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام) (٣)

ب - والاهتداء بالعلامات سواء في الأرض مما هو من معالمها ومكوناتها ، أو مما هوفي السماء من نجوم ، وفي هذا يقول تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون) (٤) ويقول تبارك وتعالى (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر..) (٥)

جـ - والاهتداء بالعلوم المختلفة التي تمهد للانسان وتسهل له سبل العمل في ظلمات البر والبحركاستخدام الآلات الكهربية وغيرها وكالآلات البخارية كالطيارات والسيارات والقاطرات وما يتبعها من رسم للطرق وتمهيد للسبل ، ومن أجلى مايهتدى به الانسان هو مايكون في الطرق غيرالمسلوكةالواضحة المعالمكماهو الحال في البحار والجو ممايرتبط بالنجوم ومساراتها ، قال فيتفسيرالآيات الكونية(ولم تكن الابرة الممغنطة وحسابات الاتجاهات التي تسير عليها السفن منذ كشوف الحضارة وتشق بها الطائرات عباب الجو في زماننا الا اهتداء بالنجوم وتقلبا مع ترددها طالعة وغاربة ومقبلة ومدبرة ومشرّقة ومغرّبة ومعتدلة ومائلة فهي أعل من أصول الحساب لاختراق العباب أو شق السحاب) (٦)

د - بمعرفة دقائق علمالجغرافيا مما يبحث في معالم سطح الارض وجهاتهاولقد وصل الانسان اليوم الى معرفة واستخدام الحاسبات الآلية والاجهزة ما لميصل اليه من قبل ، ولم يكن ذلك الا بهداية الله ..

---

(١) النحل : ٨ (٢) النحل : ١٤

(٣) الرحمن : ٢٤ (٤) النحل : ١٥ - ١٦

(٥) الانعام : ٩٧

(٦) تفسير الآيات الكونية ص ١٤١ نقلا عن (من اشارات العلومفي القرآن الكريمص١٠٧

هـ - ومما يشمله معنى الهداية كذلك طرق الانتفاع بكنوز البر والبحر من غذاء ولباس وكساء وما اليه مما هو معلوم مشهور .

وهذه الوجوه مما امتن الله بها على الناس اذ هداهم سبلهم .

** وثمة وجوه من الاعجاز العلمي في القرآن في قوله تعالى (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) سورة النمل : الاية ٦٣ فقد قررت الآية أن للبر والبحر ظلمات تنشأ على ماعرفاليوم وقبل اليوم من الظلال والسحاب وظلمة الليل . . . وعرف الناس أن الاشعة المرئية منها وغير المرئية لها خواص في نفاذها في الماء أو الهواء ولها عمق الاختراق كذلك (١) ومعرفة الناس لهذا كله من وجوه الاهتداء في البر والبحر، فكيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم هذه الظلمات ووصفها بأدق ما يكون به الوصف كما في قوله تعالى في ضربه المثل لاعمال الكافرين (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض، اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) (٢)

وهذا المنهج العلمي يعد اليوم من أنجح المناهج الدعوية في استمالة العلماء . .

** كما تلمس هذه الاية الشريفة (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) شغاف القلب الحي والضمير المستجيب ، اذ يمتن الله على الناس بهدايتهم في الظلمات. . ووجوه الامتنان :

١ - كونها ظلمات عمياء يضل فيها المرء ويحار ويلجأ الى بارئه وفاطره

٢ - ومجيء الهداية وقت شدة الحاجة اليها فتصادف قلبا خاشعا متطلعا . . فتخرجه من حيرته وكربته.

٣ - وتزيد المنة حين يعقب السياق الجليل بنعمة أخرى بعد الهداية وهي ارسال الرياح بشرا بين يدى رحمة الله .

فهو أسلوب من أساليب المنهج العاطفي للدعوة يأتي في أعقاب الآية السابقة التي ينوه الله تبارك وتعالى فيها بانه يجيب المضطر ويكشف السوء ويمكن للمؤمنين . . فهي نعم متتابعة وامتنان وفضل ، ثم حث على مقابلة ذلك بواجب الشكر والاستقامة

---

(١) انظر خواص الضوء وأطوال الاشعة المختلفة في البر والبحر في كتاب (المدخل الى علم الجغرافيا) ص ٢١٦ ومابعدها

(٢) النور : ٤٠

ب - النظر في الرياح المرسلة بشرا بين يدى رحمة الله :

الرياح من عجائب خلق الله وبديع صنعه ، فهي فضلا عما تحويه من عناصر الحياة كالاكسجين الذى هو نسمة الحياة للاحياء ، وثاني اكسيد الكربون الضرورى لتنفس النبات ، ذات فوائد جمة وأثر حميد في بقاء الحياة ونمائها ، اذ تنخرط ضمن الأغلفة المحيطة بالارض المسخرة للانسان وهي (الغلاف الهوائي - Atmosphere والغلاف المائي - Hydrosphere والغلاف القشرى Lithos Phere وباطن الارض - Centros phere والاغلفة الثلاثة الأولى الهوائي والمائي والقشرى هي الوسط الملائم لعيش الانسان (الغلاف الحيوى) (١)

ولست في هذا المقام مستقص كل ما يتعلق بالرياح ومكوناتها ، لسعته وتعدد جوانبه وحسبنا النظر الى (الرياح) من الوجوه التي أوردتها آية النمل (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) فهينا لفت للانظار الى أمور ثلاثة :

١ - حركة هذه الرياح ، ويشير اليه قوله تعالى (يرسل)

٢- تنوعها في العناصر والاغراض ويشير اليه قوله تعالى (الرياح) بصيغة الجمع.

٣ - وذكر جانب الخير والنفع منها ، ويؤذن به لفظ البشارة والرحمة .

وهما كما قال الماوردى : المطر في قول الجميع (٢)

١ - أما حركة الرياح ، فهي ذات دلالة ناصعة على قدرة الله وعظيم منته :

** فمن عجائب حركتها أن الله يرسلها بشرا بين يدى رحمته وهي مع كونها نسائم خير وبشائر بركة ورحمة ، قد تنقلب باذن بارئها الى ريح صرصر تقصف وتعصف فالحركة واحدة والهواء واحد لكن الاختلاف في السرعة والكثافة والغرض .. فموطن الاعتبار في رياح الرحمة ١ - اعتدال سرعتها ٢- تعدد وجهاتها ٣- لطفها وصفاؤها من القذيات والاقذاء ، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال : (اللهم اني أسألك خيرها وخير مافيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر مافيها وشر ما أرسلت به) (٣)

---

(١) المنهج الايماني للدراسات الكونية ص ٣٧٣ والمدخل الى الجغرافيا ص ٢٣٥

(٢) النكت والعيون ٣/٢٠٩

(٣) رواه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء عن عائشة رضي الله عنها ٢/٦١٦ باب التعوذ عند رؤية الريح

** ومن عجائبها أنها تتحرك داخل الغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض على شكل خيمة نصف قطرها ١٠٠٠,٠٠٠ متر فوق سطح الأرض(١) ثم هـــي مع ذلك لا تختلط انواعها : السموم المحرق والنسيم البارد ، والذى يلقح السحاب بالذى يلقح النبات ! والذى يسيّر الفلك بالذى يعصف ويدمر، فكأنما هي أنماط ووظائف تسير بدقة واتزان !

** وتحرك الرياح وكيفيته ووقته ووجهته وسببه ، كل أولئك بتقدير الخلاق العليم ، وليس في مكنة بشر التحكم بشيء من ذلك ، وغاية ماتوصلوا اليه جغرافيا هو أن (أشعة الشمس تعمل على تسخين الهواء وتمدده ، ويؤ دى ذلك الى قلة الضغط ، ومن ثم تتحرك الرياح من مناطق الضغط المرتفع الى المنخفض) (٢)

وأنت ترى أن هذا الكشف العلمي لا يغطي التساؤلات المطروحة ولا يفسر حركة الرياح من كل الحيثيات التي ترد على الأذهان .. فمن يحدد للرياح وجهتها التي لا تعدوها ؟ ومن يجعلها وقت شاء رياح خير أو ريح شر ؟ وكيف تنضبط هذه الرياح وفق الموازين المحددة سرعة واتجاها وصفاء وكثافة ؟ وما الذى يمسك عناصرها الثمينة (كالاكسجين وثاني اكسيد الكربون) مما يتوقف عليه عيش الاحياء من أن تتفلت عن الغلاف الجوى وتتسلل الى خارجه ابان ثورة الأعاصير ؟؟!

٢ - وفي تنوع الرياح وتعدد منافعها مجالات نظر واستدلال .. ولقد ذكر العلماء أن الرياح حين يرد ذكرها في القرآن العظيم في سياق الرحمة تجيء مجموعة كقوله تعالى (**الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا**) (٣) وحين تذكر في سياق العذاب تجيء مفردة كقوله تعالى في قوم هود عليه السلام(.. **فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات**) (٤) هذا خ ا لأعم ا لأغلب .

ومن مواطن الاعتبار في تنوعها أنها على كثرة أغراضها وتنوع كثافتها تتجانس مع غيرها من عناصر الكون ،قال في تفسير الجواهر(الهواء أخف من الماء ٨٠٠ مرة ، والبخار أخف من الماء ١٧٢٨ مرة ، ولذلك نرى السحاب يرتفع في اعلى الجو) (٥)

---

(١) المنهج الايماني للدراسات الكونية ص ٤٩٠
(٢) المدخل الى علم الجغرافيا ص ٢٥٨
(٣) الروم : ٤٨ (٤) فصلت . ١٦
(٥) تفسير الجواهر ١٨٢/١٣

ولوشاء ربك لجعل الهواء أثقل من الماء فلن تستطيع له طلبا !

ومن تأمل أنواع الرياح يجد الحكمة الباهرة،فلقد عرفوا (أنها منها :

١ - رياح دائمة ٢- وموسمية ٣- ومحلية)(١) ولكل وظيفة وخواص وفوائد ، نوه عن ذلك كتاب الله المجيد ونذكر منه ما تيسر :

٣ - منافع الرياح عظيمة أجملها قوله تعالى (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ، وليذيقكم من رحمته ، ولتجرى الفلك بأمره ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)(٢) ، وفصل بعض وظائفها ومنافعها قولهتبارك وتعالى (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله)(٣) ، وقوله(وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون)(٤) وفي سورة النمل(ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) قال ابو السعود في آية الاعراف : (بين يدى رحمته) : قدام رحمته التي هي المطر، فان الصبا تثير السحاب ، والشمال تجمعه ، والجنوب تدره والدبور تفرقه(٥) وقال تعالى في اثر الرياح في تفاعل السحب وامطارها (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين)(٦)ولا يخفى مافي الآيات السابقة من دلالات بينة على قدرة العزيز الغفار وعلى البعث والنشور مما سيجيء ان شاءالله

ومن منافع الهواء فضلا عما يتوقف عليه حياة الاحياء : تساعد على انبات البذرة من الارض ويحفظ الابدان من التسمم اذ يجففها من افرازاتها السامة، ويفرق جموع (الميكروبات) لتحرقها أشعة الشمس ، وتجفف الثياب ، وبين الهواء والماء انسجام غريب اذ قد يتحول أحدهما الى الآخر لاغراض يدق فهمها في مجريات الحياة مما بسطه العلماء (٧)

---

(١) المدخل الى علم الجغرافيا ص ٢٦١ ومايليها .
(٢) الروم : ٤٦
(٣) الروم : ٤٨
(٤) الاعراف : ٥٧
(٥) ارشاد العقل السليم ٣/٢٣٤
(٦) الحجر : ٢٢
(٧) انظرماجمعه رشيد رضا في تفسير المنار ٨/٤٨٣

الفصل السادس

(بدء الخلق واعادته وبث الأرزاق)

قال تعالى :

(أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض إله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)

سورة النمل - الاية : ٦٤

* النظر في بدء الخلق واعادته .
* بث الأرزاق في السماء والأرض .
* عنصر الاتقان في مظاهر الكون .

المنهج العقلي في الدعوة ظاهر في ثنايا الآية الشريفة التي تناولت بدء الخلق واعادته وبث الأرزاق .. ومجيء الآية على هذا المنوال بعد الآيتين اللتين عرضتا أحوال الانسان في لحظة الكربة في البر والبحر وخاطبتا عاطفة الانسان وضميره .. لاشك أنه تنوع مقصود في عرض مناهج الدعوة التي تخاطب الفطرة والعاطفة والعقل.

واللون الاستدلالي هو الغالب على هذه الآية ولاسيما في شطرها الأول ، اذ رتبت امكان اعادة الخلق (وقد أنكرها الجاحدون) على امكان بدء الخلق (وقد سلموا به) وهذا ما سيجيء بسط وجوهه في الفصل الثامن ان شاء الله

والمقصود هنا النظر والعرض في بدء الخلق واعادته وفي الرزق وفق معطيات الآية الكريمة ،فأقول وبالله استعين :

أ - النظر في بدء الخلق واعادته :

بدء الخلق أمر مسلّم به لا ينازع فيه منازع الا مكابر جاحد ،قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) (١) ولما سمع جبير بن مطعم النبي صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية قال : كاد قلبي أن يطير(٢)

والسور المكية حافلة بما أقره المشركون وغيرهم من خلق الله السموات والأرض ...الخ فهو سبحانه (فاطر السموات والأرض) (٣) و (بديع السموات والأرض) (٤) و(بدأ خلق الانسان من طين) (٥)

---

(١) الطور : ٣٥

(٢) متفق عليه : رواه البخارى في كتاب التفسير ١٨٣٩/٤ باب تفسير سورة الطور واللفظ له ، ومسلم في كتاب الصلاة ٣٣٨/١ باب القراءة في الصبح .

(٣) الانعام : ١٤٠

(٤) البقرة : ١١٧

(٥) السجدة : ٧

ولئن كان المشركون قد سلموا ببدء الله الخلق ، فلسنا في حاجة الى اثباته! كما أنا لانرى كبير جدوى في وزن النظريات التي ظهرت في كيفية بدء الكون والحياة لانها لاترتقي الى مستوى اليقين فضلا عن أنها لا تصمد أمام النقد (١) فلا نحمل أنفسنا عناء البحث فيها وقد سلّم الكافرون بان الله خلق الخلق وفطره أول مرة .

أما اعادة الخلق ، فهو البعث والنشوريوم الحساب ، ومعنى الاعادة هو أن الله تبارك وتعالى بعد أن خلق الخلق أول مرة يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا (٢) وهذا هو المعنى الذى اجمع عليه أهل الإسلام (٣) ويتضمن أمورا ثلاثة :

١ - أن الله خلق الخلق ولم يك شيئا .

٢ - ثم يسرى الموت على كل مخلوق .

٣ - ثم يبعثون للحساب والجزاء .

وللاعادة مفاهيم ومعاني قرآنيـة بسطها شيخ الاسلام بما لامزيد عليه (*)، وهذه المراحل الثلاث يطرد ذكرها في كثير من آى الذكر الحكيم كما في قوله تعالى (وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور) (٤) وقولـه (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٥) وقوله تبارك وتعالى : (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) (٦)

ب - بث الارزاق :

ما من ريب أن الرزق عماد الحياة وسبب بقائها ، وهو بمفهومه الشامل يتناول جميع أنواع الرزق وأسبابه ووجوه اكتسابه :

* فمنه الضرورى كالطعام والشراب والهواء مما يتوقف عليه حياة الاحياء ، وهو مبثوث في مناكب الأرض أنهارا وأمطارا ونباتا وحيوانا .

---

(١) انظر مجمل النظريات في ذلك (الانسان بين العلم والدين ص ٣٠ - ٣١ و ١٩١ والمدخل الى علم الجغرافيا ص ٤٥ ومايليها ، والتفسير العلمي للآيات الكونية لاحمد حنفي ص ٨٧ ، وانظر نظريات انفصال الارض عن السماء في تفسير المنتخب ص ٤٧٦ في موضع الانبياء : ٣٠) .

(٢) زاد المسير ٦/٢٩١ موضع الروم : ١١

(٣) الطبرى ١٧/٧٩ موضع الانبياء : ١٠٤ وزاد المسير موضع العنكبوت : ١٩ والنسفي ٣/٢١٩ في موضع النمل والالوسي ٢٠/٨

(٤) الحج : ٦٦ (٥) الجاثية : ٢٦ (٦) الروم : ٤٠

(*) مجموع الفتاوى ٧/٤٠٥

* ومنه ما ينضوى تحت مباهج الحياة من أولاد وأزواج وأموال وصحة في الأبدان وعقول ـــــــــــــــ ، ومواهب تعين على الحياة، وهوكثير ميسر موفور على تفاوت الناس فيه . .

وهذان النوعان من الضروريات والمباهج يشترك فيهما البر والفاجر، وهوالقدر الذى تؤ سس عليه الحياة انبثاقا وبقاء .

* ومن الرزق الايمان والتقوى والتوفيق لصالح العمل ، وهذا القدر لايوفق اليه الا الاخيار دون الاشرار .

وكل هذه الانواع وماجرى مجراها من نظائرها ينتظمه قوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) (١) وللرزق في السياق القرآني الجليل معاني جمة ليس هنا مقام بسطها (٢)

ومن وجوه النظر في الرزق ، مما يلفت القرآن العظيم في سورة النمل الانظار اليها للاعتبار والاتعاظ :

** تقرير أن الله تعالى هو وحده الرزاق المتكفل بالرزق ، قال تعالى (وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) (٣) والدابة كل حيوان يدب ، والرزق حقيقته مايتغذى به الحي ويكون فيه بقاء روحه ونماء جسده (٤) وقال جل وعلا (وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم) (٥) وقال جل من قائل (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ، لا اله الا هو فأنى تؤفكون) (٦) ولايخفى الاستدلال بهذا على توحيد الربوبية والالوهية.

** ومن ذلك أن الرزق الذى هو مايتغذى به ، يهيؤه الله من السماء والارض كما قال (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار) (٧) وفي سورة النمل (ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) الاية : ٦٤

---

(١) النحل : ٥٣
(٢) انظرقاموس القرآن مادة (رزق) للدامغاني
(٣) هود : ٦
(٤) تفسير القرطبي ٦/٩
(٥) العنكبوت : ٦٠
(٦) فاطر : ٣
(٧) يونس : ٣١

ومن عجائب الرزق مما يغفل عنه الناس ما هيأه الله للانسان والحيوان من (اكسجين يستنشقه الجسم فيتلقاه الدم ويوزعه في خلال جسمه، وهذا الاكسجين يحرق الطعام في كل خلية ببطء شديد عند درجة حرارة نسبيا، وينتج عنه ثاني أوكسيد الكربون وبخار الماء اللذان يلفظهما الجسم. (١) ولولا رحمة الله المتجلية في هذا (الاكسجين) لانعدمت الحياة فهو على هذا من جملة الرزق المبثوث بلا حساب .

وكم في كسرة الخبز وحفنة الارز من عجائب الرزق لما تحتوى عليه مما كشفه العلم اليوم من (فيتامينات وبروتينات ومواد أخرى كثيرة تنمى الجسم وتقوى خلاياه وتحافظ عليه من العطب وتقيه الامراض . . مما علمه الناس وجهلوا أكثره ، فتبارك الذى لاتنفد خزائن رزقه وموجبات رحمته ،وأحاط بكل شيء علما .

** ومن وجوه النظر في الرزق ، ان الله تعالى يهبه للناس بتوزيع حكيم اقتضته حكمته وتدبيره ، فهو مبسوط للبعض ومقدور على البعض ليتحقق الابتلاء وتقوم الحجة ويتبين الشاكر والصابرمن الكافر والجاحد ، فهو سبحانه اعلم بمصالحهم ومايصلحهم، قال سبحانه(**الله يبسط الرزق لمن يشاء من عبـا ده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم**) (٢) وقال سبحانه(**الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**) (٣)وقال جل من قائل(**أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقومٍيؤ منون**) (٤) وقال تعالى (**قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**) (٥)وقال(**ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير**) (٦)

** ومن ذلك تهيؤ أسباب طلب الرزق وتوافر عوامل اكتسابه وحوافز البحث عنه وهذا وجه جدير بالاعتبار، ويدخل فيه شتى العلوم الكسبية والحرف والمهن والفنون والصناعات وخواص ذلك ومبادئها وأسرارها بما يقوم عليه المعاش وهو مما علّمه الله الانسان وهداه سبله (**ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**) (٧)

---

(١) العلم يدعو للايمان ص ٨٠ بتصرف

(٢) العنكبوت : ٦٢ (٣) الرعد : ٢٦

(٤) الروم : ٣٧ (٥) سبأ : ٣٩

(٦) الشورى : ٢٧ (٧) طه : ٥٠

فمن ألهم الانسان ذلك كله ؟ وكيف بثت الارزاق على اختلاف انواعها وتعدد هيآتها وتنوع مصادرها في الارض والسماء ؟؟ وكيف اتسقت أجزاء هذا الرزق وتتابعت من غيث ثم نبات ثم طعام .. لتؤدى وظيفتها في استمرار الحياة على أكمل وجه ؟ وكيف لا تنفد هذه الارزاق على كثرة الآكلين والشاربين على امتداد احقاب التاريخ ؟!

جـ - عنصر الاتقان في مظاهر الكون : (١)

قال تعالى (.. صنع الله الذى أتقن كل شيء)الاية : ٨٨ تشير هذه الاية الشريفة الى أمر عجيب تشترك فيه كل مظاهر الكون من الذرة الى المجرة، وهو أمر جدير بالاعتبار الا وهو تضافر عنصر(الاتقان) وتوافره في تلك المظاهر خلقا وتكوينا وانشاء وتسييرا ..

ومجيء الاية الشريفة في آخر السورة يوحي ان هذا الاتقان ليس خاصا بمرالجبال مر السحاب وحسب ، انما هو عنصر يتضافر مع كل ما تقدم في السورة من ذكر لظواهر الكون عرضا واستدلالا .

ولم يرد في كتاب الله ذكر(للاتقان) في غير هذا الموضع الذى في سورة النمل ، ويتناول مظاهر الكون من حيث الخلق أول مرة كما يتناول بقاءها بلا خلل واستمرارها في اداءوظائفها الى الأجل المسمى ، وعلاقتها بعضها ببعض وفق نظام بديع .

فلقد قرر كتاب الله المجيد أن كل شيء حي أصله من الماء ، وانه سبحانه أحسن خلقه وهداه سبله وخلقه بقدر وتقدير فهو مقدور موزون ، وفي ذلك يقول تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (٢) ويقول (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وماتغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) (٣) ويقول تباركت أسماؤه بعد ذكرالأرض والغيث (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) (٤) ويقول سبحانه(وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) (٥) ويقول تعالى(الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) (٦) ويقول(اناكل شيء خلقناه بقدر) (٧)

---

(١) آثرت ايرادالحديث عن (الاتقان)في الخلق في آخر فصول عرض مظاهرالكون وذلك توخيا لترتيب العرض في السورةفليس بعد (هذهالايةرقم ٨٨)عرض للكونيات

(٢) الانبياء : ٣٠ (٣)الرعد : ٨ (٤) الحجر : ١٩

(٥) الحجر : ٢١ (٦) السجدة : ٧ (٧) القمر : ٤٩

ويقول تبارك وتعالى (قد جعل الله لكل شيء قدرا) (١) وفي سورة النمل (صنع الله الذى أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون) الاية : ٨٨

ثم هو سبحانه وتعالى كما قال عن نفسه(وكا نالله على كل شيء مقتدرا) (٢) وقال (وكان الله على كل شيء رقيبا) (٣) وقال (وربك على كل شيء حفيظ) (٤) وقال (انه بكل شيء محيط) (٥) فله سبحانه مطلق الخلق والأمر والتصرف وفي سورة النمل (وله كل شيء) الاية : ٩١

ومن مظاهر هذا (الاتقان) في الخلق - غيرماتقدم في ثناياالفصول السابقة - ماهو مشهود ملموس من تعددالخلق كثرة وتنوعا ، رغم أن عناصر التكوين واحدة متشابهة، قال في تفسير المنتخب (أثبت العلمالحديث أن كل الموجودات تسير بحكمة تكوينها وما يجرى عليها من تطورات مختلفة وفق نظام دقيق ثابت لايقدرعليه الاخالق قدير مبدع ، فمن حيث التكوين تبين أن جميع هذه الموجودات والمخلوقات على اختلاف أشكالها وتباين صورها تتألف من اتحاد عناصر محدودة العدد ، اذ يبلغ عددهاقرابة المئة عنصر (منها ٩٦ معروفة حتى الآن) وهي تتدرج في صفاتها الطبيعية والكيميائية(٦) وأوزانها الذرية ، وتبدأ بالعنصر ١ وهو: الايدروجين ووزنه الذرى ١ وتنتهي حتى الآن بالعنصر رقم ٩٦ وهو عنصر اليوريوم ووزنهالذرى غير معلوم . .

وكذلك الحيوان والنبات فان كلا منها ينقسم الى أسر وفصائل وأنواع. . ولكل نوعمن هذه الانواع والأصناف صفات خاصة تتوارث فيما بينها جيلا بعد جيل ، وكل هذا يسير تبعا لقوانين ونظم ثابتة دقيقة تنبيء بجلاء ووضوح عن عظمة الخالق وقدرتـه) (٧)

واذا تأمل الناظرون الى الذرة وهي أصغر جزء عرفه الانسان في هذا الكون (٨) يجد الدقة المتناهية في اتحاد تلك الذرات بعضها ببعض لتدخل فيتركيب الاشياء علىنحو ينبيء عن نظام دقيق يسيطر عليها ويسيرها . . (فالذرات كما قرره العلم على

---

(١) الطلاق : ٣ (٢) الكهف : ٤٥
(٣) الاحزاب : ٥٢ (٤) سبأ : ٢١
(٥) فصلت : ٥٤ (٦) الكيمياء هي العلم الذى يعنى بطبيعةالمادة وتركيبها ومايتناولهامن تغيراتويعرف بالخواص الفيزيقية (الموسوعةالميسرة٢/١٥٣١)
(٧) المنتخب ٥٣١ بتصرف في موضع الفرقان : ٢
(٨) يضرب علماء الابحاث الكونية للذرة مثالا للتقريب (وهي أصغر جزء عرفه الانسان) بالنقطة التي يضعها القلم معالايكاد يرى، فلو جمعت عشرة بلايين ذرة بجوار بعضها ما ساوت تلك النقطة !

مختلف أنواعها تستطيع أن تتزاوج فيما بينها ، فذرة كربون واحدة تستطيع باتحادها مع ذرتين من الاكسجين تولد جزيئة من ثاني اوكسيد الكربون ، كما تستطيع ذرة أوكسجين واحدة ان تعطي جزيئة ماء باتحادها مع ذرتين من الايدروجين ، وهكذا تدخل العناصر الثمانين - المعروفة اليوم - في تركيب جميع الأجسام الموجودة في الكون تماما كما تدخل الحروف الابجدية في تركيب جميع كلمات اللغة (١)

وهنا تبدو لنا الحقيقةالكبرى وهي ان الكون مبني كله من مادة واحدة . . لافرق بين هيدروجين وحديد ، بين رصاص وذهب ، بين آزوت واوكسجين ، الا بعدد البروتونات proton's الموجودة بتفاوت في نواة ذرة كلّ من هذهالأجسام(٢)

فما الذى يمنع ذرات الذهب من أن تنفلت لتتحد في جسم الحديد - مثلا - أو يمنع ذرات الانسان المكونة لأنسجته وخلاياه من أن تتناثر في الهواء هباء فيتلاشى جسم الانسان كلية في ثوان معدودات ؟!!

اى دقة هي تلك التي تنضبط على منوالها الاجرام والمجرات الضخمة من سموات وأرض كما تنضبط الذرات المتناهية في الصغر ؟

أليس ذلك تقدير العزيز الحكيم الذى أحصى كل شيء عددا وهو سبحانه القائل (صنع اللهالذى أتقن كل شيء)النمل : ٨٨

---

(١) الذرة والكون - بيارو روسو ص ٩

(٢) المرجع السابق ص ٣٤ - ٣٥

الفصـل السـابع

(الاستدلال بمظاهر الكون على الالوهية)

ويشتمل على مبحثين . :

* المبحث الاول : الاستدلال على وجود الله .
* المبحث الثاني : الاستدلال على وحدانيتـه تعالى .

تقديم :

لا مرية أن لمظاهر الكون المعروضـة في القرآن العظيم دلالات واضحـة وعظات بالغـة ، تهدى القلوب التائهة والافكار الحائرة الى التـي هي أقوم قيلا وأعدل سبيلا ، بل ان مظاهر الـكون من سموات وأرض وما حوتـه من جبال ونبات وغيث وأرزاق وأناسي وأنعام .. هي بذاتها حجج بالغة على وحدانية الحـــي القيوم واقتداره ، وانه بيده ملكوت كل شيء ..

ولئن كان الاسلام قد رسملدعاته منهاجا قويمابالنظر الى عناصر الكون وأغوار النفس ومظاهر الحياة، وهذا فضلا عما فيه من تمجيد للعقل وحث علىاعمال الفكر وذم للتقليد المجرد عن الاستبصار والاستدلال ، ان ذلك لمن خصائص الاسلام اذ جعل ذلك كله مما هو مأمور به في الشرع ، قال الشاطبي في الموافقات(الأدلة الشرعية ضربان :

أحدهما : أن يكون على طريقة البرهان العقلي فيستدل به على المطلوب الذى جعل دليلا عليه ، وكأنه تعليم للأمة كيف يستدلون على المخالفين ، وهو فيأول الأمر موضوع لذلك ، ويدخل هنا جميع البراهين العقلية وماجرى مجراها مثل (لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)(١) (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) (٢) (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل منشركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون)(٣) وهذا الضرب يستدل به على المخالف والموالف ، لأنه معلوم عند من له عقل فلا يقتصر به على الموافق في النحلة .

والثاني : مبني على الموافقة في النحلة وذلك الأدلة الدالة على الأحكام التكليفية كدلالة الأوامر والنواهي على الطلب منالمكلف ..)(٤)

---

(١) الانبياء : ٢٢ (٢) يس : ٨١ (٣) الروم : ٤٠
(٤) الموافقات في أصول الأحكام ٣/٢٩

وهذا المنهج العقلي في الدعوة من أمثل المناهج وأقوم الطرائق ، ولقد سلكه سلف الأمة الصالح والتزموا فيه الكتاب والسنة فلم يجنحوا الى الاغراق في الخيال كما فعل الفلاسفة ولم يميلوا الى تغليب العقل على النقل كما درج عليه عامة أهل الكلام(١)

وهذا المنهج الوسط المؤثر للاتباع على الابتداع يفضي الى الموضوعية الكاملة وهي سبيل الاستدلال السليم الذي يلتقي مع ما تتكشف عنه الفطر السليمة .

والدليل في اللغة هو المرشد ومابه الارشاد ، وفي الاصطلاح هو الذى يلزم من العلم به العلم بشيء آخر (٢)

ومدار الاستدلال جميعه كما ذكر الامام ابن القيم رحمه الله (٣) على التسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين ، وهذا النوع الثاني هو ما سنسير على منواله في ثنايا هذا الفصل - ان شاء الله - فليس بين الله تقدست أسماؤه وبين أحد من خلقه مماثلة (**ليس كمثله شيء وهوالسميع البصير**) (٤)

وأسلوب الاستفهام التقريري هو الظاهر من أساليب الاستدلال في الآيات التي عرضت مظاهر الكون ودعت الى النظر فيها في هذه السورة الجليلة ، وقد ورد على أنحاء ثلاثة :

١ - الافتتاح بقوله تعالى (**آلله خير أما يشركون**) وتقديره : أما يشركون خير أمن خلق السموات والأرض (٥) وهو على هذا اسلوب التنزل الى مستوى الخصم مثل قوله تعالى (**وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**) (٦) مع اليقين أنا على هدى وأن الكفرة في ضلال مبين ، ومؤداه عرض جانب الحق بأدلته وبراهينه وعرض الباطل ولا دليل له ولا برهان ، ثم المطالبة بالترجيح بينهما والاختيار ، وهو أسلوب يصلح لدعوة المغتر بباطله المتعامي عن الحق المزدريه .

---

(١) انظر مناقشة شيخ الاسلام للاتجاهين الفلسفي والكلامي في مجموع الفتاوى ١٦/٢٦٢ و ١٧/٢٤٣ وكذلك كتابه الموسوعي (درء تعارض العقل والنقل - ط : جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية)

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١٤٠ باب الدال

(٣) اعلام الموقعين ١/١٣٠ ط ١٣٨٨ هـ القاهرة .

(٤) الشورى : ١١

(٥) زاد المسير : ٦/١٨٥

(٦) سبأ : ٢٤

٢ - الاستفهام المتكرر في مطلع الآيات الخمس المتتابعة :

(أمن خلق السموات والأرض ..

(أمن جعل الأرض قرارا ..

(أمن يجيب المضطر اذا دعاه ..

(أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ..

(أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ...

وهذا الاستفهام المتكرر على مافيه من تعدد وجوه الدلالة وتنوعها هو تقرير لتوحيد الألوهية المستلزم لتوحيد الربوبية، فهو نعي على أولئك الذين يشركون مع الله في الألوهية وتقريع لهم، وهو كذلك نفي للشركاء العاجزين عن مثل ما الله مقتدر عليه من الخلق والرزق والاحياء والاماتة ..وذلك بالدليل والبرهان، اذ انتفاء الخلق والرزق .. عن الآلهة المزعومة انتفاء لألوهيتها، قال ابن كثير(أمّن) في هذه الآيات كلها تقديره : أ مّن يفعل هذه الأشياء كلها كمن لا يقدر على شيء منها ؟! هذا معنى السياق وان لم يذكر الآخر، لأن في قوة الكلام مايرشد الى ذلك .(١)

٣ - تكرار الاستفهامات في كل سورة وهي قوله تعالى(**أإله مع الله**) خمس مرات عقب كل آية مما تقدم وقد ذكر ابن كثير له وجهين (٢) :

أحدهما : ان المعنى أى االه مع الله يعبد وقد تبين لكم ولكل ذى لب مما تعرفون به انه الخالق الرازق ..

والثاني : تقدير جملة - هكذا : (**أإله مع الله**) فعل هذا ؟ وهولايرجع الى معنى الأول ، لأن تقرير الجواب انهم يقولون : ليس ثم أحد فعل هذا معه، بل هو المتفرد به، فيقال لهم : فكيف تعبدون معه غيره؟ وهو المستقل المتفرد بالخلق والرزق والتدبير ا. هـ

فعلى الوجه الاول هو تقريراستحقاق الله للعبادة . وعلى الوجه الثاني هواستخراج العلة من الخصم ثم بناء الحجة عليها مما يسلم به ، والوجهان من أساليب المنهج العقلي في الدعوةيعتمدان على اقامة الحجة الملزمةمما لاوجه فيه للانكار.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٦٩/٣

(٢) المرجع السابق.

المبحث الأول :

(الاستدلال على وجود اللـه)

بادئ ذي بدء نشير الى أن عامة السلف الصالح - رضوان الله عليهم - قرروا في مدوناتهم أن الاستدلال على وجود الله تبارك وتعالى أمرمعلوم بالفطرة والجبلة، وأن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم انما بعثوا ليصححوا للناس ما انحرف من تصورهم للألوهية ، فكانت دعوات الرسل منصبة الى توحيد الله، فكانت قولتهم الجليلة(**اعبدوا الله ما لكم من اله غيره**) (١) فهم لم يدعوا الناس الى أن يقولوا لهم هناك اله ! لأن ذلك أمر يعرفه كل أحد من غير وحي أو قرآن ! (**قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض**) (٢)

وما الآيات القرآنية التي عرضت اعتراف المشركين بتوحيد الله تبارك وتعالى في الربوبية الا مظهر لهذا الاقرار بوجود الله من مثل قوله تعالى(**قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون**)(٣) والآيات في هذا كثيرة مستفيضة (٤)

وفي سورة النمل تطالعنا الآيات بهذه الحقيقة الجبلية :

أ - فعن فرعون ومن كذب معه يقول تعالى بعد أن أشار الى معجزات موسى عليه السلام(**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا**) الاية ١٤ فالله تبارك وتعالى يصفهم بالجحود بعد الاستيقان ، وهذا دليل اقرارهم الفطرى الذى يشترك فيه كل الناس .

ب - وتحدث الهدهد في قصة سليمان عليه السلام وهو طائر أعجم فأسفر عن فطرته اذ قال عن أهل سبأ وملكتهم(**وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون ألايسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ، الله لا اله الاهو**

---

(١) الاعراف :٥٩ و ٦٥ و ٧٣ و ٨٥ وهود : ٥٠ و ٦١ و ٨٤
(٢) ابراهيم : ١٠ (٣) المؤمنون : ٨٤ - ٨٩
(٤) اقرأ في سورة لقمان : ٢٥ - ٢٦ والزمر: ٣٨ والزخرف : ٩ و ٨٧ والعنكبوت : ٦١ و ٦٣ وغيرها كثير

رب العرش العظيم) الايات : ٢٤ - ٢٦

جـ - وعن قوم صالح عليه‌السلام يقول تعالى (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون) الاية : ٤٩ فهم اذ تقاسموا بالله مقرون به فطرة وجبلة وان أشركوا معه سواه .

د - ودلالة النص القرآني الجليل واضحة في الآيات التي عرضت مظاهر الكون في السورة(أمن خلق السموات والارض .. أمن جعل الأرض قرارا .. أمن يجيب المضطر اذا دعاه .. أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر .. أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده..) الآيات : ٦٠ - ٦٤ فصيغة الاستفهام المتكرر يوحي الى السامع أن المخاطبين مقرون بوجود الله تبارك وتعالى ، وانما انحرفوا في تصورهم لألوهيته، فأشركوا معه غيره .

ولقد قرر أجلة العلماء في القديم والحديث ذلك ، وهو أن الناس مجبولون على الاقرار الفطرى بالله تباركـ وتعالى وان هذا الاعتراف بوجود الصانع كمايقول شيخ‌الاسلام ابن تيمية (ثابت في الفطرة قرره الله في مواضع من كتابه .. فلايحتاج الى دليل بل هو أرسخ المعارف وأثبت العلوم وأصل الأصول (١)

والبرهان البديهي الذى يجابه به الملحدون هو أن هذا الكون المشهود قائم موجود من سموات وأرض ومافيهما من مخلوقات.. فليس هو بالأزلي كما أنه ليس بالسرمدى ولا يستطيع ذو عقل انكار شيء من ذلك،فلابد من خالق أبدعه وفطره من العدم وهذا التناسق البديع الدائم بين أجزاء هذا الكون أثر - كذلك - من آثار الخالق تبارك وتعالى .

وصفوة القول أن الربوبية أقربها المشركون معرفة لا تصديقا ، أما الألوهية فالانحراف وقع فيها معرفة وتصديقا .

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/٧٢ وقرر نفس المعنى ابن القيم في مفتاح دارالسعادة ١/٢١٢ و ١/٢٨٠ والغزالي في الاحياء ١/١٨٢ ط ١٣٥٦هـ ومن المعاصرين سيد قطب في الظلال ٥/٢٦٥٦ في موضع النمل : ٦٠ والشيخ الاسبق للازهر الدكتور عبد الحليم محمود في تقديمه لكتاب الدعوة الاسلامية في عهدها المكي ص ٧ لرؤوف شلبي ومحمد قطب في دراسات قرآنية ص ٢٣ - ٢٧

المبحث الثاني :

(الاستدلال على وحدانية اللـــه)

توحيد الله - تبارك وتعالى - في الألوهية هو الهدف الأكبر للدعوة، وهوالذى من أجله أنزلت الكتب وبعثت الرسل وخلقت الجن والانس ، وعليه مدار الجزاءوالثواب في الدنيا والآخرة .

والدعوة في اطارها التأسيسي في السور المكية انما تقوم على ارساء وتحقيق مفهوم الوحدانية في الربوبية والألوهية، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي نأت عن ذلك فـي صورها المختلفة . .

ولئن كان مشركو العرب قد أقروا بالربوبية دون الألوهية ان ذلك لألزم حجة عليهممما أقروا به وليس ذلك ينفعهم اذ تخلف عنهم توحيد الألوهية.

والدعوة - في أهدافها العامة - تقوم على تحقيق التوحيد في الربوبية والألوهية ثم من بعد ذلك في الأسماء والصفات ،لأن الدعوة موجهة للناس كافة على اختلاف نحلهم وتباين وتنوع اتجاهاتهم ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله(الشرك يكفر صاحبه ، وهونوعان :

- شرك في الالهية وهو : أن يجعل لله ندا في عبادته أومحبته أو خوفه أوانابته فهذا هو الشرك الذىلايغفره الله الا بالتوبة منه، قال تعالى(قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سبق)(١) وهذا هو الذى قاتل عليه صلى الله عليه وسلم مشركي العرب .

- وشرك في الربوبية: فان الرب سبحانه وتعالى هو المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع الخافض الرافع المعز المذل ،فمن شهد أن المعطي أو المانع . .الخ غيره فقد أشرك بربوبيته . . وماكان اعتقاد أحد من مشركي العرب قط أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبره ، وانما كانشركهم ماذكرنا من اتخاذهماياهم اندادا يحبونهم كحب الله، وانها تقربهم الى الله زلفا. .)(٢)

---

(١)الانفال : ٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ١/٩١ - ٩٢

ومن تأمل واستقرأ آيات الكتاب الكريم التي بسطت الأدلة على الوحدانية يجد أنها أنواع أربعة تنضوى تحتها وجوه الدلالات الكثيرةمن خلق ورزق واماتة واحياء وتدبير وتصريف وتبديل . .

ولقد تضمنت آيات سورة النمل المكية هذه الانواع الاربعة التي تقرر الألوهية ويدخل ضمن ذلك الربوبيةلأنها من لوازمها ، وأحاول فيما يلي بسط هذه الوجوه على ضوء ماتقدم من عرض مظاهر الكون في الفصول السابقة من هذا الباب ، فاقول وباللهالتوفيق :

١ - دليل الخلق :

الخلق من أكبر البراهين وأوضح الأدلة على قضايا الايمان عامة ووحدانية اللهتبارك وتعالى خاصة، ويستعملفظ(الخلق) في : ابداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء كقولهتعالى(**الله الذىخلق السمواتوالأرض**(١))ويستعمل في ايجاد الشيء من الشيء كقولهتعالى (**خلقكم من نفس واحدة**)(٢)

** وكل مافي الكون من دقيق وجليل مما عرفه الناس أوجهلوه ممايبصرون ومالا يبصرون سواء في الارضوما حوت أو في السموات وما أقلت هو مربوب مخلوق محدث والله جلت قدرته خالقه ، فهوسبحانه(**بديع السموات والأرض**)(٣) (**ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه، وهو على كل شيء وكيل**)(٤) (**ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**) (٥)

وليس في مكنة بشر أن يحصي ماخلقه الله ، ولقد مر في ثنايا فصول هذا الباب الحديث ببعض تفصيل عن خلق السموات والأرض وضخامة أجرامها وثباتها في مداراتها ودقة تكوينها وتناسق أجزائها على نحو لا تعليل له سوى الاقرار بوحدانية الحي القيوم (٦)

وهذه الشمولية في الخلق ملاحظة في قوله تعالى في سورة النمل(أمن خلق السموات والأرض . .) الاية : ٦٠ ويدخل في السموات والأرض كل مبثوث فيها من انسان وجن وملك وغير ذلك ، وفي قوله(**أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده**. .) الاية : ٦٤

---

(١) ابراهيم : ٣٢ (٢) النساء : ١ (مفرداتالراغب ٢٢٥
(٣) البقرة : ١١٧ (٤) الانعام : ١٠٢
(٥) الاعراف : ٥٤ (٦) انظر ص ٢٤٠ من هذهالرسالة

** ومن بديهات الخلق جليله وذقيقه ان له بداية فليس الخلق أزليا بل هومحدث (الحمد لله فاطر السموات والأرض) (١)

ولقد فند القرآن المجيد كل الاحتمالات التي قد ترد على الاذهان في مسألة الخلق كما في قوله تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون) (٢)

** وعجز المخاطبين عن خلق مادق في أعينهممن وجوه الدلالة - كذلك - ولقد تحدى القرآن العظيمالمشركين وأربابهم أن يخلقوا ذبابة ذلك المخلوق الحقير فعجزوا كما في قوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) ثم تحداهم بماهو أهون شأنا وأيسر مطلبا فقال (وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز) (٣) وكثيرا ما يبسط السياق الجليل الحديث عن جليل خلق الله وبديع صنعه ثم يقرع المشركينالذين يعدلون عن بارئهم الى الغثاء تأمل قوله تعالى (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة ، وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين) (٤) وقوله عز من قائل (أفرأيتم ماتحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لونشاء لجعلناهحطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون ، أفرأيتمالماء الذى تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لونشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التي تورون ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم) (٥) وفي الحديث القدسي قال الله عزوجل (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة ، أو ليخلقوا حبة أوشعيرة) (٦) قال في الفتح (قوله (فليخلقوا ذرة أو شعيرة) أمر بمعنى التعجيز وهو على سبيل الترقي في الحقارة والتنزل في الالزام ، والمراد بالذرة ان كان النملة فهو من تعذيبهم وتعجيزهم بخلق الحيوان تارة وبخلق الجماد أخرى ، وان كان بمعنى الهباءفهو بخلق ما ليس لهجرم محسوس تارة وبما له جرم أخرى) (٧)

---

(١) فاطر : ١ (٢) الطور : ٣٥ - ٣٦ (٣) الحج : ٧٣ - ٧٤
(٤) لقمان : ١٠ -١١ (٥) الواقعة : ٦٣- ٧٤ وقوله (للمقوين) اى المسافرين اوالجائعين
(٦) رواه البخارى عن ابي هريرة في كتاب التوحيد ٦/٢٧٤٧ باب والله خلقكم وماتعملون
(٧) الفتح ١٣/٥٣٤

وبالنظر الى دلالة الالفاظ التي تصور عجز المخاطبين عن الخلق في سورة النمل في خاصية الانبات - كنموذج - نرى العجز المطبق ، وذلك في قوله تعالى (**وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون**) الاية ٦٠ ، ولقد نوه أجلة المفسرين بذلك وننقل من ذلك وجوها ثلاثة :

١ - مغايرة الأسلوب من الغيبة الى التكلم في قوله (**انزل لكم .. فأنبتنا**) قال أبو السعود : وذلك لتأكيد اختصاص الفعل بذات الله تعالى والايذان بأن انبات الحدائق المختلفة الأصناف والأوصاف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع مالها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد ، مما لايقدر عليه الاهو وحده (١) وقال في المنتخب (ما أمكن لكم أن تنبتوا شجرها المختلف الأنواع والألوان والثمار ، هذا التناسق في الخلق يثبت أنه ليس مع الله اله) (٢)

٢ - ذكر جانب (الانبات) فقط من الشجر في قوله (**ماكان لكم أن تنبتوا شجرها**) أي فضلا عن خلق ثمارها وسائر صفاتها البديعة، فذكر امتناعهم وعجزهم عن الأدنى فضلا عن الأعلى (٣)

٣ - تصدير ذلك بما النافية (**ماكان لكم ..**) ومعناه الحظر والمنع من فعل هذا، أي : ماكان للبشر ولا يتهيأ لهم ولا يقع تحت قدرتهم أن ينبتوا شجرها اذ هم عجزة عن مثلها ، لأن ذلك اخراج الشيء من العدم الى الوجود (٤) وهكذا لو تتبعنا المعطيات اللغوية للايات البينات لطال بنا المقام.

والسياق القرآني يقرع الغافلين في كل مرة (**أإله مع الله**) بعد أن يسرد طرفا من مظاهر قدرة الله في الكون والنفس فيقرر عجزهم ويوقظهم من سهوتهم.. فهل بعد هذا مع الخالق - تبارك وتعالى - اله يعبد ؟ (**أإله مع الله**)

واذ قد ثبت ذلك شرعا وعقلا أن لاخالق غير الله فانا نقول ما قاله رب العالمين (**أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون**) (٥) (**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين**) (٦)

---

(١) ارشاد العقل السليم ٦/٢٩٤ بتصرف (٢) المنتخب ص ٥٢٠
(٣) روح المعاني ٢٠/٤ (٤) القرطبي ١٣/٢٢١
(٥) النحل : ١٧ (٦) لقمان : ١١

٢ - دليل العـــناية :

تتضمن الآيات التي عرضت مظاهر الكون وعناصر الطبيعة للنظر والاستبصار الامتنان على الناس ، ومظاهر هذاالامتنان جلية في كل آية قرآنية فيها (سخّر لكم)و: (نعمة) و (آلاء) و (منّ) و (رزق) و (أنشأ) وضميرالمخاطبة (لكم) الى غيرذلكمن المرادفات وضروب البيان والانعام ، ففي آية عامة يقول تعالى (ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) (١) وتضمنت سورة النمل تفصيل بعض هذه النعموهي من عناية الله بخلقهكما في قوله تعالى في هذهالسورة الجليلة(أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنابه حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع اللهبل اكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسلالرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون . أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرز قكم منالسماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) الايات : ٦٠ - ٦٤ وقوله سبحانه (ألميروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) الاية : ٨٦ وقوله(وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) الاية : ٨٨ وقد تقدم بسط وجوه هذه النعم المتتابعة ومواضع الاستدلال فيهابحمدالله (٢) وكل ذلك من دلائل العناية بالخلق والرحمة بهم والتودد اليهم .

فافتقار الخلق الى بارئهم، وارتباط منافع بعضهم ببعض ، وتوافر سبل ذلك، وانعدام موانعهامن أظهر الأدلة على الوحدانية ، فسبحان الذى(لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) (٣) فشمل علمه كل شيء وأحاط بكل شيء علما فأحصاه عددا وهو القائل سبحانه (وما من غائبة في السموات والأرض الا في كتاب مبين) الاية : ٧٥ فلا راد لفضله ولا معقب لحكمه ولا مضاد لارادته(لوكان فيهما آلهةالا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) (٤)

---

(١) لقمان : ٢٠ (٢) انظر جعل الأرض قرارا ص ٣٥٦ واجراء الأنهار ص٢٥٩ وارساء الجبال ص٢٦٠ وفصل البحرين ص ٢٦٢ ، واجابة دعاء المكروب ص٢٧٢ ، والهداية في البر والبحر ص ٢٧٨ ،وارسال الرياح ص ٢٨١ ،وبث الأرزاق ص ٢٨٥ وانزال الغيث ص٢٤٦ وتعاقبالليل والنهارص ٢٦٥
(٣)سبأ : ٣ (٤) الانبياء : ٢٢

والذين كان انطلاقهم من منهج غير ايماني توصلوا الى هذه النتيجة وهي التوحيد في (دليل الخلق والعناية)، يقول الكاتب الغربي ايرل‌تشتر ريكس: (هناك ظواهر عديدة تدل على وحدة الغرض في هذا الكون ، وتشير الى أن نشأته والسيطرة عليه لا بد أن تتم على يد اله واحد لا آلهة متعددة)(١)

هذا من حيث العناية جسديا وماديا.

أما الجانب الروحي فلقد كان من رحمته تعالى بالثقلين وفضله عليهم أنه لم يتركهم سدى ولم يدعهم هملا بل ارسل رسله وأنزل كتبه ، فسن بذلك الشرائع وفرض الأحكام ورسم المنهاج وهدى النجدين ، ولقد مضى في السورة الحديث المفصل عن دعوة موسى وداود وسليمان وصالح ولوط عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وفي هذه السورة - كذلك - تنويه بهذه المنة الربانيةالعظمى وذلك في مطلع الآيات التي عرضت مظاهر الكون وذلك في قوله تبارك وتعالى (**قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءالله خير أما يشركون ،أمن خلق السموات والأرض**) الاية: ٥٩ وعباده المصطفون هم أنبياؤه ورسله عليهم الصلاة والسلام (٢)

ولازالت هذه العناية قائمة ماثلة الى يوم الدين ببعثة خاتم المرسلين محمد بن عبدالله عليه صلوات الله الذى يقول عنه تبارك وتعالى في هذه السورة الشريفة(**وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم**) الاية : ٦

ولقد كان هذا الكتاب ولا زال في مقامه الأسمى ونوره الأسنىهو الكتاب الوحيدالذى خلّد ففي سورة النمل (**طس ، تلك آيات القرآن وكتاب مبين**) الاية ١ (٣)

وهذا الكتاب - بعدذلك - هو المصدر الأول للخير والهداية والرشد في الأرض، وفي هذا يقول تعالى (**ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثرالذى هم فيه يختلفون ، وانه لهدى ورحمة للمؤمنين**) الاية : ٧٦ - ٧٧ كما أنه عروة الله الوثقىالتي أمر المسلمون بالاستمساك بهاودعوة غيرهم اليها ، وحفاظا من انفسهم علىايمانهم وعملا على نمائه وزيادته ، وفي هذهالسورة(**انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين**)الاية :٩١ - ٩٢

---

(١) الله يتجلى في عصرالعلم : مقال الكون تحت سيطرة مركزية! ص ١٠٩

(٢) الكشاف : ٣/١٥٤

(٣) انظر وجوه خلود القرآن حفظا في الصدور وتدوينا في السطور ص ٤٤ و٥٠

ومن أوفى ثمار دليل العناية أن يحب العبد ربه حبا لاحب معه (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله)(١) وهو حب يقترن به الخوف من عذابه(يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤ مرون)(٢) كما يقترن به الرجاء فهم (يرجون تجارة لن تبور)(٣)

فمن يغني الخلق غير الله ؟ ومن يسد حاجاتهم المتنوعة المختلفة غير الرحمن الرحيم ؟ أفليس في هذا دلالة واضحة وبرهان ساطع على وحدانية الحي القيوم سبحانه وتعالى واحاطته بكل شيء علما ورحمة ، فضلا عن وجوده وقيوميته ؟!

٣ - دليل الاتقان :

كل مخلوق لله تبارك وتعالى انما هو مما يشمله الاتقان في نفسه والتناسق والانسجام والانتظام مع سواه .. ودليل الاتقان(٤) وان كان فرعا عن دليل الخلق عندالبعض الا أن الناظر في الكتاب المعجز يجد أنه جدير بالاعتبار والاستدلال كدليل الخلق، فحيث يقول تعالى (الله خالق كل شيء)(٥) يقول (صنع الله الذى أتقن كل شيء) النمل : ٨٨

ومظاهر الاتقان في الخلق عديدة الوجوه واسعة المجال ، يعجز العقل البشرى عن استيعابها ويقف مذهولا امام قدرة الله(الذى خلق سبع سموات طباقاما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) (٦)

ومن صور الاتقان المعروضة في صفحة الكون مما يعيه كل عاقل مستبصر:

** هناك اتقان في انسجام المخلوقات بعضها مع بعض ، فلا تنافر ولا تناحر ولا تضاد يؤ ثر على الحياة ، وقد لاحظ هذا كل مفكر حتى مفكرو الغرب من أمثال نيوتن القائل(لاشك في الخالق ، فان هذا التنوع في الكائنات ومافيها من ترتيب أجزائها ومقوماتها وتناسبها مع غيرها ومع الازمنة والامكنة لا يعقل أن تصدر الامن عليم حكيم)(٧)

---

(١) البقرة : ١٦٥ (٢) النحل : ٥٠
(٣) فاطر : ٢٩
(٤) اسماه البعض دليل النظام : د. علي الفقيهي في كتابه منهج القرآن في الدعوة الى الايمان ص ٩٥ .
(٥) الزمر : ٦٢ (٦) الملك : ٣ - ٤
(٧) مفتريات على الاسلام احمد محمد جمال ص ٢٤٦

** وهناك اتقان في عنصر الوقت ، ويتولد احساسنا به من انضباط الاجرام السماوية الضخمة كالشمس والقمر والكواكب في مساراتها ومداراتها وأفلاكها بدقة بالغة واتقان متناه بلا فتور ولا كلل ، فلا تجد أدنى اضطراب في ظاهرة الليل والنهار (والله يقدر الليل والنهار) (١) وتعاقب الفصول الأربعة ، قال في المنار (وفي المشاهد من اختلاف الليل والنهار والفصول وما للناس في ذلك من المنافع والمصالح آيات بينات على وحدة مبدع هذا النظام المطرد ورحمته بعباده، يسهل على كل أحد أن يفهمها وان لم يعرف أسباب ذلك الاختلاف) (٢)

** وهناك اتقان مذهل في عنصر(الجرم أو الجسم) بالنسبة للمخلوقات(٣) ضخامة وضآلة (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) (٤) وماذا عسى أن يفعل الانسان وهو يواجه نملا أو عنكبا في حجم بقرة - مثلا - وكيف كان يستفيد من الأنعام من لحومها وألبانها وأصوافها وأوبارها لو كانت في حجم الذباب .. وقل مثل هذا في العالم العلوى من شمس وقمر وكواكب ونجوم والعالم السفلي من أرض وما حوته من عناصر الوجود وأسباب الحياة .

** وهناك انضباط (الحركة) في اتقان عجيب ، سرعة وبطء على نحو يحقق المصالح ويدرأ المفاسد ، وهو مطرد - كذلك - في الاجرام السماوية فلو زادت سرعة الشمس عما هي عليها لاضطربت الحياة بقصر الليل أو طوله ، وتعطلت بفعل البرودة الشديدة أو الحرارة المحرقة (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) (٥)

وهو ملاحظ ايضا في العالم السفلي ، فلو زادت حركات الانسان فأسرع نطقه أكثر مما هو معهود - مثلا - لتخلفت الآذان عن الفهم والادراك ..

** وهناك اتقان في (المقادير) كثرة وقلة وتنوعا ، فلو زادت نسبة الجراد عن المعهود لهلك الحرث والنسل وبادت الحياة في لحظات ، وتبارك القائل في محكم التنزيل (الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) (٦)

---

(١) المزمل : ٢٠ (٢) تفسير المنار ٢/٥٨ موضع البقرة: ١٦٤
(٣) قال في اللسان الجرم بالكسر: الجسد ١٢/٩٢ وعند الجرجاني : الجسم هو الذى يقبل الانقسام طولا وعرضا وعمقا ونهايته السطح : التعريفات ص ١٠٤
(٤) الفرقان : ٢ (٥) يس : ٣٨- ٤٠ (٦) الرعد : ٨

(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) (١)

(وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) (٢)

** وهناك اتقان في نواحي أخرى عديدة كالألوان والطعوم والروائح ولقد نبه القرآن المجيد الى تأمل ذلك والاستدلال به على وحدانيته تعالى كقوله سبحانه في النبات (انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه) (٣) ، (٤)

وكل هذه الوجوه المتقدمة وغيرها مما هو محسوس مشهود ومما نبصره ولا نبصره (٥) ومما سيتكشف للناس في قابلات الأيام كما اشارت اليه آية النمل (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) ٩٣/كل أولئك يسرى عليه عنصر الاتقان على مر الأيام وتعاقب الأجيال وتوالي الأحقاب دون تغير ولا تبدل ولا اضطراب ، ولا تعليل له سوى اناطته بقدرة الحي الذى لا يموت وارادته واختياره وكفى بذلك دلالة على وحدانيته تعالى وانه على كل شيء قدير، فهو سبحانه (أتقن كل شيء) النمل : ٨٨

٤ - دليل الفطـــرة :

يتسارع البدائيون ممن سلمت فطرهم عن ادران الفلسفات ، كما يتسارع اللاهون عن الاخرة بالعاجلة الى اسلام الوجه لله رب العالمين حين تجلي النوازل والكروب عن فطرهم فلا يجأرون الا الى الله (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون)الاية : ٦٢

- فلماذا يلجأ الناس كافة الى الله ساعة العسرة ؟

- ولماذا يتوجهون اليه وحده - تبارك وتعالى - دون سواه ؟!

ان في ذلك لدلالة واضحة والماعة بينة على الوحدانية (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٦) فلست واجدا أحدا الا وهو مقر بأن له صانعا مدبرا وان عبد شيئا دونه وسماه بغير اسمه (٧) اذ لو كان مع الله آلهة أخرى - كما يزعم المبطلون -

---

(١) الحجر : ١٩
(٢) الحجر : ٢١
(٣) الانعام : ٩٩
(٤) للفخر الرازى في تفسيره كلام نفيس فانظره في موضع الانعام : ٩٩ - ١١٧/١٣
(٥) انظر عنصر الاتقان ص ٣٨٨
(٦) الروم : ٣٠
(٧) زاد المسير ٣٠١/٦

لتوجهت القلوب الى كل اله بحسب مقدرته على قضاء الحوائج والتنفيس عن الكروب؟ فأصل الاقرار الفطرى موجود لدى كل أحد خلقة وجبلة كما تقدم في مواضع سبل معرفة ذلك (١)

وهذه الفطرة المستكنة في القلوب ان صفت بعثت صاحبها على البحث عن سبل الهدى والتقى بالتأمل في مظاهر الكون من سموات وأرض وجبال . .

ولقد جاء رجل من أهل البادية فقال : يامحمد ! أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ! قال : صدق . قال : فمن خلق السماء؟ قال : الله قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله . قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ماجعل ؟ قال : الله . قال : فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال : نعم .) (٢)

وهذه الفطرة هي التي انطقت الهدهد بالاقرار بالتوحيد وتقريع الضلال من بني آدم من أهل سبأ ، لقد صاح (**وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخب ء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ، الله لا اله الا هو رب العرش العظيم**) الايات : ٢٤ - ٢٦

وهذه الوجوه الاربعة من الدلائل هي براهين ساطعة على الوحدانية ، فالله تبارك وتعالى خير من الآلهة المزعومة التي لاتضر ولاتنفع ولايمارى في ذلك الامن سفه نفسه (**آلله خير أما يشركون**) الاية ٥٩ (**أإله مع الله**) الاية ٦٠ - ٦٤ قال الالوسي : هذا تبكيت لهم بنفي الالوهية عمايشركونه به عزوجل في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد . . و كذا الحال في المواقع الأربعة (٣)

ولعله من المناسب ان نختم الحديث عن دليل الفطرة والاتقان والعناية والخلق بمانطقت به فطرة الشاب جاجارين رائدالفضاء الاول وهو شاب ربي في الشيوعية والالحاد منذ مولده الى يوم انطلاقه الى الفضاء ، ومع ذلك فقد اهتزت فطرته حين نظر الى الكون من

---

(١) انظر فصل (دفع الضـــر وجلب النفع ص ٢٧٣) والمنهج الفطرى ص ١١١

(٢) جزء من حديث مسلم من رواية أنس رضي اللهعنه في كتاب الايمان ١/ ٤٢ باب السؤال عن اركان الاسلام.

(٣) روح المعاني ٢٠/ ٥ وهي مواقع خمسة ولعله توهم .

خلال الصاروخ لانه رأى صورة لم يشهدها من قبل ، وكان أول تصريح له حين هبط الى الأرض قال (حين صعدت الى الفضاء أخذتنـي روعة الكون فمضيت أبحـث عن الله)(١)

---

(١) دراسات قرآنية - محمد قطب ص ٢٧ ط ١٤٠٠هـ القاهرة

الفصل الثامن

(الاستدلال بمظاهر الكون على البعث)

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

* دلالات مظاهر الكون في السورة .
* شبهات منكرى البعث والرد عليها .
* موانع النظر والاستدلال .

تقديم :

عنيت السور المكية بقضية البعث عناية خاصة، فبسطت الأدلة والبراهين عليه ، وعرضت شبهات المنكرين له والمتشككين فيه في صور بيانية مختلفة ، ودعت الى الايمان به وترسيخه في النفوس بأساليب مختلفة ومناهج متعددة ، وليس أدل على أهمية الايمان بالآخرة من اقترانه بالايمان بالله - عزوجل - في مواضع كثيرة من كتابه كما في سورة النمل في أهل السعادة(الذين يقيمون الصلاة ويؤ تون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) الاية : ٣ أما أهل الشقاوة والعياذ بالله فقال فيهم(ان الذين لايؤ منون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون، أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون) الاية : ٤ - ٥فجملة أساليب الترغيب والترهيب في الكتاب والسنة مدارها على يوم الحساب والتناد .

ولقد شغلت قضية البعث عقول الناس منذ أمد بعيد ، وخاض فيها الفلاسفة وأهل الأهواء والملل المختلفة كل على ما ارتآه .

كما كانت مسألة البعث والنشور (وهي من كبرى موضوعات الدعوة) من جملة ماكذبت به رسل الله عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى(بل قالوا مثل ما قال الأولون ، قالوا أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون ، لقد وعدنا نحن وءاباؤ نا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين)(١) وفي سورة النمل(وقال الذين كفروا أءذا كنا ترابا وءاباؤ نا أئنا لمخرجون ، لقد وعدنا هذا نحن وءاباؤ نا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين)الاية : ٦٧ - ٦٨

والمتأمل في قصص الأنبياء يجد أنهم - عليهم الصلاة والسلام - سلكوا في اثبات البعث أقرب البراهين الى قلوب الناس وأوضحها في عقولهم وفطرها مما هو مشهود

---

(١) المؤ منون : ٨١ - ٨٣

محسوس في صفحة الكون ، من تعاقب الليل والنهار وآثارهما ، وجريان الشمس والقمر ، واحياء الأرض واخضرارها بعد الموت والهمود اثر نزول الغيث .. وهو منهج فضلا عن وضوحه وتقبل العقول والفطر السليمة له يفحم المنكرين ، ويقرب صورة البعث للمتشككين ويثبت المؤمنين ويزيدهم الى ايمانهم ايمانا ..

وللقرآن الكريم في تقرير البعث والنشورودعوة المنكرين له ودحض شبههم والرد عليهم منهج متفرد بثت آياته البينات في ثنايا السور المكية على نحو معجز، لوجمعت وصنفت واستخرج منها مناهج الدعوة وأساليبها المقررة لهذا الأساس الايماني المتين وهو(البعث) استوعب رسالة ضخمة!

وتتلخص المعالم الكبرى لمسالك القرآن العظيم في تقرير البعث في الاتي :

أولا - التنويه بأهميته وأثره في استقامة الحياة الدنيا والأخرى .

ثانيا - عرض مقولات المنكرين له وذكر أنواعهم وايراد شبههم وتفنيدها وبيان سوء مآلهم في الدنيا وخسرانهم المبين في الآخرة.

ثالثا - ذكر أهم أشراط الساعة تلميحا أو تصريحا ثم عرض مشاهدالقيامة من حين النفخ في الصور ثم الخروج من الأجداث الى الخلود في الجنة أو النار.

رابعا - ايراد الأدلة الحسية والمعنوية والنفسية على امكانية البعث وهي أنواع:

١ - الاستدلال بمن أماتهم الله ثم أحياهم في هذه الدنيا (١)

٢ - = بعظاهر الكون العظمى من خلق السمواتوالأرض .

٣ - = بالنشأة الأولى .

٤ - = باخضرار الأرض بعد الهمود وانتشار الحياة ..

٥ - = بحصول أحد المتضادين من الآخركخروج الحي من الميت والعكس

٦ - = باخراج النار من الشجر الأخضر .

٧ - = العقلي بان اختلاف الناس لايرتفع فوجب حصول المعاد للحسم !

٨ - = بأن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث للجزاء لمكافأة المحسنين وعقاب المسيئين .

٩ - = بحصول اليقظة بعد النوم . (٢)

---

(١) اقرأ في هذاالآيات في سورة البقرة : ٥٥ - ٥٦ و ٧٢ - ٧٣ و ٢٥٨ - ٢٦٠ ومن سورة الكهف : ١٩ - ٢١

(٢) هذا ملخص ماظهر لي بعد مطالعة : مفاتيح الغيب ١٨/١٧ موضع يونس : ٤ والدعوة الاسلامية في عهدها المكي ص ٥٠٢ وأضواء البيان ٢٠٣/٣ في مطلع النحل

المبحث الأول

(دلالة مظاهر الكون في السورة)

المطلب الأول : (وجوه الدلالة في جو النعم المحيطة بالانسان) :

١ - دلالة خلق السموات والأرض :

لا جرم أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس فهي أضخم جرما وأعظم تكوينا ، بل لا نسبة بين الانسان في خلقه ومهانة أصله وبين السموات المرفوعة بلا عمد والأرض المثبتة بالوتد !

والاستدلال القرآني على البعث بخلق السموات والأرض مؤسس على تقرير قدرة الله المطلقة (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم، انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) (١) وفي سورة النمل تقرير لهذه القدرة الالهية قال تعالى (ءآلله خير أما يشركون أمّن خلق السموات والأرض ..) الاية : ٥٩- ٦٠

ولقد دعا السياق القرآني الجليل الى الاستدلال بخلق السموات والأرض على امكانية البعث والنشور في مواضع عديدة على ضوء مقررات المفهوم الايماني للقدرة الالهية :

- قال تعالى (وقالوا أءذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ، أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا) (٢)

- وقال داعيا الى استشعار عظم قدرته في خلقه هذه الأكوان وتصرفه فيها : (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد ، أفترى على الله كذبا أم به جنة ، بل الذين لا يؤمنون بالأخرة في العذاب والضلال البعيد ، أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء، ان في ذلك لآية لكل عبد منيب) (٣)

- وقال مبينا اصل الانسان وأنه جزء بسيط من أجزاء هذا الكون المترامي الأطراف (فاستفتهم أهم أشد خلقا أمن خلقنا انا خلقناهم من طين لازب) (٤)

- وقال مقررا قدرة الله المحيطة بكل شيء (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون) (٥)

---

(١) يس : ٨١ - ٨٣ (٢) الاسراء : ٤٩ - ٥٠ (٣) سبأ : ٧-٩
(٤) الصافات : ١١ (٥) الروم : ٢٥

- وقال ملزما للمشركين باقرارهم ان الله خلق السموات والأرض ثم انكارهم بعد ذلك ماهو أهون من ذلك ز،وهو احياء الموتى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١)قال صاحب الكشاف (حجوابخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقهما بأنها خلق عظيم لا يقادر قدره ، وخلق الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين ، فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر، وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله)(٢)

- وقال مذكرا أن خلق السموات أو الانسان سواء عنده سبحا نه فهو لا يلحقه من الخلق وصب ولا نصب (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ، بلى انه على كل شيء قدير)(٣)

٢ - دلالة احياء الأرض بعد موتها :

من المشاهد المتكررة في دنيا الناس انبثاق الزرع الأخضر ذى النضارة والبهجة من التربة الميتة بعد نزول الغيث عليها.. وفي ذلك دلالة بليغة وبرهان ساطع على خروج الأموات من الأجداث باذن بارئهم، وعماد هذا الدليل قدرة الله تباركت أسماؤه في اخراج الحي من الميت والميت من الحي (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون)(٤)

ولئن كان سر الحياة في الانسان والحيوان والنبات مستغلقا الى اليوم ولم يدرك الناس كنه الحياة لكنهم يشاهدون آثارها ويتعاملون معها.. فما الذى يمنعهم من الايمان بالبعث بعد الموت وان لم يدركوا سره وكيفية سريان الحياة والحرارةوالرطوبة في العظام النخرة الباردة !! ان الذى فلق الحبة الجلمد الصماء واخرج منها الروض الأخاذ ذا الخضرة والألوان المبهجة والأغذية المتنوعة وذرات النسيم المنعشة وجعلها أشجارا باسقة تملأ السهول والربى ابان هطول الغيث قادر على جمع الشتيت من جسد الانسان وبث الحياة فيه من جديد (أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون) الاية : ٦٠

---

(١) غافر : ٥٧ (٢) الكشاف : ٤٣٣/٣

(٣) الاحقاف : ٣٣ (٤) الروم : ١٩

ولقد أتت الآيات المكية التي وجهت الأنظار الى الاستدلال باحياء موات الأرض على احياء موات الابدان ، على وجوه كثيرة منها:

- بيان الدليل البديهي الذى لا يتطلب في الاستدلال به الى جهد عقلي (.. والذى نزل من السماء ماء بقدرفأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون) (١)

- ذكر تهيؤ الأسباب وتضافرالعوامل بقدرة الله على انبات الأرض الهامدةالخاشعة ومثلها حال الانسان المقبوروقت الحساب (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلتسحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكمتذكرون) (٢) (واللهالذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) (٣)

- تصوير حال الأرض وقت همودها وسكونها وابان اخضرارها واهتزازها (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير) (٤) (ونزلنا من السماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) (٥)

وأنت ترى أن الله - جلت آلاؤه - وصف الأرض في حالتها الأولى بالهمود والخشوع والموت وهي صفات الأموات من بني آدم، ثم وصفها في حالتها الأخرى بالنشور والاهتزاز والزيادة والاحياء وهذا من خصائص الأحياء فتطابق الوصفان ماهو محسوس مشهود فلزم تطابق الوصفان الآخران (اعني الاحياء) الذى أنبأنا به العليمالخبير.

٣ - دلالة تعاقب الليل والنهار :

الليل والنهار من الظواهر الكبرى المتجددة ذات الأثر البليغ في حياة الناس والدواب والأنعام والزروع .. وتتضمن هاتان الظاهرتان وجوها عديدة من الدلالة على البعث والنشور بعد الموت ، وفي قوله تعالى في هذه السورة المباركة (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقومٍيؤمنون)الاية ٨٦مجا مع وجوه الاستدلال :

---

(١) الزخرف : ١١ (٢) الاعراف : ٥٧
(٣) فاطر : ٩ (٤) فصلت : ٣٩
(٥) ق : ٩ - ١١

** فالنوم وظنته الليل يحوى دلالة واضحة على البعث ذلك أن له سلطا ن على الانسان لا يملك مقاومته كالموت ، وفي تكرار النوم على مر الأيام تذكير بالوفاة التي هي مصير كل حي ، ولقد سمى الله النوم والموت وفاة (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) (١) كما سمى الاستيقاظ من النوم بعثا كتسميته احياء أصحاب القبور بعثا ، قال في التفسيرالقرآني (ونوم الانسان ويقظته كل يوم فيه تذكير له بالموت والبعث ان كان مؤ منا ، وتصوير لهما ان كان شاكا ، ومظاهرة للحجة عليه ان كان منكرا كافرا) (٢)

** وتبدل نور الصباح الى ظلمة الليل والعكس من مظاهر قدرة الله الدالة على تبدل الحياة الى موت ثم الى حياة .. قال الفخر (لما ثبتت قدرة الله على قلب النورالى الظلمة وبالعكس ، فأى امتناع في ثبوت قدرته على القلب من الحياة الى الموت مرة ومن الموت الى الحياة أخرى ؟!) (٣) .

** ومرور الزمن الذى يقف احساسنا به على تعاقب الليل والنهار ، هو ذو دلالات بليغة على أن الحياة لاتدوم على نسق واحد ، فثمة شمس وظل وليل ونهار وظلام وضياء وطلوع وغروب .. قال ابوالسعود في آية النمل (الآية دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وان من تأمل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة تحار في فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عزوجل ،وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحياة ، وعاين في نفسه تبدل النوم الذى هو أخو الموت بالانتباه الذى هو مثل الحياة ، قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، قضاء متقنا وجزم بأنه تعالى قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه (٤)

** وعمل الانسان وكسبه واكتسابه انما يكون بالليل والنهار (الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) آية النمل : ٨٦ فكأنه تعالى قال (ألم يعلموا أنا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا أن ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ، ولابد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدارفلابد من دارأخرى . .) (٥)

---

(١) الانعام : ٦٠ (٢) التفسيرالقرآني ٢٠٢/٢
(٣) مفاتيح الغيب ٢١٩/٢٤ موضع النمل (٤) ارشادالعقل السليم ٣٠٣/٦
(٥) النسفي ٢٢٣/٣

وهذا ما يعرف بداهة وقد نطق به اعرابي في الجاهلية قال (مطر ونبات وآباء وأمهات ، وذاهب وآت ، وآيات في اثر آيات، وأموات بعد أموات ، ضوء وظلام، وليال وأيام، وغني وفقير، وشقي وسعيد ، ومحسن ومسيء ، أين الأرباب الفعلة، ليصلحن كل عامل عمله، كلا بل هو الله واحد ليس بمولود ولا والد ،أعاد وأبدى واليه المآب غدا ، أما بعد يامعشر اياد أين ثمود وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ اين الحسن الذى لميشكر؟ اين الظلم الذى لم ينتقم ؟ كلا ورب الكعبة ليعودن مابدا ولئن ذهب يوم ليعودن يوم..) (١)

وفي هذا المعنى قال تعالى (**وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون**) (٢) والآيات الدالة عليه كثيرةجدا (٣)

٤ - دلالة بدء الخلق ، أو (النشأة الأولى) :

لاينازع عاقل في أن للمخلوقات خالقا ، ولقد قال تعالى عن المشركين (**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن اللهفأنى يؤ فكون**) (٤) ولانزاع - كذلك - في أن لكل خلق بداية بمقتضى ذلك الخلق ، والانسان وان كان أصله نطفة وأصلها ترابا كما قال تعالى (**أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا**) (٥) الا أن خلق الأصل الأول وهو التراب من العدم ، قال تعالى (**أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا**) (٦) فبدء الخلق أو (النشأة الاولى) من العدم .

أما النشأة الثانيةوهي : اعادة الخلق التي قال عنها رب العرش العظيم(**وان عليه النشأة الأخرى**) (٧) فهي التي تكون بعد أن تتغير هيئة الانسان اثر موته وتتناثر مكونات جسده وتختلط بالتراب والأحجار، فمادته موجودة لكنهامبعثرة سرى عليها برد الموت ، فهي ثالثة التراب والاحجار، فالنشأة الثانيةأو (اعادة الخلق) لا تكون اذن من العدم بل من موجود متفرق متناثر ، وملخص هذا الدليل الالزامي :

- ان خلق الانسان أول مرة انما يكون من العدم .
- اما اعادة خلقه بعد موته فانما يكون من مادة موجودة من قبل .

---

(١) خطبة قس بن ساعدة الايادى : اعجاز القرآن للباقلاني ١/١٩٩ - ٢٠٠
(٢)الجاثية : ٢٢ (٣) اقرأ - آل عمران: ٢٧ ويونس : ٦ =
= والرعد : ١٠ والمؤ منون : ٨٠ والفرقان : ٤٧
(٤) الزخرف : ٨٧ (٥) الكهف : ٣٨
(٦) مريم : ٦٧ (٧) النجم : ٤٧

فأى الخلقين أهــون في أعين الناس ، آلخلق من العدم أم اعادة الحياة الى رميم العظام ؟؟!

وفي سورة النمل عرض لهذاالدليل الناصع والبرهان الساطع ، وتبكيت لأولئك الذين لايجدون ما يبرهنون به على ميلهم عن الحق ثم هم في غيهم سادرون ،(أمن يبدؤالخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) الاية : ٦٤ وهذا اللون من الاستدلال معروض بكثرة في السور المكية الاخرى من وجوه عدة مما فيه رد على منكرى البعث واستدلال على امكانيته ، قال تعالى (وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون) (١) وقال (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين(٢)) وقال عزمن قائل(أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلقثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون)(٣) قال الفخر(علق الرؤية بالكيفية لا بالخلق وماقال أولم يروا أن الله خلق أو بدأ الخلق ، والكيفية غير معلومة ؟ فنقول : هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يك شيئا مذكورا ، وانه خلقه من نطفة وهي من غذاء هو من ماء وتراب ، وهذا القدر كاف في حصول العلم بامكان الاعادة فان الاعادة مثله) (٤) وقال تقدست أسماؤه(وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيزالحكيم) (٥) فالاعادة أهون على الله من البدء ،والبدء عليه هين هذا على رأى من يعيد الضمير الى الله، ومن أعاده الى الخلقفالمعنى وهو أهون على الخــلق أى في نظرهم(٦) وقد يورد السياق الجليل لفظا مرادفا للاعادةكالاخراج والاحياء والخلق الجديد والبعث وهو كثير(٧)

ومن حديث النبي صلى الله عليهوسلم قال الله تعالى(كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه اياى فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من اعادته واماشتمه اياى فقوله : اتخذاللهولداوأنا الأحد الصمد لم أله ولمأولد ولم يكن لي كفوا أحد) (٨)

---

(١) الاعراف : ٢٩ | (٢) الانبياء : ١٠٤
(٣) العنكبوت : ١٩ - ٢١ | (٤) مفاتيح الغيب ٢٥/٤٧
(٥) الــروم : ٢٧ | (٦) تفسيرابن كثير ٣/٤٣١
(٧) اقرأ الايات في يس: ٧٨-٧٩ وطــه: ٥٥ وق : ١٥ ولقمان: ٢٨
(٨) اخرجه البخارى في كتاب التفسير ٤/١٩٠٣ تفسير(قل هواللهاحد)عن ابي هريرة

المطلب الثاني : (دلالة أمارات الساعة ومشاهد القيامة)

الاشبه في هذا النوع من الاستدلال انه تثبيت للمؤ منين على يقينهم، وزيادة ـــــ ايمانهم ، تمشيا مع الهدف الأعم لنزول القرآن العظيم الذى يدعو الكافرين ويثبت المؤ منين ويهديهم سبلهم .

وفي أشراط الساعة ومشاهد القيامة وجه دلالة على الكافرين ، اذ الاعتبار بما تحقق من أشراط الساعة كخروج الكاسيات العاريات دليل على صدق مخبره صلى الله عليه وسلم ، وهو كذلك مدعاة الى التصديق ببقية ما أخبر به .

وفي سورة النمل اخبار عن خروج دابة الأرض في قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)الايـة: ٨٢ ، كما فيهاعرض لبعض مشاهد القيامة في قوله تعالى(ويم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون . حتى اذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون. ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) الايات : ٨٣ - ٨٥ وقوله (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين . وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع اللهالذى أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون . من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون) الايات : ٨٧ - ٩٢ فهي على الترتيب :

١ - خروج الدابة بصفة لايعلمها الا الله (١) وهي خارقة للعادة لأنها كما في الاية الشريفة(تكلم الناس)من الكلام وهو النطق أو من الكلم بمعنى الجرح ، وفي حديث النبي صلى الله عليهوسلم(تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصى موسى فتجلو وجه المؤ من وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان (٢) ليجتمعون فيقول هذا يا مؤ من ، ويقول هذا ياكافر) (٣) وليس من الحكمة تفسيرها بغيرما فسره صلى اللهعليهوسلم ووقف عنده النص الشرعي(٤)

---

(١) أطنب بعض المفسرين في ذكر هيئتهاوعظم جسمها وكيفية مخرجها وموضعه وعدد مرات خروجها ، ومن ذلك ما ورد فيه أثر صحيح ومنه ما هو من الاسرائيليات انظر فيه مفاتيح الغيب ٢١٨/٢٤ والطبرى فيالتفسير ١١/٢٠ وغيرهمفي موضعالاية.

(٢) الخوان : مايوضع عليه الطعام عند الأكل .

(٣) سنن الترمذى عن ابيهريرة رضي الله عنه أبواب التفسير ١٥٨/٤ سورة النمل

(٤) ذهب بعض المتأخرين الى أنهاعبارة عنجموع من المؤ منين تدب الىالكافرين أو أنها الاشرارالذين هم بمنزلةالدواب (تفسيرالمنتخب ص ٥٢٢) أوأنهاكل مايدب من حيوان وحشرات (التفسيرالقرآني ٢٩٢/٤) أوأنه انسان عالمبالكتاب والسنة! (التفسير الواضح ١٢/٢٠ - ١٣)

٢ - الحشر أفواجا : (ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بـآياتنافهم يوزعـون ..) الاية : ٨٣ وهو من مشاهد القيامة .

٣ - الختم على الأفواه (حتى اذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون)الاية ٨٤-٨٥

٤ - النفخ في الصور (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين) الاية : ٨٧وهو النفخ الأول على رأى من قال أن النفخ في الصور ثلاث نفخات أولاها نفخة الفزع وثانيها نفخة الصعق وثالثها نفخة القيام لله رب العالمين (١) والأخيرتان مذكورتان في سورة الزمر(٢) وهـو - كذلك - أول النفختين على رأى من قال أنهما نفختان (٣)

٥ - الفزع الذى يعم الخلائق الا من شاء الله اثر نفخة الفزع (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللهشديد) (٤)

٦ - سير الجبال ، قال تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرالسحاب صنع الله الذى أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون)الاية ٨٨ والايات في هذا كثيرة(٥)

٧ - أمن أصحاب الحسنة وهي - على الراجح - شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذءامنون)

الايـة : ٨٩

٨ - سوء مآل أصحاب السيئة (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوهـهم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون)الاية : ٩٠

ومشاهد القيامة وأماراتها بما تحويـه من أساليب الترغيب في النعيم المقيم والعذاب الذى يجعل الولـدان شيبا .. أسلوب لتثبيت المؤ من اذ يرسخ في فؤاده الخوف والرجاء ، كما أنه اسلوب دعوة المنكر اذ كل انسان يطلبه البشر والسعادة وينفر من السـوء والنار .

---

(١) تفسيرالطبرى ١٣/٢٠ ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥/١٦- ٣٦
(٢) اقرأ الايـة : ٦٨
(٣) تفسير القرطبي ٢٤٠/١٣ (٤)الحج : ١ - ٢
(٥) اقرأمن سورة الكهف : ٤٧ و الطور: ١٠ والنبأ: ٢٠ والتكوير: ٣

(شبهات منكرى البعث والرد عليها)

قال تعالى :

(قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم في الأخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون . وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون . لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولاتحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون . ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون . وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرالناس لا يشكرون . وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون. وما من غائبة في السماء والأرض الا في كتاب مبين) النمل ـ الايات : ٦٥ - ٧٥

الايمان بالبعث والنشور من الايمان بالغيبالذى لا سبيل الى اكتناهه بغير نص من الكتاب أو السنة ، فلا يتأتى فهم قضايا البعث لمن وقف عند عالم الشهادة ولم يؤمن بالغيب ، ولهذا مدح الله المتقين بقوله(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (١)

ولقد ضل كثير من الجن والانس حين راحوا يزنون مسائل النشور بعد الموت بميزان العقل والتجريب على ما يشهدونه ويرونه في مجريات الحياة الدنيا ، قال تعالى عن الجن مخاطبا مشركي الانس (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) (٢) ومن هذا المنظور الدنيوى المادى انبثقت شبه المنكرين على اختلاف درجاتهم في الانكار والاستبعاد .

وفي السطور الآتية حديث عن أقسام منكرى البعث ثم عرض لأبرز شبههم على ما تناولته السورة الجليلة :

أقسام منكرى البعث :

ذكر اهل التفسير أن القرآن العظيم قسم المشركين في نظرتهم الى يوم القيامة وفي شعورهم له الى ثلاث طوائف كما تبين ذلك في صريح آية النمل (قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله ومايشعرون أيان يبعثون. بل ادارك علمهم في الاخرة . بل هم في شك منها . بل هم منهاعمون)الايتان : ٦٥-٦٦

---

(١) البقرة : ٣ (٢) الجن : ٧

** فالقسم الأول : من يأخذ علمه عن الساعة من مدلول النظر العقلي دون التفات الى الغيبيات التي لا مصدر لها غير وحي الله ، فهؤلاء لا يقوم ايمانهم على الغيب، بل يحتكمون الى العقل وحده وعلى الحجج الاستدلالية التي ينقض بعضها بعضا ، فهم على علم متدارك ينسخ بعضه بعضا (١)

** والقسم الثاني : هم الذين انتهى بهم هذا العلم العقلي المجرد الى أودية الضلال والتيه ، فلم يروا الا أوهاما وخيالات ، وأفضى بهم ذلك الى الشك في هذا اليوم الموعود ، وفي أمثالهم يقول تعالى (وإذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين) (٢)

** والقسم الثالث : هم الذين لم يكترثوا فلم يرفعوا رأسهم للبحث والنظر والاستدلال ، وهؤلاء كالانعام (لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها) (٣) وهم المعنيون بقوله تبارك وتعالى (بل هم منها عمون) (٤)

شبههم :

والشبه التي يثيرها هؤلاء المنكرون للنشور مما عرضته السور المكية تشمل أقسامهم الثلاثة بلسان الحال أو المقال ، وبيانها كالآتي :

الشبهة الاولى : (استبعاد عودة الحياة الى الانسان وقداستحال ترابا)

فالانسان بعد أن يقبر وتمضي عليه الشهور والأعوام تفنى صورته وتزول هيئته ويتحلل جسده الى موادكثيرة (٥) وترجع الى أصلها في عناصر الأرض ، وتبقى كائنة

---

(١) للعلماء توجيهات سديدة للفظ (أدرك أو تدارك) في قوله تعالى (بل ادّارك علمهم في الاخرة) تكشف أحوال القوم في نظرتهم الى الآخرةوهم في الدنيا ، ثم وهم في الاخرة ، وهي جديرة بالتأمل والاتعاظ ، وقد ذكرالزمخشرى اثنتاعشرة قراءة لقوله تعالى (ادّارك) في الكشاف: ١٥٦/٣ وانظرمعهالطبرى ٥/٢٠ والقرطبي ٢٢٧/١٣ وأضواء البيان ٤١٣/٦ ومفردات الراغبمادة(درك) ص ٢٤٢

(٢) الجاثية : ٣٢ (٣) الاعراف : ١٧٩

(٤) التفسيرالقرآني للقرآن ملخصا ٢٧٥/٤ - ٢٧٦ والبحرالمحيط ٩٣/٧

(٥) وهي على ماكشفهالعلم الحديث بواسطةالتحليل : الاكسجينوالازوت والبوتاسيوم والحديد والزنك والسلكوت والصوديوم والفوسفور والفلوريد والكوبالت والكبريت والكربون والكالسيوم واللاكور والمنغسيوم والمنجنيز والنحاس واليود والماء(مقال : الايمانبالبعث بعد الفناء ـ احمدالعجوز، مجلةالوعيالاسلامي عددالحجة ١٤٠٦هـ ص ٨٥).

في عالم الوجود ، اذ تبدأ البكتريا (١) بعد الموت في تحليلها لتعود الى أصلها الترابي .

وقد أورد السياق القرآني الجليل هذه الشبهة على ألسنة المنكرين للبعث في آيات كثيرة كقوله تعالى حكاية عنهم(أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين)(٢) (أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوءاباؤنا الأولون)(٣)

وهذه الشبهة فضلا عن صدورها عمن لا يؤ من بالله عزوجل وبقدرته وعلمه ، واهية متهافتة من حيث الاستدلال العقلي المنطقي وقد أبان ابن تيمية رحمه الله ذلك من خلال قوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم)(٤) قال فقوله (من يحيي العظام وهي رميم)قياس حذفت احدى مقدمتيه لظهورها ، والاخرى سالبة كلية قرن معها دليلها وهو المثل المضروب الذى ذكره بقوله(وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم) وهذا استفهام انكار متضمن للنفي ، أى : لا أحد يحيي العظام وهي رميم ، فان كونها رميما يمنع عنده احياءها لمصيرها الى حال اليبس والبرودة المنافية للحياة التي مبناها على الحرارة والرطوبة ، ولتفرق أجزائها واختلاطها بغيرها .. والتقدير: هذه العظام رميم، ولا أحد يحيي العظام وهي رميم ، فلا أحد يحييها ، ولكن هذه السالبة كاذبة ومضمونها امتناع الاحياء، فبين سبحانه امكانه من وجوه ببيان امكان ما هو ابعد من ذلك وقدرته عليه فقال ويحييها الذى أنشأها أول مرة) وقد أنشأها من التراب ، ثم قال (وهو بكل خلق عليم)(٥) ليبين علمه بما تفرق من الأجزاء أو استحال ..)(٦)

الشبهة الثانية : (استحالة تجميع ما تفرق من عناصر الجسد)

قالوا : فبعض الأجزاء انعدم وبعضها تحول الى شيء آخر انسان أو حيوان أو نبات أو ذرات في الهواء، وربما يدخل بعض الأجزاء في النبات الذى يأكله انسان آخر

---

(١) البكتريا : احياء وحيدة الخلية صغيرة جداتشاهد بالعدسات المكبرة ، من خصائصها الانقسام بالانشطار النصفي والتكاثر بذلك (الموسوعة الميسرة ١/٣٨٨ - بكتريا)

(٢) المؤمنون : ٣٥ - ٣٧ (٣) الصافات : ١٦ - ١٧

(٤) يس : ٧٨ (٥) يس : ٧٩

(٦) درء تعارض العقل والنقل ١/٣٣ ط جامعة الامام .

فمن الذى يحيي العظام النخرة التي تبددت واستحالت ترابا أو صارت شيئا آخر أو انتهى أمرها الى بطون السباع وحواصل الطير وأجواف السمك والحيتان ؟! وهذه الشبهة معروضة على ألسنتهم في مواضع من كتاب الله كما في قوله تعالى (وقالوا أءذا ضللنا في الأرض أءنا لفي خلق جديد) (١) وقوله في معرض الرد (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) (٢) على تفسير من يجعل المعنى : نخلقكم في أى خلق شئنا (٣) على أن المضمون العام للشبهتين مذكور في آية النمل في قوله تبارك وتعالى (وقال الذين كفروا أءذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) الاية : ٦٧ والمراد بالاخراج من الأرض أو من حال الفناء الى الحياة (٤)

ورتب المنكرون على هاتين الشبهتين شبهاكثيرة رددوها كعدم رجوع آبائهم في هذه الدنيا ! وفي ذلك قولهم (ان هي الا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) (٥) وما زعموه من أن لا ضرورة الى النشور وفي سورة النمل (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) ٧١ فمنطقهم السقيم يقول : ما الضرورة للبعث انهم احياء في هذه الدنيا فلم يموتون ثم يبعثون ؟ ويسلمهم هذا المنطق السقيم الى قولهم : لوكان البعث ممكنا وكانت له حكمة فلم لم يقع ولو مرة واحدة في حياة الانسانية منذ آلاف السنين) (٦) وسؤالهم هذا على صيغته الواردة في سورة النمل مكرر في القرآن العظيم ست مرات (٧) وهو مقرون بالاجابة عنه في كل مرةباجا بات مختلفة ! اما بتفويض العلم بوقت الساعة الى علام الغيوب، واما توعد هؤلاء الاشرار كمافي سورة النمل (قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون) الاية : ٧٢

---

(١) السجدة : ١٠
(٢) الواقعة : ٦٠ - ٦١
(٣) زاد المسير ١٤٧/٨
(٤) الكشاف ١٥٧/٣
(٥) الدخان : ٣٥ - ٣٦
(٦) التفسيرالقرآني ٢٧٨/٤ بتصرف
(٧) في سورة يونس : ٤٨ والانبياء : ٣٨ والنمل : ٧١ وسبأ : ٢٩ ويس : ٤٨ والملك : ٢٥

الرد على منكرى البعـــث :

والرد القرآني على هذه الشبه وأمثالها ، أسلوب في دعوة منكرى البعث عامة وهو - كذلك - منهج لتصحيح مفاهيمهم المنحرفة في الألوهية ومقتضياتهامن الايمان بالغيب والتسليم بكل ماأخبر به صلى الله عليهوسلم ، ومجمل مسالك القرآن فيذلك تتلخص في الآتـي :

أ - بيان أن الله أحاط بكل شيء علما :

* فهو سبحانه علم ما تفرق من أجزاء الموتى وما دخل منها في الأجساد الأخرى ويرد هذا الرد الايماني مقرونا بشبه المشركين ومنكرى البعث في غيرموضع كما في قولهتعالى (**وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليـم**)(١) اى : عليم بكيفيات تفصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة، محيط بجميع الأجزاءالمفتتة المتبددة لكل شخص من الأشخاص ، أصولها وفروعها ، وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاتباع والافتراق ، فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التيكانت قبل (٢) وفي هذا العلم الالهي يقول تعالى (**قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ**)(٣) وفي سورة النمل في أعقاب عرض شبه منكرى البعث (**وما من غائبة في السماء والأرض الا فيكتاب مبين**) الاية : ٧٥ أى : وما من سر وخفي أمر يغيب عن أ بصارالناظرين في السماء والأرض الا في كتاب وهو أم الكتاب الذى أثبت فيه ربنا كل ما هو كائن من لدن ابتداء خلق خلقه الى يوم القيامة (٤)

* وهو سبحانه وتعالى وحده يعلم متى الساعة (**اليه يرد علم الساعة**)(٥) وفي سورة النمل (**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون**) الاية : ٦٥ أى : وما يدرى من في السموات والأرض من خلقه متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة ، قالت عائشة رضي الله عنها : (من زعم أنه يخبر الناس بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول :لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله) (٦)

---

(١) يس : ٧٨ - ٧٩ (٢) ارشاد العقلالسليم٧/١٨١
(٣) ق : ٤ (٤) تفسيرالطبرى ٨/٢٠
(٥) فصلت : ٤٧ (٦) تفسير الطبرى ٥/٢٠

ب - بيان ان الله على كل شيء قدير ، وقد قال للمشركين (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم) (١) أى : لوكنتم أبعد شيء من الحياةورطوبة الحي وجنس ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم الى حال الحياة(٢) وليس أدل على قدرة اللهمن انشائه الانسان وجميع الخلائق أول مرة وهو ما يقرّ به المشركون ! فكيف يعجز سبحانه وتعالى عن احياء الأموات مرة أخرى ويبقى منهم باق وهو عجب الذنب كما في حديث النبي صلى الله عليهوسلم(ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة)(٣)

جـ - والدعوة بتهيئة النفس للايمان بالغيب وأنه السبيل الوحيد الى الايمان بالبعث ومسائله ، وفي سورة النمل (بل ادّارك علمهم في الآخرة)الاية : ٦٦ والمعنى على قراءة من قرأ (بل أدْرك علمهم بالآخرة) بالسكون : هل أدرك علمهم علم الآخرة ، أى : انهم لا يقفون في الدنيا على حقيقة العلم بالآخرة(٤) فلا سبيل اليه بغير الايمان بالغيب .

د - وذكر الحكمة من البعث وهي كما في قوله تباركت أسماؤه(وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (٥) وقوله سبحانه(زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن لما عملتم وذلك على اللهيسير) (٦)فالحساب والجزاء ثوابا للمحسنين وعقابا للمسيئين هو غاية النشور .

وتقريبا للأذهان يقرر علم الاحياء صورة البعث وجمع الشتيت من الجسد الواحد وخاصة لأولئك الملحدين الذين لا يؤ منون بغير المادة، فلقد قرروا هم بأنفسهم من غير قصد من خلال ما أسموه (بفردية الأنسجة) ان أىّ فرد من ا نسان أو حيوان مستقل في خلاياه عن غيره من أفراد جنسه أو من أى جنس آخر ، وثبت لهم

---

(١)الاسراء : ٥٠ - ٥١ (٢) الكشاف ٢/٤٥٢

(٣)جزء من حديث متفق عليه عن ابيهريرةرضيالله عنه رواه البخارى فيكتاب التفسير ٤/١٨٨١ باب يومينفخ فيالصور واللفظ له ومسلم فيكتاب الفتن ٤/٢٢٧١ باب ما بين النفختين .

(٤) زاد المسير ٦/١٨٨ (٥)النحل : ٣٨ - ٤٠

(٦) التغابن : ٧

ذلك بتجارب عديدة (١) فالحمد لله الذى أكرمنا بالايمان به وبما جاء به رسوله صلى اللهعليه وسلم ، ونسأله سبحانه الثبات عليه والوفاة ، وان يحشرنا في زمرةعباده المتقين انه أكرم مسؤول ومأمول .

---

(١) انظر الانسان ذلك المجهول لكاتبه : الكسيس كاريل ، الفصل الثالث (الجسم ووجوه نشاطه الفسيولوجي ص ٧٢ ومابعدها) ومجلة الوعي الاسلامي عدد الحجة ١٤٠٦هـ ص ٨٥ مقال (الايمان بالبعث بعد الفناء) ولعله من المناسب أن ننقلهنا ما ثبت لهم من ذلك من خلال ظاهرتين :

١ - انهم جمعوا أنسجة لحمية من كبد ضفدعة ومن قلبها ومن طحالـ أرنب وكذلك من كلية كلب ، وقطعوها أجزاء دقيقة ومزجوها ببعضها البعض ، ثم بسطوها على لوح مختبر طبي ، وحدقوا اليها بالمنظار الجرثومي (الميكريسكوب) فشاهدوا خلايا كل نوع تزحف ببطء نحو أخواتها من نوعها بعامل الحياة الجزئية التي تكمن فيها

٢ - تحقق لديهم علميا أنه اذا وضعتقطعة من الجلد الحي كرقعة على جلد مريض، فانها تلتئم وتتماسك وتنمو نوا متكاملا اذا كانت من جسمه ، واذا كانت من جسم غيرهفانها تتقلص وتنكمش ولا تتلاءم بل تموت وتزول وسبب ذلك حفاظ الجسم علىخلاياه الخاصةبه لوحدة الطبيعة والخواص حسب نظام الخلق والتكوين اهـ

وهذا يذكرنا بقصة ابراهيم الخليل عليه السلام في قولهتعالى(واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قالأولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذأربعة من الطير فصرهن اليك ثماجعل على كل جبل منهن جزء ثمادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) البقرة : ٢٦٠

المبحث الثالث

(موانع النظر والاستدلال)

جاءت الآيات التي عرضت مظاهر الكون في السورة على نمط فريد لا مثيل له في موضع آخر من الكتاب العزيز ، فهي تبدأ بصيغة الاستفهام في تتابع (أمن خلق السموات والأرض .. أمن جعل الأرض قرارا .. أمن يجيب المضطر اذا دعاه .. أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر .. أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده) ويتكرر في كل آية الجملة الاستفهامية الجليلة الأخرى (أإله مع الله) ثم تختم الآيات الأربع الاولى بجمل خبرية عدا الخامسة فبانشائية هكذا على الترتيب (.. بل هم قوم يعدلون .. .. بل أكثرهم لا يعلمون .. قليلا ما تذكرون .. .. تعالى الله عما يشركون .. .. قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) الايات : ٦٠ - ٦٤

ولقد ذكر علماء التفسير والبلاغة — لطائف هذا التتابع البديع وذاك الترتيب الهادف وتناسقهما مع المعطيات الموضوعية لكل آية ، ولست متعرضا هنا الا لما له صلة بأحوال المدعوين واستكناه ما يصدهم عن النظر والاستبصار ، وطرائق ما يناسبهم لتحقيق الاستدلال .

فمن ذلك ما ذكره البعض (١) أن ختم الآية الاولى بقوله (بل هم قوم يعدلون) ثم بقوله (بل أكثرهم لا يعلمون) ثم بقوله (قليلا ما تذكرون) ثم بقوله (تعالى عما يشركون) ثم (هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) السر فيه : أن أول الذنوب العدول عن الحق ، ثم لم يعلموا ولو علموا ما عدلوا ، ثم لم يتذكروا فيعلموا بالنظر والاستدلال فأشركوا من غير حجة وبرهان .

وعلى هذا (فالتذكير) بهذه الآيات الكونية مدخل عظيم لدعوة واستمالة الناس من جهل منهم ومن عدل عن الحق المبين ، ومن نسي أو تلهى عن الله والآخرة ، ومن سلك طرق التقليد ولا برهان له فأشرك مع الله غيره ، كما أن التذكر بهذه الآيات باب عظيم لتثبيت النفس على الايمان بالله ومقتضياته ، وقد وضح العلامة ابن القيم رحمه الله أهمية التذكر والتذكير بالآيات الكونية وأبان موقعه من المنهج الفكري في الدعوة فقال (طريقة القرآن أن يجعل آياته للتبصر والتذكر كما قال تعالى (والأرض

---

(١) النيسابوري على حاشية الطبري ٢٠/٨

مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب)(١) فالتبصرة: التعقل، والتذكرة : التذكر، والفكر: باب ذلك ومدخله ، فاذا فكر تبصر واذا تبصر تذكر ، فجاء التذكير في الآية لترتيبه على العقل المرتب على الفكر، فقدم الفكر اذ هو الباب والمدخل ، ووسط العقل اذ هو ثمرة الفكر ونتيجته ، وأخّر التذكر اذ هو المطلوب من الفكر والعقل ،فتأمل ذلك حق التأمل)(٢)

وتذكير الغافلين عن الله بالآيات الكونية هو وعظهم ، ولقد فسر العلماء قوله تبارك وتعالى (قليلا ماتذكرون) أى : قليلا ما تتعظون (٣)

والناس متفاوتون في التذكر ، قال المفسرون : المعنى تذكرون تذكرا قليلا ، ويجوز أن يراد بالقلة العدم ، فالقلة تستعمل في معنى النفي (٤)

والاتعاظ والتذكر منزلة عالية (انما يتذكر أولو الألباب)(٥) (وما يتذكر الا من ينيب)(٦)

فلئن تخلص المرء من بلادة الالف للنعمة والتعود على مقابلتها بالغفلة ،وتجرد عن الاهواء ثم تأمل في ملكوت الله تهيأت نفسه للتذكر والاتعاظ .

وعلى ضوء هذا نرى أن موانع النظر والاستدلال تنضوى تحت أمرين جامعين :

الأول : الغفلة واتباع الاهواء والاعراض عن الحق بلا برهان، وهذا يفضي الى العدول عن الله (بل هم قوم يعدلون) النمل : ٦٠ أى : يعدلون عن الحق ويجورون عليه على عمد منهم لذلك مع علمهم بأنهم على خطأ وضلال (٧) فيكون العدول بمعنى الانحراف او هو بمعنى المساواة ، يساوون به غيره (٨)ولما عدلوا عن الحق (طبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) (٩) فمهما ابديت لهم من دلائل الاستقامة ارتكسوا في غيهم ولجوا في طغيانهم واستحبوا العمى على الهدى وهذا الصنف من الناس هم الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم في سورة النمل :

---

(١) ق : ٧ - ٨
(٢) مفتاح دار السعادة ٢١٣/١
(٣) زاد المسير ١٨٧/٦
(٤) الكشاف ١٥٦/٣ ومفاتيح = = الغيب ٢٤/ ٢٠٩ وتفسير النيسابورى على حاشية الطبرى ٧/٢٠
(٥) الزمر : ٩
(٦) غافر : ١٢
(٧) الطبرى ٣/٢٠
(٨) روح المعاني ٥/٢٠
(٩) التوبة : ٩٣

(انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهدى العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤ من بآياتنا فهم مسلمون) الاية : ٨٠- ٨١

ولقد انحرف هذا الصنف من الناس في تعليل ظواهر الكون ونواميس الطبيعة وآلاء الله المتجلية في ذلك فزعموا :

١ - انها وجدت صدفة من غير خالق مبدع (١) وهذا الادعاء المتهافت أقل من أن يلتفت اليه ، ومما يبطله :

أ - ان عنصر الانتظام والاتقان في مظاهر الطبيعة من تماسك وانسجام وتسلسل واتزان وتناسق وتنوع وقد تقدم بيانها (٢) يبطل القول بالصدفة ، قال الكاتب الغربي كريسي موريسون (ان حجم الكرة الارضية وبعدها عن الشمس ودرجة حرارة الشمس واشعتها الباعثة على الحياة وسمك قشرة الارض وكمية الماء ومقدار ثاني اكسيد الكربون وحجم النتروجين وظهور الانسان وبقاءه على قيد الحياة ، كل أولئك يدل على خروج النظام من الفوضى ، وعلى التصميم والقصد كما تدل على أنه طبقا للقوانين الحسابية الصارمة ما كان يمكن حدوث كل ذلك مصادفة في وقت واحد على كوكب واحد) (٣) ويقول جون وليام كلوتس (ان هذا العالم الذى نعيش فيه قد بلغ من الاتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة ، انه ملئ بالروائع والامور المعقدة التي تحتاج الى مدبر والتي لا يمكن نسبتها الى قدر اعمى ، ولاشك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة ، وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن ايماننا بوجوده) (٤)

ب - ومما يبطل القول بالصدفة - كذلك - ان الصدفة ينعدم فيها عنصر الاستمرار فهي لا تتكرر مرات عديدة ، فلئن حصل التناسق بين اجزاء الكون اول مرة بالصدفة فلا معنى للقول بذلك في المرات المتتالية بعد ذلك ووضح هذا العالم الغربي كريسي بقوله (لنفرض ان معك كيسا يحوى مئة قطعة رخام ، تسع وتسعون منها سوداء وواحدة بيضاء

---

(١) انظر مجمل الاحتمالات الثلاثة الواردة في تفسير مظاهر الطبيعة في قصة الايمان للجسر ص ٢٩٠ ط وفي ظلال القرآن ٢/١١٦٥

(٢) انظر ص ٢٨٨ من هذه الرسالة.

(٣) العلم يدعو للايمان ص ١٩٧

(٤) الله يتجلى في عصر العلم - مقال : اللغز الكون المعقد ص ٤٦

والآن هز الكيس وخذ منه واحدة ، ان فرصة سحب القطعة البيضاء هي بنسبة واحد الى المئة ، والآن أعد قطع الرخام الى الكيس ، وابدأ من جديد ان فرصة سحب القطعة البيضاء لا تزال بنسبة واحد الى مئة غير أن سحب القطعة البيضاء مرتين متواليتين هي بنسبة واحد الى عشرة آلاف (المئةمضاعفة صحّة سرح) (١)

٢ ـ الاحتمال الثاني : قالوا : أو أنها الطبيعة هي الخالقة لنفسها ولعناصرها ولا يقل هذا تهافتا عن سابقه ، فما الطبيعة الاكغيرها من المخلوقات دلالة على بارئها تباركوتعالى بما تحويه من الاسرار العجيبة ، قال ابن القيم(. . فالطبيعة مخلوق من مخلوقاته ومملوك من مماليكه وعبيدة مسخرة لأمره تعالى منقادة لمشيئته ودلائل الصنعة وامارات الخلق والحدوث وشواهد الفقروالحاجة شاهدة عليها بأنها مخلوقة مصنوعة ، لا تخلق ولاتفعل ولا تتصرف في ذاتها ونفسها ، فضلا عن اسناد الكائنات اليها (٢)

ولما بطل الاحتمالان السابقان القائلان : بالصدفة والطبيعة ، بقي الاحتمال ا لثالث وهو ما نؤمن به وهو المتمشي مع الفطرة السليمة والعقل النير ، من أن الله تبارك وتعالى هو وحده الخالق الرازق ، لا اله غيره ولا رب سواه ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله.

المانع الثاني : الالف لهذه المظاهر والتعود على عدم الاكتراث بها ، وهو أمر مذموم ، قال تعالى (وكأين منءاية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) (٣)وشأن الانسان مقطوعالصلة بالله ان يتقلب فيهذه النعم ولا يتحرك فيه وازع شكر أو دافعحمد ! قال سيد قطب (مشهد السمواتوالأرض ومشهداختلاف الليل والنهارلو فتحنا عليه بصائرنا وقلوبنا وادراكنا ، لو تلقيناه كمشهد جديد تتفتحعليه العيون أول مرة ، لو استنقذنا حسنا من همود الالف وخمود التكرار لارتعشت له رؤانا ، ولاهتزت لهمشاعرنا ، ولأحسسنا ان وراء مافيهمن تناسق لابد من يد تنسق ، ووراء ما فيهمن نظام لا بد من عقل يدبر ، ووراء ما فيه من احكام لابد منناموس لا يتخلف ، وان هذا كله لا يمكن ان يكون خداعا ولا يمكن ان يكون جزافا ولا يمكن ان يكون باطلا)(٤)

---

(١) العلميدعو للايمان ص ١٩٥ (٢) طريق الهجرتين ص ١٥٩
(٣) يوسف : ١٠٥ -١٠٦ (٤) الظلال ١/٥٤٥ موضعآل عمران : ١٩٠

وثمة موانع اخرى تقدم ذكرها (١) وهي جديرة بان يدرسها ويستوعبها الدعاة لتكون الدعوة صائبة المناهج محكمة الاساليب محققة الغايات .

نسأل الله جلت قدرته التوفيق والاعانة ومنه الخير كله ، ولعله من المستحسن ان نختم هذا الباب بذكر اساليب الدعوة البيانية الواردة في ختام السورة الجليلة (٢) مما لم يتقدم عرضه في ثنايا فصول هذا الباب .

---

(١) انظر ص ٢١٤ من هذه الرسالة .
(٢) اقرأ الآيات البينات في ذلك في ص ٢١٧ من هذه الرسالة .

(أساليب الدعوة في الآيات المباركة)

١ - اساليب الاستفهام المتكرر المذكر بعظيم نعم الله وجليل فضله على عباده وتقدم عرضه (١)

٢ - اساليب الترغيب والترهيب :

أ - امر الدابة : قال تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) الاية : ٨٢ وخبرها مع كونه من وجوه الاعجاز القرآني لأنه - كمشاهد القيامة - من أخبار الغيب هو كذلك معلم دعوي هام:

* ففي وقت خروجها قال كتاب الله (واذا وقع القول عليهم..)

- فهو على التفسير الاول اذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر (٢) وعليه فهو اسلوب حض على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تلك الشعيرة الاسلامية الجليلة التي هي عماد صلاح المجتمعات ومن اسباب الفلاح في الدارين .

- وعلى التفسير الثاني ، يكون المراد بوقوع القول عليهم : مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة (٣) كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم (ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض) (٤) وعلى هذا فيتضمن الحض على المسارعة الى التوبة قبل حلول الأجل المحتوم، وهو - مع ذلك - حث وترغيب على المبادرة الى صالح العمل والاستباق اليه كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم (بادروا بالاعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة) (٥) وفي سورة محمد صلى الله عليه وسلم (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) (٦)

---

(١) راجع ص٢٩٢ وما بعدها من هذا البحث .

(٢) القرطبي ١٣/٢٣٤ والماوردي ٣/٢١٠ وتفسير السورة التي يذكر فيها النمل ص. ٣٨

(٣) الكشاف ٣/١٥٩

(٤) رواه مسلم في كتاب الايمان عن ابي هريرة رضي الله عنه ١/١٣٨ باب الزمن الذي لا يقبل فيه الايمان .

(٥) رواه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه في كتاب الفتن ٤/٢٢٦٧ باب في بقية أحاديث الدجال

(٦) محمد : ١٨

وفي الحديث (ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى ، وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا) (١) قال ابن عمرو رضي الله عنهما : واظن ان أولهما خروجا طلوع الشمس من مغربها (٢) ولهذا عد كثير من اهل العلم الدابة والنفخ في الصور ومر الجبال كالسحاب من علامات القيامة (٣)

ب - مشاهد القيامة ، وتتضمن الترغيب في نعيم لا ينفد وقرة عين لا تنقطع (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) الاية ٨٩ والترهيب من عذاب سرمدى ابدى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ماكنتم تعملون) الاية ٩٠ ، وهو اسلوب تخشع له القلوب وتنيب الافئدة ويلوذ الانسان بباب مولاه يرجو رحمته ويخاف سطوته ، ويدعى به المؤمنون وهو يصلح - كذلك - لدعوة غير المؤمنين لأن الانسان مفطور على حب اللذائذ والسعي في حصولها وهو مجبول كذلك على النفور من الشدائد والعمل على توقيها ، وتلاوة هذه المشاهد على أسماع المنكرين والجاحدين حجة عليهم وان لم يفقهوها فقه تدبر وايمان وتبصر ، ولسوف يتذكرون حين لا تنفع الذكرى سيقولون (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (٤)

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ٤/٢٢٦٠

(٢) سنن ابي داود كتاب الملاحم ٤/١٩١ باب اشراط الساعة

(٣) مفاتيح الغيب للفخر الرازى ٢٤/٢١٧ - ٢٢٠

(٤) يس : ٥٢

البَابُ الرّابعُ

(منهج إعداد وتربية الدعاة فى السورة)

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : أُسس التربية الروحية .

الفصل الثانى : سمات التربية الإسلامية .

الباب الرابـــع

(منهج تربيـة الدعاة في السـورة)

توطـئة :

لاجـرم أن القرآن العظيم (مكيه ومدنيـه) حافل بمناهـج الدعــوة ومناهج التربيــة ، فلئن كانت الدعــوة أكثـر شموليـة من حيث العرض والتناول لتوجههـا الى أمتي الاجابـة والدعــوة .. فان التربية أبعد أثرا وأعمق تهذيبا فهي تتعهـد (النفس) أول ما تتعهد فتوقد فيها جذوة التقوى وتذكيها وتعودها على الاصطبار في مجاهـدة نوازع الأهــواء ومطالب الشهوات ، وتنمي فيها أواصـــر المودة والصـلة والالفـة بينها وبين الناس .

وتتعـهد - بعد ذلك - العقل فتوجهـه الى خير وصلاح الانسانية في المعاش والمعاد ، وتتعـهد - مع ذلك - الجسم فتبنيـه قويا متينا لا يكل من القيام بالواجبات يتغذى على حلال المتع الدنيوية دون انشغال ولا انهماك .. وينآى عن مواطـن الشبهات والمحرمات ..

فبيـن الدعـوة والتربية وشائج متينـة لا تقبل التجزئـة أو الانفصام ، فهي تتلاقى في الوسائل والأساليب والأهداف العامـة والخصائص الكبرى .

والتربية مهمة شاقـة ، لأنها تعالج (النفس) وهي عسيرة القياد صعبة المراس بما أتيح لها من متع الدنيا ولذائذها وزهرتها ، ثم بما حبب اليها وزيّـن لها من تلك الشهوات (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبـنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضـة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**)(١) فتطويع النفس وغرائزها وأهوائها - على امتـــداد العمر - وفق منهج الله ورغـبة في اليوم المشهود وما فيه من نعيم موعود (وهو من الغيب) ليس بالأمر اليسير ولا السهل ، هذا على الصعيد الفردى .

وتتضاعف مشقة التوجيه الى الخير والالتزام بالحق على الصعـيد الجماعي ، لأن للمجتمع عاداتـه وتقاليـده وسـننه ، وكلما كبر عدد الجماعـة زادت طلبتها ومست حاجتها الى تربية النفوس على الصلاح والاصـلاح ، وحاجتنا اليوم في تزايد مستمر أكثر مـن

---

(١) آل عمران : ١٤

أي وقت مضى الى انتهاج نهج الاسلام في التربية (١)، ولاسيما وقد أتى على المسلمين حين من الدهر تسلط فيه الاستعمار عليهم بمختلف صوره وحاول هبغ الأمة بصبغته الكريهة وصرفها عن الله وعن منهج الله .

وتتضمن التربية عند اللغويين معنى الزيادة والنشأة والرعاية (٢)وهي في المفهوم العام : (المحافظة على الفطرة ، وتنمية المواهب ، وتوجيههما بالتدرج نحو الصلاح والكمال)(٣)

وتستمد التربية مناهجها وخصائصها (٤) من القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة فهي على ذلك أشمل تربية وأصلحها وأتمها وأبقاها ، لأنها تغرس المثل العليا والخلق الحميد والطهر والعفاف وسائر خصال الخير في الانسان أيا كان نوعه وجنسه وعرقه .. فغايتها اعداد (الانسان) الصالح وهذا وجه يفرق بينها وبين مناهج التربية الأخرى التي غايتها اعداد (المواطن) الصالح (٥)

وتتعهد التربية الاسلامية الانسان في مختلف مراحله الجسمية والفكرية والروحية طفلا وشابا ورجلا ، ذكرا وأنثى (٦)

والانسان المتأثر بالتربية الاسلاميةالمنشأ على مناهجها (يصبح له سلوك معين وتفكير معين ، وشعور معين ، هو أقرب الى الصلاح والتقوى ، ويصبح الانسان أكثر شفافية وأكثر انسانية) (٧)

---

(١) بلغ عدد المسلمين اليوم ألف مليون نسمة بعد أن كان عددهم سنة ١٩٣٤م حوالي مئتي مليون نسمة: جريدةالمسلمون ١٤٠٦/٦/٢٠ ص ٢ تحت عنوان تحذير غربي من تزايد اعداد المسلمين ـ نقلا عن صحيفة سويدية .

(٢)اللسان ١٤/٣٠٤ مادة (ربا) والمعجم الوسيط ١/٣٢٦

(٣) اصول التربية الاسلامية للنحلاوى ص ١٣ ط ١٣٩٩هـ دمشق ، وللتربية مفهوم فردي ، وجماعي ، ومثالي : انظر في ذلك (دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الاسلام ـ فتحية الحلوائي ص ٤٥ ط ١٤٠٣هـ جدة

(٤) انظر خصائص القرآن الكريم ص ٤٤ من هذه الرسالة .

(٥) انظر مناهج التربية الاسلامية ـ محمد قطب ١/١٣ ط ١٤٠٣هـ القاهرة

(٦) يرى الاستاذ محمد الشعراوى أن التربية خاصة بالطفولة لأنها موطن الانشاء والنمو ـ أنظر : مقال (الشباب لا يربى وانمايعالج بالحكمة وا لموعظة الحسنة) جريدة المدينة عدد ١٤٠٨/٣/١٦هـ ص ٧ والصواب ماقلناه والله اعلم وسنرى في السورة منهجا لا يصلح للطفولةكالعلم والتزكية فيأرفع صورهما . .

(٧) مناهج التربية الاسلامية ١/٧

وتتضمن السور المكية لونا خاصا للتربية عمادهُ ـ أصول الدين ومجامع الأخلاق وعالمية المنهج ، وهذا اللون التربوى في العهد المكي يهيء النفوس لتنهض بالتكاليف الشرعية حين تسن ، وتتحمل ـ بدأب وحرص ـ اعباء الدعوة اليها وذلك بترسيخ مفاهيم الايمان ومقتضياتها ، وايجاد الولاء لله ولرسوله ولصالح المؤمنين ، وسن الوسائل والأساليب المختلفة لبقاء ذلك ونمائه على نحو يفوق كل شعور ويقدم على كل مصلحة وتهون في سبيله المهج والنفوس (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ءاباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا ان جزب الله هم المفلحون)(١)

وفي هذا المنهج التربوى يقول الشاطبي (كان المسلمون قبل الهجرة آخذين بمقتضى التنزيل المكي على ما أداهم اليه اجتهادهم واحتياطهم فسبقوا غاية السبق حتى سموا (السابقين)(٢) باطلاق ! ثم لما هاجروا الى المدينة ولحقهم في ذلك السبق من شاء الله من الأنصار وكملت بها شعب الايمان ومكارم الأخلاق ، وصادفوا ذلك وقد رسخت في أصولها أقدامهم فكانت المتممات أسهل عليهم(٣)

وفي سورة النمل صورة متكاملة لأسس هذا المنهج التربوى كما فيها أهم وسائله وسماته ، وهو منهج صالح لكل البشر ، وهو ضرورى في تربية الدعاة واعدادهم وتهيئة نفوسهم للقيام بواجب الدعوة والاضطلاع بتكاليفها وأعبائها .

وفي الفصول التالية محاولة لابراز هذا المنهج التربوى القرآني الفريد . . وبالله وحده التوفيق .

---

(١) المجادلة : ٢٢

(٢) يشير الى قوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار . .)التوبة: ١٠٠

(٣) الموافقات ١٣٦/٤

الفصل الأول

(أسس التربية الروحية)

١ - الايمان بالله واليوم الآخر .

٢ - العلم .

٣ - التزكية بالأعمال الصالحة .

تضمن السورة لهذه الأسس :

الدعوة الاسلامية مهمة عسيرة تنوء بالعصبة أولي القوة ، انها اخراج الناس - باذن ربهم - من الظلمات الى النور، ووصلهم بالملكوت الأعلى ،ثم العمل الجاهد على الابقاء على عرى هذه الصلة قوية متينة ، ولذا اختارالله لحمل هذه الأمانة الجليلة من بلغوا منزلة الكمال البشرى خلقا وخلقا وهم أنبياء اللهورسله عليهم الصلاة والسلام .

ولما كانت هذه الأمة المحمدية مشرفة بأنها تدعو الناس تبعا لرسول الله صلى اللهعليه وسلم الى دين الله بمقتضى قولهتعالى (قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)(١) ربّى رسول الله صلى الله عليهوسلم أصحابه على تحمل أمانة الدعوة والقيام بها أتم قيام ، وكانت تربيته صلى الله عليهوسلم على أسس عامة لا تتغير على مر الأيام وتعاقب الأجيال ، ذلك أنها لب الاسلام وسبب بقائه على الأرض ، ففي دعوة ابراهيم الخليل عليه السلام وقد فرغ من بناء البيت (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم ءاياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم)(٢)وفي معرض امتنان الله على عباده يقول تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلواعليكم ءاياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)(٣) ويقول سبحانه(لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلواعليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل في ضلال مبين)(٤) ويقول (هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلواعليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم

---

(١) يوسف : ١٠٨ (٢) البقرة : ١٢٩

(٣) البقرة : ١٥١ (٤) آل عمران : ١٦٤

الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)(١) وفي سورة النمل (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) الاية : ٩١ - ٩٢

ولقد ورد اسم الله -تباركت أسماؤه- (الرب) مقرونا بهذه الأصول التربوية الثلاثة ومقتضياتها في هذه السورة الشريفة احدى عشرة مرة في تسع آيات وهو أمر له دلالته التربوية البليغة :

١ - ففي معرض الايمان بالله - تبارك وتعالى - وهو الاصل الأول للتربية ومحورها العام وهدفها الأكبر ، ورد :

أ - تنزيه الله تعالى عن الانداد والأمثال وسائر النقائص ، كما في قصة موسى عليه السلام (فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) الاية : ٨

ب - وبيان سعة قدرته وعظم خلقه وانه لا اله الا هو ، كما في قصة هدهد سليمان (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) الاية : ٢٦

جـ - بيان ان الله تبارك وتعالى مطلع على مكنون الصدور وظاهر الأحوال ، فلا تخفى عليه خافية ، وهذا ركن ركين يقتضيه اساس (الايمان) في تربية النفوس، (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) الاية : ٧٤

د - ثم الدلالة الى استلهام العون واستنزال التوفيق على أداء الواجبات وهذا من خصائص التربية الاسلامية وأهدافها وهو مظهر من مظاهر الصلة بالله تبارك وتعالى ، كما في قصة سليمان وقد سمع كلام النملة وفهم منطقها (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) الاية : ١٩

٢ - وفي مقام العلم وهو الأصل الثاني للتربية بعد الايمان، جاء :

أ - التنويه بقيمة العلم وأثره الحضارى في التربية، وانه السبيل الى ايقاظ الغافلين ورد الشاردين الى مولاهم وربهم، فهذه ملكة سبأ (قيل لها ادخلي الصرح

---

(١) الجمعة : ٢

فلما رأتهحسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرحممرد من قوارير ، قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان للهربالعالمين) الاية : ٤٤(١)

ب - الارشاد بالنظر في آيات الله وآلائه مما هو مشهود منظور ومما سيتكشف للناس ويتوصلون اليه ، وتقرير التربية بذلك، وربطها بالأساس الايماني (وقل الحمد لله سيريكمءاياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) الاية : ٩٣

٣ - وفي تقرير منهج التزكية وهو الأصل الثالث للتربية الاسلامية:

أ - اظهار جانب الابتلاء في اسداء النعم للصالح والطالح وبيان موضعها من التربية.. فليس الأمر عبثا ولن يترك سدى ، كما في قصة احضار عرش سبأ الى سليمان (.. فلمارءاه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربيليبلوني أأشكر أم أكفر ..) الاية : ٤٠ والشكر كما سيجيء من أجلى مظاهر تزكية النفس .

ب - بيان انه تعالى مع ابتلائه الناس ذو رحمة واسعة ونعمة سابغة، فهو المربي بالنعم الغني عن شكر الشاكرين الكريم في اسداء النعمى اليهم واجزال المثوبة للشاكر منهم (ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فانربي غني كريم) الاية : ٤٠

جـ - تقرير وحدة المسلمين في منهج التزكية والعبادة ، وذلك بذكر موضع قبلتهم ومهوىءافئدتهم (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين) الاية : ٩١

د - وذكر أن المهتدين المفلحين الذين يذكرون نعمة الله فيزكّون أنفسهم بطاعته وشكره قليل ! (وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون) الاية : ٧٣

وهذه أبواب عظيمة - كماترى - في تربية الدعاة واعدادهم ، وفي توجيه الناس عامة الىمسالك التشبث بالايمان وتنميته بتزكية النفس وتطهيرها بطاعة رب العالمين ..

ولنشرع في الحديث عن هذه الاسس التربويةضمن الاطارالعام للسورةالمباركة ..

---

(١) راجع المنهج العلمي في دعوة سليمان عليهالسلام - ص ٢٠٧ من هذا البحث

الاصل الأول (الايمان بالله واليوم الاخر) :

التربية على الايمان بالله واليوم الاخر تنصب على (تعميق) هذا الايمان وترسيخه في القلوب ، حتى تكون مقتضيات هذا الايمان ميسورة على النفس مرغوب فيها بدافع ذاتي ، اما الاستدلال على وحدانية الله تبارك وتعالى ووجوده بمختلف وجوه الدلالات فهو أدخل في الدعوة ومناهجها . . وتختص التربية بتعميق الايمان في النفس وترسيخه فيها .

ولهذا - والله اعلم - عبر السياق القرآني الجليل عن (الايمان) وهو الاساس الاول للتربية (بتلاوة) القرآن المجيد . . اذ التلاوة في مفهومها الأشمل هي : تجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا ونهيا ، على نحو يزرع في النفس مظاهر الايمان العميق بالله سبحانه وتعالى كحمده تعالى وشكره والتوكل عليه والتضرع بين يديه . .

فالتلاوة التي ذكرها الله تباركت أسماؤه في هذه السورة الجليلة في سياق الأمر لرسوله صلى الله عليه وسلم (. . وأن أتلوا القرآن) الاية : ٩٢ - والأمر له عليه الصلاة والسلام هنا أمر لأمته - هي : التلاوة المطلقة المتوجهة الى اللفظ بمعنى الترتيل والتدبر ، والمعنى بالاتباع والانقياد ، فحقيقتها كما يذكر ابن القيم رحمه الله : (تلاوة اللفظ والمعنى ، فتلاوة اللفظ جزء من مسمى التلاوة المطلقة ، وحقيقة اللفظ انما هي الاتباع . . تصديقا بخبره وائتمارا بأمره وانتهاء بنهيه وائتماما به حيثما قادك انقدت معه ، فتلاوة القرآن تتناول تلاوة لفظه ومعناه وتلاوة المعنى أشرف من مجرد تلاوة اللفظ ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء في الدنيا والآخرة ، فانهم أهل تلاوة ومتابعة حقا) (١)

ولقد نوهت سورة النمل بأجلى مظاهر التربية على الايمان بالله واليوم الاخر ، وهي :

١ - تحقيق معنى (الاسلام) في النفس وفي الحياة :

فالاسلام كما أنه منهج حياة في شمولية احكامه وعدل مقرراته ، هو - كذلك -

---

(١) مفتاح دار السعادة ٤٢/١

عنوان المجد ومصدر القوة والعزة ، وما أحرى المسلمين اليوم أن يعلّموا هذه الحقائق أبناءهم ويربّوهم عليها وينشّئوا شبابهم عليها كيما يستطيعوا مواجهة جحافل الكفر والطغيان التي لا تريد أن تكون لأمة الاسلام صلة بربها ودينها . .

وهذا سليمان - عليه السلام - قال في كتابه لأهل سبأ بمنطق المعتز بدينه القوى بايمانه المستعلي بالحق الذى اعتنقه (ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين) الاية : ١٣ ، وقال متحدثا بنعمة الاسلام حين اسلمت ملكتهم(. . وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) الاية ٤٢ وقالت الملكة ابان اسلامها وقد أحسّت بعظمة هذا الدين ومكمن القوة فيه (قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) الاية ٤٤ وقال عزوجل في مدح المؤمنين الذين ربّوا أنفسهم على طاعة الله (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولّوا مدبرين وما أنت بهٰدِ العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) الاية : ٨١ ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين) الاية ٩١ والأمر هنا بالاسلام على المعنيين : الثبات والاخلاص (١) يتضمن تربية حثيثة للنفس على الاستمساك بالاسلام اسما وعملا ومنهجا واعتزازا ، وانه الدين الحق الذى ارتضاه الله لعباده ولن يقبل غيره . .

٢ - القيام بواجب الشكر لله في السراء والضراء :

وسبيل ذلك تربية النفس على الاحساس بما لله - عزوجل - من فضل ونعم وآلاء لاينالها حصر ولا يضبطها عد ، يتقلب فيها العبد ليل نهار ولا يخلو منها طرفة عين .

وتنمية الشعور في النفس بهذا (الفضل الدائم) وتلك (النعم السابغة) انما يتحقق - على ماجاء في هذه السورة - باقامة الموازنة العقلية بين متع الدنيا وزخرفها ، وبين ما يعطاه المؤمن من انابة الى الله ويقين بيوم الحساب يثمر - باذن الله - متعا أخروية هي خير وأبقى .

---

(١) انظر ارشاد العقل السليم ٣٠٦/٦ وتفسيرابن كثير ٣٢٨/٣

ففي بيان حال الدنيا يقول تعالى عن ملكة سبأ (.. وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) الاية ٢٣ ولم يكن مع ما أوتيته ايمان ولا بر، أما سليمان عليه السلام وهو ملك مثلها لكنه جمع له مع النبوة الملك قال (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين)الاية ١٦ ثم هو عليه السلام يوجه الذين تقصر أعينهم على المظاهر الفانية فيقول (.. فما ءآتاني الله خير مما ءآتاكم) الاية ٣٦ وطفق يتحسس في نفسه مواقع نعم الله وعظيم فضله وجليل آلائه فقال قول الشاكرين (ان هذا لهو الفضل المبين)- الاية : ١٦ (وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدىّ وأن اعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)الاية : ١٩ وقال (هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم) الاية : ٤٠ وقال الله عزوجل (وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) الاية : ٧٣

فتربية النفس على شكر الله من مظاهر الايمان به (وأصل الشكر هو :الاعتراف بانعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة ، فمن لم يعرف النعمة كان جاهلا بها لم يشكرها ، ومن عرفهاولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضا ، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها ، ومن عرف النعمة والمنعم وأقر بهاولم يجحدها ولكن لم يخضع له ويحبه ويرضى به وعنه لم يشكرها أيضا ، ومن عرف المنعم بها وخضع له وأحبه ورضي به وعنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها)(١) فالشكر للنعم مبني على ثلاثة أركان : ١ - الاقرار بالنعمة . ٢- واضافتها الى المنعم بها. ٣- وصرفها في مرضاته والعمل فيها بما يرضيه فلا يكون العبد شاكرا الا بهذه الأشياء الثلاثة (٢)

وتربية النفس بكل جوانحها ومشاعرها على الشكر مما يحمد في حق الدعاة قبل يجب عليهم، وانظر كيف ابتهل سليمان عليه السلام قائلا (رب أوزعني أن أشكر نعمتك) أي : اجمعني كلي ، اجمع جوارحي ومشاعري ولساني وجناني وخواطري وخلجاتي وكلماتي وعباراتي واعمالي وتوجهاتي ، اجمعني كلي اجمع طاقاتي كلها أولها على

---

(١) طريق الهجرتين ص ١٢٨ - ١٢٩

(٢) مفتاح دار السعادة ١/١٧٤

آخرها وآخرها على أولها - وهو المدلول اللغوى لكلمة أوزعني - لتكون كلها في شكر نعمتك عليّ وعلى والدىّ .. (١)

وهذا خاتم الانبياء وقدوة الشاكرين كان يصلي حتى ترم(سُوُرم) قدماه، فيقال له ، فيقول : (افلا أكون عبدا شكورا) (٢)

٣ - التوكل على الله في كل حال :

لا يتحلى بالتوكل على الله الا من صفت سريرته وقوى ايمانه وأيقن أن الله على كل شيء قدير ، وفي سورة النمل (وله كل شيء) الاية : ٩١ وأيقن أنه بكل شيء محيط وفي هذه السورة (وما ربك بغافل عما تعملون) الاية: ٩٣ ، وانه عليم بذات الصدور لا تخفى عليه خافية ولا تند عنه شاردة(وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) الاية : ٧٤ فعلمه سبحانه وتعالى محيط ومشيئته نافذةولا راد لفضله ولا معقب لحكمه .

وتربية الدعاة على هذه المعاني الايمانية السامية تضفي على دعوتهم وأشخاصهم جلال الايمان وتغرس في نفوسهم التوكل على الحي الذى لا يموت ، ويستشعرون في كل آن أنهم في كنفه محفوظون ولدينه حاملون ومبلغون ، فهم به عزوجل واثقون وبنصره وتأييده وخذلان أعدائه موقنون .. وفي هذه السورة الشرقية (فتوكل على الله انك على الحق المبين) الاية : ٧٩ وحين تسرى هذه المعاني في القلوب وتستمكن منها تنطلق الدعوة قوية مؤثرة تستمد قوتها من اليقين بالله

ولقد نوهت كثير من الآيات المكية بأهمية اعداد الدعاة على التوكل ، وان ذلك من ألزم ما ينبغي أن يتحلى به الدعاة في مرحلة البناء وما بعدها من مثل قوله تعالى (.. فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) (٣) وقوله(.. فاستمسك بالذى أوحي اليك انك على صراط مستقيم) (٤)

---

(١) في ظلال القرآن ٢٦٣٦/٥

(٢) متفق عليه : رواه البخارى عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في كتاب الرقاق باب الصبر عن محارم الله واللفظ له ٢٣٧٥/٥ ومسلم في كتاب صفات المنافقين باب اكثار الاعمال ٢١٧٢/٤

(٣) الروم : ٦٠

(٤) الزخرف : ٤٣

وحسب التوكل منزلة - فضلا عن اثره في النفس - ان المتحلين به من الأخيار الذين لا حساب عليهم يوم الحساب كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) (١)

** الاثر التربوي للايمان في سلوك الانسان :

مجريات الحياة الدنيا تلهي عن الله واليوم الآخر ، ذلك أنها بما تشتمل عليه من العادات المكرورة المألوفة ثم بما تزخر بها هذه الحياة من المتع المتاحة التي تنزع اليها الأهواء تستجلب من الانسان لبه وتستغلب طاقته وفكره . .

فلا سبيل الى ضبط النفس في الحدود التي شرعها رب العالمين دون أن تشعر هذه النفس بالحرمان أو المنقصة أو الهوان ، الا اذا آمنت بيوم الحساب ايمانا راسخا ، ايمانا حافزا الى الخير صادا عن الشر :

أ - فالنفس التي تستيقن بما في هذا اليوم الشهود (يوم يقوم الناس لرب العالمين) (٢) من نعيم مقيم وعطاء غير مجذوذ تتوق الى هذا الرضوان وتلك النعم (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) الاية : ٨٩ وتحس أن ما لم تناله من متع زائلة محرمة ليست بالتي لا عوض لها !! بل هناك ما يقابلها من جزيل الثواب وعميم العطاء .

ب - والنفس التي تستيقن بما في ذلك اليوم من عذاب مفزع مهول كما في قوله تعالى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون) الاية : ٩٠ تحجم عن محارم الله وتقف عند حدوده وتنضبط بأوامره ونواهيه وهي موقنة انها بذلك رابحة لا خاسرة ، لأنها وقيت هذا المصير المفزع ومن صوره الكب على الوجوه في النار - اعاذنا الله من ذلك - .

ولقد أبان العلماء ان استقامة النفس وقوة ايمانها انما يرتبط بمدى استيقانها باليوم الموعود ، قال ابن القيم رحمه الله : (للانسان في معرفة الآخرة حالتان :

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الرقاق ٥/٢٣٧٥ باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه واللفظ له ، ومسلم في كتاب الايمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ١/١٩٨

(٢) المطففين : ٦

- احداهما : أن يكون قد سمع ذلك من غير أن يباشر قلبه برد اليقين به ، ولم يفض قلبه الى مكافحة حقيقة الآخرة وهذا حال أكثر الناس ، فيتجاذبه داعيان : احدهما داعي العاجلة وايثارها وهو أقوى الداعيين عنده لأنه مشاهد له محسوس . والثاني داعي الآخرة وهو أضعف الداعيين عنده لأنه داع عن سماع لم يباشر قلبه اليقين به ولا كافحه حقيقته العلمية ، فاذا ترك العاجلةللآخرة تربه نفسه بأنه قد ترك معلوما لمظنون أو متحققا لموهوم ! فلسان الحالينادى عليهلا ادع ذرة مفقودة لدرة موعودة ! وهذه الآفة هي التي منعت النفوس من الاستعداد للآخرة وأن يسعى لها سعيها ، وهي من ضعف العلم بها وتيقنها ، والا فمع الجزم التام الذى لا يخالج القلب فيه شك لا يقع التهاون بها وعدم الرغبة فيها . .

- الحالة الثانية : أن يتيقن ويجزم جزما لا شك فيه بأن له دارا غير هذه الدار ومعادا له خلق وان هذه الدار طريق الى ذلك المعاد . . ويعلم أنهابا قية ونعيمها وعذابها لا يزول . . فيثمر له هذا العلم ايثار الاخرة وطلبها والاستعداد التام لها وان يسعى لها سعيها ، وهذا يسعى تفكرا وتذكرا ونظرا وتأملا واعتبارا واستبصارا . .) (١)

وثمة آيات كثيرة تضع سبل تقوية الايمان بالاخرة وتقرر وسائل ترسيخه في القلوب ، ثم تربط به الاحكام الشرعية والاداب المرعية والخلق الحميد ارتباطاوثيقا وهو جلي يعرفه كل من تدبر كتاب الله عزوجل .

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/١٨١ - ١٨٢

الأساس الثاني - العلم :

من خصائص الاسلام الكبرى أنه دين العلم والحكمة ، وفي هذه السورة الشريفة (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) الاية : ٦ والعلم حق مشاع لكل من لديه رغبة وتحفزه همة ، فهذا الهدهد وهو واحد من جنود سليمان عليه السلام يخاطب سيده النبي الملك قائلا (أحطت بما لم تحط به) الاية : ٢٢

ولأهل العلم الخاص - وهم أهل الذكر وأهل الحل والعقد - مقام رفيع ، فالله عزوجل يحقق على أيديهم ما يعجز عنه كثير من الانس والجن كما في قوله تعالى (.. قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك .. قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) الاية: ٣٩-٤٠

والدعوة الاسلامية تؤسس قضاياها ومناهجها وأهدافها على أساس متين من العلم والدليل ، ودأب الداعية دائما (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) الاية ٦٤ ، والاعتبار والاتعاظ بمصائر الغابرين وبآيات الله في الكون منوط بأهل العلم والاستبصار فعن المكذبين من قوم صالح يقول تعالى (.. فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون) الاية : ٥٢ كما أن أولوا العلم مبرؤون عن دنايا الأخلاق والفواحش ولقد قال لوط لقومه (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) الاية : ٥٥ ومقامات العلم وفضل أهله شيء يطول سرده وليس هنا مقام بسطه ، وحسبنا ما نوهت به السورة الجليلة (١)

وفي السورة تنويه بضرورة تربية الناس عامهم وخاصهم وتعليمهم ما يؤدون به واجبهم نحو ربهم وأمتهم وأنفسهم ..

أ - عامة الناس والعلم :

فعامة الناس لا يسقط في حقهم ما هو معلوم من الدين بالضرورة مما لا يعذر بجهله أحد ، كعامة أركان الاسلام وأمهات الفرائض ومجامع المحرمات ، ولقد نعى

---

(١) انظر ما جمعه العلامة ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة ١ /٤٨ حيث ذكر اكثر من مئة وخمسين وجها لفضل العلم واهله.

السياق القرآني الجليل على أولئك الذين يعرضون عن تعلم ذلك ويتلهون عنه ، ففي سورة النمل (.. حتى اذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون) الاية : ٨٤ فانظر كيف عبر السياق الجليل بلفظ (الاحاطة) في فهم هذه الآيات البينات وتدبرها ، واحاطة العلم بالآيات هو : فهمها وتدبرها وتدارسها وسؤال أهل الذكر عما خفي منها وانتهاج منهج السلف الصالح باتباع العلم العمل .

ولقد جعل بعض اجلة المفسرين الوعيد الوارد في الآية شاملا لكل من أعرض عن العلوم الشرعية بل وما يوصل اليها من علوم اللغة العربية وعلم أصول الفقه) (١) ولا يخفى أن هذا من واجبات الطائفة التي يجب أن تنفرد بالتفقه في الدين وليس يجب على كل أحد الا ما هو من مبادئ الاسلام العامة ..

وقد يقع الجهلاء في أمور شنيعة بسبب عدم اهتمامهم بالتفقه في الدين والتبصر في الشريعة كما قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) (٢) قال أهل التحقيق في الاية دلالة على أن كل من كان غير عارف بوجوه التأويل قد يقع في الكفر والبدعة ، لأن ظواهر النصوص قد تتعارض فيفتقر هنالك الى تطبيق التنزيل على التأويل (٣)

ب - العلم والدعاة :

اما الدعاة الى الله عز وجل وعلماء الامة فتربيتهم على نحو رفيع وبقسط وافر من العلوم من كبرى الواجبات وآكد الفروض ، وهو من أهم دعائم الأمة الاسلامية والركيزة الأولى في هذا هو العلوم الشرعية ومدارها - كما هو معلوم - على القرآن المجيد والسنة النبوية المطهرة ، حفظا وتدوينا وتعليما واستنباطا ، وهذا ما أرشد اليه قوله عز وجل (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) (٤) فانظر رحمني الله واياك كيف أوجب تعالى توافر هذا النوع من العلماء حتى في حالة الحرب .. وفي سورة النمل ذكر لتلاوة القرآن على سبيل الامر (.. وأن أتلو القرآن) الاية : ٩٢ وتلاوة القرآن هي ترتيله وتقصي علومه وتدبره والعمل به وبما جاء به وأمر ..

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ١٥٤/٤ (٢) يونس : ٣٩
(٣) غرائب القرآن للنيسابوري ٨٢/١١ (٤) التوبة : ١٢٢

ولقد تربى على هذه العلوم الشرعيةكثير من أئمة المسلمين ونبغوا فيها على امتداد التاريخ لا يضبطهم حصر ولا عد ، وكان لعلمهم وتعليمهم الاثر الحميد في فهم الاسلام وامتثال أحكامه عقيدة وشريعة .. وهذا هو (علم الكتاب) الذى ربى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه كما في حديث عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما قال : (ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم علمه الكتاب)(١) قال الحافظ ابن حجر: (والمراد بالكتاب القرآن ، لأن العرف الشرعي عليه ، والمراد بالتعليم ماهو أعم من حفظه والتفهم فيه)(٢)

ويستتبع العلوم الشرعية ما يوصل اليها ويقرب فهمها ويمكّن من دقة استيعابها كعلوم اللغة والفقه والأصول ..

والغاية العظمى من تربية الدعاة على هذا العلم الجليل (علم القرآن المجيد والسنة النبوية المطهرة) هو عبادة الله عزوجل على بصيرة ، ودعوة الناس الى ذلك القسطاس المستقيم بالحكمة وعلى بصيرة ..

ويظهر أن علم الكتاب أو علم من الكتاب هو اسمى منازل علوم القرآن المجيد والسنة المطهرة ، ولا يعطاها الا المجتبون الأخيار ممن خلصت نياتهم وصفت نفوسهم وتطابقت أعمالهم وأقوالهم ، وهانت في نفوسهم الدنيا وزخرفهاوقد يكرم الله بعضهم بكرامة كما أكرم الذى عنده علم من الكتاب فنقل عرش بلقيس من اليمن الى الشام في لمحة عين (٣)

وهو علم يهبه الله لمن يشاء من عباده والعبرة فيه بالتقوى ، قال في تفسير الجواهر (والعبرة بانهانفس مشرقة ملكية أو انسية توجهت الى الله بأى اسم كان أو بهمتها فالمدار على الهمم والنفوس الصافية ، ولا صفاء الا بالتعالي عن أحوال المادة ، فلا يهمك التفصيل بتعيين الذى احضره (اى العرش) ولا بالدعاء الذى دعا به وقد أدركت سر الحقيقة)(٤)

---

(١) متفق عليه : رواه البخارى ١/٤١ في كتاب العلم باب قول النبي (ص) اللهم علمه الكتاب ، واللفظ له ، ومسلم ٤/١٩٢٧ في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عبدالله ابن عباس .

(٢) الفتح ١/١٧٠

(٣) انظر أقوال المفسرين في شخصية الذى عنده علم من الكتاب اهو انسي أم جني ام ملكي ام سليمان نفسه : تفسيرالطبرى ١٩/١٠٠ وابن كثير ٣/٣٦٤ والفخر ٢٤/١٩٧ والتفسيرالقرآني ٤/٢٤٣ وابن حجرفي الفتح ٦/٤٥٩ وابن العربي في احكام القرآن ٣/١٤٦٢ ودعوة الرسل للعدوى ٣١٢

(٤) تفسيرالجواهر ١٣/١٦٨ وانظر معه المنتخب في التفسير ص ٥٦٢

وما لم يرد نص شرعي في بيان كنه هذا العلم وخصائصه ومجاله فالأولى التوقف فيه والله اعلم .

على أن الخصيصة الكبرى للعلم الذى يربى عليه المسلمون ولا سيما دعاتهم هي ما تجعله علما ربانيا ، علما موصولا بالدار الآخرة لا يقصر دونها ، فلا يلهي عن الفزع الاكبروليس هو كعلم الذين قال الله عنهم(ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنياوهم عن الآخرة هم غا فلون) (١)

ثم هو علم متجدد لا يخمد أواره ولا تنكفيء جذوته ، لانه علم سبقه ايمان ففي كل لمحة حياة وسبحة فكر يحفز هذا العلم صاحبه الى طاعة الله بالنظر في ملكوت الله ، وهذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم امام المتقين وقدوة العالمين وأسوة العاملين كما يصفه ابن عباس رضي الله عنهما قال : (بتّ عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر الى السماء فقال : (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)(٢) ثم قام فتوضأ واستن (٣) فصلى احدى عشرة ركعة ، ثم اذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى الصبح)(٤)

وفي سورة النمل دعوة ربانية الى النظر في ملكوت السموات والارض والجبال والانهار والاشجار وتعاقب الليل والنهار تقدم بسط وجوه النظر فيه ووجوه الاستدلال به في الباب الثالث بعون الله .

---

(١) الروم : ٧

(٢) آل عمران : ١٩٠

(٣) استن : أمر السواك على أسنانه .

(٤) خرجه البخارى في كتاب التفسير ١٦٦٦/٤ آل عمران .

الاساس الثالث ـ التزكية :

نزلت السور المكية على امتداد ثلاثة عشر عاما قضاها النبي صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة، وكان الموضوع العام الذى حوته هو تقرير التوحيد في الالهية والربوبية وتصحيح المفاهيم المعوجة في ذلك .

ولما رسخت أقدام السابقين من المؤمنين واستقام تصورهم لأصل العقيد وجرت أخلاقهم بمقتضى ذلك نزلت السور المدنية بمنهج متكامل للشريعة في العبادات والمعاملات والسلوكيات وهي موارد تزكية النفوس .. والى مبدأ التدرج هذا الذى يسبق فيه الايمان العمل تشير عائشة رضي الله عنها بقولها (انما نزل منه (اى القرآن) سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا ابدا) (١)

على أن السور المكية عرضت المبادىء العامة والعمد الكبرى لموارد التزكية ضمن بيان المفهوم الأشمل للعبادة (كمنهج للتزكية) وما لها من اثر حميد في تنمية الايمان واستقامة السلوك .

ولقد تضمنت سورة النمل من مبادىء التزكية وموارد ها في تربية النفوس وبنائها ما يصلح أن يكون منهاجا تربويا ربانيا لا يستغنى عنه في كل الاجيال والعصور، ذلك أنه يتناول لب الاسلام ومضمونه وغاياته ، فهو :

١ ـ يقرر المفاهيم الاساسية للعبادة :

وهي في شمولها تقوم السلوك وتطهر النفوس من ادران الشهوات والاهواء ويسمو بها الى رضوان الله ومكامن رحمته :

أ ـ فالعبادة مظهر للايمان وثمرة له اذ أنها في حقيقتها هي غاية في الذل مع غاية في الحب (٢) فالله تباركت أسماؤه هو المعبود بحق سبحانه تعنو له الوجوه وتخشع له الجباه ولا يرجى سواه ولا يخاف غيره .

---

(١) رواه البخارى في كتاب فضائل القرآن ٤/١٩١٠ باب تأليف القرآن
(٢) مجموع الفتاوى ١٥/١٦٢

ب - والعبادة - بعد ذلك - تشمل وتنتظم كل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة ، فينخرط في سلكها الاسلام والايمان والاحسان وهو مجموع (الدين) الذى بعث به الله رسوله صلى الله عليه وسلم(١)

وهو العمل الصالح الذى سأل سليمان عليه السلام ربه في ابتهاله العنيب: **(قال رب اوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)** الاية : ١٩

ويتجاوز مفهوم العبادة اركان الاسلام الى ما هو اشمل من ذلك بحسب كل امرئ وما يسّر له ، وفي هذا يقول ابن القيم (ولله سبحانه على عباده كل أحد عبودية بحسب مرتبته سوى العبودية العامة التي سوّى بين عباده فيها فعلى العالم من عبوديته نشر السنة والعلم الذى بعث الله به رسله ما ليس على الجاهل ، وعليه من عبودية الصبر على ذلك ما ليس على غيره ، وعلى الحاكم من عبودية اقامة الحق وتنفيذه والزامه من هو عليه به والصبر على ذلك والجهاد عليه ما ليس على المفتي ، وعلى الغني من عبودية اداء الحقوق التي في ماله ماليس على العاجز عنهما .. وقد غرّ ابليس اكثر الخلق بأن حسّن لهم القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلاة والصيام والزهد في الدنيا والانقطاع ، وعطلوا هذه العبوديات فلم يحدّثوا قلوبهم بها) (٢)

ولقد رأينا كيف قام سليمان النبي الملك بواجب الحاكم في نشر الدعوة واقامة العدل وبواجب العالم في بث المعرفة باخلاق اهل العلم وأولي التربية ..(٣)

جـ - والعبادة بهذه الخصائص لا تصلح الا بشرطين اساسيين أولهما (الاخلاص) فلا يبتغى بها الا وجه الله عز وجل ، وثانيهما (الاتباع) فلا يعبد الله الا بما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا جلي في قوله تعالى (**انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين**) الاية : ٩١ والامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قدوتنا أمر لنا الا نعبد الا رب العالمين الذى له كل شيء ، وأمر عليه السلام بعد ذلك

---

(١) انظر : العبودية لابن تيمية ص ٥ ومايليها .
(٢) اعلام الموقعين ١٧٦/٢
(٣) راجع منهج سليمان عليه السلام في الدعوة ص ١٩٧ من هذه الرسالة

بأن يكون من المسلمين المنقادين المتبعين الذين لا يبتدعون ، وفي آية مماثلة يقول عز وجل (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين) (١) والمعنى : ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن اخلص كان سابقا ، فالأول أمر بالعبادة مع الاخلاص ، والثاني بالسبق فلا فلاختلاف جهتيها نزلا منزلة المختلفين فصح عطف احدهما على الاخر(٢)

د - الوسطية في تزكية النفوس هي المحجة التي عليها سلف الامةالصالح والمسلمون همأصحاب الامر الوسط كما اراد لهم رب العالمين (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)(٣) ولقد بالغ قوم فضلوا السبيل (٤) وتهاون آخرون فضلوا كذلك (٥) وفي حديث النبي صلى اللهعليهوسلم وهو قدوة المتقين وامام العابدين للثلاثة الرهط الذين جاؤوا الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته قال (.. اماوالله اني لاخشاكم لله واتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)(٦) ولقد اقام النبي صلى الله عليه وسلم الموازنة بين مطالب الجسد وأشواق الروح ونوازع العاطفة فقال :(انلجسدك عليك حقا وان لعينك عليك حقا ، وان لزورك (٧) عليك حقا وان لزوجك عليك حقا)(٨)

---

(١) الزمر : ١١ - ١٢

(٢) تفسير النسفي ٤/٥٣

(٣) البقرة : ١٤٣

(٤) كالصوفية الغلاة الذين عذبوا الجسد وطلبوا سمو الروح ، وآخرون منهم طرحوا التكاليف واتبعوا الشهوات ..

(٥) كالمرجئة الذين اقتصروا على اعتقاد القلب ومعرفته واقرار اللسان ، واخرجوا الاعمال عن مسمى الايمان .

(٦) متفق عليه : اخرجه البخارى عن انس بن مالك رضي الله عنه في كتاب النكاح ٥/١٩٤٩ باب الترغيبفي النكاح واللفظ له ،ومسلم في كتب النكاح ٢/١٠٢٠ باب استحباب النكا ح لمن تاقت نفسه اليه ووجد مؤونة .

(٧) الزور : الضيف .

(٨) رواه البخارى وهو جزء من حديث عبداللها بن عمرو رضي الله عنهما في كتاب الادب ٥/٢٢٧٢ باب حق الضيف .

هـ - عدم الاغترار بالاعمال الصالحة ، وتعليق القلب بالله عزوجل في كل حال وطلب رحمته واظهار الفقر اليه والمسكنة بين يديه ، وهذا نبي الله سليمان عليه السلام يقول في ابتهاله الخاشع(. . **وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين**) قال في فتح القدير : (هذه الاية منادية بأعلى صوت وأوضح بيان بأن دخول الجنة التي هي دار المؤ منين بالتفضل منه سبحانه لا بالعمل من عباده) (١)

ولقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك فقال (لن ينجي أحدا منكم عمله ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته ، سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا ،وشيء من الدّلجة (٢) والقصد القصد تبلغوا) (٣)

ان هذه المفاهيم الايمانية للتزكية حين ترسخ في القلوب وتؤتي ثمارها باذن ربها يقوم الانسان وهو (**قانتءآناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوارحمة ربه**) (٤) دون وازع يزعه او حافز يحفزه غير الايمان بالله وبيوم التناد .

٢ - يشرع امهات الفرائض التي بها تتزكي النفوس :

وهي للشرائع التي تجلو بها القلوب وتصفو ، وهي خير ما يشرع في مرحلة البناء والاعداد وما بعدها من مراحل . .

وابرز ما شرع في العهد المكي من العبادات :

أ - الصلاة :

وهي مع الزكاة عماد كل خير وأصل كل بر ، وانك لا تكاد تجد ذكرا في كتاب الله للصلاة الا وقد قرنت بهاالزكاة ، والايات في هذا كثيرة متضافرة . . والمؤمن في ادائه الصلوات ومداومته عليها موصول بربه ، وأى صلة هي أعزّ

---

(١) فتح القدير : ٤/١٣١ بتصرف طفيف

(٢) الدّلجة : المسير آخر الليل .

(٣) متفق عليه : رواه البخارى عن ابي هريرة رضي الله عنه ٥/٢٣٧٣ في كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل واللفظ له ، ومسلم ٤/٢١٦٩ في كتاب صفات المنافقين باب لن يدخل احد الجنة بعمله وهوفي الفتح ١١/٢٩٤

(٤) الزمر : ٩

وأرجى من الصلاة في تزكية النفس ، اذ يضع العبد جبهته على الأرض لربه وفاطره خاشعا متذللا منيبا وهو بين الخوف والرجاء ، قال الطبرى بعد أن بسط مفهوم اقامة الصلاة (وأرىأن الصلاة المفروضة سميت صلاة لأن المصلي متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه فيها من حاجاته تعرض الداعي بدعائه ربه استنجاح حاجاته وسؤله)(١) وهذا المعنى وارد في النوافل ايضا ، وهذا الشعور بالحاجة الى الله عز وجل في كل آن يطوع النفس وفق مراد الله أمرا ونهيا . .

واثر الصلاة في التربية جلي في كونها الركن الاعظم للاسلام بعد الشهادتين وتراها مقرونة في كتاب الله بجلائل الاعمال ومجامع الخير ، وحسبها جلالا أنها من أخص صفات المؤمنين (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) الاية : ٣ وانها أحب عمل عبدالله به (سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أى العمل أحب الى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها)(٢)

ومن تأمل هذه الشعيرة العظيمة وتعدد صورها منسرية وجهرية وأنواعها من فروض ونوافل وتناسق أوقاتها من ليلية ونهارية واسبوعية وسنوية ، وكيفية أدائها وشروطها وآثارها في الحياة وفي النفس ، وحض على دراستها في مقاصدها التربوية وللصد تفطن الى ذلك المفكرون ، ومنهم المفكرون الغربيون قال احدهم (ليس من شكل للصلاة المشتركة يفوق صلاة الجمعة قيمة من حيث الجلال والروعة والبساطةوالترتيب ، ينتصب فيها العابدون في صفوف ذات اتساق خاص داخل المسجد ممتثلين لقيادة الامام بدقة وخشوع حتى غدت مشاهدة جمع المصلين تحرك أسمى العواطف الروحيةفي اعماق الصدور، وما لبثت هذه الصلاة العامة التي أصبحت اداة توحيد لصفوف المسلمينمن ابناء البادية ذوى النفوس الفخورة بالروح الفردية ان غرست فيهم المساواة الاجتماعية وانشأت في افئدتهم فكرة الشعور الموحد ورتبتهم على

---

(١) تفسيرالطبرى ١/ ٨٠

(٢) متفق عليه : رواه البخارى في مواقيت الصلاة ١/ ١٩٧ باب فضل الصلاة لوقتها ، ومسلم في كتاب الايمان ١/ ٨٩ باب بيان كون الايمان بالله تعالى افضل الاعمال .

ب - الزكـاة :

النفـوس مجبولـة على حب المال مفطورة على اقتنائـه ، حتى بعض النفوس المؤمنة المجتباة التي بلغت من التزكية مكانا رفيعا لا تتخلى عن ذلك ، ولقـد قال بعض أجلة الأنصار اثر وقعة حـنين (يغفر الله لرسول الله صلى اللهعليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطـر من دمائهم) (٢)

فتربية النفس وتهـذيب مطامعـها أمر أساسـي في مرحلة البناء .

ونحسب أن الزكاة المندوب اليها في السور المكية لا تتعدى الترغيب والحض من غير فرض للاعيان ولا بيان للأنصـبة ، وهذا هو المتسـق مع التنزيل المكـي .

ويرى البعض أن (الزكاة) في هذه السورة الجليلة في قوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) الاية : ٣ تأتـي أول مـرة في آيـة مكية ، والآيـة التي وردت فيها قبل في سورة المزمل آية مدنيـة (٣)

وما من ريب أن المجتمع الذى تنفق فيهالزكوات في وجوهـها تشيع فيه المودة والالفـة ويقضـي فيه على الفقر ، وتتهيأ بذلك النفوس للبر ولتقوى ، وهذا من اهداف التربية الاسلامية ولا سيما في مرحـلة البناء الايمانـي .

جـ - التـلاوة :

اخذا بتفسير من يرى أنها بمعنى القراءة والترتيل في قوله تعالى في هذهالسورة (.. وأن أتلوا القرآن) الايـة : ٩٢ باب عظيم في تزكية النفوس وبناء الرجال الأفـذاذ .

---

(١) تاريخ العرب - فيلب حتي ١٨١/١

(٢) رواه مسلم في كتاب الزكاة عن انس بن مالك رضي الله عنه ٧٤٤/٢
باب اعطاء المؤلفة قلوبهم .

(٣) التفسير الحديث ١٥٣/٣

ولقد وضّح الشارع الحكيم صلى الله عليه وسلم مدارج التربية على تلاوة القرآن العظيم وآثارها في تزكية النفوس وتطهيرها من ادران الاهواء ونوازع الشر.

أ- فتلاوة القرآن وترتيله نعمة لا يعطاها الا أفضل الناس وأخيرهم قال عليه الصلاة والسلام (ان أفضلكم من تعلم القرآن وعلّمه)(١)

ب - وهي من سمات المؤمنين ، قال النبي صلى الله عليه وسلم(ليس منا من لم يتغن بالقرآن) (٢)

جـ - وقد حدد عليه السلام اقل المدة التي يختم فيها القرآن العظيم فقال لعبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما (اقرأ القرآن في شهر ، قلت (اى عبدالله) اني أجد قوة . . حتى قال : فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك)(٣)

د - كما حدد اكثر المدة وهي أربعون يوما فقال (اقرأ القرآن في أربعين)(٤)

هـ - ووجه الحفّاظ من الدعاة قبل غيرهم الى تعاهد هذا المحفوظ الثمين خشية النسيان ، فقال صلى الله عليه وسلم (تعاهدوا هذا القرآن ، فو الذى نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الابل في عقلها)(٥) (٦)

وان انتهاج هذا النهج القرآني العظيم من أوجب واجبات الدعاة وآكدها قراءة واستظهارا ، وهو من أسباب نجاح الدعوة والرسوخ في العلم .

---

(١) رواه البخارى في فضائل القرآن عن عثمان رضي الله عنه ١٩١٩/٤ باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

(٢) رواه البخارى عن ابي هريرة رضي الله عنه في كتاب التوحيد ٢٧٣٧/٦ باب قوله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به) .

(٣) رواه البخارى في فضائل القرآن ١٩٢٧/٤ باب في كم يقرأ القرآن .

(٤) رواه الترمذى عن عبدالله ابن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما في أبواب فضائل القرآن ٦٣/٤

(٥) رواه البخارى في فضائل القرآن عن ابي موسى رضي الله عنه ١٩٢١/٤ باب استذكار القرآن وتعاهده .

(٦) قوله عليه السلام (أشد تفصّيا) : أى تفلتا وخروجا اللسان ١٥٦/١٥

الاثر التربوى للتلاوة :

ان تلاوة القرآن العظيم على النحو المنظم المستمر لـه الاثر البليغ في ترسخ معطياته الايمانية والعلمية والدعوية في النفوس ترسخا مثمرا موجها ولهذا دأب سلف الأمة على تعليم الولدان القرآن العظيم في جميع الأمصار وهو أمر اختصت به الامة الخاتمة دون سائر الأمم ، وفي هذا يقول ابن خلدون (وصار القرآن أصل التعليم الذى ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك ان التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده ، لأن السابق الاول للقلوب كالاساس للملكات ، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من ينبني عليه .)(١)

واقامة مناهج التربية والتعليم على كتاب الله لهو من الزم ما تحتاجه الامة الاسلامية اليوم .

وانه لسبيل خلاصها من وطأة الجهل ورزية التقليد .

والولد حين يشب عن الطوق وقد تدارس كتاب الله واستظهره كله أو جله واستنارت بصيرته فعلم مواطن الاحكام ومكامن العظات ومواضع القصص والامثال في مظانها من الايات والسور .. ثم قام بواجب الدعوة اداء وتدوينا على بصيرة .. ساق اللهتبارك وتعالى على يديه الخير العميم والصدقة الجارية!

ولا جرم ان التلاوة التي يصاحبها تدبر وعلم هي أزكى وأرجى ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (كثير من العبّاد قد ينتفع بالذكر في الابتداء مالا ينتفع بالقراءة اذ الذكر يعطيه ايمانا والقرآن يعطيه العلم وقد لا يفهمه، ويكون الى الايمان احوج منه لكونه في الابتداء ، والقرآن مع الفهم لأهل الايمان افضل بالاتفاق)(٢)

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ١٩/١٢١

د - الاستغفار :

من طبيعة البشر الخطأ والنسيان واجتراح السيئة ، ولم يتنزل الوحي على رسل الله عليهم الصلاة والسلام الا لاخراج الناس من وهدة الاثام وحمأة السيئات الى مدارج الايمان . .

وفي هذه السورة الشريفة ضمن منهجها في تزكية النفوس المداومة على الاستغفار قال عز وجل (. .الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم) الاية ١١ والاستغفار سبب لاستنزال الرحمة قال صالح عليه السلام لقومه (لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) الاية ٤٦

ومن أجلى الاثار التربوية للاستغفار :

أ - أنه يساوق الطاعات في تزكية النفوس ، اذ هو بمثابة التخلية قبل التحلية تخلية النفس من الاثام والتطهر منها ثم تحليتها بطاعة الله عزوجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكل من الطاعات والاستغفار (وهو من الطاعة) يؤدى الى ضبط النفس وتنمية الوازع لديها وتقويته .

ب - وهو - مع ذلك - ذو أثر حميد في استقرار النفس واطمئنانها (وقد ثبت لدى علماء النفس والطب النفسي أن التوبة تشفي من كثير من الأزمات والامراض النفسية لأنها تعين على اعادة تكيف الانسان مع نفسه ومع مبادئه ومثله الأعلى وعلى مجتمعه القائم على المثل الأعلى الذى هو عبادة الله في النظام الاسلامي ومراقبته كما انها تربي المجتمع على التسامح بين أفراده) (١)

جـ - والاستغفار - بعد ذلك - يقوّم السلوك المنحرف ويضبط في النفس المتزعزعة بين الخير والشر معايير الاستقامة والتقوى ، قال ابن تيمية رحمه الله (من التائبين من يعود الى مثل حاله ، ومنهم من يعود الى أكمل منها ، ومنهم من يعود الى أنقص مما كان ، فان كان بعد التوبة خيرا مما كان قبل الخطيئة وأشد حذرا وأعظم تشميرا وأعظم ذلا وخشية وانابة عاد الى أرفع مما كان ، وان كان قبل الخطيئة أكمل في هذه الأمور ولم يعد بعد التوبة اليها عاد الى انقص مما كان عليه ، وان كان بعد التوبة مثل ما كان قبل الخطيئة يرجع الى مثل منزلته) .(٢)

---

(١) اصول التربية الاسلامية ص ٥٦

(٢) طريق الهجرتين ص ٣٠٥

وعلى الجملـة ، فآثار العبادات في التربية عميقة الأثـر بعيدة المدى وقد لخصها البعض في الآتـي :

١ - تعلم الوعي الفكرى الدائم .

٢ - تربي المسلم على الارتباط بالجماعة .

٣ - تربي النفس على العزة والكرامة .

٤ - وتعلم المسلم الحياة الشورية/التي عمادها التعاون والمساواة والعدل .

٥ - تنمي عند المسلم قدرا من الفضائل الثابتة المطلقة .

٦ - تزود الانسان دائما بشحنا ت متتاليـة من القوة المستمدة من قوة الله.

٧ - تجـدد نفسه بالتوبـة . (١)

---

(١) اصول التربية الاسلامية ص ٥٠ - ٥٦ ملخصا .

الفصـــل الثانـــي

(سمات التربيـــة الاسلاميـــة)

يتسم منهج اعداد وتربيـة الدعاة في القرآن العظيم بسمات ينفرد بهاعن سائر مناهج التربية والاعـداد التي عرفها الناس . .

فهو يستمد هذه السمات من ربانية الغاية والهدف ، اذ يبني الدعاة بغية أن يكونوا مشاعل هدايـة ورسل رحمـة ، وتتساوق هذه السمات مع تلك الأهداف لتجعل من اعداد الدعاة وتربيتهم رسالة عالمية . . كما تترابط هذه السمات مع الأصول العامـة للتربية فتؤلف وشائج قويـة تهيء - باذن الله - خير أمـــة أخرجـت للناس .

والسمات العامـة التي تتجـلى في عموم السور المكية ثلاث، جمعهـا قولـــه تبارك وتعالى (**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياةالدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**)(١)

السمـة الأولى - الصبر :

الصبر عماد الدعـوة ، وهو كذلك - ألزم سمات مرحـلة الاعداد والبناء ، صبر على طاعة الله ، وعن معصيته ، وعلى ما يمكر الاعداء . .

وللصبر شأن عظيم في القرآن الكريم رغب فيه الكتاب العزيز بمختلف الأساليـب وعرض آثاره الكريمـة في استقامـة الحياة الدنيا ، ومدح المتصـفين به في خاصـــة أنفسهم وفي التواصـي بـه ، وبـيّـن أكمل بيان جزيل مثوبته عند الله.

والمفهوم التربوى للصبر في سـورة النمل يتمثل في ترك الضـيق والتبرم ممـــا يمكر أعداء الاسلام ، قال تعالى (**ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون**) الايـة : ٧٠ واقترن هذا التوجيه الرباني بسبل الهداية والعلاج ، ومن ذلك النهي عن الضيق كمافي الاية المتقدمـة ، ومنه الانابة الى الله بتسبيحـه

---

(١) الكهـف : ٢٨

والسجـود لـه كما في قولـه تباركت أسماؤه : (ولقد نعلم أنك يضيـق صدرك بما يقولون فسبـح بحمد ربك وكن من الساجـدين)(١) ومنـه عدم الاكتراث بالكافرين كما في قوله تعالى (فاصبر ان وعد الله حـق ولا يستخفنك الذيـن لا يوقنون)(٢)

وتربية النفس على الصبر عمادها - كما يذكر ابن القيم - العزيمـة والثبات، قال (فمن لم يكـن له عزيمـة فهـو ناقـص ! ومن كانت له عزيمـة ولكن لا ثبات لـه عليها فهـو ناقـص ، فاذا انضـم الثبات الى العزيمـة أثمر كل مقام شريف وحال كامل .. ومعلوم أن شجرة الثبات والعزيمـة لا تقوم الا على ساق الصبر)(٣)

وهاتان الخصّيصتان - الثبات والعزيمـة - جليتان في قوله تعالى فـي هذه السورة (ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون) الاية : ٧٠ فتركالحزن الذى هـو من أمارات ضعف الانسان من العزيمـة ، وترك الضـيق الذى هـو طبيعـة البشر العجولـة من الثـبات .

ولقد صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يربـي أوائل المسلمين فـي مكـة على ايـذاء المشركين، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلـى الله عليهوسلم (لقد أخـفت في الله وما يخاف أحـد ، ولقد أوذيت في اللـه ولم يـؤذ أحـد ، ولقد أتـت عليّ ثـلاثون ما بين يوم وليلـة وما لي ولبـلال طعام يأكله ذو كبـد الا شـيء يواريـه ابط بلال)(٤)

وحسب الصابرين منزلـة أنهم على خير عميم كما بشر به صلى الله عليه وسلم (.. وما اعطـي أحد عطاء خيرا وأوسـع من الصبر)(٥)

---

(١) الحجـر : ٩٧ - ٩٨

(٢) الروم : ٦٠

(٣) طريق الهجرتـين ص ٣٣١ ملخصا .

(٤) اخرجـه الترمذى في أبواب صفة القيامـة ٣٠٩/٣

(٥) متفق عليـه :
رواه البخارى عن ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه وهو جزء من حديث في كتاب الزكاة ٥٣٥/٢ باب الاستعفاف عن المسألة - ومسلم فيكتاب الزكاة ٧٢٩/٢ باب فضل التعفف والصبر .

السمة الثانية ـ الدأب :

الدأب مظهر رفيع من مظاهر العزيمة والثبات سواء في مواجهة كيد الكائدين ، أو في اعداد الدعاة والناصحين وتحمل مشقة القيام عليهموالنصح لهم ، فهو من هذا الوجه ادخل في الصبر ، ثم هو ـ مع هذا ـ يتضمن معنى الاستمرار ومواصلة الطريق ، ويستمد ذلك من الحق الذى يستيقنبه الدعاة ، وعلى هذا فهو سمة بارزة من سمات التربية الاسلامية .

ومن صوره البارزة في سورة النمل (التفقد) تفقد القائد والرائد والمربّي أحوال من يقوم عليهم كما تفقد سليمان عليه السلامالطير (**وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين**) الاية : ٢٠ ولئن كان تفقد سليمان قد تجاوز البشر الى الطير التي سخرت له ان في ذلك لدلالة واضحة والماعة بينة على ما ينبغي ان يكون عليه من يقوم بواجب التربية والاعداد من الدأب والحرص المقترن بالعدل والحزم ، وهما صفتان جليتانفي الاية التي تلي السابقة (**لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين**) الاية : ٢١

وأنت ترى أن هاتين الآيتين الشريفتين على ما فيهما من صفات المربين ومقوماتهم ، تضمنتا أبرز أساليب التربية وهو تقرير مبدأ العقوبة في قوله(**لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين**) وهذا الأسلوب الحكيم ان اقترن بالتقوى واتسم بالعدل والوسطية أثمر أزهى الثمار كالقوة والأمانة كما في قوله تعالى (**قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوى أمين**) الاية ٣٩ والقوة والأمانة هما الهدفان الكبيران اللذان ترسم التربية الاسلامية مناهجها لتحقيقهما ، فالداعية القوى في جسمه وفكره وعلمه وعزمه ، الأمين في ايصاله الحق للناس وفي نقله لهم دين الله لهو المعول عليه في بناء الامة وانهاضها من غفواتها .

السمة الثالثة ـ الاعراض عن الجاهلين :

جمهرة المدعويين لا يستجيبون لدعوة الحق ، وضح ذلك من خلال دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهو جلي في الواقع المشهود قال جل ذكره(وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (١)

والقرآن العظيم وهو يرسم طرائق تربية الدعاة في المرحلة الأولى قبل الهجرة النبوية يوجّه الى الاعراض عن هذا الصنف المستكبر من الناس الذى لا يود أن ينتشر الحق ولا يرغب أن يكون للدعاة وجود ! اعراض عنهم وعن كيدهم وصدودهم مع ابلاغ الحق اليهم وتلاوته على أسماعهم واقامة الحجة عليهم .

وهذا التوجيهالرباني متضافر في عامة السور المكية كما في قوله تعالى(فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ)(٢) وقوله سبحانه(فأعرض عمن تولّى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم)(٣) وفي سورة النمل (.. فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولّوا مدبرين وما أنت بهادى العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) الاية ٧٩ - ٨١

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (لا يصح من هذه الاية من أقوال العلماء الا تفسيران :

١ - ان يكون المعنى : لا تسمع الكفار الذين أمات الله قلوبهم.. فهم لا يسمعون الحق سماع اهتداء وانتفاع، فهو موت كفر لا موت بدن ويتضمن تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - او يكون المعنى الذين ماتوا بالفعل .. وهو مثل ضرب للكفار يسمعون الصوت لكن لا يسمعون سماع قبول وهو الاصح (٤)

والسماع يراد به في القرآن العظيم : ادراكالصوت ، ويراد به فهم المعنى ،

---

(١) يوسف : ١٠٣

(٢) الشورى : ٤٨

(٣) النجم : ٢٩ - ٣٠

(٤) مجموع الفتاوى ٤/٢٩٥ ملخصا .

ويراد بـه القبول والاجابـة (١)

وايا كان المراد في آية النمل من هذه المعاني الثلاثة ، على الداعية الصدع بالحق لاقامة الحجـة وهو ما يربـى عليه الدعاة فمن آمن واهتدى فلنفسـه ومن اعرض فعليها وفي ختام هذه السورة (.. **وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين**)الاية ٩٢

والحمـدلله الذى اتم النعمة وابان المحجـة ورزقنا الهداية ونسأله الثبات فـي الحياة الدنيا ويوم يبعـثون .

---

(١) مفتاح دار السعادة ٧٩/١

الخاتمة

الخاتمة

تقدم بعون الله وتوفيقه الحديث المفصل عن الدعوة ومناهجها والتربية وموارد ها في هذه الرسالة المتواضعة ، ضمن معطيات سورة النمل .. وأسأل الله العلي القدير أن يتجاوز عن التقصير ويغفر الزلل ويهدى للتي هي أقوم وينفع بهذا الجهد الكليل ، وله سبحانه الثناء الحسن واليه يرجع الأمر كله.

وبين يدى الختام ألخص نتائج البحث ، واتقدم ببعض مقترحات ..

** أما النتائج فهي كالآتي :

١ - وضح من خلال ماتقدم أن القرآن العظيم كتاب الله ، أنزله على قلب خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين.

٢ - وأن هذا الكتاب الخالد معجز بشتّى وجوه الاعجاز ، لايستطيع الانس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

٣ - وهو مهيمن على الكتب السماوية السابقة ، فهو يقص على بني اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون عقيدة وشريعة .. وتاريخا.

٤ - وأن البشرية وقفت منه موقفين : فمن آمن واستمسك به فقد فاز وله عند ربه من الزلفى ما تقر به الاعين ، ومن أعرض عن هداه وتنكب الصراط فقد خسر خسرانا مبينا .

٥ - كما وضح أن التنزيل المكي وهو نحو ثلثي القرآن العظيم ،أرسى قواعد الدين وأسس الأخلاق ومجامع الفضائل ، وتضمن مناهج دعوة المشركين ومنكرى الألوهية والطاعنين في الرسالات، كما تضمن التنزيل المدني الشرائع المفصّلة وبسط المناهج لدعوة المنافقين واهل الكتاب .

٦ - وأن ما يثيره أعداء الاسلام في القديم والحديث من شبه حول القرآن العظيم سواء في لفظه أو في توثيقه وتدوينه أو في صور تنزله .. انما تنبعث من اهوائهم وتظهر فيها لجاجتهم ، فليست تستند الى دليل ولا تعتمد على برهان .

٧ - وأن هذا القرآن محفوظ بحفظ الله له ابان تنزيله ومن لدن تدوينه والى أن يرث الله الأرض ومن عليها . تقوم به الحجة وتتضح المحجة ويرجع اليه العلماء في الدقائق والجلائل ومنه يستمد الدعاة مناهجهم وسماتهم .

٨ - ولقد تضمنت سورة النمل المكية مناهج الدعوة المختلفة : المنهج العلمي ، والعاطفي ، والفطرى ،ومنهج القوة ، وهذه المناهج مفصّلة في السورة من خلال قصص الأنبياء موسى وداود وسليمان وصالح ولوط عليهم وعلى نبينا الصلاةوالسلام ، ومن خلال مظاهر الكون ومشاهد القيامة .

٩ - وأن منهج القوة وسيلة وليس غاية ، تسبقه مناهج الدعوة الاخرى ، ولكل منهج خصائص وسمات ومجالات وغايات .

١٠ - وفي السورة تقرير لوحدة رسالات الله في الوحي وفي العقيدة والمنهج والهدف العام .

١١ - وفيها تصنيف للمدعوين وأحوالهم وعرض لأسباب صدودهم واستكبارهم وبيان لأنواع كيدهم للحق وسبل معالجتهم . كما حوت السورة من خلال دعوة لوط عليهالسلام العلاج الناجع الذى هو من انجح ما عرفه الناس الى اليوم لمعالجة الشذوذ الاجتماعي .

١٢ - وقصص الانبياء في السورة حافلة بالدروس القيمة المعطاءة في الدعوة والدعاة والمدعوين ، ترسم في مجموعها اسس الحضارة الاسلامية وتحوى ملامح التخطيط للدعوة ، وتقرر الموازين والمعايير الصحيحة للحق والخير، وتوضح سمات منهج العمل الجماعي .

١٣ - وعرضت السورة مجالات النظر في الكون والنفس والحياة ، وضوابط النظر ومقاصده ، فبسطت وجوه الدلالات في خلق السموات والارض وارساءالجبال واجراء الأنهار وانزال الغيث واخراج النبات واقامة حاجز البحرين وتسخير الليل والنهار وارسال الرياح وازجاء السحاب وبث الارزاق ، كما لفتت الانظار الى دقائق المخلوقات كالنمل والهدهد وغرائب سلوكهما وعجيب منطقهما . .

١٤ - وتبين ان هذهالمجالات ميدان رحيب للاستدلال على الألوهية وعلى البعث والنشور .

١٥ - وفي السورة عرض مجمل لمناهج التربية واعداد الدعاة بعرض أسس التربية الروحية من الايمان والعلم وتزكية النفوس ، وذكر سمات هذه التربية من الصبر والدأب والاعراض عن الجاهلين .

١٦ - كما تبين من خلال البحث أن لا خلاص للانسانية ولا فلاح للامة الا بالعودة الى كتاب الله عزوجل والى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

** وهذه اقتراحات رأيتها جديرة بالاعتبار وهي روافد خير تحوى الخطوط العامة لتوجيه العديد من حا جات الناس الى الخير والفلاح :

أولا - في مجال نشر الدعوة الاسلامية :

أ - ينبغي اقامة المزيد من المؤسسات العلمية والاجهزة الاعلامية التي تعنى بشؤون الدعوة والدعاة ، ويستقطب لهذه المؤسسات الكفاءات والمقدرات العلمية ، ويكفل لها ماديا ومعنويا ما يعينها على اداء واجب الدعوة.

ففي نشر الدعوة على بصيرة يكمن صلاح الناس واستقامة الحياة..
وباعداد الدعاة على المناهج القرآنية تنهض الأمة من كبوتها وتصحو من غفوتها.

ب - ضرورة التخطيط للدعوة الاسلامية على البعدين الزماني والمكاني وعلى الأسس العلمية التي يزخر بها القرآن العظيم ، فلئن أحسن التخطيط واتقن التنفيذ على مراحل مقررة يظهر الجيل القرآني الذى يتوخى فيه قوة الايمان ونفاذ العزيمة .

ج - تخصيص حصص دراسية لمادة الدعوة الاسلامية في مختلف مراحل الدراسة ووضع مناهجها على ضوء القرآن والسنة والسيرة ، وتقسيم ابوابها الى قصص الانبياء والامثال ، والمواعظ ، ومختلف ضروب البيان .... اذ أن المرحلة التي يعربها العالم الاسلامي اليوم تستدعي أن يعي شباب المسلمين حقائق دينهم ومرتكزات حضارتهم ومسالك رسالتهم ، وتستوجب أن يكونوا أزكى نفوسا وأوعى قلوبا..

ثانيا - في مجال التربية والتعليم :

أ - ضرورة تأصيل المواد عامة على الاسس الاسلامية ، واقامة مناهج التربية والتعليم في مختلف المراحل والمستويات على هذا الاساس المتين ، اذ أن ذلك هو المخرج الوحيد من دائرة الانغلاق وقيد التبعية الفكرية والثقافية التي تردى فيها كثير من المسلمين ، وتُستبعد النظريات التي تناقض هذا المبدأ وتجافيه.

ب - ربط العلوم الكونية المختلفة وكذلك العلوم الانسانية والمدنية كالجغرافيا والطب والفلك وعلم البحار والنبات .. الخ بالأصل الايماني كما درج عليه

سلف الامة الصالح فكانوا روادا في كل فن وعلم وتخصص .

فلقد عرض القرآن المجيد والسنة المطهرة الكثير من مقررات هذه العلوم كما تقدم في السورة في باب الكونيات .

وفي تحقق هذا المطلب الملحّ وهو تأصيل هذهالمواد اسلاميا فيه رد على الذين روّجوا فكرة ان الاسلام ينافي العلم ويجافي الحضارة ، وفيه - كذلك - رد لاعتبار الشبيبة الاسلامية الذين يعدوناليوم عالة على الموائد الغربية في هذا المجال .

ثالثا - في مجال الاصلاح الاجتماعي :

أ - ينبغي أن تستقى مناهج الاصلاح الاجتماعي من القرآن والسنة، اذ فيهما طرائق علاج العلل الاجتماعية كالشذوذ الاجتماعي التي ابتلي بها قوم لوط عليهالسلام ، والحلول الجذرية لها ، فلقد تضمن هذان المصدران من صنوف العلاج ما لم تتوصل اليه احدث الدراسات العلمية .

ب - اعداد المصلحين الاجتماعيين الذين يعنون بعلل المجتمع المتنامية مع الايام ، واعداد هذا الصنف من رجال الاصلاح على الايمان والتقوى هو جزء من اعداد الدعاة .

رابعا - في مجال تربية القيادات الدعوية :

ينبغي اعداد القيادات الفكرية والسياسية على الاسس الايمانيةالمتضافرة مع الاسس الاخلاقية ، اذ أن ذلك جزء غير يسير من منهج الدعوة في السور المكية عامة ، وقد تقدم في السورة آثار هذه القيادات في أشخاص الانبياء والملوك في حالتي الخير والشر .

وبعد :

فان هذه الاقتراحات تدعو الى العودة الى الكتاب والسنة في كافة مجالات الحياة ، لأن هذين المصدرين يحتويان من شمولية الموضوع واتساع المناهج ما يفي بحاجات البشر المتنوعة وما يضبط سلوكهم ويوجههم الى الخير والصلاح في الدنيا ، والى النعيم المقيم في الآخرة .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

المصادر الفنية

(١) مسرد الآيات القرآنية

رقم الآية		الصفحة
	(سورة الفاتحة)	
٦ - ٧	اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم	٥٢
	(البقرة)	
٣	الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ..	٤١٧
٧	وعلى أبصارهم غشاوة	٧١
١٥	الله يستهزئ بهم ...	٦٧
١٧	مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ...	٣٣٧
٢٢	الذى جعل لكم الارض فراشا ...	٣٤٥
٢٣	وان كنتم في ريب مما نزلنا ...	٢٠ و ٢٧
٢٤	فان لم تفعلوا ...	٢٠
٢٥	وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...	٣٣٦
٢٦	وارزق اهله من الثمرات ...	٥٣
٢٩	هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا ...	٣٢٣و ٣٣٤ و ٣٧٨
٣٦	ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ...	٣٣٥
٤٢	ولا تلبسوا الحق بالباطل ...	١٠٠
٧٤	وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ...	٣٤٧ و ٣٥٩
٦٢	من آمن بالله واليوم الاخر ...	٥٣
٧٩	فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ...	٩٩
٨٩	واماجاءهم الكتاب .. فلماجاءهم ماعرفوا ..	٨٤ و ٩٥
١١٧	بديع السموات والارض	٣٧٤ و ٣٩٧
١٢٠	قل ان هدى الله هو الهدى	٥٦
١٢٩	ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ...	٤٣٥
١٤٣	وكذلك جعلناكم امة وسطا ..	٤٥٠
١٤٦	وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون	١٠٠
١٥١	كما ارسلنا فيكم رسولا منكم...	٤٣٥
١٥٥	وبشر الصابرين	٥٧
١٦٥	ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا...	٢٥٧ و ٤٠٢
١٧٧	ولكن اتلبر من آمن بالله ...	٦٢
٢١٢	زين للذين كفروا الحياة الدنيا ...	٦٦
٢١٧	ولا يزالون يقاتلونكم ...	٢٩٧
٢٢٨	ولا يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ...	٦٢
٢٥١	وقتل داود جالوت ... ولولا دفع الله الناس ...	١٨٢ و٣٠٨

٢٥٥	ولا يحيطون بشيء من عنده ...	٢٢٥
٢٥٦	لا اكراه في الدين ...	١١٨
٢٥٩	وانظر الى العظام كيف ننشزها ..	٣٠
٢٦٠	واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ..	٣٢٩ و ٤٢٣
٢٦١	مثل الذين ينفقون اموالهم ...	٣٣٦
٢٧٥	الذين يأكلون الربا...	٣٣٧
٢٨١	ان الذين آمنوا والذين هاجروا..	٥٩

(آل عمران)

١٣	قد كان لكم آية في فئتين ...	٢٩٨
١٤	زين للناس حب الشهوات ...	٤٣٢
٢٠	فان آمنوا بمثل ما آمنتم به ...	٥٥
٢٧	تولج الليل في النهار ...	٣٣٧
٤٤	ذلك من أنباء الغيب ...	٢٦
٦٢	ان هذا لهو القصص الحق	١٤٧
٧١	يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل	١٠٠
٧٨	وان منهم لفريقا ...	٩٩
١٠٤	ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ..	١٠٧
١١٠	كنتم خير امة اخرجت للناس ...	١٠٧ و ٣٠٥
١٣٢	واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون	٥٨
١٤٤	وما محمد الا رسول ...	٢٩ و ٧٧
١٤٦	وكأين من نبي قاتل معه ربيون ...	١١٨ و ٢١١
١٥٩	فبما رحمة من الله لنت لهم... وشاورهم..	٥٨ و ٢١٧
١٦٤	لقد من الله على المؤمنين ...	٤٣٥
١٧٠	ويستبشرون بالذين لم يلحقوا...	٥٧
١٩٠	ان في خلق السموات والارض ...	٣٢٢ و ٣٣٦ و ٤٤٧
١٩١	الذين يذكرون الله قياما وقعودا ...	٣٢٢

(النساء)

١	خلقكم من نفس واحدة	٣٩٧
١٣	ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات ...	٣٥٩
٢٢	ومن اصدق من الله قيلا	٧٤
٣٨	والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ...	٦٥
٥٤	فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب ...	١٩٢
٨٢	افلا يتدبرون القرآن ...	٧٩
٨٧	ومن اصدق من الله حديثا	٧٤ و ١٤٧ و ٣٣٣
٩٧	ان الذين توفاهم الملائكة ...	٣١٤

٩٨	فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ...	٣١٤
٩٩	ومن يهاجر في سبيل الله ...	٣١٤
١٣٣	ان يشأ يذهبكم ايها الناس ...	٣٧٦
١٤٧	ما يفعل اللهبعذابكم ...	١١٥
١٥٦	وبكفرهم وقولهم على مريم ...	٨٨
١٥٧	وقولهم انا قتلنا المسيح ...	٨٨ و ٨٩
١٥٨	بل رفعه الله اليه ...	٨٩
١٦٣	انا اوحينا اليك ... وآتينا داود زبورا	٣٢ و ١٨٣ و ٢٧٧
١٦٤	ورسلا قد قصصناهم عليك ...	٢٧٧
١٦٥	رسلا مبشرين ومنذرين	٢٨٢
١٧٤	يا ايها الناس قد جاءكم برهان ...	١١٧
١٧٥	فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ...	٥٩

(المائدة)

٣	اليوم اكملت لكم دينكم ...	٣٨ و ٤٧
١٤	يحرفون الكلم عن مواضعه	٩٩
١٥	يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ...	١٢٠ و ١٢٦
١٦	يهدى به الله من اتبع رضوانه ...	١٢٠
١٨	وقالت اليهود والنصارى ...	٨٦
٤١	يحرفون الكلم بن بعد مواضعه	٩٩
٤٤	انا انزلنا التوراة ...	٨٥
٤٨	وانزلنا اليك الكتاب .. لكل جعلنا منكمشرعة..	١٧ و٤٦ و ٢٧٧
٦٤	(قالت اليهود يد الله مغلولة ...	٨٧
٦٧	يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك ...	٧٩ و ١٠٦
٦٩	من آمن بالله واليوم الاخر ...	٦٣
٧٢	لقد كفر الذين قالوا ان الله هوالمسيح ...	٨٨
٧٣	بقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ..	٨٨
٧٥	ما المسيح ابن مريم الا رسول ..	٨٩
٧٨	لعن الذين كفروا من بني اسرائيل ..	١٨٣

(الانعام)

٤	وما تأتيهم من آية ...	٣٢٥
١٤	فاطر السموا ت والارض ...	٣٨٤
١٩	وأوحي الي هذا القرآن ...	٤٨ و ١٠٤
٣٤	ولقد كذبت رسل من قبلك ...	٢٨٢
٣٥	ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ...	٣٨٦
٣٨	ما فرطنا في الكتاب من شيء	٤٩ و ٣٣٢

٤٠	قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله ...	٣٧٣
٤١	بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ..	٣٧٣
٤٨	وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين	٢٨٢
٥٠	قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ...	٧٩
٥٧	ان الحكم الا لله يقص الحق ...	١٢٤ و ١٤٨
٥٩	وعندهمفاتح الغيب ...	٣٢٩
٦٠	وهو الذى يتوفاكم بالليل ...	٤١٢
٦٣	قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ...	٣٧٩
٦٤	قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ...	٣٧٩
٧٣	وهو الذى خلق السموات والارض بالحق	٣٣٨
٩٠	ان هو الاذكرللعالمين.. اولئك الذينهدىالله	٤٨و٩٠و١٢٥و١٥٣
٩١	وما قدروا الله حق قدره ..	١٠٠
٩٢	والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به ..	٦١
٩٥	ان الله فالق الحب والنوى ...	٣٥٣
٩٦	فالقالاصباح ...	٣٦٥
٩٧	وهو الذى جعل لكم النجوم ...	٣٧٩
٩٩	وهو الذى انزل من السماء ماء ...	٣٢٣ و ٣٥٠و ٣٥٣ ٣٥٤ و ٤٠٤
١٠٢	ذلكم الله ربكم ...	٣٩٧
١٠٣	لا تدركه الابصاروهو يدرك الابصار	٣٢٨
١١٠	ونذرهم في طغيانهميعمهون	٦٧
١١٣	ولتصغى اليه افئدة الذين ...	٦٤
١٣٠	يامعشر الجن والانس ..	١٢٥
١٣٣	وربكالغني ذو الرحمة ...	٣٧٦
١٣٧	وكذلك زين لكثير من المشركين ...	٦٦
١٤١	وهو الذى أنشأ جنات ...	٣٥٥
١٤٦	وعلى الذين هادوا حرمنا ...	١٠١
١٤٨	سيقول الذين أشركوا ...	٦٦
١٥٠	ولا تتبع اهواء الذين كذبوا ...	٦٤
١٥١	قل تعالوا اتل ...	٢٨١
١٥٥	وهذا كتاب انزلناه مبارك ...	٥٨
١٥٨	يوم يأتي بعض آيات ربك ...	١٧٩

(الاعراف)

٢	كتاب انزلناه اليك ...	١٠٤
٢٩	قل امر ربي بالقسط ...	٢٨١ و ٤١٤
٣٣	قل انما حرمربي الفواحش ...	٢٨١

٣٥	يا بني آدم اما يأتينكم ...	١٢٥
٥٢	ولقد جئناهم بكتاب ...	٥٤
٥٤	والشمس والقمر والنجوم مسخرات ...	٢٠١ و ٣٦٦ و ٣٩٧
٥٦	ان رحمة الله قريب من المحسنين	٥٩
٥٧	وهو الذى يرسل الرياح بشرا ...	٣٨٣ و ٤١١
٥٩	يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره	٢٨٠ و ٣٩٤
٦٢	أبلغكم رسالات ربي وانصح لكم	١٠٥
٦٨	أبلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح أمين	١٠٥
٧٣	هذه ناقة الله لكم اية ...	٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤١
٧٤	واذكروا اذ جعلكم خلفاء ...	٢٣٤ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٤٢ و ٢٤٤ و ٢٣٥
٧٨	فأخذتهم الرجفة ...	٢٤٧ و ٢٥٠
٨٠	أتاتون الفاحشة ماسبقكم ...	٢٦١
٨١	بل انتم قوم مسرفون	٢٦٢ و ٢٦٣
٨٢	وما كان جواب قومه ...	٢٧٢
٨٤	فانظر كيف كان عاقبة المجرمين	٢٦٣
١٠٥	قد جئتكم ببينة من ربكم ...	١٧٣
١٠٧	ثعبان مبين	١٤٥
١٢٣	ان هذا لمكر مكرتموه ...	١٧٥
١٢٤	لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف	١٧٧
١٢٧	اتذر موسى وقومه ...	١٧٥ و ١٧٧
١٢٩	اوذينا من قبل أن تأتينا ...	١٧٧
١٣٠	ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ..	١٦٦
١٣٣	فأرسلنا عليهم الطوفان ...	١٦٦
١٣٤	ولما وقع عليهم الرجز ...	١٧٧
١٣٥	فلما كشفنا عنهم الرجز ...	١٧٧
١٤٣	رب ارني انظر اليك ..	٨٧
١٥٧	الذين يتبعون الرسول النبي ...	٩٥ و ١٠١
١٥٨	قل يا ايها الناس اني رسول الله ...	٤٨
١٧٢	ألست بربكم قالوا بلى ..	١١٣
١٧٦	فاقصص القصص لعلهم يتفكرون	١٢٥
١٧٩	لهم قلوب لا يفقهون بها ...	٤١٨
١٨٥	او لم ينظروا في ملكوت السموات ...	٣١٩ و ٣٢٣
١٨٨	قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ...	٢٢٥
٢٠٣	انما اتبع ما يوحى الي من ربي	٧٢

(الانفال)

٧	واذ يعدكم الله احدى الطائفتين ..	٢٦
١١	وينزل لكم من السماء ماء...	٣٤٦
٢٤	يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله ...	١٠٤
٢٥	واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا ...	٢٩٩
٣٠	واذ يمكر بك الذين كفروا ...	٢٩٩
٣٨	قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ...	٣٩٦
٦٥	يا ايها النبي حرض المؤمنين ...	٢٩٨
٦٦	الآن خفف الله عنكم ...	٢٩٨

(التوبة)

١٨	انما يعمر مساجد الله من آمن بالله ...	٦٣
٢١	يبشرهم ربهم برحمة ...	٥٧
٣٤	يصدون عن سبيل الله ...	٧١
٤٣	عفى الله عنك لم أذنت لهم ...	٧٩
٦١	يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ...	٥٨
٩٣	طبع الله على قلوبهم ...	٤٢٥
١٠٠	والسابقون الاولون ...	٤٣٤
١١١	فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به	٥٦
١١٤	وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا ...	٧١
١٢٢	وما كان المؤمنون لينفروا كافة...	١٠٧ و ٢٢٠ و ٤٤٥

(يونس)

٢	أكان للناس عجبا ان أوحينا...	١٠٩
٥	هو الذى جعل الشمس ضياء ...	٣٦٥
٦	ان في اختلاف الليل والنهار ...	٣٣٦ و ٣٦٥
١٢	واذا مس الانسان الضر دعانا ...	٣٧٣
١٥	واذا تتلى عليهم آياتنا.. ان اتبع الا ما..	٧٢ و ٨٠
١٦	قل لو شاء الله ما تلوته عليكم...	٧٩
٢٤	انما مثل الحياة الدنيا ...	٣٣٥
٢٥	والله يدعو الى دار السلام ...	١٠٥
٣١	قل من يرزقكم من السماء والارض ...	٣٨٦
٣٨	ام يقولون افتراه ...	٢٠ و ٨٠
٣٩	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ...	٨٠ و ٤٤٥
٥٧	يا ايها الناس قد جاءكم موعظة ...	٥٤
٦١	وما تتلو منه من قرآن	١٥
٦٤	لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة	٥٦

٧٢	وأمرت أن أكون من المسلمين	٢٨١
٨٣	فما آمن لموسى الا ذرية من قومه ..	١٧٣
٨٤	وقال موسى يا قوم ان كنتم ...	٢٨١
٨٦	ربنا لا تجعلنا فتنة ...	٣١٥
٩٠	وجاوزنا ببني اسرائيل ...	١٧٧
٩١	الآن وقد عصيت ...	١٧٧
٩٢	فاليوم ننجيك ببدنك ...	١٧٧
٩٩	ولو شاء ربك لآمن من في الارض ...	٣٧٦
١٠١	قل انظروا ماذا في السموات والارض ..	٣١٩ و ٣٢٣
١٠٣	ثم ننجي رسلنا ...	٢٨٣

(هـود)

٦	وما من دابة في الارض ...	٣٨٦
٩	ولئن اذقنا الانسان ...	٣٧٣
١٣	ام يقولون افتراه ...	٢٠
١٤	فان لم يستجيبوا لكم ...	٢٠
٢٤	مثل الفريقين كالاعمى والاصم ..	٥٣
٤٩	تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ..	٢٦
٥٠	اعبدوا الله مالكم من اله غيره	٣٩٤
٦١	هو أنشأكم من الأرض ...	٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٩ و ٢٤١ و ٢٤٣
٦٢	قالوا ياصالح .. أتنهانا أن نعبد ..	١٠٩ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٦
٦٣	أرأيتم ان كنت على بينة ...	٢٣٨
٦٤	وياقوم هذه ناقة الله .. ولا تمسوها .. فيأخذكم عذاب قريب	٢٣٦ و ٢٤٤ و ٢٥٠
٦٧	واخذ الذين ظلموا الصيحة ..	٢٥٠
٦٨	الا ان ثمود كفروا ربهم ..	٢٤٦
٧٧	ولما جاءت رسلنا لوطا ..	٢٥٩
٧٨	وجاءه قومه يهرعون اليه ..	١٩ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٨٨
٧٩	قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك ..	٢٥٩
٨٠	قال لو أن لي بكم قوة ...	٣٠٧
٨٢	فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ..	٢٧٣
٩٠	ان ربي رحيم ودود	١١٥
٩١	ولولا رهطك لرجمناك	٣٠٧
١٢٠	وكلا نقص عليك من انباء الغيب ..	١٢٧ و ١٤١ و ١٤٢

(يوسف)

٢	انا انزلناه قرآنا عربيا	٣٢ و ٧٢
٣	نحن نقص عليك احسن القصص	١٢٤ و ١٤٨
١٠١	توفني مسلما والحقني ...	٢٨١
١٠٢	ذلك من أنباء الغيب ...	٢٦
١٠٣	وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين	٤٦١
١٠٤	ان هو الا ذكر للعالمين	٤٨
١٠٥	وكأين من آية في السموات والارض ..	٣٢٥ و ٤٢٧
١٠٦	وما يؤمن اكثرهم بالله الا ...	٤٢٧
١٠٨	قل هذه سبيلي ادعو الى الله ...	٨ و ٣٠٧ و ٤٣٥
١١١	لقد كان في قصصهم عبرة .. ماكان حديثا	٤٩ و ١٤١

الرعـــد

٢	الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها	٣٤٢
٣	وهو الذى مد الارض ...	٣٥٧ و ٣٥٩
٤	وفي الارض قطع متجاورات ..	٣٥٤
٨	الله يعلم ماتحمل ... وكل شيء عنده	٣٣٥ و ٣٨٨ و ٤٠٣
١١	ان الله لايغير ما بقوم...	٥٠
١٢	وينشيء السحاب الثقال	٣٤٧
١٩	افمن يعلم انما انزل اليك ...	٨١
٢٣	ويهدى اليه من اناب	٥٤
٢٦	الله يبسط الرزق ...	٣٨٧

ابراهـيم

١	كتاب انزلناه اليك	١٨
٣	وويل للكافرين من عذاب شديد	٦٥
٤	وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه .	٢٨٢
٩	الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم ...	٩٣
١٠	قالت رسلهم افي الله شك ...	٣٩٤
١٢	وما لنا الا نتوكل على الله ..	٥٥
١٨	مثل الذين كفروا بربهم ...	٣٣٨
١٩	الم تر ان الله خلق السموات ..	٣٧٦
٢٠	وما ذلك على الله بعزيز	٣٧٦
٢٤	الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة ..	٣٣٦
٢٥	تؤتي أكلها كل حين ...	٣٣٦
٢٦	ومثل كلمة خبيثة ...	٣٣٧
٣٢	الله الذى خلق السموات ..	٣٣٤ و ٣٥٩ و ٣٩٧
٣٣	وسخر لكم الشمس والقمر دائبين	٣٣٤

٣٤	وآتاكم من كل ما سألتموه ..	٣٣٤
٤٢	ولا تحسبن الله غافلا ...	١٧٩
٤٤	ربنا اخرناالى اجل قريب ..	١٠٩
٥٢	هذا بلاغ للناس ..	٤٨

الحجـــر

١	تلك آيات الكتاب ...	٤
٦	وقالوا ياايها الذى نزل عليهالذكر..	٧٣
٩	انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	١٢ و ٤٥
١١	وما ياتيهم من رسول ...	٢٨٢
١٢	وسخر لكم الليل والنهار ...	٣٦٦
١٩	والارض مددناها ...من كل شيء موزون	٣٥٤ و ٣٥٧ و ٣٨٨ و٤٠٤
٢١	وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم	٣٨٨ و ٤٠٤
٢٢	وارسلنا الرياح لواقح ...	٣٤٧ و ٣٨٣
٤٩	نبيء عبادى أني أنا الغفورالرحيم	١١٥
٦٧	وجاء اهل المدينة ..	٢٥٨ و ٢٦٤
٦٨	قال ان هؤلاء ضيفي ..	٢٦٤ و ٢٦٥
٦٩	واتقوا الله ولا تخزون	٢٦٤ و ٢٦٥
٧٠	اولم ننهك عن العالمين	٢٥٩ و ٢٦٤
٧١	قال هؤلاء بناتي ...	٢٦٤
٧٢	لعمرك انهم لفي سكرتهم ...	٦٧ و ٢٥٨ و ٢٦٣
٧٥	ان في ذلك لايات للمؤمنين	٢٧٥
٧٦	وانها لبسبيل مقيم	٢٧٥
٧٧	ان في ذلك لاية للمؤمنين	٢٧٥
٨٠	ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين	٢٤٧
٨١	وآتيناهم آياتنا ...	٢٣٨
٨٢	ينحتون من الجبال بيوتا آمنين	٢٤٠
٨٣	فأخذتهم الصيحة مصبحين	٢٧٣
٨٥	وماخلقناالسموات .. الابالحق	٣٣٨
٩٤	فاصدع بما تؤمر واعرض ...	٤٢
٩٥	انا كفيناك المستهزئين	٤٢
٩٧	ولقد نعلم انك يضيق ...	٤٥٩
٩٨	فسبح بحمد ربك ..	٤٥٩

النحـــل

٨	والخيل والبغال.. ويخلق مالاتعلمون	٣٤١ و ٣٧٩
١٤	وهو الذى سخر لكمالبحر..	٣٧٩

١٥	والقى في الارض رواسي ...	٣٥٩ و ٣٧٩
١٦	وعلامات وبالنجم هم يهتدون	٣٧٩
١٧	أفمن يخلق كمن لا يخلق ...	٣٩٩
٢٦	قد مكر الذين من قبلهم ...	٣٠٠
٣٦	ولقد بعثنا في كل امة رسولا ...	١٠٦ و ٢٨٠
٣٨	وأقسموا بالله جهد أيمانهم...	٤٢٢
٣٩	ليبين لهم الذى يختلفون فيه ...	٤٢٢
٤٠	انما قولنا لشيء اذا اردناه ...	٤٢٢
٤٩	ولله يسجد مافي السموات ...	٢٢٨
٥٠	يخافون ربهم من فوقهم ...	٤٠٢
٥٣	وما بكم من نعمة فمن الله ..	٣٨٦
٦٠	للذين لا يؤمنون بالاخرة ...	٦٥
٧٩	الم يروا الى الطير مسخرات ...	٣٧١
٨١	وجعل لكم من الجبال اكنانا	٣٦٠
٨٩	ونزلنا عليك الكتاب ...	٤٩ و ٥٤ و ٣٣٢
١٠٢	قل نزله روح القدس ...	٥٤
١٠٣	ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلّمه بشر	٦٨ و ٦٩ و ٨٤
١٢٥	ادع الى سبيل ربك بالحكمة ...	٨ و ١٠٦

الاســـراء

٢	وآتينا موسى الكتاب ...	١٧٠
٣	ذرية من حملنا مع نوح ...	١٧٠
٩	يهدى للتي هي اقوم	٥٥
١٢	وجعلنا الليل والنهار آيتين	٣٦٧
٢٣	وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه..	٢٨١
٤٩	وقالوا ائذا كنا عظاما ...	٤٠٩
٥٠	كونوا حجارة أو حديدا	٤٠٩ و ٤٢٢
٥١	او خلقا مما يكبر في صدوركم ..	٤٢٢
٥٥	وآتينا داود زبورا	١٨٣
٦٦	ربكم الذى يزجي لكم الفلك ...	٣٣٤
٦٧	واذا مسكم الضر في البحر ...	٣٣٤
٦٨	أفامنتم أن يخسف بكم جانب البر ...	٣٧٤
٦٩	أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى ...	٣٧٤
٨٢	وننزل من القرآن ماهو شفاء ...	٧٢
٨٣	واذا انعمنا على الانسان اعرض ...	٣٧٤
٨٦	ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا ...	٥٠
٨٧	الا رحمة من ربك ...	٥٠

٨٨	قل لئن اجتمعت الانس والجـن ...	٢٠ و ٢٣
٨٩	ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل	٤٩ و ١٣٧
٩٥	قل لو كان في الارض ملائكة ...	٨١
١٠١	ولقد آتينا موسى تسع آيات ...	١٣٥
١٠٣	فاراد ان يستفزهم من الارض ..	١٧٩
١٠٥	وبالحق انزلناه وبالحق نزل	٤٥
١٠٦	وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس ...	٣٦

الكهـف

٢	ويبشر المؤمنين الذين يعملون	٥٧
٦	فلعلك باخع نفسك ...	١٠٧
٧	انا جعلنا ما على الارض زينة ...	٣٥٦
١٣	نحن نقص عليك نبأهم بالحق	١٤٧
٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم..	٤٥٨
٣٨	اكفرت بالذى خلقك من تراب ...	٤١٣
٤٥	واضرب لهم مثلا الحياةالدنيا..	
	وكان الله على كل شيء مقتدرا	٣٨٩
١١٠	قل انما انا بشرمثلكم	٧٥

مريـم

٢٠	قالت انى يكون لي غلام ..	٨٩
٢١	قال كذلك قال ربك هوعلي هين..	٨٩
٢٢	فحملته فانتبذت به ...	٨٩
٣٠	قال اني عبدالله ...	٨٩
٥٢	وناديناه من جانب الطور ...	١٦٠
٦٧	او لا يذكر الانسان انا خلقناه ...	٤١٣
٩٧	لتبشر به المتقين ..	٥٧

طـــه

١١	فلما أتاها نودى ...	١٦٠
١٢	اني انا ربك ...	١٦١
١٤	اني انا الله الا اله الا انا ...	١٦١ و ١٧١
١٥	ان الساعة آتية أكاد أخفيها...	١٦١
١٦	فلا يصدنك عنها ...	١٦٠
٢٠	قال القها ياموسى... حية تسعى ..	١٤٥ و ١٦٣
٢١	خذها ولا تخف ...	١٦٤
٢٢	واضمم يدك الى جناحك...	١٦٤

٢٥	ربي اشرح لي صدرى ..	٦٣ و ١٦٤
٢٦	ويسر لي امرى	٦٣
٢٧	واحلل عـقدة من لساني	٦٣
٢٨	يفقهوا قولي	٦٣
٣٣	كي نسبحك كثيرا ..	
٣٩	ولتصنع على عيني	١٥٧
٤١	واصطنعتك لنفسـي	١٥٧
٤٢	اذهب انت واخوك بآياتي ..	١٦١ و ١٧٢
٤٣	اذهبا الى فرعون ...	١٧٠ و ١٧٢
٤٤	فقولا له قولا لينا ...	١٧٠
٤٧	فأتياه فقولا انا رسولا ربك ..	١٧٢ و ١٧٣
٤٨	انا قد أوحي الينا ...	١٦٨
٤٩	قال فمن ربكما ياموسى	١٦٨
٥٠	قال ربنا الذى اعطى ...	١٦٨ و ١٧١ و ٣٣٥ و٣٨٧
٥١	قال فما بال القرون ا لاولى	١٦٨
٥٢	قال علمها عند ربي ..	١٦٨
٥٣	الذى جعل لكم الارض مهدا ..	١٦٨
٥٤	كلوا وارعوا انعامكم ..	١٦٨
٥٥	منها خلقناكم ...	١٦٨ و ١٧٢
٥٩	قال موعدكم يوم الزينـة ...	١٦٩
٧١	ولأصلبنكم في جذوع النخل ..	١٧٧
٧٤	انه من يأت ربه مجرما ..	١٧٢
٧٥	ومن يأته مؤمنا ..	١٧٢
٧٦	جنات عدن تجرى ...	١٧٢
٩٩	كذلك نقص عليك من انباء ...	١٢٤
١٠٥	ويسألونك عن الجبال ...	٣٦٢
١٠٦	فيذرها قاعا صفصفا ..	٣٦٢
١٠٧	لا ترى فيها عوجا ولا امتا	٣٦٢
١٢٣	فمن اتبع هداى فلا يضل ...	٥٥
١٣٣	وقالوا لولا يأتينا بآية ...	٩٤

الانـــبياء

٣	هل هذا الابشر مثلكم ..	٨١
٦	بل قالوا اضغاث احلام ..	٦٩
١٦	وما خلقنا السماء والارض الا بالحق	٣٣٨
٢٢	لوكان فيهما آلـهة ...	٣٩١ و ٤٠٠
٢٥	ومآارسلنامن قبلك من رسول ..	٢٥٧ و ٢٨٠

٣٠	اولم ير الذين كفروا ...	٣٣٦ و ٣٤٢ و ٣٤٦ ٣٥٠ و ٣٨٨
٣١	وجعلنا في الارض رواسي ..	٣٣٦
٣٢	وجعلنا السماء سقفا محفوظا ..	٣٣٦ و ٣٤٥
٣٦	واذا رآك الذين كفروا ..	٧٣
٤٥	قل انما انذركم بالوحي ..	٣٣
٧٤	ولوطا آتيناه حكما وعلما ... انهم كانوا قوما	٢٥٦ و ٢٦٠ و ٢٦٣
٧٨	وداود وسليمان اذ يحكمان ..	٩٢
٧٩	ففهمناها سليمان .. وسخرنا مع داوود ..	٩٥ و ١٨٤
٨١	ولسليمان الريح تجرى بأمره ..	١٩٢
٨٢	ومن الشياطين من يغوصون ..	١٩٣
١٠٦	ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين	٥٠
١٠٧	وما ارسلناك الا رحمة للعالمين	١٧ و ٤٨ و ٥٨

الحج

١	ياايها الناس اتقوا ربكم ..	٤١٦
٢	يوم ترونها تذهل ..	٤١٦
٦	ذلك بان الله هو الحق ..	٣٦٣
٧	وان الساعة آتية ..	٣٦٣
٣٤	وبشر المخبتين	٥٧
٣٧	وبشر المحسنين	٥٧
٤٠	ولولا دفع الله الناس ..	٣٠٨
٦٥	ويمسك السماء ان تقع على الارض . .	٣٤٢
٦٦	وهو الذى احياكم ثم يميتكم ..	٣٨٥
٦٧	ادع الى سبيل ربك ..	٥٦
٧٣	يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له	٣٩٨
٧٤	ما قدروا الله حق قدره ..	٣٩٨
٧٨	ملة ابيكم ابراهيم ...	٢٨١

المؤمنون

١٧	ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ..	٣٤١
١٨	وانزلنا من السماء ماء بقدر ..	٣٤٨
٣٥	ايعدكم انكم اذا متم ...	٤١٩
٣٦	هيهات هيهات لما توعدون ..	٤١٩
٣٧	ان هي الا حياتنا الدنيا ..	٤١٩
٧٤	وان الذين لا يؤمنون بالاخرة ...	٦٥
٨٠	وهو الذى يحيي ويميت ..	٣٦٦
٨١	بل قالوا مثل ما قال الاولون	٤٠٧

٨٢	قالوا ائذا متنا ...	٤٠٧
٨٣	لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا ..	٤٠٧
٨٤	قل لمن الارض ومن فيها ..	٣٩٤
٨٥	سيقولون لله قل افلا تذكرون	٣٩٤
٨٦	قل من ر ب السموات السبع ..	٣٩٤
٨٧	سيقولون لله قل افلا تتقون	٣٩٤
٨٨	قل من بيده ملكوت كل شيء ..	٣٩٤
٨٩	سيقولون لله قل فاني تسحرون	٣٩٤

النـــور

٢	ولا تأخذكم بهما رأفة ...	٦٣
٢٢	وليعفوا وليصفحوا ..	١١٥
٣٤	ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ..	٤٩ و ١٣٧
٣٩	والذين كفروا اعمالهم كسراب ..	٣٣٨
٤٠	او كظلمات في بحر لجي ..	٣٨٠ و ٣٨٨
٤٣	الم ان الله يزجي سحابا ..	٣٤٧
٤٤	يقلب الله الليل والنهار	٣٦٦
٥٤	وان تطيعوه تهتدوا	٥٥
٥٦	واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	٥٩

الفـرقان

١	تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ..	٤٨ و ١٠٦
٢	خلق كل شيء فقدره تقديرا	٣٣٥ و ٤٠٣
٤	وقال الذين كفروا ان هذا الا افك ..	٦٩
٥	وقالوا اساطير الاولين ..	٦٩
٣٢	وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن .. ورتلناه ترتيلا	٣٦ و ٤٤ و ٧١
٣٥	ولقد آتينا موسى الكتاب ..	١٧٢
٤٠	ولقد أتوا على القرية ...	٢٧٥
٤١	واذا رأوك ان يتخذونك ..	٧٣
٤٨	وانزلنا من السماء ماء طهورا ..	٣٤٦
٥٣	وهو الذى مرج البحرين ..	٣٦٣
٥٦	وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا	٥٧
٦٢	وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة ..	٣٣٧
٦٤	والذين يبيتون لربهم ...	٣٣٧

الشعـــراء

٣	لعلك باخع نفسك ...	١٠٧
٧	الم يروا الى الارض كم انبتنا ..	٣٥٥

١٢	قال رب اني اخاف ان يكذبون	١٦٤
١٦	فاتيا فرعون فقولا ...	١٧١
١٨	قال الم نربك فيناوليدا ...	١٧٦
١٩	وفعلت فعلتك التي فعلت ...	١٧٦
٢٠	قال فعلتها اذا وانا	١٧٦
٢١	ففررت منكم لما خفتكم ...	١٧٦
٢٢	وتلك نعمة تمنها علي ...	١٧٦
٢٣	قال فرعون ومارب العالمين	١٧٦
٢٤	قال رب السموات والارض ...	١٧١ و ١٧٦
٢٥	قال لمن حوله الا تستمعون	١٧٦
٢٦	قال ربكم ورب ابائكم ...	١٧٦
٢٧	قال ان رسولكم الذى ...	١٧٦
٢٨	قال رب المشرق والمغرب ...	١٧٦
٢٩	قال لئن اتخذت الها ...	١٧٦
٣٠	قال اولو جئتك بشيء مبين	١٧٦
٣١	قال فات به ان كنت من الصادقين	١٧٦
٣٢	فالقى عصاه ...	١٧٦
٣٣	ونزع يده فاذا هي ...	١٧٦
١٠٩	وما اسألكم عليه من اجر ...	٢٨٢
١٤٣	اني لكم رسول امين	٢٤٢
١٤٤	فاتقوا الله واطيعون	٢٤٢
١٤٥	وما اسألكم عليه من اجر	٢٤٢
١٤٦	اتتركون فيماهاهنا ...	٢٤٠ و ٢٤٤
١٥٠	فاتقواالله واطيعون	٢٤٢
١٥١	ولا تطيعوا امرالمسرفين	٢٤٤
٢٥٢	الذين يفسدون في الارض ..	٢٤٢ و ٢٤٤
١٥٣	قالوا انما انت من المسحرين	٢٤٦
١٥٤	ما انت الا بشر مثلنا ..	٢٤٢ و ٢٤٦
١٥٥	قال هذه ناقة لها شرب ..	٢٤٢
١٥٦	ولاتمشوها بسوء فياخذكم ...	٢٣٦ و ٢٤٧
١٥٧	فاخرجناهم من جنات وعيون	٢٤٧
١٥٨	فاخذهم العذاب .. وماكان اكثرهم ..	٢٥٠ و ٢٤٦ و ٢٤٧
١٦٠	كذبت قوملوط المرسلين	٢٧١
١٦١	اذ قال لهم اخوهملوط ..	٢٧١
١٦٢	اني لكم رسول امين	٢٧١
١٦٣	فاتقواالله واطيعون	٢٧١
١٦٤	وما اسالكم عليه من اجر ...	٢٧١
١٦٥	اتاتون الذكران من العالمين	٢٦١ و ٢٦٤ و ٢٧١

١٦٦	وتذرون ماخلق لكم ربكم ...	٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٤و٢٧١
١٦٧	قالوا لئن لم تنته ...	٢٧٢
١٦١	وانه لتنزيل رب العالمين	١٧
١٩٣	نزل به الروح الامين	١٧ و ٣٣ و ٧٢
١٩٤	على قلبك لتكون	١٧ و ٣٣
١٩٥	بلسان عربي مبين	١٧ و ٣٣
١٩٦	وانه لفي زبر الاولين	١٧

النمـــل

١	طس ، تلك آيات القرآن وكتاب مبين : ١٢ و ١٣ و ٢٥ و ٤٠ و ٤٤ و ٥٢ و ٥٤ و ٧٧ و ٨٢ و ١٠٤ و ٤٠١
٢	هدى وبشرى للمؤمنين : ١٢ و ٥٢ و ٥٤ و ٥٥ و ٦٠ و ٦٣ و١٠٤
٣	الذين يقيمون الصلاة ... ١١ و ٥١ و ٤٠ و ١٣ و١٥١ و ١٥٣ و ٤٠٧
٤	ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ... ١١ و ٥١ و ١١ و ١٥ و ١١ و ٦٧ و ٧٨ و ٤٠٧ و ٤٣٧
٥	اولئك الذين لهم سوء العذاب ... ١٢ و ٥٢ و ٦٤ و ٤٠٧
٦	وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم : ٢٥ و ٣١ و٤٤ و ٧١ و٧٨ و ٨٢ و ١٦٢ و ١٧١ و٢٧٩ و ٢٩٤ و ٤٠١ و ٤٤٤
٧	اذ قال موسى لاهله انى انست نارا ... ١٥ و ١٥٩ و ١٦١ و١٧٩
٨	فلما جاءها نودى ... وسبحان الله رب العالمين : ٢٥ و ٨٦ و١٥٩ و ١١ و ١٧١ و١٣١٩
٩	ياموسى انه انا الله ... ٣٣ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١
١٠	والق عصاك فلما رآها تهتز.. ١٤٥ و ١٥٩ و ١٦٣ و ١٦٤ و١٧٠ و ٢٠١
١١	الا من ظلم ثم بدل حسنابعدسوء .. ١٥٩ و ١٦٤ و ١٧٠ و ٤٥٦
١٢	وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات .. ٩٠ و ١٥٩ و ١٦٥ و ١٧٢
١٣	فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحرمبين ١٥٩ و ١٦٧ و ٢٨٩ و ١٣٩
١٤	وجحدوا بها ... ١٥٩ و ١٦٧ و ١٧٨ و ٢٨٤ و ٢٨٩ و٣٩٤
١٥	ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمدلله .. ١٨٢ و ١٨٧ و ٢١٣ و ٢٢٤ و ٢٧٩ و ٢٩٤ و ٣٠١ و٣٠٣
١٦	وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ... ١٨١ و ١٨٧ و ١٩٨ و ٢١٣ و١٩٤

١٧ وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون : ١٨٧
١٩٤ و ٢١٣ و ٢٢٦ و ٢٢٨ و ٢٩٠ و ٢٩٦ و ٣٦٩
١٨ حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة .. ١٨٧ و ٢٠١ و ٢١٣
٢٩٦ و ٢٦٩
١٩ فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمتعلي
وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه .. ١ و ١٨٧ و ١٩٨ و ٢٢٤
٢٨٧ و ٢٦٩ و ٤٣٦ و ٤٤٠ و ٤٤٩ و ٤٥١
٢٠ وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد .. ١٣١ و ١٨٧ و ١٩٩
٢٢٨ و ٣٠٥ و ٤٦٠
٢١ لاعذبنه عذابا شديدا .. ١٣١ و ١٨٧ و ٢٢٨ و ٢٨٧ و ٤٦٠
٢٢ فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأيقين :
١٢٩ و ١٣١ و ١٨٧ و٢٢٥ و ٢٨٧ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٣٠٢
٣٠٥ و ٣٠٦ و ٤٤٤
٢٣ اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء .. ١٣١ و ١٨٧ و٢٠٢
٢٢٨ و ٢٩١ و ٣٠٢و ٤٤٠
٢٤ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دونالله وزين لهم الشيطان اعمالهم
فصدهم ... ٤٠ و ٦٦ و ١٣١ و ١٨٧ و ٢٠٢ و ٢٢٨و ٢٢٩
٢٩١ و ٢٩٢ و ٣١٥ و ٣٩٤ و ٤٠٥
٢٥ الا يسجدوا للهالذى يخرج الخبء .. ٤٠ و ١٣١ و ١٣٥ و ١٨٧و
١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠٢ و ٢٢٤ و ٢٢٨ و ٢٨٩ و
٢٩١ و ٢٩٢ و ٣٩٤ و ٤٠٥
٢٦ الله لا اله الاهو رب العرش العظيم : ٤٠ و ١٣١ و ١٨٧ و ١٩٩و
٢٠٢ و ٢٢٤ و ٢٢٨ و ٢٨٩ و ٢٩١ و ٢٩٢ و٣٩٤و
٤٠٥ و ٤٣٦
٢٧ قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين : ١٣١ و ١٨٧ و ٣٠٥
٢٨ اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم .. ١٣١ و ١٨٧ و ٢٠٣ و ٢٠٥
٢٢٨
٢٩ قالت يا ايها الملأني القي الي ... ١٣١ و ١٨٧ و ٢٠٣و٢١٦
٣٠ انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم: ١٣١ و ١٨٧ و ٢٠٣و
٢١٦ و ٢٢٤ و ٢٨٩
٣١ الا تعلوا علي واتوني مسلمين : ٦٤ و ٧٦ و ١٣١ و ١٨٧ و ٢٠٣
٢١٦ و ٢٨١ و ٢٨٨ و ٢٨٩
٣٢ قالت يا ايها الملا افتوني في امرى .. ١٣١ و ١٨٧ و ٢١٦
٣٣ قالوا نحن اولو قوة ... ١٣١ و ١٨٧ و ٢١٨ و ٢٢١
٣٤ قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها .. ١٣١ و ١١٧ و ١٨٨
٣٥ واني مرسلة اليهم بهدية .. ١٣١ و ١٨٨ و ٣٠٢
٣٦ فلما جاء سليمان قال اتمدوننيبمال فما آتاني الله خير مما اتاكم.. ١٣١
و ١٨٨ و ٢٠٧ و ٢٢٦ و٢٢٤ و ٢٨٨ و ٣٠٢ و
٣١١ و ٤٤٠

٣٧ ارجع اليهم فلتأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ... ١٣١ و ١٨٨ ٢٠٧ و ٢١٣ و ٢٩٨
٣٨ قال يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها.. ١٣١ و ١٨٨ و ٢٠٨و ٢٢١ و ٢٨١ و ٣٠٦
٣٩ قال عفريت من الجن انا آتيك به .. ١٣٢ و ١٨٨ و ٢٠٨و ٢١٩ ٢٢٦ و٢٩٤ و ٣٠٦ و ٤٤٤ و ٤٦٠
٤٠ قال الذى عنده علم من الكتاب ... فلما رآه مستقراعنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر ومن شكر فانمايشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم : ١٣٢ و ١٨٨ و ١٩٨و ٢٠٨ و ٢١٩ و ٢٢٤و ٢٢٧ و ٢٩٤ و ٣٠٦ و ٤٣٧ و ٤٤٠ و ٤٤٤
٤١ قال نكروا لها عرشهاننظر .. ١٣٢ و ١٨٨
٤٢ فلما جاءت قيل اهكذا عرشك .. واوتينا العلم من قبلها.. ١٣٢و ١٨٨ و ٢٢١ و ٢٩٤ و ٤٣٩
٤٣ وصدها ما كانت تعبد من دونالله ... ١٣٢ و ١٨٨ و ٣١٢و٣١٥
٤٤ قيل لها ادخلي الصرح ... قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمتمع سليمان ١٣٢ و ١٨٨ و ٢٠٩ و ٣٢١و ٢٢٤ و ٢٨١ و ٢٩٦ و ٣١٥ ٤٣٧ و ٤٣٩
٤٥ ولقد ارسلنا الى ثمود ... ان اعبدوا اللهفاذاهم فريقان يختصمون: ١٠٥ ٢٣١ و ٢٤١ و ٢٧٩ و ٢٨٩ و ٣٠٩
٤٦ قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة .. لولاتستغفرون الله.. ٥٩و ٢٣١ ٢٣٥ و ٢٣٦و ٢٣٩ و ٤٥٦
٤٧ قالوا اطيرنا وبمن معك ٢٢٨ و ٢٣١ و ٢٣٦ و ٢٤٣ و ٢٥٢
٤٨ وكان في المدينة تسعة رهط .. ١٣١ و ٢٤٨ و ٢٩٨
٤٩ قالوا تقاسموا بالله .. ١٣١ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٣٠٧ و ٣١٠ و٣٩٥
٥٠ ومكروا مكرا ... ١٣١ و ٢٣٦ و ٣٤٩ و ٢٨٤ و ٢٩٩
٥١ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم .. ١٣١ و ٢٣٦ و ٢٤٩ و ٢٥٠ ٢٨٤ و ٢٩٩
٥٢ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .. ١٣٠ و ١٣١ و ٢٣٦ و ٢٥٠ ٢٥١ و ٢٨٤ و ٢٢٩ و ٤٤٤
٥٣ وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون : ٢٣١ و ٢٣٦ و ٢٤٥ و ٢٥٠
٥٤ ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون: ٢٥٤ و ٢٦٢و ٢٦٦ ٢٧٩ و ٢٨٩
٥٥ ائنكم لتاتونالرجال شهوة .. بل انتم قوم تجهلون: ٢٥٤ و ٢٦١ ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٧١ و ٢٨٩ و ٤٤٤
٥٦ فما كان جواب قومه الا ... ٢٥٤ و ٢٧٢
٥٧ فانجيناه واهله الا امراته .. ٩٢ و ٢٥٤ و ٢٧٣ و ٢٨٤ و ٣٠٠
٥٨ وامطرنا عليهم مطرا.. ٢٥٤ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٨٤ و٣٠٠

٥٩ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير امايشركون :
١٠٦ و ٢٧٤ و ٣١٧ و ٣٢٥ و ٣٤٠ و ٣٩٢ و ٤٠١ و
٤٠٥ و ٤٠٩

٦٠ امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق
ذات بهجة ماكان لكمان تنبتواشجرهاالهمع الله بل هـ(قومبعدلون
٣٤٠ و ٣٤٥ و ٣٤٧ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣١٧ و
٣٩٣ و ٣٩٥ و ٣٩٧ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠٥ و ٤٠٩ و
٤١٠ و ٤٢٤ و ٤٢٥

٦١ امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل
بين البحرين حاجزا االهمع الله بل اكثرهم لا يعلمون :
٣١٧ و ٣٣٥ و ٣٥٦ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦٣ و
٣٩٣ و ٣٩٥ و ٤٠٠ و ٤٠٥ و ٤٢٤

٦٢ امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض االـه
مع الله قليلا ما تذكرون : ٣١٧ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤و
٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٩٣ و ٣٩٥ و ٤٠٠ و ٤٠٤ و
٤٠٥ و ٤٢٤

٦٣ امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرى بين يدى
رحمته االه مع الله تعالى الله عما يشركون : ٣١٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩
٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٣ و ٣٩٣ و ٣٩٥ و ٤٠٠ و ٤٠٥و ٤٢٤

٦٤ امن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض االه مع الله
قل هاتوابرهانكم ان كنتم صادقين : ٣١ و ٧٣ و ٢٩٤ و ٣١٧
٣٢٨ و ٣٣٤ و ٣٨٤ و ٣٨٦ و ٣٩٣ و ٣٩٥ و ٣٩٧ و ٤٠٠
٤٠٥ و ٤١٤ و ٤٢٤ و ٤٤٤

٦٥ قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله... ٨٧ و ٢٢٥
و ٢٢٦ و ٣١٧ و ٣٣٠ و ٤١٧ و ٤٢١

٦٦ بل ادارك علمهم في الاخرة .. ٣١٧ و ٤١٧ و ٤٢٢

٦٧ وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا .. ٣١٥ و ٣١٧ و ٤٠٧ و
٤١٧ و ٤٢٠

٦٨ لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا .. ٣١٥ و ٣١٧ و ٤٠٧ و ٤١٧

٦٩ قل سيروا في الارض .. ٣١٧ و ٤١٧

٧٠ ولا تحزن عليهم .. ٣١٧ و ٤١٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩

٧١ ويقولون متى هذا الوعد .. ٣١٧ و ٤١٧ و ٤٢٠

٧٢ قل عسى ان يكون ردف لكم .. ٣١٧ و ٤١٧ و ٤٢٠

٧٣ وان ربك لذو فضل على الناس .. ٣١٧ و ٤١٧ و ٤٣٧ و ٤٤٠

٧٤ وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم .. ٢٠٠ و ٣١٧ و ٤١٧ و ٤٣٦
و ٤٤١

٧٥ وما من غائبة فيالسماء والارض .. ٣١٧ و ٤٠٠ و ٤١٧ و ٤٢١

٧٦- ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل ... ١٣ و ٢٦ و ٣١ و ٤٦ و ٥٢ و ٧٠ و ٨٣ و ٨٤ و ٩٥ و ١٢٥ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٤ و ٣١٧ و ٤٠١

٧٧ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين: ٥٢ و ٥٤ و ٨٣ و ٣١٧ و ٤٠١

٧٨ ان ربك يقضي بينهم بحكمه .. ٥٢ و ٨٣ و ٣١٧

٧٩ فتوكل على البله .. ١٨٨ و ٣٠١ و ٣١٧ و ٤٤١و ٤٦١

٨٠ انك لا تسمع الموتى .. ٣١٧ و ٤٢٦ و ٤٦١

٨١ وما انت بهاد العمي ٣١٧ و ٤٢٦ و ٤٣٩ و ٤٦١

٨٢ واذا وقع القول عليهم .. ٢٦ و ٣١٨ و ٤١٥ و ٤٢٩

٨٣ ويوم نحشر من كل امة فوجا .. ٣١٨ و ٤١٥ و ٤١٦

٨٤ حتى اذا جاؤوا .. ٣١٨ و ٣٢٥ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤٤٥

٨٥ ووقع القول عليهم .. ٣١٨ و ٣٢٥ و ٤١٥ و ٤١٦

٨٦ الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا .. ٣١٨ و ٣٢٢ و ٣٣٦ و ٣٥٦ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٤٠٠ و ٤١١ و ٤١٢

٨٧ ويوم ينفخ في الصور.. ٣١٨ و ٤١٥ و ٤١٦

٨٨ وترى الجبال تحسبها جامدة .. ٣١٨ و ٣٣٥ و ٣٥٧ و ٣٦١ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٤٠٠ و ٤٠٢ و ٤٠٤ و ٤١٥ و ٤١٦

٨٩ من جاء بالحسنة فله خير منها .. ٣١٨ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤٣٠ و ٤٤٢

٩٠ ومن جاء بالسيئة ... ٣١٨ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤٣٠ و ٤٤٢

٩١ انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين : ١٠٥ و ٢٨١ و ٣١٨ و ٤٠١ و ٤١٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٣٩ و ٤٤١ و ٤٤٩

٩٢ وان اتلو القرآن فمن‌اهتدى فانما يهتدى لنفسه .. ١٣ و ٧٢ و ١٠٥ و ٣١٨ و ٤٠١ و ٤١٥ و ٤٣٦ و٤٣٨ و ٤٦٢ و ٤٤٥ و ٤٥٣

٩٣ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وماربك بغافل عماتعملون: ٣١٨ و ٣٢٧ و ٤٠٤ و ٤٣٧ و ٤٤١

القصص

٣ نتلو عليك من نبا موسى .. ١٢٧

٤ ان فرعون‌علا في‌الارض .. يستضعف طائفة .. ١٧٣

٥ ونريد ان نمن على ... ١٧٤

٦ ونمكن لهم في الارض .. ١٧٤

٢٢ ولما توجه تلقاء مدين ١٣١

٣٠ ياموسى اني‌انا الله .. ١٦١

٣١ وان‌الق عصاك .. كانها جان.. ياموسى‌اقبل..١٦٣ و ١٦٤

٤٤ وما كنت بجانب الغربي .. ١٤٢

٤٥	ولكنا انشأنا قرونا ..	١٤٢
٤٦	وما كنت بجانب الطور ..	١٤٢
٤٩	قل فاتوا بكتاب من عند الله ..	٢٠ و ٧٩
٥٠	فان لم يستجيبوا لك فاعلم ..	٧٩
٧١	قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا ..	٣٦٥
٧٢	قل ارايتم ان جعل اللهعليكم النهار سرمدا ..	٣٦٥
٧٣	ومن رحمته جعل لكم ..	٣٦٥
٨٦	وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب الا ..	٧٩

العنكبوت

١٩	كما بدأنا اول خلق نعيده ..	٤١٤
٢٠	قل سيروا في الارض ..	٣٢٣ و ٤١٤
٢١	يعذب من يشاء ..	٤١٤
٢٦	فآمن له لوط وقال اني مهاجر ..	١٣١ و ٢٦٠
٢٨	انكم لتاتون الفاحشة ...	٢٦١
٢٩	ولوطا اذ قال لقومه ائنكم لتاتون ... .. ائتنا بعذاب الله ..	٢٥٦ و ٢٦٣ و و ٢٦٦ و ٢٧٢
٣٠	ائنكم لتاتون الرجال ...	٢٦١
٣٣	ولما ان جاءت رسلنا ...	٢٥٩
٣٤	انا منزلون على اهل هذه القرية ...	٢٧٣
٣٥	ولقد تركنا منها اية بينة ...	٢٧٥
٣٦	اعبدوا الله وارجو اليوم الاخر ..	٦٢ و ٩٩
٣٨	وعادا وثمود وقد تبن لكم ...	٢٣٣
٤٠	فكلا اخذنا بذنبه ...	٢٨٣
٤٩	بل هو ايات بينات ...	٤٥
٥١	اولميكفهمانا انزلنا ...	٥٠ و ٥٩
٦٠	وكأين من دابة لاتحمل رزقها ..	٣٨٦
٦٢	الله يبسط الرزق لمن يشاء ...	٣٨٧

الروم

١ - ٢	الـــم ، غلبت الروم	٢٦
٣	في ادنى الارض ...	٢٦
٤	في بضع سنين ...	٢٦
٥	بنصر الله ينصر من يشاء ...	٢٦
٧	الذين لا يعلمون يعلمون ظاهرا ..	٦٥ و ٢١٦ و ٤٤٧
٨	ما خلق الله السموات والارض الا بالحق ..	٣٣٨
١٨	فسبحان الله حين تمسون ...	٣٣٧
١٩	يخرج الحي من الميت ...	٤١٠

٢١	ومن اياته ان خلق لكم ..	٢٦٧ و ٣٢٢
٢٢	ومن اياته خلق السموات والارض	٣٢٢
٢٣	ومن اياته منامكم ...	٣٢٢
٢٤	ومن اياته يريكم البرق	٣٢٢
٢٥	ومن اياته ان تقوم السماء ..	٣٢٢ و ٤٠٩
٢٦	وله من في السموات والارض ..	٣٢٢
٢٧	وهو الذى يبدؤ الخلق ...	٤١٤
٣٠	فاقم وجهك للدين حنيفا ..	١١٣ و ٤٠٤
٣٧	اولميروا ان الله يبسط ...	٣٨٧
٤٠	الله الذى خلقكم ثم ...	٣٨٥ و ٣٩١
٤٦	ومن اياته ان يرسل الرياح ...	٣٨٣
٤٨	الله الذى يرسل الرياح ..	٣٨٢ و ٣٨٣
٦٠	فاصبر ان وعد الله حق ...	٤٤١ و ٤٥٩

لقمان

١٠	خلق السموات بغير عمد .. والقى في الارض رواسي	٣٤٢ و ٣٦٠ و ٣٩٨
١١	هذا خلق الله ..	٣٩٨ و ٣٩٩
٢٠	الم تروا ان الله سخر لكم ..	٤٠٠
٢٤	ان الله عنده علم الساعة ..	٣٣٠
٢٩	الم تر ان الله يولج الليل ...	٣٦٦
٣٢	وما يجحد باياتنا الاكل ختار كفور	٣٢٥

السجدة

٧	الذى احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين	٣٨٤ و ٣٨٨
١٠	وقالوا ائذا ضللنا في الارض ..	٤٢٠
٢٧	الم يروا انا نسوق الماء..	٣٤٧

الاحزاب

٣٧	واذ تقول للذى انعم اللهعليه ...	٧٩
٤٠	ما كان محمد اباأحد من رجالكم ..	٣٨
٤٣	هو الذى يصلي عليكم وملائكته ..	٥٩
٤٥	يا ايها النبي انا ارسلناك ..	١٠٧
٤٦	وداعيا الى الله باذنه ..	١٠٧
٤٧	وبشر المؤمنين بانلهم ..	٥٧
٥٢	وكان الله على كل شيء رقيبا	٣٨٩

سبأ

٣	لا يعزب عنه مثقال ذرة ..	٤٠٠
٦	يهدى الى صراط العزيز الحميد	٥٥
٧	وقال الذين كفروا هل ندلكم ..	٤٠٩
٨	افترى على الله كذبا ..	٤٠٩
٩	افلم يروا الى ما بين ايديهم ..	٤٠٩
١٠	وألنّا له الحديد	١٨٤
١١	ان اعمل سابغات وقدر ...	١٨٤
١٢	ولسليمان الريح .. ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا ..	١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و٢٢٦
١٣	يعملون له ما يشاء من محاريب ..	١٩٣
١٤	فلما قضينا عليه الموت ..	٢٢٧
٢٤	وانا او اياكم لعلى هدى ..	٥٦ و ٣٩٢
٢٨	وماارسلناك الا كافة ..	٤٨
٣١	وقال الذين كفروا لن نؤمن ...	٧٨
٣٩	قل ان ربي يبسط الرزق ...	٣٨٧

فاطر

١	الحمد لله فاطر السموات والارض ..	١٠٦ و ٣٩٨
٣	يا ايها الناس اذكروا نعمة الله ...	٣٨٦
٤	ومن كل تاكلون لحما طريا ..	٣٦٤
٩	والله الذى ارسل الرياح ..	٤١١
١٢	وما يستوى البحران هذا عذب ..	٣٦٣
١٣	يولج الليل في النهار ...	٣٦٧
٢٧	الم تر ان الله انزل من السماء ماء.. ومن الجبال جدد بيض ...	٣٥٠ و ٣٦٠
٢٩	يرجون تجارة لن تبور	٤٠٢
٣١	والذى اوحينا اليك من الكتاب ..	٣٢
٣٢	ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا ..	١٠٨
٤١	ان الله يمسك السموات ...	٣٤٤

يس

١١	وخشي الرحمن بالغيب ..	٥٦
٣٠	يا حسرة على العباد ..	١٦٠ و ٢٨٢
٣٥	وما عملته ايديهم	٣٠
٣٧	وآية لهم الليل نسلخ منه النهار	٣٦٥
٣٨	والشمس تجرى ...	٣٠٤ و ٣٦٥
٣٩	والقمر قدرناه منازل ..	٣٠٤ و ٣٦٥
٤٠	لا الشمس ينبغي لها ان ..	٣٠٤ و ٣٦٥

٥٢	يا ويلنا من بعثنا من ...	٤٣٠
٧٩	قل يحييها الذى انشأها ..	٤١٩ و ٤٢١
٨١	اوليس الذى خلق السموات ..	٣٩١ و ٤٠٩
٨٢	انماامره اذا اراد شيئا ..	٤٠٩
٨٣	فسبحان الذى بيده ملكوت ..	٤٠٩
٧٨	وضرب لنا مثلا ونسي ...	٤١٩ و ٤٢١
* ٦٩	وما علمناه الشعر..	٧٥

الصافات

١١	فاستفتهم اهم اشد خلقا ..	٤٠٩
١٦	ائذا متنا وكنا ترابا ..	٤١٩
١٧	او اباؤنا الاولون	٤١٩
٣٦	ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر..	٧٥
٣٧	بل جاء بالحق وصدق المرسلين	٧٤
١٣٧	وانكم لتمرون عليهم مصبحين	١٣٠و ٢٧٥
١٣٨	وبالليل افلا تعقلون	٢٧٥
١٧١	ولقد سبقت كلمتنا ...	٢٨٣
١٧٢	انهم لهم المنصورون	٢٨٣
١٧٣	وان جندنا لهم الغالبون	٢٨٣

ص

٤	وعجبوا ان جاءهم منذر منهم	٧٣ و ١٤٦
٥	اجعل الالهة الها واحدا..	١٤٦
٧	لو نشاء لقلنا مثل هذا ...	٧٤
٨	اانزل عليه الذكر من بيننا...	٧٣
١٢	كذبت قبلهم قوم نوح ...	٢٤٤
١٣	وثمو د وقوم لـوط	٢٤٤
١٤	ان كل الا كذب الرسل ...	٢٨٢
١٧	اصبر على ما يقولون ...	١٨٥
٢٠	وشددنا ملكه ...	١٨٣
٢٦	يا داود انا جعلناك خليفة ..	١٨٣
٢٧	وما خلقنا السموات ..... باطلا	٣٣٨
٣٠	ووهبنا لداود سليمان ..	١٨٥
٣٥	رب اغفر لي وهب لي ملكا ...	١٩١
٣٧	.. كل بناء وغواص	١٩٣ و ٢٢٦
٣٨	وآخرين مقرنين في الاصفاد	١٩٣ و ٢٢٦
٣٩	هذا عطاؤنا فامنن او امسك ...	١٩١
٦٦	رب السموات والارض وما بينهما...	٣٢٢

الزمـر

٥	خلق السموات والارض بالحق ...	٣١٦ و ٣٢٢
٨	واذا مس الانسان ضر دعا ربه ..	٣٧٤
٩	امن هو قانت ... انما يتذكر ...	٣٣٧ و ٤٢٥ و ٤٥١
١١	قل اني امرت ان اعبد الله ...	٤٥٠
١٢	وامرت لان اكون اول المسلمين	٤٥٠
١٧	والذين اجتنبوا الطاغوت ...	٥٧
٢١	الم تر ان الله انزل من السماء ...	٣٤٧
٢٣	تقشعر منه جلود الذين ...	٢٨ و ٥٦
٢٨	قرآنا عربيا غير ذى عوج ..	٤٥
٦٢	الله خالق كل شيء ..	٤٠٢

غـافـر

١٢	وما يتذكر الا من ينيب	٤٢٥
١٩	يعلم خائنة الاعين ...	٢٠٠
٢٦	اني اخاف ان يبدل دينكم ..	١٧٥
٢٧	اني عذت بربي وربكم ..	١٧٢
٣٢	ويا قوم اني اخاف عليكم ..	١٧٣
٣٣	يوم تولون مدبرين ..	١٧٣
٤٠	ياقوم انما هذه الحياة ...	١٧٣
٤١	ويا قوم مالي ادعوكم ...	١٠٤
٤٢	تدعونني لاكفر بالله ...	١٠٤
٥١	انا لننصر رسلنا والذين آمنوا ...	٢٨٣
٥٧	لخلق السموات والارض اكبر من ..	٤١٠
٦٤	الله الذى جعل لكم الارض قرارا ..	٣٤٥

فصـلت

٥	وقالوا قلوبنا في اكنة) ..	٨١ و ١٠٨
٧	وويل للمشركين الذين ...	٦١
١١	ثم استوى الى السماء وهي دخان ..	١٣٣
١٣	فان اعرضوا فقل انذرتكم ...	٢٥٢
١٤	اذ جاءتهم الرسل من بين ...	٢٥٢
١٦	فارسلنا عليهم ريحا صرصرا ..	٣٨٢
١٧	واما ثمود فهديناهم ...	٢٤٦ و ٢٥٠
٢٦	وقال الذين كفروا لا تسمعوا ...	٧٨
٣٣	ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ..	١٠٣ و ١٠٨
٣٩	ومن آياته انك ترى الارض ...	٤١١
٤١	وانه لكتاب عزيز	٤٥

٤٢	ما يقال لك الا ما قد قيل ...	٤٥ و ٢٨٢
٤٧	اليه يرد علم الساعة ...	٤٢١
٤٩	لا يسأم الانسان من دعاء الخير ..	٣٧٤
٥٠	ولئن اذقناه رحمة منا ...	٣٧٤
٥١	واذا انعمنا على الانسان اعرض ...	٣٧٤
٥٣	سنريهم آياتنا في الافاق ...	٣٢٧
٥٤	الا انهم في مرية من لقاء ربهم ..	٣٢٧ و ٣٨٩

الشـــورى

٤	له ما في السموات وا في الارض ..	٣٢٢
٧	وكذلك اوحينا اليك ..	٣٢ و ٤٥
١١	ليس كمثله شيء ...	٨٦ و ٣٩٢
١٣	شرع لكم من الدين ما وصى ... كبر على المشركين ماتدعوهم اليه . ويهدى اليه من ينيب	٢٨ و ٥٤ و ١٠٩
١٥	فلذلك فادع واستقم ...	١٠٦
٢٣	ذلك الذى يبشر الله عباده ..	٥٧
٢٧	ولو بسط الله الرزق لعباده ...	٣٨٧
٢٨	وهو الذى ينزل الغيث ...	٣٤٦
٣٨	وامرهم شورى بينهم .	٢١٧
٤٨	فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم ...	٤٦١
٥١	وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ...	٣٣ و ٢٨٠
٥٢	وكذلك اوحينا اليك روحا .. جعلناه نورا	٢٧ و ٥٤

الزخـــرف

٣	انا جعلناه قرآنا عربيا	٤٥
١٠	الذى جعل لكم الارض مهدا ..	٣٥٧
١١	والذى نزل من السماء ماء ...	٤١١
١٩	وجعلوا الملائكة الذين هم ...	٢٢٨
٣٠	ولما جاءهم الحق قالوا ..	٧٤
٣١	وقالوا لولا نزل هذا القرآن ...	٧٣ و ٧٤
٣٢	اهم يقسمون رحمة ربك	٥٩
٤٣	فاستمسك بالذى اوحي اليك ..	٤٤١
٤٤	وانه لذكر لك ولقومك ..	١٨
٤٥	واسأل من ارسلنا من قبلك ...	٢٨٠
٤٦	ولقد ارسلنا موسى باياتنا ...	١٧٢
٤٧	فلما جاءتهم آياتنا اذاهم ...	١٧٥
٤٨	وما نريهم من اية الاهي اكبر ...	١٦٨

٤٩	يا ايها السحر ادع لنا ربك ...	١٧٥ و ١٧٦
٥٠	فلما كشفنا عنهم العذاب ..	١٧٦
٥٢	ام انا خير من هذا ...	١٧٥
٥٣	فلولا القي عليه اسورة ...	١٧٥
٦٣	ولما جاء عيسى بالبينات ..	٨٩
٦٤	ان الله هو ربي وربكم ..	١٧٥
٨٧	ولئن سالتهم من خلقهم ...	٤١٣

الدخـــان

٣	اناانزلناه في ليلة مباركة..	٣٢
١٤	معلم مجنون	٦٩
١٧	ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون ..	١٧٣
١٨	ان ادوا الي عباد الله	١٧٣
١٩	وان لا تعلوا على الله ...	٢١٥
٢٣	واتيناهم من الايات ...	١٦٨
٢٥	كم تركوا من جنات وعيون ..	١٨٠
٢٦	وزروع ومقام كريم	١٨٠
٢٧	ونعمة كانوا فيها فاكهين	١٨٠
٢٨	كذلك واورثناها ...	١٨٠
٣٥	ان هي الا موتتنا الاولى ..	٤٢٠
٣٦	فاتوا بابائنا ان كنتم صادقين	٤٢٠
٥٨	فانما يسرناه بلسانك ..	٣٠

الجاثـــية

٣	ان في السموات والارض لايا ت ...	٣٢٢ و ٣٢٤
٤	وفي خلقكم وما يبث ...	٣٢٢ و ٣٢٤
٥	واختلاف الليل والنهار ...	٣٢٢ و ٣٢٤ و ٣٤٦
٦	تلك ايات الله نتلوها ...	٣٢٢ و ٣٢٤
٢٠	هذا بصائر للناس	٤٨ و ٥٤
٢٢	وخلق السموات والارض بالحق ولتجزى ..	٤١٣
٢٣	وجعل على بصره غشاوة	٧١
٢٦	قل الله يحييكم ثم يميتكم	٣٨٥
٢٩	هذا كتابنا ينطق عليكم ..	٧٨
٣٢	واذا قيل ان وعد الله حق ...	٤١٨

الاحـقاف

١	واذ لم يهتدوا به ...	٨١
٩	قل ما كنت بدعا من الرسل ..	٨٠

١٢	وهذا كتاب مصدق ...	١٠٤
٣٠	يهدى الى الحق ...	٥٥
٣٣	اولم يروا ان الله الذى خلق ...	٤١٠
٣٥	فاصبر كما صبر اولو العزم ...	٢٨٢

محمد

١٥	فيهاانهار من ماء غير آسن ..	٣٥٩
١٨	فهل ينظرون الا الساعة ...	٤٢٩

الحجرات

٦	يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق ..	٣٠٦
١٠	انما المؤمنون اخوة ...	٥٨

ق

٣	ائذا متنا وكنا ترابا...	١٤٦
٤	قد علمنا ما تنقص الارض منهم ..	٤٢١
٦	افلم ينظروا الى السماء...	٣٢٥
٧	والارض مددناها ...	٣٢٥ و ٣٥٥ و ٤٢٥
٨	تبصرة وذكرى لكل عبد منيب	٣٢٥ و ٤٢٥
٩	ونزلنا من السماء ماء مباركا	٣٤٦ و ٤١١
١٠	والنخل باسقات لها طلع نضيد	٤١١
١١	رزقا للعباد واحيينا ...	٤١١
١٩	وجاءت سكرة الموت ...	٣٠
٣٨	ولقد خلقنا السموات والارض ...	٨٧
٤٥	فذكر بالقرآن من يخاف وعيد	٤٨

الذاريات

٢٠	وفي الارض آيات للموقنين	٣٢٣ و ٣٥٦
٢١	وفي انفسكم افلا تبصرون	٣٢٣
٣٩	فتولى بركنه وقال ساحر...	١٧٥
٤٣	وفي ثمود اذ قيل لهم ..	٢٤٤
٤٧	والسماء بنيناها بايد ..	٣٤١
٤٨	والارض فرشناها ...	٣٥٧
٤٩	ومن كل شيء خلقنا زوجين ..	٢٦٦ و ٣٣٥
٥٢	كذلك ما اتى الذين من قبلهم..	٢٨٢
٥٣	اتواصوا به بل هم...	٢٨٢

الطـــور

٥	والسقف المرفوع ..	٣٤٢
٣٣	ام يقولون تقولـه ..	٢٠
٣٤	فلياتوا بحديث ..	٢٠
٣٥	ام خلقوا من غير شيء ...	٢٩ و ٣٨٤ و ٣٩٨
٣٦	ام خلقوا السموات والارض ..	٢٩ و ٣٩٨
٣٧	ام عندهم خزائن ربك ..	٢٩

النجـــم

٢٩	فاعرض عمن تولى ...	٤٦١
٣٠	ذلك مبلغهم من العلم	٤٦١
٤٧	وان عليه النشأة الاخرى	٤١٣
٥١	وانه اهلك عاد الاولى	٢٣٣
٥٢	وثمود فما ابقى ..	٢٣٣

القـــمر

٤	ولقد جاءهم من الانباء ...	١٤٣
٢٤	ابشرا منا واحدا نتبعه ...	٢٤٦
٢٥	االقي الذكر عليه ...	٢٤٦
٢٧	فارتقبهم واصطبر	٢٤٦
٣٣	كذبت قوم لوط بالنذر	٢٧٢
٣٤	انا ارسلنا عليهم حاصبا ..	٢٧٣
٣٦	ولقد انذرهم بطشتنا ..	٢٦٦ و ٢٧١
٣٧	ولقد راودوه عن ضيفه ...	٢٥٨ و ٢٦٣ و ٢٧٣
٣٨	ولقد صبحهم بكرة ...	٢٧٤
٤٥	سيهزم الجمع ويولون الدبر	٢٦
٤٩	انا كل شيء خلقناه بقدر	٣٨٨
٥١	ولقد اهلكنا اشياعكم ...	٢٨٤
٥٤	ان المتقين في جنات ونهر	٣٥٩

الرحـــمن

٧	والسماء رفعها ...	٣٤٢
١٠	والارض وضعهاللانام..	٣٣٥ و ٣٥٥ و ٣٥٧
١١	فيها فاكهة والنخل ...	٣٣٥ و ٣٥٥
١٢	والحب ذو العصف ...	٣٣٥ و ٣٥٥
١٣	فبأى الاء ربكما تكذبان	٣٣٥ و ٣٥٥
١٩	مرج البحرين يلتقيان ..	٣٦٣
٢٠	بينهما برزخ لا يبغيان	٣٦٣

٢١	فبأى الاء ربكما تكذبان	٣٦٣
٢٤	وله الجوار المنشات في البحر...	٣٧٩

الواقعة

٤	اذا رجت الارض رجا	٣٥٨
٥	وبست الجبال بسا	٣٥٨
٦	فكانت هباء منبثا	٣٥٨
٢٩	وطلح منضود	٣٠
٦٠	نحن قدرنا بينكم الموت ..	٤٢٠
٦١	على ان نبدل امثالكم ...	٤٢٠
٦٣	افرأيتم ما تحرثون	٣٩٨
٦٤	اانتم تزرعونه...	٣٩٨
٦٥	لو نشاء لجعلناه حطاما ...	٣٩٨
٦٦	انا لمغرمون	٣٩٨
٦٧	بل نحن محرومون	٣٩٨
٦٨	افرأيتم الماء ...	٣٩٨
٦٩ - ٧٠	اانتم انزلتموه من المزن .. لونشاء جعلناه	٣٩٨
٧١ - ٧٢	افرأيتم النار ..اانتم انشأتم ..	٣٩٨
٧٣- ٧٤	نحن جعلناها.. فسبح بسم ...	٣٩٨

الحديد

٢٥	لقد ارسلنارسلنا...	١١٨
٢٨	يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ..	٥٩

المجادلة

٢٢	لاتجد قوما يؤمنون بالله .. يوادون..	٤٣٤

الممتحنة

٥	ربنا لاتجعلنا فتنة ...	٣٨٩

الصف

٧	ومن اظلم ممن افترى على ...	١٠٩

الجمعة

٢	هو الذى بعث في الاميين ...	٤٣٦

المنافقون

٨	ولله العزة ولرسوله ...	١١٧ و ٢٠٣

التغابن

٧	زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ..	٤٢٢
١١	ومن يؤمن بالله يهد قلبه..	٥٥

الطلاق

٣ قد جعل الله لكل شيء قدرا ٣٨٩

التحريم

١ يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك ٧٩

١١ اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا . . . ١٧٧

الملك

٣ الذى خلق سبع سموات . . ٤٠٢

٤ ثم ارجع البصر كرتين . . ٤٠٢

١٠ لو كنا نسمع او نعقل ما كنا . . . ١١٦

١٣ واسروا قولكم او اجهروا به . . ٢٠٠

١٤ الا يعلم من خلق . . . ١٢٠

١٥ هو الذى جعل لكم الارض ذلولا . . ٣٣٤ و ٣٥٧ و ٣٧٨

١٦ امنتم من في السماء ان يخسف . . . ٣٥٨

١٩ اولم يروا الى الطير فوقهم . . ٣٧١

٣٠ قل ارايتم ان اصبح ماؤكم . . . ٣٤٨

القلم

٤ وانك لعلى خلق عظيم ١١٩

٣٥ افنجعل المسلمين كالمجرمين ٥٣

٥٢ وما هو الا ذكر للعالمين ٤٨

الحاقة

٤ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ٢٣٣ و ٢٤٣

٥ فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية ٢٣٣ و ٢٥٠

٦ واما عاد . . ٢٣٣

١٤ وحملت الارض والجبال . . ٣٥٨

٣٨ فلا اقسم بما تبصرون ٣٤١

٣٩ ومالا تبصرون ٣٤١

٤١ وما هو بقول شاعر ٧٤

٤٢ ولا بقول كاهن ٧٤

٤٣ تنزيل من رب العالمين ٧٤

المعارج

٩ وتكون الجبال كالعهن ٣٦٢

نوح

١٩ والله جعل لكم الارض بساطا ٣٥٧

٢٠ لتسلكوا منها سبلا فجاجا ٣٥٧

الجـــن

٢	يهدى الى الرشـــد	٥٥
٧	وانهم ظنوا كما ظننتم ..	٤١٧
١٣	وانا لما سمعنا الهدى ...	٥٦
١٤	وانا منا المسلمون ..	٢٢٦
٢٦	عالم الغيب ...	٢٢٥ و ٣٢٩
٢٧	الا من ارتضى من رسول ...	٢٢٥ و ٣٢٩
٢٨	ليعلم ان قد ابلغوا ..	٢٢٥و ٣٢٩

المـزمـل

٤	ورتل القرآن ...	٧٢
٦	ان ناشئة الليل ...	٣٣٧
٧	ان لك في النهار ..	٣٦٨
٢٠	واللهيقدر الليل والنهار	٤٠٣

المدثـــر

٢٥	ان هذا الا قول البشـر	٦٨
٣٢	والليل اذ ادبر	٣٦٥
٣٣	والصبح اذا اسفر	٣٦٥
٤٢	ما سلككم في سقـر	٦١
٥٣	كلا بل لا يخافون الاخرة	٦٥

القيـامـة

١٧	ان علينا جمعه وقرآنـــه	١٤ و ٧١
١٨	فاطا قرأناه فاتبع قرآنـــه	١٤

الانـــسان

٢٣	انا نحن نزلنا عليك القرآن ...	٣٢
٢٥	واذكر اسم ربك بكرة ...	٣٣٧
٢٦	ومن الليل فاسجـد لـه ..	٣٣٧
٢٨	نحن خلقناهم وشددنا اسرهم	٣٧٦

المرسـلات

١٠	واذا الجبال نسفت	٣٦٢
٢٥	الهنجعل الارض كفاتا	٣٥٧
٢٦	احياء وامواتا	٣٥٧
٢٧	وجعلنا فيها رواسي	٣٦٠

النبـأ

٧	والجبال اوتادا	٣٦٠
١١	وجعلنا النهار معاشا	٣٦٨
١٢	وبنينا فوقكم سبعا شدادا	٣٤١
١٤	وانزلنا من المعصرات	٣٤٧
٢٠	وسيرت الجبال فكانت سرابا	٣٦٢

النازعـات

٦	يوم ترجف الراجفة	٣٥٩
٧	تتبعها الرادفة	٣٥٩
١٦	اذ ناداه ربه بالواد . . .	١٦٠
٢٠	فاراه الاية الكبرى	١٦٨
٢٧	اانتم اشد خلقا . . .	٣٤١
٢٨	رفع سمكها . .	٣٤١
٢٩	واغطش ليلها . .	٣٤١
٣٠	والارض بعد ذلك دحاها	٣٥٧
٣٧	فاما من طغى	٦٦
٣٨	وآثر الحياة الدنيا	٦٦
٣٩	فان الجحيم . . .	٦٦
٤٠	واما من خاف . . .	٦٦
٤١	فان الجنة هي المأوى	٦٦

عبـس

١	عبس وتولى	٧٩
٢٤	فلينظر الانسان الى طعامه	٣٥٠
٢٥	انا صببنا الماء صبا	٣٥٠
٢٦	ثم شققنا الارض شقا	٣٥٠
٢٧	فانبتنا فيها حبا	٣٥٠
٢٨	وعنبا وقضبا	٣٥٠
٢٩- ٣٠	وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا	٣٥٠
٣١-٣٢	وفاكهة وابا متاعالكم ولانعامكم	٣٥٠

التكـوير

١٧	والليل اذا عسـعـس	٣٦٥
١٨	والصبح اذا تنفس	٣٦٥
٢٢	وما صاحبكم بمجنون	٧٣

المطففـين

٦	يوم يقوم الناس لرب العالمين	٤٤٢

البروج

١٧-١٨	هل اتاك حديث الجنود ، فرعون وثمود	٢٣٢
٢١-٢٢	انه لقرآن كريم في لوح محفوظ	٣٢ و ٤٥

الطارق

١٢	والارض ذات الصدع	٣٥٧

الاعلى

٦	سنقرئك فلا تنسى	١٨ و ٧٢

الغاشية

١٩	والى الجبال كيف نصبت	٣٦٠

الفجر

١	والفجر وليال عشر	٣٦٥
٤	والليل اذا يسر	٣٦٥
٩	وثمود الذين جابوا الصخر بالواد	٢٤٠

البلد

٤	لقد خلقنا الانسان في كبد	٣٧٨

الشمس

٦	والارض وما طحاها	٣٥٧
١١	كذبت ثمود بطغواها	٢٤٧
١٢	اذ انبعث اشقاها	٢٤٧ و ٢٩٨
١٣	فقال لهم رسول الله ...	٢٤٢ و ٢٤٧
١٤	فكذبوه فعقروها ..	١٩٨ و ٢٤٧ و ٢٥٠
١٥	ولا يخاف عقباها	٢٤٧ و ٢٥٠

الليل

١	والليل اذا يغشى	٣٦٥
٢	والنهار اذا تجلى	٣٦٥
٧-٨	ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها ..	٦٥

الضحى

٦	الم يجدك يتيما فاوى	٣٠٨

العلق

١	اقرأ بسم ربك الذى خلق	٧٢ و ١١٦
٦-٧	كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى	٢٩١

القـــدر

١	انا انزلناه في ليلة القدر	٣٢

القارعـة

٥	وتكون الجبال كالعـهن المنفوش	٣٠ و ٣٦٢

*** ***

٢ - مسرد الاحاديث النبوية

تسلسل		الصفحة
	(الالف)	
١	احب الصيام الى الله	١٨٦
٢	** اقرأ في اربعين	٤٥٤
٣	اقرأ القرآن في شهر.....	٤٥٤
٤	اقرأني جبريل على حرف	٦٢
٥	اما والله اني لاخشاكم لله	٤٥٠
٦	ان افضلكم من تعلم القرآن	٤٥٤
٧	ان اول الايات خروجا.....	٤٣٠
٨	ان اهل مكة سالوا رسول الله	٢٥٢
٩	انبعث لها رجل عزيز.....	٢٤٧
١٠	الانبياء اخوة لعلات.....	٢٨٠
١١	ان جبريل اتي النبي (ص)	٣٥
١٢	ان جبريل سال النبي ص	٦٢
١٣	انزل على رسول الله وهو.....	٣٦
١٤	ان الشمس والقمر ايتان	٢٠١
١٥	ان عفريتا من الجن.....	١٩٣
١٦	ان كان النبي ليخالطنا.....	١١٩
١٧	ان الله ليؤيد هذاالدين.....	٣٠٨
١٨	ان لجسدك عليك حقا.....	٤٥٠
١٩	انما نزل منه سورة	٤٤٨
٢٠	ان من خياركم احسنكم اخلاقا.....	١١٩
٢١	ان النبي لبث بمكة	٣٧
٢٢	ان النبي (ص) توفي	٣٦
٢٣	ان هذا القرآن انزل على سبعة	٢٩
٢٤	انه كتب قبل موته	٢٠٤
٢٥	اول من قدم علينا.....	٢٠٥
٢٦	اى العمل احب الى الله.....	٤٥٢
٢٧	** افلا اكون عبدا شكورا.....	٤٤١
	(البـاء)	
٢٨	بادروا بالاعمال ستا.....	٤٢٩
٢٩	بت عند خالتي ميمونة	٤٤٧
٣٠	بني الاسلام على خمس	٦٠

(التـاء)

٣١ تخرج الدابة معها خاتم سليمان ٤١٥
٣٢ ترى المؤمنين في توادهم ٥٨
٣٣ تعاهدوا هذا القرآن ٤٥٤

(الثاء)

٣٤ ثلاث اذا خرجن لاينفع نفسا ايمانها ٤٢٩

(الجيم)

٣٥ جاء رجل من اهل البادية ٤٠٥

(الخاء)

٣٦ خفف على داود القرآن ..... ١٤ و ١٨٦

(الدال)

٣٧ دخلت المسجد ور سول الله (ص) جالس ... ٢٠١

(السين)

٣٨ سال الحارث ابن هشام رسول الله ٣٤
٣٩ سمع جبير النبي (ص) يقرأ في المغرب.... ٢٩

(الشين)

٤٠ الشقي من شقي في بطن امه ١٨٠

(الضاد)

٤١ ضمني النبي (ص) وقال ٤٤٦

(الطاء)

٤٢ طلب يعلي الى عمر ان يريه النبي ٣٥

(القاف)

٤٣ قال الله تعالى كذبني ابن ادم ٤١٤
٤٤ قرصت نملة نبيا من الانبياء ٣٧١

(الكاف)

٤٥ كانت امرأتان معهما ابناهما ٣٠٣
٤٦ كان خلقه القرآن ١١٩
٤٧ كان (ص) يدعو عند الكرب ٣٧٢
٤٨ كان النبي (ص) اذا تكلم ١٨٣

٤٩	كان النبي (ص) اذا عصفت الريح	٣٨١
٥٠	كنا نعبد الحجر	٥٠

(اللام)

٥١	لا تكتبوا عني	٧٦
٥٢	لاطوفن الليلة بمئة امرأة	٢١٣
٥٣	لا عدوى ولا طيرة	٢٤٣
٥٤	لا يشكر الله من لا يشكر الناس	٢
٥٥	لتتبعن سنن من قبلكم	١٥٧
٥٦	لقد اخفت في الله	٤٥٩
٥٧	لقد اوتيت مزمارا من مزامير	١٨٦
٥٨	لما اراد النبي (ص) ان يكتب الى الروم	٢٠٤
٥٩	لما خلق الله الارض	٣٦٠
٦٠	لما مرالنبي (ص) بالحجر	٢٥١
٦١	لم يترك النبي (ص) الا ما بين الدفتين....	١٦
٦٢	لن ينجي احد منكم عمله.....	٤٥١
٦٣	ليس من الانسان شيء الا يبلى	٤٢٢
٦٤	ليس منا من لم يتغن بالقرآن	٤٥٤

(الميم)

٦٥	ما كتبنا عن النبي (ص) الا القرآن	٧٦
٦٦	ما من مولود الا يولد على الفطرة.....	١١٣ و ٣٧٤
٦٧	من حدثك ان محمدا (ص) كتم شيئا.....	٧٩
٦٨	من زعم انه يخبر بما يكون في غد	٢٢٦

(النون)

٦٩	نحن احق من ابراهيم اذ قال	٣٢٩

(الواو)

٧٠	والصلاة نور	٦٠
٧١	ولقد اوحي اليه	٣٥
٧٢	وما اعطي احد عطاء خير من	٤٥٩
٧٣	ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي	٣٩٨

(الهاء)

٧٤	هذا جبريل جاء يعلم الناس	١٦
٧٥	هن الا تشركوا بالله شيئا	١٦٦

(اليـاء)

٧٦	ياتي الشيطان احدكم فيقول	٣٢٨
٧٧	يدخل الجنة من امتي سبعون الفا.....	٤٤٢
٧٨	يرحم الله لوطا	٣٠٨
٧٩	يغفر اللهلرسول الله	٤٥٣

****

(٣) - مسرد المراجع والمصادر

(القرآن العظيم) (الألف)

١ - الاتقان في علوم القرآن - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) ط ١٣٧٠هـ بيروت .

٢ - الآثار الباقية عن القرون الخالية - ابو الريحان البيروني (٤٤٠هـ) ط ١٩٢٣م بغداد - مكتبة المثنى .

٣ - أحكام القرآن - محمد ابن عبدالله ابن العربي (٥٤٣هـ) تحقيق علي محمد البجاوى ط بيروت .

٤ - احياء علوم الدين - محمد محمد الغزالي (٥٠٥هـ) ط ١٣٥٦هـ

٥ - ارشاد العقل السليم - محمد بن محمد العمادى ابو السعود (٩٨٢هـ) ط بيروت .

٦ - الاستشراق - سلسلة (كتاب الامة) د . محمود زقزوق - ط رجب ١٤٠٥هـ

٧ - الاستيعاب في أسماء الأصحاب - يوسف المالكي (٤٦٣هـ) على حاشية الاصابة لابن حجر ط بيروت .

٨ - الأسفار المقدسة د . علي عبدالواحد وافي ط مصر.

٩ - الاصابة في تمييز الصحابة - احمد بن علي بن حجر (٨٥٢هـ)ط بيروت

١٠ - أصول التربية الاسلامية وأساليبها - عبدالرحمن النحلاوى - ط ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دمشق .

١١ - أصول علمالنفس د . احمد عزت راجح ط دارالفكر - الكويت .

١٢ - أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين ابن محمدالمختار ط ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م - مصر .

١٣ - اعجاز القرآن - محمد ابن الطيب الباقلاني (٤٠٣هـ) ط ١٣٧٠هـ على حاشية الاتقان للسيوطي - بيروت .

١٤ - الأعلام - خيرالدين الزركلي ط ١٩٨٠م - بيروت .

١٥ - اعلام الموقعين عن رب العالمين - محمد ابن ابي بكر ابن القيم - (٧٥١هـ) ط ١٣٨٨هـ القاهرة .

١٦ - الله يتجلى في عصر العلم - مجموعة من المؤلفين الغربيين- تعريب : د . الدمرداش سرحان ط ١٩٦٨م القاهرة .

١٧ - الانسان بين العلم والدين - شوقي خليل ط ١٣٩٧هـ - دمشق .

١٨ - الانسان ذلك المجهول - الكسيس كاريل ط ١٩٨٣م بيروت .

١٩ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - عبدالله ابن عمر البيضاوي ط مصر.

٢٠ - أهمية الجهاد (اطروحة دكتوراه) د. علي ابن نفيع العلياني- ط ١٤٠٥هـ الرياض .

(البـــاء)

٢١ - البحر المحيط - محمد ابن يوسف ابوحيان الاندلسي (٧٥٤هـ) - ط ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م بيروت .

٢٢ - البداية والنهاية - اسماعيل ابن كثير (٧٧٤هـ) تحقيق د. احمد ابو ملحم وآخرون ط ١٤٠٨هـ بيروت .

٢٣ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - محمد ابن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ) ط ١٣٤٨هـ مصـــر .

٢٤ - البرهان في علوم القرآن - بدر الدين محمد ابن عبدالله الزركشي (٧٩٤هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

٢٥ - بيان اعجاز القرآن - حمد ابن محمد الخطابي (٣٨٨هـ) ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز.

(التـــاء)

٢٦ - تاريخ الأمم والملوك - محمد ابن جرير الطبرى (٣١٠هـ) ط ١٣٩٩هـ

٢٧ - تاريخ الشعوب الاسلامية - المستشرق بروكلمان .

٢٨ - تاريخ العرب - المستشرق فيليب حتي ط ١٩٦٥م

٢٩ - تاريخ القرآن د. محمد محيسن (سلسلة دعوة الحق) ط ١٤٠٢هـ رابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة .

٣٠ - تأويل مشكل القرآن - عبدالله ابن مسلم ابن قتيبة (٢٧٦هـ) تحقيق السيد احمد صقر ط ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م القاهرة .

٣١ - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة - ابو الريحان البيروني (٤٤٠هـ) ط ١٣٧٧هـ الهند .

٣٢ - التعريفات - علي ابن محمد الجرجاني (٨١٦هـ) تحقيق ابراهيم الابيارى ط ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م بيروت .

٣٣ - التفسير الحديث - محمد عزة دروزة ط ١٣٨١هـ مصر .

٣٤ - تفسير السورة التي يذكر فيها النمل - ابن ابي حاتم الرازى (٣٢٧هـ) تحقيق محمد كوجك (بحث ماجستير) مخطوط جامعة أم القرى - مكة المكرمة.

٣٥ - التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن - احمد حنفي ط ١٩٦٠م مصر

٣٦ - تفسير القرآن الحكيم (المنار) محمد رشيد رضا - ط ١٣٦٦هـ مصر

٣٧ - تفسير القرآن العظيم - اسماعيل ابن كثير القرشي (٧٧٤هـ) ط ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م القاهرة .

٣٨ - التفسير القرآني للقرآن - عبدالكريم الخطيب ط مصر. دارالفكر.

٣٩ - التفسير الواضح د. محمد محمود حجازى ط ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

٤٠ - تنقيح الابحاث للملل الثلاث - سعد ابن منصور ابن كمونة اليهودى- (ق ٧ هـ) ط ١٩٦٧م القاهرة .

٤١ - تنوير المقباس تفسير ابـــن عباس - على حاشية الدرالمنثور ط بيروت.

٤٢ - تهذيب الحيوان - الجاحظ تحقيق عبدالسلام هارون ط مصر.

٤٣ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن ابن ناصرالسعدى (١٣٧٦هـ) ط ١٣٩٨هـ مكة المكرمة .

(الجـــيم)

٤٤ - جامع البيان في تفسير القرآن - محمد ابن جرير الطبرى (٣١٠هـ) ط بولاق ١٣٢٩هـ مصر .

٤٥ - جامع الترمذى مع شرحه تحفة الاحوذى ط دارالكتاب العربي - بيروت.

٤٦ - الجامع الصحيح للبخارى محمد ابن اسماعيل (٢٥٦هـ) ط ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م تحقيق وترقيم د. مصطفى ديب البغا - دمشق

٤٧ - الجامع لأحكام القرآن (تفسيرالقرطبي) محمد ابن احمد القرطبي (٦٧١هـ) ط ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م القاهرة .

٤٨ - الجواهر في تفسير القرآن الكريم - طنطاوى جوهرى ط ١٣٥٠هـ مصر.

٤٩ - الجهاد في سبيل الله حقيقتهوغايته (اطروحة دكتوراه) د. عبدالله احمد القادرى ط جدة.

(الحـــاء)

٥٠ - حضارة العرب - المستشرق جوستاف لوبون - ترجمة عادل زعيتر ط ١٣٩٩هـ بيروت .

(الخـــاء)

٥١ - الخصائص الكبرى - عبدالرحمن ابن ابي بكر السيوطي (٩١١هـ) - ط ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م بيروت .

(الـــدال)

٥٢ - درء تعارض العقل والنقل - احمد ابن عبدالحليم ابن تيمية (شيخ الاسلام) (٧٢٨هـ) تحقيق د. محمد رشاد سالم ط ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية - الرياض

٥٣ - دائرة المعارف الاسلامية - مجموعة من المستشرقين - ط ايران نشر دار المعرفة بيروت .

٥٤ - دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدى ط ١٩٧١م لبنان.

٥٥ - دراسات في علم النفس الاجتماعي د. عبدالرحمن عيسوى ط ١٩٧٤م بيروت .

٥٦ - دراسات قرآنية - محمد قطب ط ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م مصر.

٥٧ - دراسة الكتب المقدسة - موريس بوكاى ط ١٩٧٧م لبنان .

٥٨ - دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الاسلام (بحث ماجستير) فتحية الحلواني ط ١٤٠٣هـ جدة .

٥٩ - الدر اللقيط من البحر المحيط - تاج الدين الحنفي (٧٤٩هـ) ط على حاشية البحر المحيط لابي حيان .

٦٠ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور - عبدالرحمن ابن ابي بكر السيوطي (٩١١هـ) ط بيروت .

٦١ - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين - محمد الغزالي ط ١٩٨١م القاهرة.

٦٢ - الدعوة الاسلامية في عهدها المكي د. رؤوف شلبي ط مجمع البحوث الاسلامية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م القاهرة .

٦٣ - الدعوة الى الاسلام - المستشرق توماس آرنولد ط ١٩٧٠م القاهرة.

٦٤ - دعوة الرسل الى الله تعالى - محمد احمد العدوى ط ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م مصر .

٦٥ - دعوة صالح عليه‌السلام (بحث ماجستير) حسن الشيخ - مخطوط المعهد العالي للدعوة الاسلامية بالمدينة النبوية.

٦٦ - دلائل الاعجاز - عبدالقاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز - بدون تاريخ طبع.

(الـذال)

٦٧ - الذرة والكون - بيار روسو ط ١٩٨٢م بيروت .

(الـراء)

٦٨ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - محمود الألوسي (١٢٧٠هـ) ط دمشق .

(الـزاى)

٦٩ - زاد المسير - عبدالرحمن ابن علي الجوزى (٥٩٧هـ) - ط ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م بيروت .

(السـين)

٧٠ - سير اعلام النبلاء - شمس الدين محمد ابن احمدالذهبي (٧٤٨هـ) ط ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م بيروت .

٧١ - السيرة النبويـة - عبدالملك ابن هشام الحميرى (٢١٣هـ) تحقيق مصطفى السقا وآخرون .

٧٢ - السيرة النبوية - اسماعيل ابن كثير (٧٧٤هـ) ط ١٣٩٨هـ بيروت.

٧٣ - سيكولوجية القصة في القرآن (اطروحة دكتوراه) د . التهامي نفرة ط ١٩٧٤م تونس

(الشـين)

٧٤ - الشـفا بتعريف حقوق المصطفى - عياض ابن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ) ط بيروت .

(الصـاد)

٧٥ - صحيح مسلم - مسلم ابن الحجاج القشيرى (٢٦١هـ) تحقيق محمد فـؤاد عبدالباقي ط بيروت .

٧٦ - صـفة الصفوة - عبدالرحمن ابن علي ابن الجوزى (٥٩٧هـ) تحقـيق : محمود فاخورى وزميله ط ١٤٠٥هـ بيروت .

(الطـاء)

٧٧ - الطبيعة في القرآن - د . كاصد الزيدى ط ١٩٨٠م العراق .

٧٨ - طريق الهجرتين وباب السعادتين - محمد ابن ابي بكر ابن القيم (٧٥١هـ) ط ١٩٨٠م بيروت .

(الظـاء)

٧٩ - الظاهرةالقرآنية - مالك ابن نبي - ط ١٤٠٥هـ/١٩٨١م دمشق .

٨٠ - ظلام من الغرب - محمد الغزالي ط ١٣٩٩هـ مصر .

٨١ - الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن د . عبدالعليم خضر - ط ١٤٠٤هـ جـدة .

(العـين)

٨٢ - العبودية - احمد ابن عبدالحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ) ط ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م جـدة .

٨٣ - العقيدة والشريعة في الاسلام - المستشرق جولد تسيهر ط ١٩٤٦م القاهرة .

٨٤ - العلاج النفسي د . عبدالرحمن عيسوى ط ١٤٠٤هـ بيروت

٨٥ - علم النفس الفسيولوجي د. كاظم ولي ط ١٤٠١هـ بيروت .

٨٦ - العلم يدعو للايمان - كريسي موريسون - ترجمة محمود الفلكي - ط ١٩٧٨م مصر .

٨٧ - على التوراة (كتاب في نقد التوراة اليونانية) علي ابن محمدالشافعي (٧١٤هـ) تحقيق د. احمد السقا ط ١٤٠٠هـ مصر .

٨٨ - عمل المرأة وموقف الاسلام منه (بحث ماجستير) عبدالرب نواب الدين ط ١٤٠٦هـ مصر .

(الغـين)

٨٩ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان - نظام الدين الحسين النيسابورى - ط على حاشية الطبرى ١٣٢٩هـ مصر .

(الفـاء)

٩٠ - فتح البارى - احمد ابن علي ابن حجر (٨٥٢هـ) ط مصـر.

٩١ - فتح القدير - محمد ابن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ) ط بيروت .

٩٢ - الفتوحات العربية الكبرى - المستشرق جون باجوت جلوب - ترجمة خيرى حماد ط مكتبة المثنى بغداد .

٩٣ - الفصل في الملل والاهواء والنحل - احمد ابن حزم الظاهرى(٤٥٦هـ) ط ١٣٢١هـ مصر .

٩٤ - فضائل القرآن - اسماعيل ابن كثير (٧٧٤هـ) ط ١٤٠٦هـ بيروت

٩٥ - فوات الوفيات - محمد ابن شاكر الكتبي (٧٦٤هـ) ط ١٩٧٣م بيروت.

٩٦ - في ظلال القرآن - سيد قطب ط ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م مصـر.

(القـاف)

٩٧ - القاموس المحـيط - الفيروز آبادى ( ) ط بيروت .

٩٨ - القراءات في نظر المستشرقين والملحدين - عبدالفتاح القاضي ط مصر.

٩٩ - القرآن - تدوينه وتاريخه - المستشرق بلاشير ط ١٩٧٤م بيـروت .

١٠٠ - القرآن فوق الدستور د. علي جريشة ط ١٤٠٦هـ مصر.

١٠١ - قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن - نديم الجسر ط ١٣٨٩هـ /١٩٦٩م بيروت .

١٠٢ - قصـة الحضارة - ول ديورانت -

١٠٣ - قصص الانبياء - اسماعيل ابن كثير (٧٧٤هـ) تحقيق خليل الميس ط بيروت

١٠٤ - قصص الانبياء - عبدالوهاب النجار ط بيروت .

١٠٥ - القصص القرآني في منطوقه ومفهومه - عبدالكريم الخطيب ط ١٩٧٤م مصر .

(الكاف)

١٠٦ - الكامل في التاريخ - علي ابن محمد ابن الاثير (٦٣٠هـ) ط ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م بيروت .

١٠٧ - كبرى اليقينيات الكونية - محمد رمضان البوطي ط ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م دمشق .

١٠٨ - كتب العهدالقديم والجديد ط ١٩٧٠م القاهرة
Arabic Bible Vewelled no 4o Cairo I970

١٠٩ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل - محمود الزمخشري (٥٣٨هـ) ط بيروت .

(اللام)

١١٠ - لسان العرب - محمد ابن مكرم ابن منظور (٧١١هـ)ط بيروت.

(الميم)

١١١ - محاضرات في الاديان والفرق المعاصرة (للباحث) ملقاة على طلاب كليةالدعوة واصول الدين عام ١٤٠٦هـ (غيرمطبوعة)

١١٢- محاضرات في مناهج الدعوة د. محمد عبدالعليم العدوى (غيرمطبوعة) الملقاة على طلاب الدراسات العليا بالمعهد العالي للدعوة الاسلامية بالمدينة النبوية عام ١٤٠٣هـ

١١٣ - المحكم والمحيط الاعظم في اللغة - علي ابن سيدة (٤٥٨هـ) تحقيق د. مراد ط مصر .

١١٤ - مجموع الفتاوى - احمد ابن عبدالحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ) ط ١٣٩٨هـ

١١٥ - مدارج السالكين - محمد ابن ابي بكر ابن القيم(٧٥١هـ) ط ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م القاهرة .

١١٦ - مداركالتنزيل وحقائق التأويل - عبداللهاحمد النسفي ط ١٤٠٢هـ-١٩٨٢ بيروت .

١١٧ - المدخل الى علم الجغرافيا د. طه عثمان ط ١٤٠٥هـ الرياض

١١٨ - المدخل الى علم النفس - ركس نايت - تعريب عبد الجسماني ط ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م بغداد .

١١٩ - المدخل لدراسة القرآن - محمد ابو شهبة ط ١٩٧٣م القاهرة.

١٢٠ - مذاهب التفسير الاسلامي - المستشرق جولد تسيهر ط ١٩٥٥م القاهرة .

١٢١ - المرشد الوجيز الىعلوم تتعلق بالكتاب العزيز - شهاب الدين عبدالرحمن ابو شامة (٦٦٥هـ) تحقيق طيار آلتي ط ١٣٩٥هـ بيروت .

١٢٢ - المستشرقون وترجمة القرآن - د. محمد صالح البنداق ط ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م بيروت .

١٢٣ - المسيحية نشأتها وتطورها - شارلز جنيبير ، ترجمة د. عبدالحليم محمود ط بيروت .

١٢٤ - معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم (اطروحة دكتوراه) د. عبدالوهاب الديلمي ط ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م جدة.

١٢٥ - المعجزة الكبرى القرآن - محمد ابو زهرة ط دارالفكرالعربي .

١٢٦ - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية ط طهران .

١٢٧ - مفاتيح الغيب (تفسيرالفخرالرازى) محمد ابن ضياء الدين ابن عمر (٦٠٤هـ) ط ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

١٢٨ - مفتاح دار السعادة - محمد ابن ابي بكر ابن القيم(٧٥١هـ) ط بيروت .

١٢٩ - المقدمة - عبدالرحمن ابن محمد ابنخلدون (٨٠٨هـ) ط ١٩٧٨م بيروت .

١٣٠ - المفردات في غريب القرآن - حسين ابن محمد الراغب الاصفهاني - (٥٦٥هـ) ط مصر .

١٣١ - ملامح الشورى في الدعوة الاسلامية - عدنان النحوى ط الدمام

١٣٢ - الملل والنحل - محمد ابن عبدالكريم الشهرستاني (٥٤٨هـ)تحقيق محمد سيد الكيلاني ط ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م بيروت .

١٣٣ - مناهج التربية الاسلامية - محمد قطب ط ١٤٠٣هـ جدة .

١٣٤ - مناهج الدعوة واساليبها - د. علي جريشة ط ١٤٠٧هـ مصر.

١٣٥ - مناهج المستشرقينفي الدراسات العربية الاسلامية (مجموعة منالمؤلفين) ط مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

١٣٦ - من اسرار الحياة والكون - د. [illegible]

١٣٧ - مناهل العرفان - محمد عبدالعظيم الزرقاني ط مصر .

١٣٨ - المنتخب في تفسير القرآن الكريم (المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية) مصر ط ١٣٨٧هـ القاهرة .

١٣٩ - المنهج الايماني في الدراسات الكونية د . عبدالعليم خضر ط ١٤٠٤هـ جدة .

١٤٠ - منهج القرآن في الدعوة الى الايمان د . علي ابن ناصر الفقيهي (بحث الماجستير) ط ١٤٠٥هـ

١٤١ - منهج القصة في القرآن - محمد شديد ط ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م جدة .

١٤٢ - الموافقات في اصول الاحكام - ابراهيم ابن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ) تعليق محمد حسنين مخلوف ط ١٣٤١هـ مصر .

١٤٣ - الموسوعة العربية الميسرة - مجموعة من المؤلفين - ط ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م بيروت .

(النون)

١٤٤ - النبأ العظيم د . محمد عبدالله دراز ط ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م الكويت

١٤٥ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - جمال الدين ابن يوسف (٨٧٤هـ) ط مصر .

١٤٦ - نظرات استشراقية في الاسلام د . محمد غلاب ط القاهرة دار الكتاب العربي

١٤٧ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين البقاعي (٨٨٥هـ) ط ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م الهند .

١٤٨ - نكت الانتصار - محمد الطيب الباقلاني (٤٠٣هـ) تحقيق د . محمد زغلول سلام ط ١٩٧١م مصر .

١٤٩ - النكت في اعجاز القرآن - علي ابن عيسى الرماني (٣٨٤هـ) ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز .

١٥٠ - النكت والعيون - علي ابن محمد الماوردى (٤٥٠هـ) ط الكويت ١٤٠٢هـ

١٥١ - نهج البلاغة (مأثورات الامام علي ابن ابي طالب رضي الله عنه) تحقيق د . صبحي الصالح ط ١٩٨٢م بيروت .

(الواو)

١٥٢ - واقعنا المعاصر - محمد قطب ط ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م جدة .

١٥٣ - وفيات الاعيان - احمد ابن محمد ابن خلكان (٦٨١هـ) ط بيروت

(الهاء)

١٥٤ - هموم داعية - محمد الغزالي ط ١٤٠٥هـ دمشق

** الصحف والدوريات :

١٥٥ ـالاهرام القاهرية عدد ١٥ شعبان ١٤٠٧هـ - ١٣ ابريل ١٩٨٧م

١٥٦ - الجزيرة عدد ١٤٠٧/٨/٢هـ (الصحيفةالسعودية)

١٥٧ - الدعوة (المجلةالسعودية) عدد ١٤٠٨/٣/١١هـ - ٩ نوفمبر ١٩٨٧م

١٥٨ - الشرق الاوسط (الصحيفة السعودية) عدد ١٤٠٧/٨/١٤هـ - ١٩٨٧/٤/١٢م

١٥٩ - القافلة (المجلةالسعودية) عدد جمادى الاولى ١٤٠٨هـ

١٦٠ - المدينة (الصحيفة السعودية) عدد ١٤٠٨/٣/١٦هـ

١٦١ - المسلمون (الصحيفة الدولية) عـــــــــدد :
١٤٠٦/٦/٢٠هـ
و ١٤٠٦/٦/٢٧هـ
و ١٤٠٧/١٠/٢٤هـ
و ١٤٠٨/٣/٨هـ
و ١٤٠٨/٣/١٢هـ
و ١٤٠٨/٤/٦هـ

*** *** *** ***

والحمد لله أولا وآخـــرا

محـتويات الرســالة

الافتتاحـــية ---------- ١
كلمة شكر ---------- ٢
المقدمة ---------- ٣
تقرير عـنوان الرسالـة ---------- ٨

الباب الاول : (القرآن الكريم والدعوة الى اللـــه) ١١ - ١٥١
الفصل الاول (القرآن الكريم نزوله وخصائصـه) ١٣
المبحث الاول : تعريف القرآن العظيم واعجازه--- ١٣
المبحث الثاني : الوحي ونزول القرآن -------- ٣٢
المبحث الثالث : المكي والمدني وخصائصهما ---- ٣٩
المبحث الرابع : الخصائص الكبرى للقرآن العظيم ٤٤
الفصل الثاني (موقف البشرية من القرآن الكريم) ٥٢
المبحث الاول : موقف المؤ منين ---------- ٥٤
المبحث الثاني : موقف المعاندين ---------- ٦٤
الفصل الثالث (اختلاف بني اسرائيل في ضوء القرآن الكريم) ٨٣
المبحث الاول : اختلافهم في الالوهـية ------- ٨٥
المبحث الثاني : انبياء سورة النمل في كتب بني اسرائيل ٩٠
المبحث الثالث : تحريفهم التوراة والانجيل ----- ٩٩
الفصل الرابع (الدعوة في القرآن الكريم) ١٠٢
المبحث الاول : احتفاء القرآن بالدعوة ------- ١٠٣
المبحث الثاني : مناهج الدعوة في القرآن الكريم ١١٠
المبحث الثالث : دور القصص القرآني في الدعـوة--- ١٢٣
المبحث الرابع : اتجاهات السورة على ضوء ماسبق ١٤٩

الباب الثانـي : (دعوة الانبياء في السورة) ١٥٢ - ٣١٥
الفصل الاول دعوات انبياء بني اسرائيل --- ١٥٥
المبحث الاول : دعوة موسى عليه السلام ,----- ١٥٦
المبحث الثاني : دعوة داود وسليمان عليهما السلام ١٨١
الفصل الثاني (دعوة صالح عليه السلام) --- ٢٣٠
الفصل الثالث (دعوة لوط عليه السلام) --- ٢٥٣

الفصل الرابع (وحدة رسالات الله)---- ٢٧٦
الفصل الخامس (الدروس المستفادة من قصص الانبياء في السورة) ٢٨٥

الباب الثالث : (الدعوة بلفت الانظار الى اثار القدرة الالهية في الكون) ٣١٦ - ٤٣٠
الفصل الاول (مظاهر الكون في القرآن الكريم) ٣٢١
الفصل الثاني (خلق السموات والارض وما فيهما من آثار قدرة الله والنعم المحيطة بالانسان) ٣٤٠
الفصل الثالث (خلق الارض ومافيها من مظاهر القدرة والنعم) ٣٥٦
الفصل الرابع (دفع الضر وجلب النفع والتمكين في الارض .) ٣٧٨
الفصل الخامس (نعم الله على الانسان في البر ٣٧٨
الفصل السادس (بدء الخلق واعادته وبث الارزاق) ٣٨٤
الفصل السابع (الاستدلال بمظاهر الكون على الالوهية) ٣٩١
الفصل الثامن (الاستدلال على البعث) ٤٠٧
المبحث الاول : دلالة مظاهر الكون.. ٤٠٩
المبحث الثاني :شبهات منكرى البعث ٤١٧
المبحث الثالث : موانع النظر والاستدلال ٤٢٤

الباب الرابع : (منهج اعداد وتربية الدعاة في السورة) ٤٣١ - ٤٦٢
الفصل الاول : (اسس التربية الروحية) -- ٤٣٥
الفصل الثاني : (سمات التربية الاسلامية) ٤٥٨

الخاتمة ---------- ٤٦٣

مسرد الايات القرانية---------- ٤٦٩
مسرد الاحاديث النبوية---------- ٥٠٤
قائمة المراجع---------- ٥٠٨

محتويات الرسالة ---------- ٥١٨

*** ****** ***

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات